

حِكَاةُ النَّبِيِّ ﷺ

فِي سِيَرَتِهِ

تَأَلَّفَتْ:

عَنْ أَساتِيرِ السَّامِرِيِّينَ

السَّيِّحِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَشَّائِ نَوَوِي

بِإِشْرَافِ

رَضَى الْأَكْبَدِيُّ



مَدْرَسَةُ السُّلَيْمَانِيَّةِ
بِالْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُنَوَّرَةِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَيِّ عَلَى النَّبِيِّ
وَسِيْرَتِهِ

حياة النبي
صلى الله عليه وسلم

وسيرة

تأليف:

عبد السلام والمسعودي

الشيخ محمد قوام الوشيني

بإشراف

رضا الأستاذي

المجلد الثاني

حياة النبي ﷺ وسيرته (ج ٢)

تأليف : الشيخ محمد قوام الوشنوي

إشراف : رضا الاستادي

الناشر : دار الأسوة للطباعة والنشر

المطبعة : اسوه

الطبعة : الاولى

تاريخ النشر : ١٤١٦ هـ.ق

عدد المطبوع : ٢٠٠٠ دورة

ثمن الدورة : ٣٠٠٠ تومان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

بدء تشريع القتال وشيء من غزوات النبي ﷺ وسراياه على الإجمال

روى ابن هشام^(١) عن ابن إسحاق أنه قال: أول آية نزلت على النبي (ص) في قتال المشركين قول الله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتِ صَوَامِعَ وَبِيَعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدَ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ثم أنزل الله تعالى عليه ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ﴾.

وقال ابن الأثير في الكامل: وفيها - أي السنة الأولى من الهجرة - على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله (ص) لعمته حمزة لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليتعرضوا^(٢) لعير قريش. إلى أن قال: وجعل الواقدي هذه السرايا جميعها (أي التي سيأتي الإشارة إليها) في السنة الأولى من الهجرة وجعلها ابن إسحاق في السنة الثانية. وقال الطبري: وزعم الواقدي

(١) السيرة النبوية ٢ / ١١١، تاريخ الطبري ٢ / ٤٠٢، حياة محمد ص ١.

(٢) في الكامل «ليعرضوا».

ان رسول الله (ص) عقد في هذه السنة - أي السنة الأولى من الهجرة - في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لحمزة بن عبدالمطلب لواء أبيض. الى أن قال: وقال ابن إسحاق في أمر كل هذه السرايا التي ذكرت عن الواقدي قوله فيها غير ما قاله الواقدي، وان ذلك كله كان في السنة الثانية من وقت التاريخ.

وقال محمد بن سعد في الطبقات^(١): قالوا: قدم رسول الله (ص) المدينة حين هاجر من مكة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، وهو المجمع عليه، وقد روى بعضهم أنه قدم لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، وكان أول لواء عقده رسول الله (ص) لحمزة ابن عبدالمطلب بن هاشم في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجر رسول الله (ص) ... الخ.

وقال الشبلنجي في نور الأبصار^(٢): أعلم ان النبي (ص) أقام بالمدينة بعد الهجرة عشرة سنين وشهرين، ثم توفي (ص) ففي السنة الأولى فرض عليه الجهاد، وبعث حمزة بن عبدالمطلب في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترض عيراً لقريش في رمضان، وبعث عبيدة بن الحرث في ستين رجلاً من المهاجرين الى بطن رابع، وبعث سعد بن أبي وقاص الى الحرار - بجاء معجمة ورائين عين قرب الجحفة - في ذي القعدة في عشرين من المهاجرين ليعترض عيراً لقريش.

وقال الصبان^(٣): وأذن له (ص) بالقتال لكن لمن قاتله بقوله ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ الآية، وهي أول آية نزلت في القتال، وذلك في صفر من السنة الثانية من الهجرة، ثم أذن له لمن لم يقاتله لكن في غير الأشهر الحرم بقوله تعالى ﴿فاذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ الآية، ثم أذن له في القتال مطلقاً بقوله تعالى ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ الآية. وعدد مغازيه (ص) وهي التي غزا فيها بنفسه تسع وعشرون على قول، وعدد سراياه وهي التي

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٢.

(٢) نور الأبصار ص ٤٣.

(٣) إسعاف الراغبين ص ٣٨.

بعثها ولم يكن فيها خمسون على قول ... الخ.

وقال الزبيني دحلان^(١): وأذن الله لرسوله (ص) لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة، قال الزهري: أول آية نزلت في الإذن بالقتال قوله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ إلى أن قال: وقيل أول آية نزلت فيه ﴿إن الله اشترى من المؤمنين﴾ الآية، ثم قال: وحكمة تأخير الإذن بالقتال أنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً، فلو أمر الله المسلمين وهم قليل بالقتال لشقَّ عليهم، فلما بغى المشركون وأخرجوه (ص) من بين أظهرهم وهَمُّوا بقتله واستقرَّ بالمدينة واجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقاموا بنصره وصارت المدينة دار إسلام ومعقلاً يلجؤون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فبعث (ص) البعوث والسرايا وغزا بنفسه، وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالباً أن يسموا كل عسكر حضره النبي (ص) بنفسه الكريمة (غزوة) وما لم يحضر بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو (سرية) و (بعثاً)، وخرج بقولهم غالباً غير الغالب، فاتهم قد يُسمون بعض السرايا غزوة كقولهم غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل، واستمرَّ (ص) هو وأصحابه يقاتلون حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً، وجاءوا بعد الفتح من أقطار الأرض طائعين، وكان عدد مغازيه التي غزا فيها بنفسه تسعاً وعشرين، وهي: غزوة ودان، غزوة بواط، غزوة العشيرة. إلى أن قال: وأما سراياه التي بعث فيها أصحابه (ص) فسبع وأربعون سرية، وقيل تزيد على سبعين سرية ... الخ.

وقال الحلبي^(٢): ولا يخفى أنه (ص) مكث بضع عشرة سنة يُنذر بالدعوة بغير قتال صابراً على شدة أذى العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولأصحابه، لأمر الله تعالى له بذلك بالإندار والصبر على الأذى والكف بقوله ﴿وأعرض عنهم﴾ وبقوله ﴿واصبر﴾، ووعدته بالفتح فكان يأتيه أصحابه بمكة ما بين مضروب ومشجوج، فيقول (ص) لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال، لأنهم كانوا بمكة شرذمة قليلة، ثم لما استقرَّ أمره (ص) بعد الهجرة وكثرت أتباعه،

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٨٥.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ١٢٢.

وشأنهم أن يقدموا محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم، وأصرّ المشركون على الكفر والتكذيب أذن الله تعالى لنبيه ولأصحابه في القتال، وذلك في صفر من السنة الثانية من الهجرة، لكن لمن قاتلهم وابتدأهم به بقوله ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾.

قال بعضهم ولم يوجهه بقوله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ الخ.

وقال الواقدي^(١): قدم رسول الله (ص) المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من شهر ربيع الأول، ويقال لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، والثابت لاثنتي عشرة، فكان أول لواء عقده رسول الله (ص) لحمزة بن عبدالمطلب في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرة النبي ليعترض عيراً لقريش، ثم لواء عبيدة بن الحارث في شوال على ثمانية أشهر الى رابع وهي عشرة أميال من الجحفة وأنت تريد قديد، وكان في شوال على رأس تسعة أشهر، ثم سرية سعد بن أبي وقاص الى الخزار على رأس تسعة أشهر في ذي القعدة. ثم غزا رسول الله (ص) في صفر على رأس أحد عشر شهراً حتى بلغ الأبواء، ثم رجع ولم يلق كيداً، وغاب خمسة عشر ليلة، ثم غزا بواط في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً يعترض لعير قريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير، ثم رجع ولم يلق كيداً، وبواط هي من الجحفة قريب، ثم غزا في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً في طلب كرز بن جابر الفهري حتى بلغ بدرأ، ثم رجع، ثم غزا في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً يعترض لعيرات قريش حين بدت إلى الشام، وهي غزوة ذي العشيرة، ثم رجع فبعث عبدالله ابن جحش الى نخلة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً، ثم غزا بدر القتال صبيحة سبع عشرة من رمضان يوم الجمعة على رأس تسعة عشر شهراً، ثم سرية عصماء بنت مروان قتلها عمير بن عدي بن خرشة على رأس تسعة عشر شهراً لخمس ليال بقين من رمضان، ثم سرية سالم بن عميرة قتل أبا عفك في شوال على رأس عشرين شهراً، ثم غزا رسول الله (ص) غزوة السويق في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً، ثم غزا النبي بني سليم بالكدر في المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً، ثم سرية قتل ابن الأشرف في ربيع الأول على رأس

(١) المغازي ١/٢-٦ مع تغيير يسير في بعض الألفاظ.

خمسة وعشرين شهراً، ثم غزوة غطفان إلى نجد وهي ذو أمر في ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً، ثم سرية عبدالله بن أنيس إلى سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي. قال عبدالله خرجت من المدينة يوم الاثنين لخمس ليال خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً، فغبت ثمان عشرة ليلة، وقدمت يوم السبت لتسع بقين من المحرم.

ثم غزا النبي (ص) بجران في جمادى الأولى، ثم سرية القرادة أميرها زيد بن حارثة في جمادى الآخرة فيها أبو سفيان بن حرب، ثم غزا النبي (ص) أحداً في شوال، ثم سرية أميرها أبو سلمة بن عبدالأسد إلى قطن إلى بني أسد على رأس خمسة وثلاثين شهراً في المحرم، ثم بئر معونة أميرها المنذر بن عمر في صفر، ثم غزوة الرجيع في صفر أميرها مرثد، ثم غزا النبي (ص) بني النضير في ربيع الأول، ثم غزا النبي (ص) بدر الموعد في ذي القعدة، ثم سرية ابن عتيك إلى ابن أبي الحقيق في ذي الحجة، فلما قتل سلام بن أبي الحقيق فرزت اليهود إلى سلام بن مشكم بخيبر فأبى أن يرأسهم، فقام أسير بن زارم بحربهم.

ثم غزا النبي (ص) ذات الرقاع في المحرم، ثم غزا دومة الجندل في ربيع الأول، ثم غزا النبي (ص) المريسي في شعبان سنة خمس، ثم غزا النبي (ص) الخندق في ذي القعدة سنة خمس، ثم غزا النبي (ص) بني قريظة في ليال من ذي القعدة وليال من ذي الحجة سنة خمس، ثم سرية ابن أنيس إلى سفيان بن خالد بن نبيح في المحرم سنة ست، ثم سرية محمد بن مسلمة في المحرم سنة ست إلى القريظاء.

ثم غزوة النبي (ص) بني لحيان إلى الغابة في ربيع الأول سنة ست، ثم سرية أميرها عكاشة بن محصن إلى الغمر في ربيع الآخر سنة ست، ثم محمد بن مسلمة إلى ذي القصة في ربيع الآخر سنة ست، ثم سرية أميرها أبو عبيدة الجراح إلى ذي القصة في ربيع الآخر سنة ست، ثم سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم في ربيع الآخر سنة ست وكانت في شهر واحد ما بين بطن نخل والنقرة، ثم سرية زيد بن حارثة إلى العرض في جمادى الأولى سنة ست، ثم سرية زيد بن حارثة إلى الطرف في جمادى الآخرة - والطرف على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة -، ثم سرية زيد بن حارثة إلى حسمى في جمادى الآخرة سنة ست - وحسمى وراء وادي القراء -، ثم

سريّة زيد بن حارثة الى وادي القراء في رجب سنة ست، ثم سريّة أميرها عبدالرحمن بن عوف الى دومة الجندل في شعبان سنة ست، ثم غزوة علي بن أبي طالب (ع) الى فدك في شعبان سنة ست، ثم غزوة زيد بن حارثة الى أم قرفة في رمضان سنة ست - وكانت أم قرفة ناحية وادي القرى إلى جنبها - ثم غزوة ابن رواحة الى أسير بن زارم في شوال سنة ست، ثم سريّة كُرز بن جابر الى العرينين في شوال سنة ست.

ثم اعتمر النبي (ص) عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست، ثم غزا النبي (ص) خيبر في جمادى الأولى سنة سبع، ثم انصرف من خيبر الى وادي القرى في جمادى الآخرة، فقاتل بها سنة سبع، ثم سريّة عمر بن الخطاب إلى تربة في شعبان سنة سبع، ثم سريّة أبي بكر بن أبي قحافة في شعبان الى نجد سنة سبع، ثم سريّة بشير بن سعد إلى فدك في شعبان سنة سبع، ثم سريّة غالب بن عبدالله الى الميفعة في رمضان سنة سبع - والميفعة ناحية نجد -، ثم سريّة بشير بن سعد الى الجنباب في شوال سنة سبع.

ثم اعتمر النبي (ص) عمرة القضية في ذي القعدة سنة سبع. ثم غزوة ابن أبي العوجاء السلمي في ذي الحجة سنة سبع، ثم غزوة غالب بن عبدالله الى الكديد في صفر سنة ثمان (والكديد وراء قديد)، ثم سريّة شجاع بن وهب في ربيع الأول سنة ثمان الى بني عامر بن الملوح، ثم غزوة كعب بن عمير الغفاري في سنة ثمان في ربيع الأول إلى ذات (اطلاح) - واطلاح ناحية الشام من البلقاء على ليلة -، ثم غزوة زيد بن حارثة الى مؤتة سنة ثمان، ثم غزوة أميرها عمرو بن العاص الى ذات السلاسل في جمادى الآخرة سنة ثمان، ثم غزوة الخبط أميرها أبو عبيدة بن الجراح في رجب سنة ثمان، ثم سريّة خضرة أميرها أبو قتادة في شعبان سنة ثمان (وخضرة ناحية نجد على عشرين ميلاً عند بستان ابن عامر)، ثم سريّة أبي قتادة إلى الضم في رمضان سنة ثمان.

ثم غزا النبي (ص) عام الفتح في ثلاث عشرة مضت من رمضان سنة ثمان، ثم هدم العزى لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان هدمها خالد بن الوليد، ثم هدم سواع هدمه عمرو بن العاص وكان في رمضان، ثم هدم مناة هدمها سعد بن زيد الأشهلي في رمضان سنة ثمان، ثم

غزوة بني جزيمة غزاها خالد بن الوليد في شوال سنة ثمان.

ثم غزا النبي (ص) حنيناً في شوال سنة ثمان، ثم غزا النبي الطائف في شوال سنة ثمان وحج الناس سنة ثمان.

قال الواقدي ثم غزا النبي (ص) تبوك، وهي آخر الغزوات.

وقال ابن إسحاق: أول ما غزا النبي (ص) الأبواء، ثم بواط، ثم العشيرة. انتهى ما نقله الواقدي من المغازي والسرايا مجملاً في كتاب المغازي.

وقال الزيني دحلان والصبان والعبارة له في (إسعاف الراغبين)^(١) قال: فأول مغازيه (ص) غزوة ودان وهي غزوة الأبواء، وكانت على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة، وهو بمعنى قول بعضهم خرج لها لاثني عشر ليلة مضت من صفر، ثم غزوة بواط، ثم غزوة العشيرة ثم غزوة بدر الأولى وهي غزوة سَفَوَان، ثم غزوة بدر الوسطى وهي الكبرى، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة السويق، ثم غزوة قرقرة الكدري، ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي إمرة، ثم غزوة بجران، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع، وهي غزوة محارب وبني ثعلبة، ثم غزوة بدر الأخيرة وهي غزوة بدر الموعد، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة بني المصطلق وهي غزوة المُرَيْسِيع، ثم غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان، ثم غزوة ذي قرد وهي غزوة الغابة، ثم غزوة الحديبية وفيها كانت بيعة الرضوان، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة وادي القرى، ثم غزوة فتح مكة، ثم غزوة حنين وهي غزوة هوازن وغزوة أوطاس، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك ولم يقع القتال إلا في تسع منها بناءً على القول بعدم وقوع القتال في غزوة وادي القرى ... الخ.

أقول: ومما ذكرناه آنفاً ظهر خلاف القوم في السنة التي أذن الله تعالى لنبيه (ص) في قتال المشركين وأنه هل كان في السنة الأولى أو السنة الثانية من الهجرة، ولعل بعض السرايا كانت في السنة الأولى كما يظهر من جماعة كالواقدي وابن الأثير والزيني دحلان والشبلنجي ومحمد ابن سعد، وأما الغزوات وسائر السرايا فكان ابتداءها في السنة الثانية من الهجرة، كما هو

(١) السيرة النبوية لدحلان ١/ ١٨٨، إسعاف الراغبين ص ٣٩.

الظاهر من كتب القوم من السير والتواريخ، فالقول بوقوع السرايا كلها في السنة الأولى كما اختاره الواقدي^(١) أو وقوعها كلها في السنة الثانية كما اختاره ابن إسحاق لا يخلو من تهافت وتناقض.

وأما السريّة الأولى فسريّة حمزة بن عبدالمطلب بناءً على ما هو المشهور بين القوم، وقد تقدمت عبارة الواقدي في ذلك.

وقال ابن الأثير^(٢): وفيها - أي في السنة الأولى من الهجرة - على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله (ص) لعمّه حمزة بن عبدالمطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترضوا العير قريش، فلقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان يحمل اللواء أبو مرثد، وهو أول لواء عقده، وفيها أيضاً عقد لواء لعبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب، وكان أبيض يحمله مسطح بن أثاثة، فالتقى هو والمشركون فكان بينهم الرمي دون المسايقة، وكان سعد بن أبي وقاص أول من رمي بسهم في سبيل الله. وكان المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان مسلمين وهما بمكة، فخرجا مع المشركين يتوصّلان بذلك، فلما لقيهم المسلمون انحازا إليهم. وقال بعضهم: كان لواء أبي عبيدة أول لواء عقده، وأما اشتبه ذلك لقرب بعضها ببعض، وكان على المشركين أبو سفيان بن حرب.

إلى أن قال: وفيها عقد لواء لسعد بن أبي وقاص وسيره إلى الأبواء، وكان يحمل اللواء المقداد بن الأسود، وكان مسيره في ذي القعدة وجميع من معه من المهاجرين فلم يلق حرباً... الخ.

قال محمد بن سعد^(٣): كان عدد مغازي رسول الله (ص) التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، وكانت سراياه التي بعث بها سبعاً وأربعين سريّة، وكان ما قاتل فيها من المغازي تسع غزوات: بدر القتال، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين،

(١) المغازي ٢/١ - ٦.

(٢) الكامل ١١١/٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٧-٥/٢.

والطائف . فهذا ما اجتمع لنا عليه . وفي بعض رواياتهم أنه قاتل في بني النضير ولكن الله جعلها له نفلاً خاصة ، وقاتل في غزوة وادي القرى منصرفه من خيبر وقتل بعض أصحابه (ص) وقاتل في الغابة .

الى أن قال : فكان أول لواء عقده (ص) لحمزة بن عبدالمطلب بن هاشم في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجر رسول الله لواء أبيض ، وكان حمله أبو مرثد كنان بن الحصين الغنوي حليف حمزة ، وبعثه (ص) في ثلاثين رجلاً من المهاجرين . قال بعضهم : كانوا شطرين من المهاجرين والأنصار ، والمجمع عليه أنهم كانوا من المهاجرين ، ولم يبعث رسول الله (ص) أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدرأ ، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونهم في دارهم . وهذا الثبت عندنا .

وخرج حمزة يعترض لعير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل ، فبلغوا سيف البحر - يعني ساحله - من ناحية العيص ، فالتقوا حتى اصطفوا للقتال ، فثنى مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفاً للفريقين جميعاً إلى هؤلاء مرة وإلى هؤلاء مرة حتى حجز بينهم ولم يقتلوا ، فتوجه أبو جهل في أصحابه وعيره إلى مكة ، وانصرف حمزة ابن عبدالمطلب في أصحابه إلى المدينة .

ثم سرية عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبدمناف الى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية أشهر من مهاجر رسول الله (ص) ، عقد له لواء أبيض ، وكان الذي حمله مسطح بن أثانة ابن المطلب بن عبدمناف ، بعثه رسول الله (ص) في ستين رجلاً من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ، فلقى أبا سفيان بن حرب وهو في مائتين من أصحابه ، وهو على ماء يقال له احياء من بطن رابغ على عشرة أميال من المحفة وأنت تريد قديداً عن يسار الطريق ، وأنما نكبوا عن الطريق ليرعوا ركايبهم ، فكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال ، وأنما كانت بينهم المناوشة ، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمي بسهم ، فكان أول سهم رمي به في الإسلام ، ثم انصرف الفريقان عن حاميتهم .

وفي رواية ابن إسحاق : أنه كان على القوم عكرمة بن أبي جهل .

ثم سرية سعد بن أبي وقاص الى الخزّار في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجر رسول الله (ص)، عقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو البهراني وبعثه في عشرين رجلاً من المهاجرين يعترض لعير قريش تمرّ به، وعهد إليه أن لا يجاوز الخزّار، والخزّار حين تروح من الجحفة الى مكة آبار عن يسار المحجّة قريب من خم.

قال سعد: فخرجنا على أقدامنا، فكنا نكمن النهار ونسير الليل، حتّى صبحناها صبح خمس فنجد العير قد مرّت بالأمس، فانصرفنا الى المدينة.

أقول: هذا رأي المشهور في السرايا الأولى وانها كانت قبل غزوة الأبواء، وقد سلك هذا المسلك العلامة المتتبع محمد حسين هيكل في حياة محمد، وهكذا العلامة محمد رضا في كتابه، ولكن صاحب المحاضرات جعل السرايا الأولى بعد الغزوة الأولى وهي الأبواء..

وقال صاحب المحاضرات: كانت قريش أمة معادية آذت المسلمين وأخرجتهم من ديارهم بعد أن فعلت بهم الأفاعيل، واستولى مشركوا مكة على ما تركه المسلمون فيها بعد أن بارحوا أوطانهم مرغمين، فكان ذلك داعياً إلى أن يصادر عليه السلام تجارتهم التي يذهبون بها إلى الشام والتي يجلبونها منه، فبعد أن قام بالمدينة اثني عشر شهراً خرج في صفر من السنة الثانية إلى وُدّان وكان يريد قريشاً وبني ضمرة من كنانة، فوادعته بنو ضمرة، ثم رجع ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقيّة صفر وصدرًا من ربيع الأول. وفي مقامه هذا بعث عبيدة بن الحارث في ستين راكباً من المهاجرين حتّى وصل ماءً بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقي بها جمعاً من قريش، فلم يكن بين الفريقين قتال، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية.

وبعث في هذه المدّة حمزة بن عبدالمطلب الى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً، فلقي أبا جهل بن هشام في ذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعاً للفريقين، فانصرف بعض القوم عن بعض.

ثم خرج رسول الله (ص) في شهر ربيع الأول يريد قريشاً حتّى بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها الى جمادى الأولى، وفي جمادى الأولى خرج حتّى نزل العشيرة من بطن ينبع، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الثانية،

ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم عاد الى المدينة ولم يلق كيداً. وفي مقامه بالعشيرة بعث سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخزاز من أرض الحجاز، ثم رجع ولم يلق كيداً. أقول: ومال الى هذا القول الطبري في التاريخ، واختاره ابن هشام في السيرة^(١) حيث قال: وهي - أي غزوة ودان - أول غزواته (ص). قال ابن إسحاق: حتى بلغ ودان - وهي غزوة الأبواء - يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة. ثم قال: قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله (ص) في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحرث ابن عبدالمطلب بن عبدمناف بن قصي في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمي يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام. ثم انصرف عن القوم وللمسلمين حامية، وفرّ من المشركين الى المسلمين المقداد ابن عمرو البهراني حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبدمناف، وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصّلا بالكفار، وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل.

الى أن قال: قال ابن إسحاق: وكان راية عبيدة بن الحرث فيما بلغني أول راية عقدها رسول الله (ص) في الإسلام لأحد من المسلمين.

ثم ذكر ابن هشام سرية حمزة وما نقل فيها من الخلاف، الى أن قال: فأما ما سمعناه من أهل العلم عندنا فعبيدة بن الحرث أول من عقد له ... الخ.

أقول: فقد ظهر مما نقلنا عن ابن إسحاق أنّ ابتداء الغزوات والسرايا كان في السنة الثانية من الهجرة كما ظهر مما قدّمناه عن الواقدي أنّ ابتداء السرايا كان في السنة الأولى من الهجرة والغزوات في السنة الثانية، فعلى القولين كان ابتداء الغزوات في السنة الثانية كما أشار إليه الطبري في التاريخ.

قال الطبري^(١): ثم كانت السنة الثانية من الهجرة، فغزا رسول الله (ص) في قول جميع أهل السير فيها في ربيع الأول بنفسه غزوة الأبواء ويقال وُدَّان وبينهما ستة أميال وهي بجذائها، واستخلف رسول الله (ص) على المدينة حين خرج إليها سعد بن عباد بن دليم، وكان صاحب لوائه في هذه الغزوة حمزة بن عبدالمطلب، وكان اللواء فيما ذكر أبيض.

ثم قال: وقال الواقدي: كان مقامه بها خمس عشرة ليلة، ثم قدم المدينة. ثم غزا رسول الله (ص) في مائتين من أصحابه حتى بلغ بواط في شهر ربيع الأول يعترض لعيرات قريش وفيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، ثم رجع ولم يلق كيداً، وكان يحمل لواءه سعد بن أبي وقاص، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ في غزوته هذه.

قال: ثم غزا في ربيع الأول في طلب كُرز بن جابر الفهري في المهاجرين وكان قد أغار على سرح المدينة. إلى أن قال: فطلبه رسول الله (ص) حتى بلغ بدرأ فلم يلحقه، وكان يحمل لواءه علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة.

قال: وفيها خرج رسول الله (ص) يعترض لعيرات قريش حين بدأت إلى الشام في المهاجرين، وهي غزوة ذات العشيرة، حتى بلغ ينبع، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وكان يحمل لواءه حمزة بن عبدالمطلب.

تسمية النبي (ص) علياً (ع) بأبي تراب

ثم روى بسنده عن عمار بن ياسر سبب تسمية علي بن أبي طالب عليه السلام بأبي تراب، قال عمار بن ياسر: كنت أنا وعلي رفيقين مع رسول الله (ص) في غزوة العشيرة فنزلنا منزلاً فرأينا رجالاً من بني مدج يعملون في نخل لهم، فقلت: لو انطلقنا فنظرنا إليهم ساعة، ثم غشنا النعاس فعمدنا إلى صور من النخل فنمنا تحته في دقاء من التراب، فما أيقظنا إلا رسول الله (ص) أتانا وقد تتربنا في ذلك التراب، فحرك علياً برجله فقال: قم يا أبا تراب، ألا أخبرك بأشقى الناس أحيمر ثمود عافر الناقة والذي يضربك على هذا - يعني قرنه - فيخضب هذه

منها، وأخذ بلحيته.

الى أن قال: وقد قيل في ذلك غير هذا القول، وذلك ما حدثني به محمد بن عبيد المحارمي قال: حدثنا عبدالعزیز بن أبي حازم عن أبيه قال: قيل لسهل بن سعد: إن بعض أمراء المدينة يريد أن يبعث اليك تسبباً علياً عند المنبر. قال: أقول ماذا؟ قال: تقول أبا تراب. قال: والله ما سمّاه بذلك إلا رسول الله. قال: قلت وكيف ذلك يا أبا العباس؟ قال: دخل علي علي فاطمة ثم خرج من عندها فاضطجع في فيء المسجد، قال: ثم دخل رسول الله (ص) علي فاطمة فقال لها: أين ابن عمك؟ فقالت: هو ذاك مضطجع في المسجد. قال: فجاءه رسول الله (ص) فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب الى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: اجلس أبا تراب، فوالله ما سمّاه به إلا رسول الله، ووالله ما كان له اسم أحب إليه منه. انتهى ما نقله الطبري.

وقال ابن الأثير^(١): وفي هذه الغزوة كنى النبي (ص) علياً أبا تراب في قول بعضهم. وقال ابن هشام^(٢): وفي تلك الغزوة قال لعلي بن أبي طالب ما قال. ثم قال: قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن محمد بن خيثم المحاربي، عن محمد بن كعب القرظي، عن محمد بن خيثم أبي يزيد، عن عمّار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، فلما نزلها رسول الله (ص) وأقام بها رأينا بها أناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم وفي نخل، فقال لي علي بن أبي طالب: يا أبا اليقظان هل لك في أن تأتي هؤلاء القوم فننظر كيف يعملون. قال: قلت إن شئت. قال: فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشنا النوم، فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في صور من النخل وفي دقعاء من التراب، فنمنا فوالله ما أهبنا إلا ورسول الله يُحرّكنا برجله وقد تترّبنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها، فيومئذ قال رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب: يا أبا تراب، لما يرى عليه من التراب، ثم قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة،

(١) الكامل ١١٢/٢.

(٢) السيرة النبوية ٢٤٩/٢.

والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع يده على قرنه - حتىّ يبلّ منها هذه، وأخذ بلحيته ... الخ.

وهكذا رواه ابن كثير في البداية والنهاية، ورواه أيضاً ابن حجر في مجمع الزوائد في الجزء التاسع ص ١٣٦. ورواه أحمد بن حنبل في المسند ج ٤ ص ٢٦٣ باسناده عن عمار بن ياسر الى أن قال (ص): ألا أحدثكم بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال (ص): أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتىّ تبلّ منه هذه يعني لحيته (ع).

وقال محمد بن سعد^(١): وبذي العشيرة كنى رسول الله (ص) علي بن أبي طالب أبا تراب، وذلك أنّه رآه نائماً متمرّغاً في التراب، فقال: اجلس أبا تراب، فجلس. وفي هذه الغزوة وادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيداً.

وقال الحلبي^(٢): وكنى (ص) فيها عليّاً بأبي تراب حين وجده نائماً هو وعمار بن ياسر وقد علق به التراب، فأيقظه (ص) برجله وقال له: قم أبا تراب، لما يرى عليه من التراب، أي الذي سفته عليه الريح، ولما قام قال له (ص): ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين، عاقر الناقة والذي يضربك على هذا - ووضع يده على قرن رأسه - فيخضب هذه، ووضع يده على لحيته. وفي رواية: أشقى الأولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك. وفي رواية أنّه (ص) قال يوماً لعلي: من أشقى الأولين؟ فقال: الذي عقر الناقة يا رسول الله. قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال علي: لا علم لي يا رسول الله. قال: الذي يضربك على هذه، وأشار الى يافوخه، وكان كما أخبر (ص) فهو من أعلام نبوته.

ثم ذكر القول الآخر فقال: قال في النور: ويجوز أن يكون (ص) قد خاطبه بهذه الكنية مرّتين ... الخ.

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٠.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ١٢٦.

وروى البخاري^(١) باسناده عن أبي حازم عن أبيه: أن رجلاً جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان لأمير المدينة يدعو علياً عند المنبر. قال: فيقول ماذا؟ قال: يقول له أبو تراب، فضحك فقال: والله ما سمّاه إلا النبي (ص)، وما كان له اسم أحب إليه منه، فاستطعمت الحديث سهلاً وقلت له: يا أبا عباس كيف ذلك؟ قال: دخل علي علي فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي (ص): أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح عن ظهره فيقول: اجلس يا أبا تراب، مرتين.

وروى مسلم أيضاً باسناده عن سهل بن سعد أنه قال: استعمل على المدينة رجل من آل مروان، قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً، قال: فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل «لعن الله أبا تراب» فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب وإن كان ليفرح إذا دعي بها. فقال له: أخبرنا عن قصته لم سُمي أبا تراب. قال: جاء رسول الله (ص) بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ فقالت: كانت بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي. فقال رسول الله لإنسان: أنظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقداً، فجاءه رسول الله (ص) وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل رسول الله يمسحه عنه ويقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب.

وهكذا رواه صاحب التاج الجامع للأصول (ج ٣ / ص ٣٣٨) باسناده عن سهل بن سعد وروى محب الطبري في الرياض النضرة (ج ٢ / ص ١٨٨) عن سعيد قال: أمر معاوية سعداً أن يسب أبا تراب... الخ.

تتمة الغزوات والسرايا على الإجمال

قال ابن هشام^(٢): قال ابن إسحاق: ولم يقم رسول الله (ص) بالمدينة حين قدم من غزوة

(١) صحيح البخاري ٢٣/٥.

(٢) السيرة النبوية ٢٥١/٢.

العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشرة، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله (ص) في طلبه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة... الخ.

قال محمد بن سعد^(١): ثم غزوة رسول الله (ص) لطلب كرز بن جابر الفهري في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره (ص) وحمل لواءه علي بن أبي طالب، وكان لواء أبيض، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة. وكان كرز بن جابر قد أغار على سرح المدينة فاستاقه، وكان يرعى بالجماء والسرح ما رعو من نعمهم. والجماء جبل ناحية العقيق الى الجُرف بينه وبين المدينة ثلاثة أميال. فطلبه رسول الله (ص) حتى بلغ وادياً يقال له سَفوان من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر فلم يلحقه، فرجع رسول الله (ص) إلى المدينة.

قال الطبري^(٢): ولما رجع رسول الله (ص) من طلب كرز بن جابر الفهري الى المدينة - وذلك في جمادى الآخرة - بعث في رجب عبدالله بن جحش معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فيما حدثنا ابن حميد. الى أن قال: وأما الواقدي فإنه زعم ان رسول الله (ص) بعث عبدالله بن جحش سرية في اثني عشر رجلاً من المهاجرين.

ثم قال رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة قال: وكتب رسول الله (ص) كتاباً - يعني لعبدالله بن جحش - وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي له أمره به ولا يستكره أحداً من أصحابه، فلما سار عبدالله بن جحش يومين فتح الكتاب ونظر فيه فإذا فيه «إذا نظرت في كتابي هذا فسر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم»، فلما نظر عبدالله في الكتاب قال: سمعاً وطاعة. ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله (ص) أن أمضي الى نخلة فأرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا ففاض لأمر رسول الله. فمضى ومضى معه أصحابه فلم يتخلف عنه منهم أحد، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤١٠.

أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بغيراً لهما كان يعتقانه فتخلفا عليه في طلبه، ومضى عبدالله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فرّت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش، فيها منهم عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزوميان والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن وقد كان حلق رأسه، فلما رآه أمنوا وقالوا: عمار لا بأس عليكم منهم.

وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمنعن به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام. فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم تشجعوا عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبدالله فأعجزهم، وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالعر والأسيرين حتى قدموا على رسول الله بالمدينة.

قال: وقد ذكر بعض آل عبدالله بن جحش أن عبدالله بن جحش قال لأصحابه: إن لرسول الله (ص) مما غنمتم الخمس، وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس، فعزل لرسول الله (ص) خمس الغنيمة وقسم سائرها بين أصحابه. فلما قدموا على رسول الله (ص) قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام. فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله سقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم المسلمون فيما صنعوا وقال لهم: صنعتهم ما لم تؤمروا به قاتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال. فقال من يرد ذلك عليهم من المسلمين كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان، وقالت يهود تفال بذلك على رسول الله (ص): عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبدالله.

الى أن قال: فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله عز وجل على رسوله (ص) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا

فيه من الشفق، قبض رسول الله (ص) العير والأسيرين وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، فقال رسول الله: لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن أبي وقاص وعُتبة بن غزوان، فأتانا نخشاكم عليهما فإن تقتلوهما نقتل صاحبكم. فقدم سعد وعُتبة ففاداهما رسول الله (ص) منهم، فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه وأقام عند رسول الله حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً.

ثم قال الطبري^(١): وخالف في بعض هذه القصة محمد بن إسحاق والواقدي جميعاً. وقال ابن هشام^(٢): فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي إن كنتم قتلتهم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتهم منهم، والفتنة أكبر من القتل، أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٣): ثم سرية عبدالله بن جحش الأسدي إلى نخلة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله (ص) بعثه في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، كل اثنين يعتقان بغيراً إلى بطن نخلة وهو بستان ابن عامر الذي قرب مكة، وأمره (ص) أن يرصد بها عير قريش، فوردت عليه فهاجم أهل العير وأنكروا أمرهم، فحلق عكاشة بن محصن الأسدي رأسه حلقة عامر بن ربيعة ليطمئن القوم، فأمنوا وقالوا: هم عمار ولا بأس عليكم منهم. فسرحوا ركبهم وصنعوا طعاماً وشكوا في ذلك أهو من الشهر الحرام أم لا، ثم تشجعوا عليهم فقاتلوهم، فخرج واقد بن عبدالله التيمي يقاوم المسلمين، فرمى عمرو بن

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤١٣.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ٢٥٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٢ / ١٠.

المضرمي فقتله، فشدّ المسلمون عليهم فاستأسر عثمان بن عبدالله بن المغيرة والحكم بن كيسان... الخ.

وقال الزيني دحلان^(١): ومضى عبدالله وأصحابه حتى نزلوا نخلة يترصدون قريشاً، فرّت بهم غيرهم تحمل زيبياً وأدماً - أي جلوداً - وتجارةً من تجارات قريش، فيها عمرو بن المضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبدالله المخزوميان والحكم بن كيسان، فنزلوا قريشاً فهاجروهم، فأرشدهم عبدالله بن جحش الى ما يزيل رعبهم، فحلق بعض أصحابه رأسه وأشرف عليهم، فلما رأوهم آمنوا وقالوا: عمّار أي معتمرون لا بأس عليكم منهم، فقيّدوا ركبهم وسرّحوها وصنعوا طعاماً فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب أو في أول يوم من شعبان، - أي شكّوا في اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا - فإن قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وإن تركناهم دخلوا حرم مكة فامتنعوا به منا. ثم شجّعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتالهم... الخ.

غزوة بدر الكبرى

قال محمد بن سعد^(١): ثم غزوة رسول الله (ص) بدر القتال، ويقال بدر الكبرى. قالوا: لما تحيّن رسول الله (ص) انصراف العير من الشام التي كان خرج لها يريدتها حتى بلغ ذا العشيرة، بعث طلحة بن عبيدالله التيمي وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يتحسّسان خبر العير... الخ. وقال الحلبي^(٢): ويقال لها بدر العظمى، ويقال لها بدر القتال، ويقال بدر الفرقان، أي لأنّ الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٣): غزوة بدر الكبرى ويقال العظمى، ويوم وقعة بدر هو يوم الفرقان المذكور في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيّ الْجَمْعَانِ﴾ لأنّ الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل، وهو يوم البطشة الكبرى المذكور في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ فهو يوم أعزّ الله فيه الإسلام وقوى أهله ودفع فيه الشرك وخرّب محله مع قلّة عدد المسلمين وكثرة العدو، فهو آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالإسلام وأهله، مع ما كان العدو عليه من القوّة بسوابغ الحديد والعُدد الكاملة والخيل المسوّمة والخيلاء الزائدة أعزّ الله به رسوله (ص) وظهر وحيه وتنزيله وبيّض وجه النبي

(١) الطبقات الكبرى ١١ / ٢.

(٢) السيرة النبوية ١٤٣ / ٢.

(٣) السيرة النبوية ١٨٩ / ١.

وقبيله وأخزى الشيطان وجيله، ولهذا قال الله تعالى ممناً على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد.

والحاصل أن هذه الغزوة كانت أعظم غزوات الإسلام، إذ منها كان ظهوره، وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره، ومن حين وقوعها أذل الله الكفار وأعز الله من حضرها من المسلمين.

ثم قال: وكان خروجهم يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً، وخرجت معه الأنصار ولم تكن قبل ذلك خرجت، وكانت عدة البدرين ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر، وسبب هذه الغزوة التعرض للعرير التي خرج رسول الله (ص) في طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها قد سبقته، فلم ينزل مترقياً قفوها - أي رجوعها - من الشام، فعند قفوها ندب المسلمون - أي دعاهم - وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها، فانتدب ناس - أي أجابوا - وثقل آخرون لظنهم أن رسول الله لم يرد حرباً... الخ.

وقال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة - أي السنة الثانية من الهجرة - كانت غزاة بدر في صبيحة سبعة عشر يوماً من رمضان يوم الجمعة وقيل تسعة عشر والأول أصح. وبدر اسم موضع، وقيل اسم بئر كانت لرجل يدعى بدرأ، وكان الذي أهاج هذه الواقعة وغيرها من الحروب بين رسول الله (ص) والمشركين قتل عمرو بن الحضرمي، وكان رسول الله قد ندب أصحابه وأخبرهم بما مع أبي سفيان من المال مع قلة عدده، فخرج أقوام منهم لطلب الغنيمة وقعد آخرون ولم يظنوا أن رسول الله (ص) يلقي حرباً، فلم يلتمهم لأنه لم يخرج للقتال، وكان خروجه (ص) يوم السبت لاثني عشر ليلة خلت من رمضان، وقيل لثلاث خلون من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة، واستخلف على المدينة عمرو بن أم مكتوم، وخرجت معه الأنصار، ولم يكن غزاً بأحد منهم قبلها، وضرب عسكره ببئر ابن عقبة على ميل بالمدينة، فعرض أصحابه ورد من استصفر، وخلف عثمان على رقيّة وكانت

مريضة، وكانت الإبل معه سبعين يتعاقب النفر على البعير، وكانت الخيل فرسين فرس للمقداد وفرس للمرثد بن أبي مرثد وفي رواية للزبير، وكانت الدروع ستة والسيوف ثمانية والمسلمون ثلاثمائة وثلاث عشر على عدّة أصحاب طالوت يوم جالوت الذين جازوا معه النهر، ومن المهاجرين سبعة وسبعون رجلاً، ومن الأنصار مائتان وست وثلاثون. وقال ابن مسعود: كنّا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، وكان أبو لبابة وعلي زميلي رسول الله (ص) ... الخ.

وقال ابن هشام^(١): خرج - يعني رسول الله (ص) - يوم الاثنين لثمان خلون من شهر رمضان، واستعمل على المدينة عمرو بن أم مكتوم، ويقال اسمه عبدالله بن أم مكتوم أخا بني عامر بن لؤي على الصلاة بالناس، ثم ردّ أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة. ثم قال: قال ابن إسحاق: ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وكان أمام رسول الله (ص) رايتان سؤداوان أحدهما مع علي بن أبي طالب يقال لها «العقاب» والأخرى مع بعض الأنصار، وكانت إبل أصحاب رسول الله (ص) يومئذ سبعين بعيراً فاعتقبوها، فكان رسول الله وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً، وكان حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة مولى رسول الله (ص) يعتقبون بعيراً، وكان أبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً ... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): وكان مسير رسول الله (ص) لثلاث خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وقيل أربعة عشر، وقيل بضعة عشر رجلاً، وقيل ثمانية عشر، وقيل كانوا سبعة وسبعين من المهاجرين، وقيل ثلاثة وثمانون والباقيون من الأنصار. فقيل جميع من ضرب له رسول الله (ص) بسهم من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً، ومن الأوس أحد وسبعون رجلاً، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً، ولم يكن فيهم غير فارسين، أحدهما المقداد بن عمرو الكندي ولا خلاف فيه، والثاني قيل كان الزبير بن العوام، وقيل كان مرثد بن

(١) السيرة النبوية ٢ / ٢٦٣.

(٢) الكامل ٢ / ١١٨.

أبي مرثد، وقيل المقداد وحده. وكانت الإبل سبعين بعيراً، فكانوا يتعاقبون عليها البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، فكان بين النبي (ص) وعلي وزيد بن حارثة بعير، وبين أبي بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف بعير، وعلي مثل هذا. وكان فرس المقداد اسمه «مستجة» وفرس الزبير اسمه «السيل» وكان لواؤه مع مصعب بن عمير بن عبدالدار، ورايته مع علي بن أبي طالب، وعلي الساقة قيس بن صعصعة الأنصاري. فلما كان قريباً من الصفراء بعث بسبس ابن عمرو وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين يتحسّسان الأخبار عن أبي سفيان، ثم ارتحل رسول الله (ص) وترك الصفراء يساراً، وعاد إليه بسبس بن عمرو يخبره أن العير قد قاربت بدرأ، ولم يكن عند رسول الله (ص) والمسلمين علم بمسير قريش لمنع عيرهم، وكان قد بعث عليّاً والزبير وسعداً يلتمسون له الخبر ببدر، فأصابوا راوية لقريش فيهم أسلم غلام بني الحجاج وأبو يسار غلام بني العاص، فأتوا بهما النبي وهو قائم يصلي، فسألوهما فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما وضربوهما ليخبراهم عن أبي سفيان، فقالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما وفرغ رسول الله (ص) من الصلاة وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا أنّهما لقريش، أخبراني أين قريش؟ قالوا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى. فقال رسول الله: كم القوم؟ قالوا: كثير. قال: كم عدّتهم؟ قالوا: لا ندري. قال: كم ينحرون؟ قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. قال (ص) القوم بين التسعمائة إلى الألف. ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد وأبو البخثري بن هشام وحكيم بن حزام والحريث بن عامر وطعيمة بن عدي والنضر ابن الحريث وزمعة بن الأسود وأبو جهل وأمّية بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود. فأقبل رسول الله (ص) على أصحابه وقال: هذه مكة قد ألت اليكم أفلاذ كبدها... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): وكان بلغ المشركين بالشام أنّ رسول الله (ص) يرصد انصرافهم، فبعثوا ضمضم بن عمرو حين فصلوا من الشام إلى قريش بمكة يخبرونهم بما بلغهم عن رسول

الله ويأمرونهم أن يخرجوا فيمنعوا غيرهم. أقول: وأقبل ضمضم مسرعاً حتى دخل مكة، قال الزبني دحلان^(١): وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع - أي قطع أنفه وأذنه - وحوّل رحله وشقّ قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة، اللطيمة، وهي بعير التي تحمل الطيب والبرز أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها، وفي لفظ: إن أصابها محمد لن تفلحوا أبداً، الغوث الغوث. ثم قال: فتجهّز الناس سراغاً وفزعوا أشدّ الفزع وخافوا من رؤيا عاتكة الرؤيا المعروفة ولم يتخلف من أشراف قريش إلاّ أبالهب ... الخ.

وقال الواقدي: فلما اجتمعت قريش المصير ذكروا الذي بينهم وبين بني بكر من العداوة وخافوهم على من تخلف، فتصور لهم إبليس في صورة سراقه فقال: يا معشر قريش قد عرفتكم شرفي ومكاني في قومي، أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه. الخ.

قال محمد بن سعد: فخرج المشركون من أهل مكة سراغاً ومعهم القيان والدفوف، وأقبل أبو سفيان بن حرب وقد خافوا خوفاً شديداً حين دنوا من المدينة واستبطوا ضمضاً والنفير وهو خائف من الرصد، فقال لمجدي بن عمر: هل أحسست أحداً من عيون محمد؟ فقال مجدي: ما رأيت أحداً أذكره إلاّ راكبين أتيا إلى هذا المكان - وأشار إلى مناخ عدي وبسبس - فجاء أبو سفيان فأخذ أبعاراً من بعيرهما وفتحوا فإذا فيه نوى، فقال علائف يثرب: هذه عيون محمد، فضرب وجوه العير فساحل بها بداراً يساراً وانطلق سريعاً وأقبلت قريش من مكة، فأرسل إليهم أبو سفيان بن حرب قيس بن امرئ القيس يخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع، فأبت قريش أن ترجع وردّوا القيان من الجحفة، ولحق الرسول أبا سفيان بالهدّة - وهي على سبعة أميال من عسفان إذا رجعت من مكة عن يسار الطريق وسكّانها بنو ضمرة وناس من خزاعة - فأخبره بمضيّ قريش فقال: واقوماه هذا عمل عمرو بن هشام يعني أبا جهل بن هشام، وقال أبو جهل: لا نبرح حتى نرد بداراً، وكانت بدر موسماً من مواسم الجاهلية يجتمع بها العرب بها سوق، وبين بدر والمدينة ثمانية بُرد وميلان، وكان الطريق الذي

(١) السيرة النبوية ١ / ١٩١.

سلكه رسول الله (ص) الى بدر على الروحاء، وبين الروحاء والمدينة أربعة أيام... الخ.
وقال الواقدي^(١): قالوا لحقت قريش بالشام في غيرها، وكانت العير ألف بعير وكانت فيها أموال عظام، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال - أي من ذهب - فصاعداً إلا بعث به في العير، وكان فيها خمسين ألف دينار - أي من مال التجارة - ... الخ.

قال محمد بن سعد: ومضى رسول الله (ص) حتى إذا كان دون بدر أتاه الخبر بمسير قريش فأخبر به رسول الله أصحابه واستشارهم، فقال المقداد بن عمرو البهراني: والذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك حتى ننتهي إليه. ثم قال رسول الله (ص): أشيروا عليّ وأنا يريد الأنصار، فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار، كأنك تريدنا. قال: أجل. قال: فامض يا نبي الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل واحد. فقال رسول الله (ص): سيروا على بركة الله، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، فوالله لكأنني أنظر الى مصارع القوم... الخ.

وقال ابن الأثير وابن هشام والطبري^(٢) والعبارة له في التاريخ: ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد - يعني الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله (ص) خيراً، ودعا له بخير.

وروى الطبري باسناده عن عبدالله بن مسعود قال: لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إليّ مما في الأرض من شيء، كان رجلاً فارساً وكان رسول الله إذا غضب احمارت وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحالة فقال: أبشر يا رسول الله، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك أو يفتح الله لك.

(١) المغازي ٢٧/١.

(٢) الكامل ١٢٠/٢، السيرة النبوية ٢٦٦/٢، تاريخ الطبري ٤٣٤/٢.

ثم قال الطبري: رجع الحديث الى حديث ابن إسحاق: ثم قال رسول الله (ص) أشيروا عليّ أيها الناس، وأنما يريد الأنصار، وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله إنا بُرآء من ذمامك حتّى تصل الى دارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله (ص) يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممّن دهمه بالمدينة من عدوّه وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم، فلمّا قال ذلك رسول الله قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: أجل. قال: فقد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسرّ رسول الله (ص) بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنني الآن أنظر الى مصارع القوم... الخ.

وقال الواقدي^(١): فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار، كأنك يا رسول الله تريدنا. قال: أجل. قال: أنك عسى أن تكون قد خرجت عن أمر قد أوحى إليك في غيره، فإننا قد آمنّا بك. الى أن قال: وصل من شئت واقطع من شئت وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت، والذي نفسي بيده ما سلكت هذا الطريق قطّ وما لي بها من علم، وما نكره أن تلقانا عدوّنا غداً... الخ.

وفي رواية أخرى عن الواقدي: انّ سعداً قال: يا رسول الله أنا قد خلفنا من قومنا قوماً ما نحن بأشدّ حبّاً لك منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة في الجهاد ونية، ولو ظنّوا يا رسول الله أنك ملاق عدوّاً ما تخلفوا، ولكن أنما ظنّوا أنّها العير.

أقول: ولم يكن في صحيح البخاري ومسلم ما أورده القوم من جواب شيخين حين شاور

النبي (ص) أصحابه، والذي رواه البخاري^(١) هو ما قال المقداد بن الأسود لرسول الله، حيث قال: فقال - يعني المقداد - لا نقول كما قال قوم موسى ﴿إذهب وربك فقاتلا﴾ ولكننا نقاتل عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت - يعني ابن مسعود قال - النبي (ص) أشرق وجهه وسرّه. انتهى.

وروى مسلم^(٢): باسناده عن أنس ان رسول الله (ص) شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر - يعني الخيل - لخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها الى برك الغماد لفعلنا. قال: فندب رسول الله (ص) الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ... الخ.

وهكذا رواه ابن كثير في البداية والنهاية عن الإمام أحمد بن حنبل باسناده عن أنس... الخ.

قال الواقدي^(٣): ونزل رسول الله (ص) أدنى بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة من رمضان، وقال الحلبي (٢ / ١٥٤): وعن علي أنه قال: ما كان فينا تلك الليلة قائم إلا رسول الله (ص) يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده أن يقول «يا حيّ يا قيوم» حتى أصبح. وقال الزيني دحلان (١ / ١٩٥): وفي رواية يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده «يا حيّ يا قيوم» يكرر ذلك حتى أصبح.

وقال ابن كثير (٢ / ٤٠٢): قلت فكانت ليلة البدر ليلة الجمعة، وقد بات رسول الله تلك الليلة يصلي الى جذع شجرة هناك ويكثر في سجوده أن يقول «يا حيّ يا قيوم» يكرر ذلك ويلظّ به. الخ؛ فبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص وبسبس بن عمرو يتجسسون على الماء، وأشار رسول الله (ص) الى ظريب فقال: أرجو أن تجدوا الخبر عند هذا القليب الذي

(١) صحيح البخاري ٩٣ / ٥.

(٢) صحيح مسلم ١٤ / ٣.

(٣) المغازي ٥١ / ١.

يلي الظريب، والقليب بئر بأصل الظريب، والظريب جبل صغير. فاندفعوا لتقاء الظريب، فيجدون على تلك القليب التي قال رسول الله (ص) روايا قريش فيها سقاؤهم. وقال محمد بن سعد^(١): فبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص وبسبس بن عمرو يتحسسون خبر المشركين على الماء، فوجدوا روايا قريش فيها سقاؤهم، فأخذوهم وبلغ قريشاً خبر رسول الله (ص) وأنه قد أخذ سقاؤهم، فصاح العسكر أو فاج العسكر وأتى بالسقاء الى رسول الله (ص)، فقال: أين قريش؟ فقالوا: خلف هذا الكثيب الذي ترى. قال: كم هم؟ قالوا: كثير. قال: كم عددهم؟ قالوا: لا ندري. قال: كم ينحرون؟ قالوا: يوماً عشراً ويوماً تسعاً. فقال: القوم ما بين الألف والتسعمائة، وكانوا تسعمائة وخمسين إنساناً، وكانت خيلهم مائة فرس.

وقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله ان هذا المكان الذي أنت به ليس بمنزل، انطلق بنا الى أدنى ماء الى القوم، فإني عالم بها وبقلبها، وبها قليب قد عرفت عذوبة ماءه لا ينزح ثم نبي عليه حوضاً فنشرب ونقاتل ونعور ما سواه من القلب، فنزل جبرئيل على رسول الله (ص) فقال: الرأي ما أشار به الحباب. فنهض رسول الله (ص) ففعل ذلك... الخ.

وقال الواقدي^(٢): ثم قال رسول الله (ص) لأصحابه: أشيروا علي في المنزل. فقال الحباب ابن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمزل أنزلك الله، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة. قال (ص): بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: فإن هذا ليس بمنزل، انطلق بنا الى أدنى ماء القوم، فإني عالم بها وبقلبها... الخ.

وقال ابن هشام^(٣): فنهض رسول الله (ص) ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فعورت، وبني حوضاً على القليب الذي نزل عليه فلىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية.

(١) الطبقات الكبرى ١٥ / ٢.

(٢) المغازي ٥٢ / ١.

(٣) السيرة النبوية ٣٧٢ / ٢.

ثم قال: قال ابن إسحاق: إن سعد بن معاذ قال: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعدّ عندك ركائبك ثم نلقى عدوّنا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن ورائنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوام يا نبي الله، ما نحن بأشدّ لك حبّاً منهم، ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله (ص) خيراً ودعا له بخير. ثم بنى لرسول الله (ص) عريشاً، فكان فيه.

قال ابن هشام^(١): قال ابن إسحاق: فسلك (ص) طريقه من المدينة الى مكة على نقب المدينة ثم على العقيق. الى أن قال: حتّى إذا كان بعرق الظبية لقوا رجلاً من الأعراب فسأله عن الناس فلم يجدوا عنه خبراً، فقال له الناس: سلّم على رسول الله. قال: فيكم رسول الله؟ قالوا: نعم. فسلم عليه ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عمّا في بطن ناقتي هذه. قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله واقبل عليّ فأنا أخبرك عن ذلك. نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة. فقال رسول الله (ص): مه أفحشت على الرجل، ثم أعرض عن سلمة.

ثم قال: حتّى إذا كان (ص) قريباً من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجّار الى بدر يتجسّسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره، ثم ارتحل رسول الله (ص) وقد قدّمهما، فلما استقبل الصفراء - وهي قرية بين جبلين - سأل عن جبلية ما أسماؤهما فقالوا: يقال لأحدهما هذا مُسَلِّح وقالوا للآخر هذا مخزى، وسأل عن أهلها فقيل: بنو النار وبنو حراق بطنان من بني غفار. فكرهها رسول الله (ص) والمرور بينهما، وتقال بأسمائهما وأسماء أهلها، فتركها رسول الله (ص) والصفراء بيسار وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذفران، فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم.

الى أن قال^(١): وكان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرأ فأناخا الى تلّ قريب من الماء ثم أخذاشنألهما يستقيان فيه ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء والمزومة تقول لصاحبتهما إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك. قال مجدي: صدقت، ثم خلص بينهما وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيرهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله (ص) فأخبراه بما سمعاه، وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدّم العير حذراً حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحداً. فقال: ما رأيت أحداً أذكره إلا أنّي قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التلّ ثم استقيا في شنّ لهما ثم انطلقا، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففتّه فإذا فيه النوى، فقال: والله هذه علائف يثرب. فرجع الى أصحابه سريعاً فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدرأ بيسار وانطلق حتى أسرع، وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت رؤياً فقال: أنّي رأيت في ما يرى النائم وأنّي لبين النائم واليقظان إذا نظرت الى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمّية بن خلف وفلان وفلان، فعدد رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشرف قريش، ثم رأيت ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه. قال: فبلغت أبا جهل فقال: وهذا نبيّ آخر من بني المطلب، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

ثم قال: قال ابن إسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش: أنكم أنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجّاه الله فارجعوا. فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرأ، وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام، فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابونا أبداً بعد فأمضوا.

(١) السيرة النبوية ٢/٢٦٩.

الى أن قال^(١): ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً، فأصاب رسول الله (ص) وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

الى أن قال: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله (ص) قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تجادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني.

ثم قال: فلما نزل الناس وأقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله (ص) فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله: دعوهم، فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني من يوم بدر... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): فلما أصبح (ص) صف أصحابه قبل أن تنزل قريش، وطلعت قريش ورسول الله يصف أصحابه ويُعدُّ لهم كأنما يقوم بهم القداح، ومعه يومئذ قدح يشير به الى هذا تقدم والى هذا تأخر، حتى استووا وجاءت ريح لم يروا مثلها شدة ثم ذهبت، فجاءت ريح أخرى ثم ذهبت، فجاءت ريح أخرى، فكانت الأولى جبريل في ألف من الملائكة مع رسول الله (ص) والثانية ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميمنة رسول الله، والثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله، وكانت سياء الملائكة عما تم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفرو وحمرو من نور والصفوف في نواصي خيلهم، فقال رسول الله (ص) ان الملائكة قد سوّمت فسوّموا فأعلموا بالصفوف في مغايرهم وقلانسهم، وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بلق... الخ.

قال ابن هشام^(٣): قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم

(١) السيرة النبوية ٢ / ٢٧١.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٥.

(٣) السيرة النبوية ٢ / ٢٧٤.

عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما اطمان القوم بعثوا عمير بن وهب الجهمي فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد. قال: فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر اللقوم كمين أو مدد. قال: فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما وجدت شيئاً ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فَرِّؤا رأيكم ... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): قال فلما اطمان القوم بعث المشركون عمير بن وهب الجهمي وكان صاحب قدام، فقالوا: احزر لنا محمداً وأصحابه. فصوّب في الوادي وصعد ثم رجع فقال: لا مدد لهم ولا كمين، القوم ثلاثمائة إن زادوا زادوا قليلاً، ومعهم سبعون بعيراً وفرسان، يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، أما ترونهم خرساً لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي ... الخ.

قال الواقدي^(٢): لما نزل رسول الله (ص) على القليب بُني له عريش من جريد، فقام سعد ابن معاذ على باب العريش متوشحاً بالسيف، فدخل النبي (ص) هو وأبو بكر. ثم قال: صف رسول الله (ص) أصحابه قبل أن تنزل قريش، وطلعت قريش ورسول الله يصفهم. إلى أن قال: ووقف رسول الله (ص) ينظر إلى الصفوف، فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه، وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس، فنزل رسول الله (ص) بالعدوة الشامية ونزلوا بالعدوة اليمانية.

إلى أن قال: كان لواء رسول الله (ص) يومئذ الأعظم، لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ. ومع قريش ثلاثة ألوية: لواء مع أبي عزيز، ولواء مع النضر بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة. قالوا:

(١) الطبقات الكبرى ١٧/٢.

(٢) المغازي ٥٥/١.

وخطب رسول الله (ص) يومئذ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال وهو يأمرهم ويحثهم ويرغبهم في الأجر: أما بعد، فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، فإن الله عظيم شأنه يأمر بالحق ويحب الصدق ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده، به يذكرون وبه يتفاضلون، وأنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق، لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه، وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم وتدرك النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإن الله يقول ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أنظروا الذي أمركم به من كتابه وأراكم من آياته وأعزكم بعد ذلته، فاستمسكوا به يرضى ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعده حق وقوله صدق وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه الجأنا ظهورنا وبه اعتصمنا وعليه توكلنا وإليه المصير، يغفر الله لي وللمسلمين.

ثم قال: لما رأى رسول الله (ص) قريشاً تصوب من الوادي، وكان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوا للقوم منزلاً، فقال رسول الله (ص): اللهم أنك أنزلت علي الكتاب وأمرتني بالقتال ووعدتني إحدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد... الخ. ثم قال: وطلع عتبة بن ربيعة على جمل أحمر، فقال رسول الله (ص): إن يك في أحد من القوم خير ففي صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا.

ثم روى الواقدي^(١) بأسناده عن خفاف بن إيماء بن دحضة قال: كان أبي ليس شيء أحب إليه من إصلاح بين الناس يوكل بذلك، فلما مرت قريش، أرسلني بجزائر عشر هدية لها، فأقبلت أسوقها وتبعني أبي، فدفعتها إلى قريش فقبلوها فوزعوها في القبائل، فرأى أبي على عتبة بن ربيعة وهو سيد الناس يومئذ، فقال: يا أبا الوليد ما هذا المسير؟ قال: لا أدري والله غلبت. قال: فأنت سيد العشيرة فما يمنعك أن ترجع بالناس وتحمل دم حليفك وتحمل العير

التي أصابوا بنخلة فتوزَّعها على قومك، والله ما يطلبون قبَل محمد إلا هذا، والله يا أبا الوليد ما تقتلون بمحمد وأصحابه إلا أنفسكم. الى أن قال: فلما أطمأنَّ القوم بعثوا عمير بن وهب الجهمي وكان صاحب قداح، فقالوا: احزر لنا محمداً وأصحابه. ثم ذكر ما نقلناه عن محمد بن سعد الى أن قال: لما قال لهم عمير بن وهب هذه المقالة أرسلوا أبا أسامة الجشمي وكان فارساً فأطاف بالنبي (ص) وأصحابه، ثم رجع إليهم فقالوا له: ما رأيت؟ قال: والله ما رأيت جلدأ ولا عدداً ولا حلقةً ولا كراعاً، ولكني والله رأيت قوماً لا يريدون أن يؤوبوا الى أهلهم، قوماً مُستمتين ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، زرق العيون كأنهم الحصا تحت الجحف. ثم قال: أخشى أن يكون لهم كمين أو مدد، فصوّب في الوادي ثم صعد ثم رجع إليهم ثم قال: لا كمين ولا مدد فَرَوْا رأيكم.

ثم قال الواقدي: قالوا لما سمع حكيم بن حزام ما قاله عمير بن وهب مشى في الناس وأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد أنت كبير قريش وسيدها والمطاع فيها، فهل لك أن لا تزال منها بخير آخر الدهر مع ما فعلت يوم عكاظ وعتبة يومئذ رئيس الناس. فقال: وما ذاك يا أبا خالد؟ قال: ترجع بالناس وتحمل دم حليفك وما أصاب محمد من تلك العير يبطن نخلة، أنكم لا تطلبون من محمد شيئاً غير هذا الدم والعير. فقال عتبة: قد فعلت وأنت عليّ بذلك. قال: ثم جلس عتبة على جملة فسار في المشركين من قريش يقول: يا قوم أطيعوني ولا تقاتلوا هذا الرجل وأصحابه واعصبوا هذا الأمر برأسي واجعلوا جنبها بي، فإنّ منهم رجالاً قرابتهم قريبة، ولا يزال الرجل منكم ينظر الى قاتل أبيه وأخيه فيورث ذلك منهم شحناء وأضغاناً، ولن تخلصوا الى قتلهم حتى يصيبوا منكم عددهم، مع أني لا آمن أن تكون الدائرة عليكم، وأنتم لا تطلبون إلا دم هذا الرجل والعير التي أصاب، وأنا أحتمل ذلك وهو عليّ، يا قوم إن يك كاذباً يكفيكموه ذؤبان العرب وإن يكن ملكاً أكلتم في ملك ابن أخيكم وإن يكن نبياً كنتم أسعد الناس به، يا قوم لا تردّوا نصيحتي ولا تسفّهوا رأيي. قال: فحسده أبو جهل حين سمع خطبته وقال: إن يرجع الناس عن خطبة عتبة يكن سيداً لجماعة وعتبة أنطق الناس وأطوهم لساناً وأجملهم جمالاً. ثم قال عتبة: أنشدكم الله في هذه الوجوه التي كأنها المصابيح أن تجعلوها

أنداداً لهذه الوجوه التي كانت الحيات . فلما فرغ عتبة من كلامه قالوا : قال أبو جهل : انّ عتبة يشير عليكم بهذا لانّ ابنه مع محمد ومحمد ابن عمّه وهو يكره أن يقتل ابنه وابن عمه .

ثم قال الواقدي^(١) : قالوا كلمّ عتبة حكيم بن حزام فقال : ليس عند أحد خلاف إلا عند ابن الحنظلية ، اذهب إليه فقل له انّ عتبة يحمل دم حليفه ويضمن العير . قال حكيم : قد دخلتُ على أبي جهل وهو يتخلّق بخلق ودرعه موضوعة بين يديه ، فقلت : انّ عتبة بعثني اليك ، فأقبل عليّ مغضباً فقال : أما وجد عتبة أحداً يرسله غيرك . فقلت : أما والله لو كان غيره أرسلني ما مشيت في ذلك ولكن مشيت في إصلاح بين الناس ، وكان أبو الوليد سيد العشيرة . فغضب غضبة أخرى وقال : تقول أيضاً سيد العشيرة . فقلت : أنا أقوله ، قريش كلّها تقول . فأمر عامراً يصيح بحضرته واكتشف وقال : انّ عتبة جاع فاسقوه سويقاً ، وجعل المشركون يقولون انّ عتبة جاع فاسقوه سويقاً ، وجعل أبو جهل يسرّ بما صنع المشركون بعتبة . قال حكيم : فجئت الى منبه بن الحجاج فقلت له مثل ما قلت لأبي جهل ، فوجدته خيراً من أبي جهل ، قال : نعم ما مشيت فيه وما دعا إليه عتبة . فرجعت الى عتبة فأجده قد غضب من كلام قريش ، فنزل عن جملة وقد طاف عليهم في عسكرهم يأمرهم بالكفّ عن القتال فيأبون ، فحمى فنزل فلبس درعه وطلبوا له بيضة تقدر عليه فلم يجد في الجيش بيضة تسع رأسه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجر ثم برز بين أخيه شيبة وبين ابنه الوليد بن عتبة ، فبينما أبو جهل في الصف على فرس أنثى ، فلما جاز بعتبة سلّ عتبة سيفه فقبل هو والله يقتله ، فضرب بالسيف عرقوبي فرس أبي جهل فاكتسعت الفرس ، فقلت : ما رأيت كالليوم . قالوا :

قال عتبة : انزل فانّ هذا اليوم ليس بيوم ركوب ليس كل قومك راكباً . فنزل أبو جهل وعتبة يقول : ستعلم أينما أشأم عشيرته الغداة . ثم دعا عتبة الى المبارزة ورسول الله (ص) في العريش وأصحابه على صفوفهم ، فاضطجع فغشيه نوم غلبه وقال : لا تقاتلوا حتّى أؤذنكم وإن اکتفوكم فارموهم ، ولا تسلّوا السيوف حتّى يغشوكم . الى أن قال : وأقبل عتبة يعمد على

القتال، فقال حكيم بن حزام: أبا الوليد مهلاً مهلاً تنهى عن شيء وتكون أوله ... الخ.
قال ابن هشام^(١): قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعاً له من جرابها يُهنئها فقلت له: يا أبا الحكم انّ عتبة أرسلني اليك بكذا وكذا للذي قال. فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، كلاً والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعثته ما قال، ولكنه قد رأى انّ محمداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوّفكم عليه. ثم بعث الى عامر بن الحضرمي قال: هذا دم حليفك يريد أن يرجع بالناس، لقد رأيت تارك بعينك، فقم فانشر خفرتك ومقتل أخيك. فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف، ثم صرخ: واعمره واعمره فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوسقوا على ما هم عليه من الشرّ، فأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة، فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره^(٢) قال: سيعلم مُصفرّ أسته من انتفخ سحره أنا أم هو.

ثم قال ابن هشام: ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته، فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيّء الخلق - فقال: أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم ولأهدمته أو لأموتنّ دونه. فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم جنا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن تبرّ يمينه، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض. ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا فصل من الصف دعا الى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة وهم عوف ومعوذ ابنا الحرث وعبدالله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفائنا من قومنا ... الخ.

(١) السيرة النبوية ٢ / ٢٧٥.

(٢) انتفخ سحره أي ريته، هذه الجملة كناية عن الجبن.

وقال ابن الأثير^(١): فقالوا من أنتم؟ قالوا: من الأنصار. فقالوا: أكفاء كرام وما لنا بكم من حاجة، ليخرج إلينا أكفأؤنا من قومنا... الخ.

قال محمد بن سعد^(٢): فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار بنو عفرأ معاذ ومعوذ وعوف بنو الحارث، فكره رسول الله (ص) أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين في الأنصار وأحب أن تكون الشوكة بيني عمه وقومه، فأمرهم فرجعوا إلى مصافهم وقال لهم خيراً، ثم نادى المشركون: يا محمد أخرج إلينا الأكفاء من قومنا. فقال رسول الله: يا بني هاشم قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله نبيكم إذ جاؤا بباطلهم ليطفئوا نور الله. فقام حمزة بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف، فمشوا إليه، فقال عتبة: تكلموا نعرفكم، وكان عليهم البيض، فقال حمزة: أنا حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله. فقال عتبة كفؤ كريم وأنا أسد الحلفاء، من هذان معك؟ قال: علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث. فقال: كفؤان كريمان. ثم قال لابنه: قم يا وليد، فقام علي بن أبي طالب فاختلفا ضربتين فقتله علي بن أبي طالب، ثم قام عتبة وقام إليه حمزة فاختلفا ضربتين فقتله حمزة، ثم قام شيبه وقام إليه عبيدة بن الحارث وهو يومئذ أسن أصحاب رسول الله (ص) فضرب شيبه رجل عبيدة بدناب السيف - يعني طرفه - فأصاب عضلة ساقه فقطعها، فكَرَّ حمزة وعلي على شيبه فقتلاه، وفيهم نزلت ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ ونزلت فيهم سورة الأنفال أو عامتها ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يعني يوم بدر... الخ.

وقال الطبري^(٣): فلما قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. قالوا: نعم أكفاء كرام، فبارز عبيدة بن الحارث وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت

(١) الكامل ٢ / ١٢٥.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٧.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٥.

صاحبه، وكرّ حمزة وعلي بأسياهما على عتبة فذفقا عليه فقتلاه، واحتملا صاحبها عبيدة فجاؤا به الى أصحابه وقد قطعت رجله فمخها يسيل، فلما أتوا بعبيدة الى رسول الله (ص) قال: ألسنت شهيداً يا رسول الله؟ قال: بلى. فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حياً لعلم أنّي أحق بما قال منه حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

الى أن قال: عن ابن عباس أنّ النبي (ص) قال وهو في قبته يوم بدر: اللهم انّي أسألك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم... الخ.

وقال العلامة محمد رضا: وعن ابن عباس أنّ رسول الله (ص) قال وهو في العريش يوم بدر: اللهم انّي أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد. وفي رواية: إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان اليوم فلا تعبد في الأرض. ثم قال: وروى النسائي والحاكم عن علي بن أبي طالب قال: قاتلت يوم بدر شيئاً من قتال ثم جئت لاستكشاف حال النبي، فإذا رسول الله (ص) يقول في سجوده: يا حيّ يا قيّوم، لا يزيد على ذلك، فرجعت وقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك، فعل ذلك أربع مرات وقال في الرابعة ففتح عليه... الخ.

وروى محمد بن سعد^(١) بإسناده عن علي بن أبي طالب قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال ثم جئت مُسرِعاً الى النبي (ص) لأنظر ما فعل، فإذا هو ساجد يقول «يا حيّ يا قيّوم» لا يزيد عليها، ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، ثم ذهبت الى القتال ثم رجعت وهو ساجد يقول ذلك، ففتح الله عليه... الخ.

قال الواقدي^(٢): قالوا وكان عتبة بن ربيعة حين دعا الى البراز قام إليه ابنه أبو حذيفة يبارزه، فقال له رسول الله: اجلس، فلما قاما إليه نفر أعان أبو حذيفة بن عتبة على أبيه بضربة.

ثم روى عن ابن عباس أنّه قال: لما تواقف الناس أُغمي على رسول الله (ص) ساعة، ثم

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٢٦.

(٢) المغازي ١ / ٧٠.

كشف عنه فبشّر المؤمنين بجبريل في جند من الملائكة في ميمنة الناس وميكائيل في جند آخر في ميسرة رسول الله وإسرافيل في جند آخر، وإبليس قد تصوّر في صورة سراقه بن جعشم المدلجي يذمر - أي يُجِير - المشركين ويخبرهم أنّه لا غالب لهم من الناس، فلما أبصر عدوّ الله الملائكة نكص على عقبيه وقال: «أني بريء منكم أني أرى ما لا ترون» فتثبّت به الحرث بن هشام وهو يرى أنّه سراقه لما سمع من كلامه، فضرب في صدر الحرث فسقط الحرث وانطلق إبليس لا يرى حتّى وقع في البحر ورفع يديه وقال: يا ربّ موعدك الذي وعدتني.

وأقبل أبو جهل على أصحابه فحضّمهم على القتال وقال: لا يغرّنكم خذلان سراقه بن جعشم إيّاكم، فإنّما كان على ميعاد من محمد (ص) وأصحابه، سيعلم إذا رجعنا إلى قديد ما نضع بقومه، لا يهولكم مقتل عتبة وشيبة والوليد فإنّهم عجلوا وبطروا حين قاتلوا، وأيم الله لا نرجع اليوم حتّى نُقرّن محمداً وأصحابه في الحبال، فلا ألفين أحداً منكم قتل منهم أحداً، ولكن خذوهم أخذاً نعرّفهم الذي صنعوا لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد آباءكم.

ثم روى باسناده عن عائشة أنها قالت: جعل النبي (ص) شعار المهاجرين يوم بدر «يا بني عبد الرحمن» وشعار الخزرج «يا بني عبد الله» وشعار الأوس «يا بني عبيد الله».

ثم روى باسناده عن زيد بن علي أنّه قال: كان شعار رسول الله (ص) يوم بدر «يا منصور أمت»... الخ.

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله (ص) يوم بدر «أحد أحد». وقال الواقدي^(١): وكان أبو أسيد الساعدي يحدث بعد أن ذهب بصره قال: لو كنت معكم الآن ببدر ومعني بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أمتري. فكان يحدث عن رجل من بني غفار حدّثه قال: أقبلت وابن عم لي يوم بدر حتّى صعد على جبل ونحن مشرکان ونحن على إحدى عجمتي بدر - العجمة الشاميّة - ننتظر الواقعة على مَنْ تكون الدبرة، فننتهب مع من ينتهب، إذ رأيت سحابة دنت منّا فسمعت فيها حممة الخيل

وقعقة الحديد، وسمعت قائلاً يقول: اقدم حيزوم. فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات، وأما أنا فكدت أهلك فتماسكت واتبعت البصر حيث تذهب السحابة، فجاءت الى النبي (ص) وأصحابه ثم رجعت وليس فيها شيء مما كنت أسمع... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): وخرج رسول الله (ص) يعني من العريش وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ وحرّض المسلمين وقال: والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة. فقال عمير بن الحمام الأنصاري ويده تمرات يأكلهن: بخ بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قتل.

وقال الطبري^(٢): وقد رمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل، فكان أول قتيل من المسلمين، ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجّار وهو يشرب من الحوض فقتل، ثم خرج رسول الله (ص) الى الناس فحرّضهم ونقل كل امرئ ما أصاب. الى أن قال: انّ عوف بن الحارث وهو ابن عفراء قال: يا رسول الله ما يضحك الربّ من عبده؟ قال (ص): غمسه يده في العدو حاسراً، فنزع درعاً كانت عليه فقاذها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل... الخ.

قال ابن الأثير^(٣): واقتتل الناس قتالاً شديداً، فأخذ رسول الله (ص) حفنة من تراب ورمى بها قريشاً وقال: شاهت الوجوه، وقال لأصحابه: شدّوا عليهم، فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من المشركين وأسر من أسر... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٤): فرّني رسول الله (ص) في أثرهم مصلتاً السيف يتلو هذه الآية وهي ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ وأجهز على جريحهم وطلب مدبرهم واستشهد من

(١) الكامل ٢/ ١٢٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٢٤٨.

(٣) الكامل ٢/ ١٢٦.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/ ١٧.

المسلمين أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. ثم قال: وقتل من المشركين يومئذ سبعين رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً.

وقال الزينى دحلان^(١): وكان من حكمة الله تعالى أن جعل المسلمين قبل أن يلتحم القتال في أعين المشركين قليلاً إستدراجاً لهم ليقدموا، ولما التحم القتال جعلهم في أعين المشركين كثيراً ليحصل لهم الرعب والوهن، وجعل الله المشركين عند التحام القتال في أعين المسلمين قليلاً ليقوى جأشهم على مقاتلتهم، ومن ثم جاء عن ابن مسعود أنه قال: لقد قلّوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، وأنزل الله تعالى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ الآية، ثم قال تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّافِتَيْنِ تَفَتْيًا تَفَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾ أي يرى أولئك الكفار المؤمنين مثلهم رأى العين.

وقال محمد بن سعد^(٢): لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ قال عمر: قلت وأيُّ جمع يُهْزَمُ ومن يُغْلَبُ، فلما كان يوم بدر نظرت الى رسول الله (ص) يشب في الدرع وثباً وهو يقول: سيهزم الجمع ويولّون الدبر، فعلمت ان الله تبارك وتعالى سيهزمهم.

ثم قال: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾ قال عكرمة: نزلت في يوم بدر، ثم قال ﴿إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَارَ﴾ قال عكرمة: نزلت في يوم بدر. ثم قال: قال عكرمة: ونزلت هذه الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ يوم بدر. ثم قال: قال عكرمة ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ قال: كان يومئذ يندر رأس الرجل لا يدري من ضربه، وتندر يد الرجل لا يدري من ضربه... الخ.

أقول: والآيات النازلة في غزوة بدر كثيرة منها ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ الآية، ومنها ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ

(١) السيرة النبوية ١ /.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٢٥.

الكافرين ﴿ ومنها ﴿ يا أيها النبي حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴿ الآية، ومنها ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿ الآية، ومنها ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴿ الآية، ومنها ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿ الآية، ومنها ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴿ الآية، ومنها ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴿ الآية، ومنها ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشِخْنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ الخ.

وقال العلامة محمد حسين هيكال: وخاض حمزة وعلي وأبطال المسلمين وطيس المعركة، وقد نسي كل منهم نفسه ونسي قلة أصحابه وكثرة عدوه، فثار النقع وامتلاً الجوّ بالغبار، وجعلت هام قريش تطير عن أجسادها والمسلمون يزدادون بإيمانهم قوّة ويصيحون مهلّلين «أحد، أحد» وقد كشف أمامهم حجب الزمان والمكان، وأمدّهم الله بالملائكة يبشرونهم ويزيدونهم تثبيتاً وإيماناً، حتّى لكان الواحد منهم إذ يرفع سيفه ويهوي به على عنق عدوه أنّما تحرّكت قوّة الله يده. ووقف محمد (ص) وسط هذا الوطيس يتمشّى خلاله ملك الموت يقط رقبة الكفر، فأخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً وقال: شأهت الوجوه، ثم نفحهم بها، وأمر المسلمين فقال: شدّوا، وشدّ المسلمون وما يزالون أقل من قريش عدداً، لكن كل واحد منهم امتلأت بنفحة من الله نفسه، فلم يكن هو الذي يقتل العدو ولا كان هو الذي يأسر من يأسر لولا هذه النفحة التي ضاعفت قوّته المعنوية بما ضاعف قوّته الماديّة، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿ وقوله تعالى ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ

الله قَتَلَهُمْ ﴿ الآيَة ، ولما آنس الرسول (ص) أن الله أنجز وعده وأتم على المسلمين النصر عاد الى العريش وفرت قريش ، فطاردهم المسلمون يأسرون منهم من لم يقتل ولم يساعفه حسن فراره بالنجاة . انتهى .

وقال ابن هشام^(١) : فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله (ص) في العريش وسعد ابن معاذ على باب العريش الذي فيه رسول الله (ص) متوشحاً بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله يخافون عليه كرهة العدو ، ورأى رسول الله (ص) فيما ذكر لي في وجه سعد ابن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له رسول الله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ قال : أجل والله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الاثخان في القتل بأهل الشرك أحب إلي من استبقاء الرجال .

ثم روى باسناده عن ابن عباس أنه قال : ان النبي (ص) قال لأصحابه يومئذ : اني قد عرفت ان رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله فإنه إنما أخرج مُستكرهاً .

الى أن قال : قال ابن إسحاق : حدثني عبدالواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبدالرحمن بن عوف قال : قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبدالله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : قلت ذاك حمزة بن عبدالمطلب . قال : ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبدالرحمن : فوالله اني لأقودهما إذ رآه بلال معي ، وكان هو الذي يُعذب بلال بمكة على ترك الإسلام فيخرجه الى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحد أحد . قال : فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف : لا نجوت إن نجا . قال : قلت أي بلال أسيري . قال : لا نجوت إن نجا . قال : قلت أسمع

يا أبي السوداء. قال: لا نجوت إن نجا، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه. قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط. قال: قلت انج بنفسك ولا نجاء بك، فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال: فهبروهما بأسيا ففهم حتى فرغوا منها... الخ.

وقال الزيني دحلان^(١): وقال رسول الله (ص): من له علم بنوفل بن خويلد؟ فقال علي: أنا قتلتته فكبر رسول الله (ص) وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه، فإنه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع: يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلی. فقال رسول الله (ص): اللهم اكفني نوفل بن خويلد. وهكذا نقله الواقدي في المغازي.

وقال الطبري^(٢): لما فرغ رسول الله (ص) من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى وقال: اللهم لا يعجزنك. قال: فكان أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح. قال: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الجرحة يعني الشجر ملتف، وهي شجرة لا يوصل إليها، وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربةً أظنت قدميه بنصف ساقه، فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلا النواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها. قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلقت بمجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وأني لأسحبها خلفي، فلما آذنتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت بها حتى طرحتها. قال: ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفان. قال: ثم مرّ بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبتته فتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قتل، فرّ عبدالله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله (ص) أن يلتمس في القتلى، وقد قال رسول الله فيما بلغني: انظروا إن خفي عليكم في القتلى أثر جرح بركبته، فإني ازدحمت أنا وهو يوماً على ماربة لعبدالله بن

(١) السيرة النبوية ١ / ٢٠٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٤.

جدعان ونحن غلامان وكنت أشفّ منه (أشفّ منه أي أكبر منه) بيسير، فدفعته فوق علي ركبتيه، فجحش في احدهما جحشاً لم يزل أثره فيه بعد. فقال عبدالله بن مسعود: فوجدته بأخر رمق، فعرفته فوضعت رجلي على عنقه. قال: وقد كان خبث (أي أخذ) بي مرّة بمكة فأذاني ولكزني ثم قلت: أخزاك الله يا عدو الله. قال: وبما أخزاني أأعد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة. قلت: لله ولرسوله... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): فقال له أبو جهل: لقد ارتقيت يا زويعي الغنم مرتقى صعباً.

قال: قلت انّي قاتلك. قال: ما أنت بأول عبد قتل سيّده، أما انّ أشدّ شيء لقيت اليوم قاتلك إيّاي، وألاّ قتلتني رجل من المطيبين الأحلاف، فضربه عبدالله فوق رأسه بين رجليه، فحملة الى رسول الله (ص) فسجد شكر الله... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٢): وفي صحيح مسلم عن عبدالرحمن بن عوف أنّه قال: انّي لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وعن شمالي، وإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، فغمزني أحدهما سرّاً من صاحبه فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام؟ فقلت: نعم وما حاجتك به؟ قال: بلغني أنّه كان يسبّ النبي (ص)، والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده حتّى يموت الأعجل منّا - أي الأقرب أجلاً - فغمزني الآخر فقال مثلها سرّاً من صاحبه، فعجبت لذلك، أي لحرص كل منهما على ذلك وإخفائه عن صاحبه ليكون هو المختصّ به، فلم أنشب - أي لم ألبث - أن نظرت الى أبي جهل يزول في الناس، أي يتحوّل من محلّ الى محلّ آخر، فقلت لهما: ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، فابتدراه بسيفهما فضرباه حتّى قتلاه أي أشرفا به للقتل وصيّراه الى حركة المذبوح.

وسياّتي انّ ابن مسعود هو الذي تمّ قتله، ثم انصرفا الى رسول الله (ص) فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. قال: هل مسحتما سيفكما. قالا: لا، فنظر رسول الله في السيفين فقال: كلاهما قتله، وقضى بسلبه لهما إلاّ السيف فسياّتي أنّه (ص) قضى به

(١) الكامل ٢ / ١٢١.

(٢) السيرة النبوية ١ / ٢٠٤.

لابن مسعود .

قال ابن إسحاق : انّ أبا جهل لما نزل القتال أقبل يرتجز ويقول :

ما تنقم الحرب العوان منّي بازل عامين حديث سنّي

لمثل هذا ولدتني أمّي

فأذاقه الله الهوان وقتله الله شرّ قتله وجعل ذلك حسرة عليه . وجاء انّ الملائكة شاركت قاتليه في قتله . ثم قال : ولما انقضى القتال أمر رسول الله (ص) بأبي جهل أن يلتمس في القتلى . الى أن قال : قال فرأيت أبا جهل وهو بأخر رمق ، فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت له : أخزاك الله يا عدو الله . قال : وبم أخزاني أعار على رجل قتلتموه . وفي رواية : لا رجل أعمد من رجل قتلتموه ، أي أنا سيد رجل قتلتموه ، لأنّ عميد القوم سيدهم ، أي فلا عار عليّ في قتلكم إيتاي . وفي رواية : وهل أشرف من رجل قتله قومه . ثم قال لابن مسعود : أخبرني لمن تكون الدائرة ، أي النصر والظفر اليوم لنا أو علينا ؟ قلت : لله ولرسوله .

وسئل ابن مسعود عن أهل الأجسام الطوال الذين يقتلون ويأسرون فينا . فقال له : أولئك الملائكة . قال : هم الذين غلبونا لا أنتم ، وهذا غاية في كفره وعناده حيث تحقق ذلك كلّ ولم يؤمن بالله وبرسوله .

ثم انّ ابن مسعود وطىء على عنقه وعلا فوق صدره يريد جزّ رأسه ، فقال له : لقد ارتقيت يا زويعي الغنم مرتقى صعباً . قال ابن مسعود : فضربت به بسيفي لأجزّ رأسه فلم يغنّ عني شيئاً ، فبصق في وجهي وقال : خذ سيفي واجتزّ به رأسي من عرشي ليكون أنهي للرقبة ، والعرش عرق في أصل الرقبة ، ففعلت كذلك .

وجاء أنه قال لابن مسعود : اجتز من أصل العنق ليرى عظيماً مهاباً في عين محمد ، وقل له : ما زلت عدوّاً الى سائر الدهر واليوم أشدّ عداوة . ولما أتى النبي (ص) برأسه وأخبره بقوله قال : كما أنّي أكرم النبيين على الله وأمتي أكرم أمة على الله ، كذلك فرعون هذه الأمة أشدّ وأغلظ من فراعنة سائر الأمم ، إذ فرعون موسى حين أدركه العرق قال : آمنت أنّه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وفرعون هذه الأمة ازداد عداوة وكفراً .

وفي رواية: قال ابن مسعود: ثم جئت برأسه الى رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل. فقال رسول الله: الله الذي لا إله غيره، وردّها ثلاثاً. قلت: نعم والله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله، فحمد الله وجاء أنه سجد خمس سجّادات شكراً، وفي رواية صلى ركعتين، وقال: الحمد لله الذي أعزّ الإسلام وأهله، الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.

الى أن قال: ثم انّ النبي (ص) بعد إلقاء الرأس بين يديه خرج يمشي مع ابن مسعود حتّى أوقفه على أبي جهل، فقال: الحمد لله الذي أخزأك يا عدوّ الله، هذا كان فرعون هذه الأمة ورأس قاعدة الكفر. قال ابن مسعود: ونفلي سيفه، أي أعطانيه، وكان قصيراً عريضاً فيه قبائع فضّة وحلق فضّة.

وعن قتادة: انّ رسول الله (ص) قال: لكل أمة فرعون وانّ فرعون هذه الأمة أبو جهل، قتله الله شرّ قتلة قتله الملائكة.

وفي رواية: قتله ابن عفراء، ثم نقل رواية أخرى بأن النبي (ص) قال: يرحم الله ابني عفراء قد اشتركا في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر... الخ.

وقال ابن هشام: وكان - يعني أبا جهل - رجلاً خفيفاً حديدُ الوجه حديدُ اللسان حديدُ النظر... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): فلما هزم الله المشركين وقتل منهم من قُتل وأسر من أسر، أمر رسول الله (ص) أن تطرح القتلى في القليب، فطرحوا فيه إلا أميّة بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملاها، فذهبوا به ليخرجوه فتقطّع وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيّبه، ولما ألقوا في القليب وقف عليهم رسول الله (ص) وقال: يا أهل القليب بشس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقتني الناس. ثم قال: يا عتبة يا شيبه يا أميّة بن خلف يا أبا جهل بن هشام، وعدد من كان في القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فاني وجدت ما وعدني ربي حقاً. فقال له

أصحابه: أتكلّم قوماً موتى؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا.

وقال الزيني دحلان^(١): قال السهيلي: وأما القوا في القلب ولم يدفنوا لأنه (ص) كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم، فكان جرّهم الى القلب أيسر إليهم. الى أن قال: ثم بعد إلقائهم في القلب بثلاثة أيام جاء رسول الله (ص) حتّى وقف على شفير القلب، وجعل يناديهم بأسمائهم ويقول: يا فلان ويا فلان هل وجدتم ما وعد الله رسوله حقاً. الى أن قال: فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله كيف تُكلّم أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنّهم لا يستطيعون أن يردّوا شيئاً. وفي رواية: يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون. وعن قتادة: أحياهم الله حتّى سمعوا كلام رسول الله (ص) تويخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة عليهم، ثم قال: وجاء في بعض الروايات أن النبي (ص) نادى أهل القلب وقال لهم ما تقدّم قبل طرحهم فيه.

وجُمع بين الروايات بأن ذلك تکرّر منه قبل طرحهم وبعده، وسمّى من تقدّم وهم أربعة ولم يُسمّ الباقي لأنّ الأربعة المذكورين هم أعظم رؤساء قريش ... الخ.

وروى الطبري^(٢): باسناده عن ابن إسحاق أنّه قال: وحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) قال هذه المقالة: يا أهل القلب بشس عشيرة النبي كنتم لنبيّكم، كذبتُموني وصدقني الناس وأخرجتُموني وآواني الناس وقاتلتُموني ونصرني الناس. ثم قال: هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقاً للمقالة التي قال.

قال ابن هشام^(٣): قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله (ص) أن يُلقوا في القلب أخذ عتبة ابن ربيعة فسحب الى القلب، فنظر رسول الله (ص) فيما بلغني في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كثيب قد تغيّر، فقال: يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء. فقال: لا والله

(١) السيرة النبوية ١/٢٠٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٧.

(٣) السيرة النبوية ٢/٢٩٤.

يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصاب وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزني ذلك. فدعا له رسول الله (ص) بخير وقال له خيراً. وقال ابن الأثير^(١): ثم إن رسول الله (ص) أمر فجمع ما في العسكر، فاختلف المسلمون فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: والله لولا نحن ما أصبتموه، نحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله وهو في العريش: والله ما أنتم بأحق به منا، لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه، ولكن خفنا كره العدو على رسول الله فقمنا دونه. فزرع الله الأنفال من أيديهم وجعلها إلى رسول الله (ص)، فقسمها بين المسلمين على سواء. وبعث رسول الله (ص) عبدالله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة من المدينة، فوصل زيد وقد سوّوا التراب على رقيّة بنت رسول الله (ص). الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): وكان فداء الأسرى كل رجل أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف، إلا قوماً لا مال لهم من عليهم رسول الله، منهم أبو غرة الجهمي، وغنم رسول الله (ص) ما أصاب منهم، واستعمل على الغنائم عبدالله بن كعب المازني من الأنصار، وقسمها رسول الله (ص) بسير شعب بالصفراء، وهي من المدينة على ثلاثة ليال قواصد.

وتنقل رسول الله (ص) سيفه ذو الفقار وكان لمنبه بن الحجاج، وكان صفيّه يومئذ، وسلّم رسول الله (ص) الغنيمة كلّها للمسلمين الذين حضروا بدرًا، وللثمانية الفقراء الذين تخلّفوا باذنه، فضرب لهم بسهامهم وأجورهم. وأخذ رسول الله (ص) سهمه مع المسلمين، وفيه جمل أبي جهل، وكان مهرباً، فكان يغزو عليه ويضرب في لقاحه.

وبعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة يخبرهم بسلامة رسول الله (ص) والمسلمين وخبر بدر وما أظفر الله به رسوله وغنمه منهم، وبعث إلى أهل العالية عبدالله بن

(١) الكامل ٢ / ١٣٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٨.

رواحة بمثل ذلك، والعالية قباء وحطمة ووائل وواقف وبنو أمية بن زيد وقرظة والنضير،
فقدم زيد بن حارثة المدينة حين سُوي على رقية بنت رسول الله (ص) التراب بالبيع، وكان
أول الناس أتى أهل مكة بمصاب أهل بدر وبهزيمتهم الحيسمان بن حابس الخزاعي... الخ.

وقال الطبري: قال يعني ابن إسحاق: ثم قدم زيد بن حارثة، فجثته - يعني عبادة بن
الصامت - وهو واقف بالمصلّى قد غشيته الناس، وهو يقول: قُتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن
ربيعة وأبو جهل بن هشام وزمعة بن الأسود وأبو البخري بن هشام وأمّية بن خلف ونبيه
ومنيه ابنا الحجاج. قال: قلت يا أبة أحق هذا؟ قال: نعم والله يا بني.

الى أن قال: قال محمد بن سعد: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبدالله
ابن أبياس. ثم قال: وقال الواقدي: الحيسمان بن حابس الخزاعي قالوا: ما ورائك؟ قال: قُتل
عتبة، الى أن عدّد أشراف قريش المذكورين، ثم قال: فلما جعل يعدّد أشراف قريش قال
صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر: والله إن يعقل هذا فسلوه عني. قالوا: ما فعل صفوان بن
أمية؟ قال: هو ذلك جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه مقتولين. قال: ورأيت سهيل
ابن عمرو وأسر والنضر بن الحارث. قالوا: وما يدريك؟ قال: رأيتها مقرونين في
الحبال... الخ.

وروى الطبري^(١) بأسناده عن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال أبو رافع مولى رسول
الله: كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمت
أم الفضل، وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذامال كثير
متفرق في قومه، وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن
المغيرة، وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً، فلما جاء الخبر عن مصاب
أصحاب بدر من قريش كبتة الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزّاً.

قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القداح، أنحتها في حجرة زمزم، فوالله أتى المجالس

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٦١.

فيها أنحت القداح وعندني أم الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاء من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجله بشرّ حتى جلس على طُنْب الحجر، فكان ظهره الى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قد قدم. قال: فقال أبو لهب: هلمّ إليّ يا ابن أخي، فعندك الخبر؟ قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء والله، إن كان إلّا أن لقيناهم فنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسرون كيف شاؤوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طُنْب الحجر بيدي ثم قلت: تلك الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة قال: فتاورته فاحتملني فضرب بي الأرض ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل الى عمود من عمد الحجر فأخذته فضربته ضربة فلقت في رأسه شجرة منكورة، وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيّده. فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلّا سبع ليالٍ حتى رماه الله عزّ وجلّ بالعدسة فقتلته، فلقد تركاه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفناناه حتى أنتن في بيته، وكانت قريش تتقي العدسة وعدوتها كما يتقي الناس الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تغيباناه. فقالا: أنا نخشى هذه القرحة. قال: فانطلقا فأنا معكما، فما غسلوه إلّا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسونه، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة الى جدار، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه.

قصة إسارة العباس بن عبدالمطلب

روى الطبري أيضاً بأسناده عن ابن عباس قال: لما أمسى القوم من يوم بدر والأسارى محبوسون في الوثاق، بات رسول الله (ص) ساهراً أول ليلة، فقال له أصحابه: يا رسول الله مالك لا تنام؟ فقال: سمعت تصوّر العباس في وثاقه. قال: فقاموا الى العباس فأطلقوه، فنام

رسول الله ... الخ. وهكذا رواه ابن الأثير في الكامل^(١).

وقال الزيني دحلان^(٢): وكان الذي أسر العباس كعب بن عمرو الأنصاري السلمي، ويكنى بأبي اليسر، فقيل للعباس: كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم (أي قصير) ولو شئت لجعلته في كفك؟ فقال: ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخدمة الأشم، وهو جبل عظيم من جبال مكة.

وفي رواية عن علي: فجاء رجل من الأنصار بالعباس أسيراً فقال العباس: ان هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أحلج من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال (ص): اسكت فقد أيدك الله بملك كريم.

وفي رواية قال له النبي: كيف أسرته؟ فقال: أعانني الله عليه بملك كريم. ولما أسر شدوا وثاقه كبقية الأسرى، فصار يئن، فسمع النبي (ص) أنينه فلم يأخذه نوم، فقيل: ما أسهرك يا رسول الله؟ قال (ص): أنين العباس. فقام رجل وأرخصى وثاقه، وكان العباس رجلاً طويلاً... الخ.

وقال العلامة محمد رضا: فسهر النبي (ص) تلك الليلة ولم ينم، فقال له بعض أصحابه: ما يسهرك يا نبي الله؟ فقال: أسهر لأنين العباس. فقام رجل من القوم فأرخصى وثاقه، فقال له رسول الله: ما لي لا أسمع أنين العباس. فقال الرجل: أنا أرخيت من وثاقه. فقال رسول الله (ص): فافعل ذلك بالأسرى كلهم... الخ.

وقال الحلبي^(٣): وكان في الأسارى العباس عم النبي (ص) فشدوا وثاقه فلم يأخذه (ص) نوم، فقيل: ما سهرك يا رسول الله؟ قال: لأنين العباس. فقام رجل وأرخصى وثاقه، وفعل ذلك بالأسارى كلهم. الى أن قال: وفي الكشف: ان العباس عم النبي (ص) لما أخذ أسيراً بيدرو لم يجدوا له قميصاً وكان رجلاً طويلاً، فكساه عبدالله بن أبي بن سلول

(١) الكامل ٢/ ١٢٨.

(٢) السيرة النبوية ١/ ٢١٠.

(٣) السيرة النبوية ٢/ ١٩٨.

قيصه ... الخ.

أخذ الفداء من أسارى بدر

قال ابن كثير^(١): وقد اختلف الصحابة في الأسارى أن يقتلوهم أو يفادون على قولين كما قال الإمام أحمد حديثاً عن علي بن عاصم عن حميد عن أنس وذكر رجل عن الحسن قال: استشار رسول الله (ص) الناس في الأسارى يوم بدر فقال (ص): إن الله قد أمكنكم منهم، قال: فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، قال: فأعرض عنه النبي (ص) ثم عاد النبي فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر فقال: نرى أن تعفو عنهم وتقبل منهم الفداء، قال: فذهب عن وجه رسول الله (ص) ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل الفداء وقال: أنزل الله تعالى ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم﴾ الآية... الخ.

وروى محمد بن سعد^(٢) بإسناده عن عبيدة: إن جبريل نزل على النبي (ص) في أسارى بدر، فقال: إن شتم قتلتموهم وإن شتم أخذتم منهم الفداء واستشهد قابل منكم سبعون. قال: فنأدى النبي (ص) في أصحابه، فجاءوا أو من جاء منهم، فقال: هذا جبريل يخيركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم وبين أن تفادوهم ويستشهد قابل منكم بعدتهم. فقالوا: بل نفاديهم فتقوى به عليهم ويدخل قابل منا الجنة سبعون، ففادوهم.

وروى أيضاً بإسناده عن جابر عن عامر قال: أسر رسول الله (ص) يوم بدر سبعين أسيراً، وكان يفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم، فإذا حذقوا فهو فداؤه. وبإسناده أيضاً عن فراس عن عامر قال: كان فداء أهل بدر أربعين أوقية، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين الكتابة، فكان زيد بن ثابت ممن علم.

(١) السيرة النبوية ٢ / ٤٥٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٢٢.

وقال ابن الأثير^(١): ثم إن قريشاً أرسلت في فداء الأسارى، فأول من فدى أبو وداعة السهمي، فداه ابنه المطلب، وفدى العباس نفسه وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبدالمطلب وحليفه عتبة بن عمرو بن جحدم، أمره رسول الله (ص) بذلك، فقال: لا مال لي. فقال له رسول الله: أين المال الذي وضعته عند أم الفضل وقلت لها: إن أصبتُ فللفضل كذا ولعبدالله كذا ولعبيدالله كذا. قال: والذي بعثك بالحق ما علم به أحد غيري وغيرها، وأني لأعلم أنك رسول الله. وفدى نفسه وابني أخويه وحليفه، وكان قد أخذ مع العباس عشرون أوقية من ذهب فقال: احسبها في فدائي. فقال النبي (ص) لا ذاك شيء أعطانا الله عز وجل... الخ.

وقال الحلبي^(٢): وجعل (ص) فداء العباس أربعمئة أوقية، وفي رواية مائة أوقية، وفي رواية أربعين أوقية من ذهب، وفي رواية أنه (ص) قال: أقد نفسك يا عباس وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث وحليفك عتبة بن عمرو، ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد منهم بأربعين أوقية، وقال للنبي (ص): تركتني فقير قريش ما بقيت، وفي لفظ: تركتني أسأل الناس في كفي. فقال له رسول الله: فأين المال الذي دفعته لأم الفضل. الخ.

وقال الطبري^(٣): قال (ص) للعباس بن عبدالمطلب حين انتهى به إلى المدينة: يا عباس أقد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر فأنك ذو مال. فقال: يا رسول الله أتني كنت مسلماً ولكن القوم استكروهوني. فقال: الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجيزك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فأقد نفسك. وكان رسول الله (ص) قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب، فقال العباس: يا رسول الله احسبها لي في فدائي. قال: لا ذاك شيء أعطانا الله عز وجل منك... الخ.

(١) الكامل ١٣٢/٢.

(٢) السيرة النبوية ١٩٩/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤٦٥/٢.

وقال ابن الأثير^(١): وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان، أسره علي عليه السلام، فقيل لأبيه: أقد عمراً. فقال: لا أجمع عليّ دمي ومالي، يقتل ابني حنظلة وأفدي عمراً، فتركه ولم يفكّه. ثم ان سعد بن النعمان الأنصاري خرج الى مكة معتمراً فأخذه أبو سفيان، وكانت قريش لا تعرض لحاج ولا معتمر، فحبسه أبو سفيان ليفدي به عمراً ابنة وقال:

أرهط ابن أكال أجيوا دعاءه تفاقدم لا تسلموا السيد الكهلا

فان بني عمرو لثام أذلة لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

فشى بنو عمرو بن عوف الى النبي (ص)، فطلبوا منه عمرو بن أبي سفيان، ففادوا به سعداً.

إسارة أبي العاص بن ربيع وفدائه

وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله (ص) وكان من أكثر رجال مكة مالاً وأمانة وتجارة، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة زوج رسول الله، فسألته أن يزوجه زينب ففعل قبل أن يوحى إليه، فلما أوحى إليه آمنت به زينب، وكان رسول الله (ص) مغلوباً بمكة لم يقدر أن يفرق بينها، فلما خرجت قريش الى بدر خرج معهم فأسر، فلما بعثت قريش في فداء الأسارى بعثت زينب في فداء أبي العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها معها، فلما رآها رسول الله (ص) رق لها رقّة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها الذي لها فافعلوا، فأطلقوا لها أسيرها وردّوا القلادة، وأخذ رسول الله (ص) عليه أن يرسل إليه زينب بالمدينة، وسار الى مكة وأرسل رسول الله زيد بن حارثة مولاه ورجلاً من الأنصار ليصحبها زينب من مكة، فلما قدم أبو العاص أمرها باللحاق بالنبي (ص)، فتجهّزت سرّاً وأركبها كنانة بن الربيع أخو أبي العاص بغيراً وأخذ قوسه وخرج بها نهاراً، فسمعت بها قريش فخرجوا في طلبها فلحقوها بذى طوى، وكانت حاملاً فطرحت

حملها لما ريعت لخوفها ونثر كنانة أسهمه، ثم قال: والله لا يدنوا مني أحد إلا وضعت فيه سهماً، فأتاه أبو سفيان بن حرب وقال: خرجت بها علانية فيظنّ الناس أنّ ذلك عن ذلّ وضعف منّا، ولعمري ما لنا في حبسها حاجة، فارجع بالمرأة ليتحدّث الناس أنّا ردّناها، ثم أخرجها ليلاً وسلّمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدا ما بها على رسول الله (ص)، فأقامت عنده... الخ.

قال الطبري^(١): ثم أقبل رسول الله (ص) قافلاً المدينة، فاحتمل معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبدالله بن كعب بن زيد، ثم أقبل رسول الله حتّى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية، فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء، واستسقى له من ماء به يقال له الأرواق، ثم ارتحل رسول الله (ص) حتّى إذا نزل بالروحاء، لقيه المسلمون يهتفون بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال سلمة بن سلامة بن وقش: وما الذي تهتفون به، فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبُدن المعقّلة فنحرنها. فتبسّم رسول الله (ص) وقال: يا ابن أخي أولئك الملاء.

قال ومع رسول الله (ص) الأسارى من المشركين، وكانوا أربعة وأربعين أسيراً، وكان من القتلى مثل ذلك، وفي الأسارى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، حتّى إذا كان رسول الله (ص) بالصفراء قتل النضر بن الحارث، قتله علي بن أبي طالب. ثم خرج رسول الله (ص) حتّى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط، فقال حين أمر رسول الله (ص) أن يقتل: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. قال: فقتله عاصم بن ثابت... الخ.

قال ابن هشام^(٢): ويقال قتله علي بن أبي طالب فيما ذكر لي ابن شهاب الزهري وغيره من أهل العلم.

إسارة سهيل بن عمرو

ثم قال: قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله (ص) حتّى قدم المدينة قبل الأسارى

(١) تاريخ الطبري ٤٥٨/٢.

(٢) السيرة النبوية ٢٩٨/٢.

بيومين، وقال ابن الأثير^(١): وكان في الأسرى سهيل بن عمرو أسره مالك بن الدخشم الأنصاري، فلما أتى به النبي (ص) قال عمر بن الخطاب: دعني أنزع ثنيتيه يا رسول الله فلا يقوم عليك خطيباً، وكان سهيل أعلم. فقال رسول الله: دعه يا عمر فسيقوم مقاماً تحمده عليه... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): وكان سهيل أعلم من شفته السفلى. الى أن قال: إن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله (ص) دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك في موطن خطيباً أبداً. فقال رسول الله (ص): لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً... الخ.

وقال الحلبي^(٣): وكان في الأسارى سهيل بن عمرو العامري، وتقدم أنه كان من أشرف قريش وخطبائها، فقد سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش في الجاهلية فقال: الأسود ابن عبدالمطلب وسهيل بن عمرو. الى أن قال: وقال عمر لرسول الله (ص) دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو ويدلع - أي بالدال والعين المهملتين يخرج لسانه لأنه كان أعلم والأعلم إذا نزع ثنيتاه لم يستطع الكلام - فلا يقيم عليك خطيباً في موطن أبداً. فقال له رسول الله (ص): لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً، وعسى أن يقوم مقاماً لا تدمه. الى أن قال: فإنه لما مات رسول الله (ص) أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الإسلام حتى خافهم أمير مكة عتاب بن أسيد وتواري، فقام سهيل بن عمرو خطيباً، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله وقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ألم تعلموا أن الله تعالى قال ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ وقال ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآيات وتلا آيات أخرى... الخ.

أقول: وهذه الشبهة قد ألقاها عمر حين مات النبي (ص) وأنه قام خطيباً بعد موت النبي يوعّد المنافقين، فقال: إن رسول الله لم يمت ولكن أتما عرج بروحه كما عرج بروح موسى،

(١) الكامل ١٣١ / ٢.

(٢) السيرة النبوية ٣٠٤ / ٢.

(٣) السيرة النبوية ١٩٥ / ٢.

لا يموت رسول الله حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم. فما زال عمر يتكلم حتى أزيد شدقاه، فقال العباس: إن رسول الله (ص) يأسن كما يأسن البشر، وإن رسول الله قد مات فادفنوا صاحبكم. رواه محمد بن سعد^(١)، كما أنه رواه بطرق عديدة غير هذا الطريق، وكلها متفقة على أن أول من ألقى هذه الشبهة كان عمر.

قال ابن هشام^(٢): قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي بكر أن يحيى بن عبدالله قال: قدم بالأسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي (ص) عند آل عفراء، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، قال: تقول سودة والله أتى لعندهم إذ أتينا فقيل هؤلاء الأسارى قد أتى بهم. قال: فرجعت الى بيتي ورسول الله (ص) فيه، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجر مجموعة يدها الى عنقه بجبل، قالت: فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم، ألا مئتم كراماً، فوالله ما أنبهي إلا قول رسول الله (ص) من البيت: يا سودة أعلّى الله ورسوله تحرضين. قالت: قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يدها الى عنقه أن قلت ما قلت.

قصة إسارة أبو عزيز بن عمير

ثم قال: قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب أن رسول الله حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه وقال: استوصوا بالأسارى خيراً. فكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب ابن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال: فقال أبو عزيز: مرّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شدّ يدك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك. قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداءهم أو عشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله (ص) إياهم بنا.

ثم قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحرث، فلما

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٢٦٦.

(٢) السيرة النبوية ٢/ ٢٩٩.

قال أخوه مصعب لأبي اليسر وهو الذي أسره ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي. فقال له مصعب: أنه أخي دونك، فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشيّ فقيل لها أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها. انتهى.

وقال الطبري^(١): وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي، فقال رسول الله (ص) إن له ابناً تاجراً كيتساً ذا مال، وكأنكم به قد جاءكم في فداء أبيه. قال: فلما قالت قريش: لا تعجلوا في فداء أسرائكم لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه، قال المطلب بن أبي وداعة: صدقتم لا تعجلوا بفداء أسرائكم. ثم انسلّ من الليل فقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، ثم انطلق به، ثم بعثت قريش في فداء الأسارى، فقدم مكرز بن حفص في فداء سهيل ابن عمرو، فلما قاوهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم قالوا: هات الذي لنا. قال: اجعلوا أرجلي مكان رجله وخلّوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه. قال: فخلّوا سبيله وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم.

قال ابن هشام^(٢): وقال ابن إسحاق: فكان ممن سمي لنا من الأسارى ممن منّ عليه رسول الله (ص) بغير فداء أبو العاص بن الربيع، منّ عليه رسول الله (ص) بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله بفدائه، والمطلب بن حنطب بن الحرث وكان لبعض بني الحارث بن الخزرج فترك في أيديهم حتى خلّوا سبيله فلحق بقومه، وصفي بن أبي رفاعه ترك في أيدي أصحابه فلم يأت أحد في فدائه وأخذوا عليه ليعتنّ إليهم بفدائه فخلّوا سبيله فلم يف بشيء، وأبو عزة عمرو بن عبدالله وكان محتاجاً ذابنات فكلم رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال وائي لذو حاجة وذو عيال فامنن عليّ، فنّ عليه رسول الله (ص) وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه، فقال أبو عزة في ذلك يمدح رسول الله ويذكر فضله في قومه:

ومن مبلغ عني الرسول محمداً بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيد

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٦٤.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ٣١٤.

التنبيهات

وينبغي التنبيه على أمور ذكرها القوم:

(الأول) ما رواه محمد بن سعد^(١) بإسناده عن عطاء بن أبي رباح أن رسول الله (ص)

صلى على قتلى بدر.

(الثاني) قال الواقدي: فجميع من يُحصى قتله تسعة وأربعون رجلاً، منهم من قتله أمير

المؤمنين علي وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً، انتهى. هذا على ما اختاره الواقدي،

وعلى المشهور كان القتلى سبعين رجلاً، وكان عدد من قتله منهم علي بن أبي طالب عليه السلام أو

شرك في قتله قريباً من النصف.

(الثالث) قال ابن الأثير^(٢): ورد رسول الله (ص) جماعة استصغروهم، منهم عبدالله بن

عمر، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وزيد بن ثابت، وأسيد بن ظهير... الخ.

في العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٣، ص ٢٨٢) الطبعة الأولى قال في باب احتجاج

المأمون على الفقهاء في فضل علي عليه السلام قال لأبي إسحاق: فكم قتلى بدر. إلى أن قال: فكم قتلى

علي وحده؟ قال: لا أدري. قال المأمون: ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين، والأربعون

لسائر الناس... الخ.

(الرابع) روى الطبري^(٣) بإسناده عن ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه قال:

ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمت بكم. ثم

قال: وكان الأسود بن عبد يغوث قد أُصيب له ثلاثة من ولده زمعة بن الأسود وعقيل بن

الأسود والحارث بن الأسود، وكان يُحب أن يبكي على بنيه، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من

الليل، فقال لغلام له وقد ذهب بصره: أنظر هل أجلُّ النحب، هل بكت قريش على قتلاها،

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٢٧.

(٢) الكامل ٢ / ١٣٦.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٦٣.

لعلّي أبكي على أبي حكيمة - يعني زمعة - فإن جوفي قد احترق؟ قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما امرأة تبكي على بعير لها أضلته.

وقال الواقدي^(١): ولما رجعت قريش الى مكة قام فيهم أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم ولا تنوح عليهم نائحة ولا يبكيهم شاعر، وأظهروا الجلد والعزاء، فإنكم إذا نُحتم عليهم وبكىتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم ذلك عن عداوة محمد وأصحابه، مع أنه إن بلغ محمداً وأصحابه شتمتوا بكم، فيكون أعظم المصيبتين شماتهم ولعلكم تدركون ثاركم، فالدهن والنساء عليّ حرام حتى أغزو محمداً. فكثت قريش شهراً لا يبكيهم شاعر ولا تنوح نائحة، فلما قدم بالأسرى أذلّ الله بذلك رقاب المشركين والمنافقين واليهود، ولم يبق بالمدينة يهودي ولا منافق إلا خضع عنقه لوقعة بدر، فقال عبدالله بن نبتل: ليت أنا كنا خرجنا معه حتى نصيب معه غنيمة، وفرّق الله في صباحها بين الكفر والإيمان، وقالت يهود فيما بينها: هو الذي نجده منعوتاً، والله لا ترفع له رايته بعد اليوم إلا ظهرت. وقال كعب بن الأشرف: بطن الأرض اليوم خير من ظهرها، هؤلاء أشراف الناس وساداتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن قد أصيبوا.

الى أن قال: فناحت قريش على قتلاها شهراً، ولم يبق دار بمكة إلا فيها نوح، وجزّ النساء شعر الرؤوس، وكان يؤتى براحلة الرجل منهم أو بفرسه فتوقف بين أظهرهم فينوحون حولها، وخرجن الى السكك فسترن الستور في الأزقة وقطعن الطرق فخرجن إليها ينحن.

ثم قال: ومشى نساء قريش الى هند بنت عتبة فقلن: ألا تبكين على أبيك وأخيك وعمك وأهل بيتك؟ فقالت: حلفي أنا أبكيهم فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا ونساء بني الخزرج، لا والله حتى أثار محمداً وأصحابه، والدهن عليّ حرام أن أدخل رأسي حتى نغزو محمداً، والله لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبي بكيت، ولكني لا يذهب إلا أن أرى ثأري بعيني من قتل الأحبة. فكثت على حالها لا تقرب الدهن، وما قربت فراش أبي سفيان من يوم حلفت حتى

كانت وقعة أحد، وبلغ نوفل بن معاوية الديلمي وهو في أهله، وقد كان شهد معهم بدرًا أن قريشاً بكت على قتلاها، فقدم فقال: يا معشر قريش لقد خفت أحلامكم وسفه رأيكم وأطعمتم نساءكم ومثل قتلاكم يُبكي عليهم، هم أجلّ من البكاء، مع أنّ ذلك يذهب غيظكم عن عداوة محمد وأصحابه، فلا ينبغي أن يذهب الغيظ عنكم إلا أن تدركوا ثاركم من عدوكم. فسمع أبو سفيان بن حرب كلامه فقال: يا أبا معاوية غلبت والله، ما ناحت امرأة من بني عبدشمس على قتيل لها إلى اليوم ولا بكاهن شاعر إلا نهيته حتى ندرك ثارنا من محمد وأصحابه... الخ.

(تمة)

قال ابن الأثير^(١): وكان ذو الفقار لمنبه بن الحجاج، وقيل كان للعاص بن منبه، قتله علي (ع) صبراً وأخذ سيفه ذا الفقار، فكان للنبي (ص) فوهبه لعلي. وروى أحمد بن عبدالله الطبري^(٢) عن أبي جعفر محمد بن علي قال: نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان أن: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. خرّجه الحسن بن عرفة العبدي... الخ.

ورواه أيضاً محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كفاية الطالب^(٣). وروى أيضاً عن ابن عباس أنه قال: كان علي عليه السلام أخذ راية رسول الله (ص) يوم بدر، فقال الحكم يوم بدر والمشاهد كلها، أخرجه أحمد في المناقب^(٤). الخ. وقال الطبري^(٥): ثم أقام رسول (ص) بالمدينة منصرفه من بدر، وكان قد وادع حين قدم

(١) الكامل ٢ / ١٣٧.

(٢) ذخائر العقبى ص ٧٤.

(٣) كفاية الطالب ص ٢٧٧.

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٧٢.

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٤٧٩.

المدينة يهودها على أن لا يعينوا عليه أحداً وإن دهم بها عدو نصره، فلما قتل رسول الله (ص) من قتل بيد من مشركي قريش أظهروا له الحسد والبغي وقالوا: لم يلق محمد من يُحسِن القتال، ولو لقينا لاقى عندنا قتالاً لا يشبه قتال أحد. وأظهروا نقض العهد. أقول: ثم كان بعد وقعة بدر سرية عمير بن عدي على ما رواه الواقدي^(١) ومحمد بن سعد.

بقية سرايا النبي ﷺ

سرية عمير بن عدي الى عصماء

قال محمد بن سعد^(١): ثم سرية عمير بن عدي بن خرشة الخطمي الى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد، لخمس ليال بقين من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله (ص)، وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تعيب الإسلام وتؤذي النبي وتحرض عليه وتقول الشعر، فجاءها عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحوها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه في صدرها، فجسها بيده وكان ضرير البصر ونحى الصبي عنها ووضع سيفه في صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم صلى الصبح مع النبي (ص) بالمدينة، فقال له رسول الله: أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم، فهل عليّ في ذلك من شيء؟ فقال (ص): لا ينتطح فيها عزان. فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله (ص)، وسمّاه رسول الله عمير البصير. انتهى.

وقال الحلبي^(٢): لا ينتطح فيها عزان، أي الأمر في قتلها حين لا يعارض فيه معارض، وهذه الكلمة من جملة الكلمات التي لم تسمع إلا من النبي (ص) ... الخ.

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٢٧.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ١٥٨.

سرية سالم بن عمير الى أبي عفك اليهودي

ثم سرية سالم بن عمير العمري الى أبي عفك اليهودي في شوال على رأس عشرين شهراً من مهاجر رسول الله (ص)، وكان أبو عَفَك من بني عمرو بن عوف شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يهودياً، وكان يحرض على رسول الله (ص) ويقول الشعر، فقال سالم بن عمير وهو أحد البكّائين وقد شهد بدرأ: عليّ نذر أن أقتل أبا عَفَك أو أموت دونه، فأمهّل يطلب له غرّة حتى كانت ليلة صائقة أي حارة، فنام أبو عَفَك بالفناء وعلم به سالم بن عمير، فأقبل فوضع السيف على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش وصاح: عدو الله، فثاب إليه ناس ممن كان على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه.

غزوة بني قينقاع

قال ابن الأثير^(١): لما عاد رسول الله (ص) من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله عليه وبغوا ونقضوا العهد، وكان وادعهم حين قدم المدينة مهاجراً، فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بني قينقاع فقال لهم: احذروا ما نزل بقريش واسلموا، فأنكم قد عرفتم أنّي نبيّ مرسل. فقالوا: يا محمد لا يغرّك أنّك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه، فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم إذ جاءت امرأة مسلمة الى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حليّها، فجاء رجل منهم فخل درعها الى ظهرها وهي لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها، فضحكوا منها، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله، «فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سؤتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله هكذا نقله ابن هشام في السيرة (٣ / ٥١)». ونبذوا العهد الى رسول الله (ص) وتحصّنوا في

حصونهم فغزاهم رسول الله (ص) وحاصرهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا على حكمه فكتفوا وهو يريد قتلهم، وكانوا حلفاء الخزرج، فقام إليه عبدالله بن أبي بن سلول فكلّمه فيهم فلم يجبه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله (ص) فرأى الغضب في وجه رسول الله (ص) فقال: ويحك أرسلني. فقال: لا أرسلك حتّى تحسن الى موالىّ أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، واني والله لأخشى الدوائر. فقال النبي (ص): هم لك، خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): ثم غزوة رسول الله (ص) بني قينقاع يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من مهاجر رسول الله (ص) وكانوا قوماً من يهود حلفاء لعبدالله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع اليهود، وكانوا صاغّة، فولدعوا النبي (ص)، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد والمرّة، فأنزل الله على نبيّه (ص) ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾ فقال رسول الله (ص): اني أخاف بني قينقاع، فسار إليهم بهذه الآيّة، وكان الذي حمل لواءه يومئذ حمزة بن عبدالمطلب، وكان لواء رسول الله (ص) أبيض ولم تكن الرايات يومئذ، واستخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبدالمنذر العمري، ثم سار إليهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة الى هلال ذي القعدة، فكانوا أول من غدر من اليهود وحاربوا وتحصّنوا في حصنهم، فحاصرهم أشدّ الحصار حتّى قذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله (ص) أن لرسول الله أموالهم وانّ لهم النساء والذرية، فأمر بهم فكتفوا، واستعمل رسول الله (ص) على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي من بني السلم رهط سعد بن خيثمة، فكلّم فيهم عبدالله بن أبي رسول الله (ص) وألح عليه، فقال: خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم. وتركهم من القتل وأمر بهم أن يجلوا من المدينة، وولّى إخراجهم منها عبادة بن الصامت، فلحقوا بأزرعات، فما كان أقلّ بقائهم بها، وأخذ رسول الله (ص) من سلاحهم ثلاث قسي، قوساً تدعى الكتوم كسرت بأحد، وقوساً تدعى

(١) الطبقات لابن سعد ٢/ ٢٨.

الروحاء، وقوساً تدعى البيضاء، وأخذ درعين من سلاحهم، درعاً يقال لها الضغدية وأخرى فضة، وثلاثة أسياف سيف قلعي، وسيف يقال له تبار، وسيف آخر، وثلاثة أرماع، ووجدوا في حصنهم سلاحاً كثيراً وآلة الصياغة، فأخذ رسول الله (ص) صفيته والخمس وفض أربعة أخماس على أصحابه فكان أول خمس خمس بعد بدر، وكان الذي ولي قبض أموالهم محمد بن مسلمة، انتهى.

غزوة بني سليم

قال ابن هشام^(١): قال ابن إسحاق: فلما قدم (ص) المدينة لم يبق بها إلا سبع ليال غزا بنفسه يريد بني سليم... الخ.

وقال الطبري^(٢): لما قدم رسول الله (ص) من بدر إلى المدينة - وكان فراغه من بدر في عقب شهر رمضان أو في أول شوال لم يبق بالمدينة إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم، حتى بلغ ماءً من مياههم يقال له الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، فأقام بها بقية شوال وذي القعدة وفدى في إقامته تلك جُلُّ الأسارى من قريش... الخ.

وقال ابن الأثير^(٣): قال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة اثنتين، وقال الواقدي: كانت في المحرم سنة ثلاث، وكان قد بلغ النبي (ص) اجتماع بني سليم على ماء لهم يقال له الكدر، فسار رسول الله إلى الكدر فلم يلق كيداً، وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وعاد معه النعم والرعاء، وكان قدومه في قول لعشر ليال مضين من شوال، وبعد قدومه أرسل غالب بن عبد الله الليثي في سرية إلى بني سليم وغطفان، فقتلوا فيهم وغنموا النعم واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر، وعادوا منتصف شوال... الخ.

(١) السيرة النبوية ٤٦/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٢/٢.

(٣) الكامل ١٣٩/٢.

غزوة قرقر (قرارة) الكدر

قال محمد بن سعد^(١): ثم غزوة رسول الله (ص) قرقر الكدر، ويقال قرارة الكدر، للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مهاجره (ص)، وهي بناحية معدن بني سليم قريب من الأرحضية، وكان الذي حمل لواءه علي بن أبي طالب... الخ.

غزوة السويق

روى الطبري^(٢) عن ابن إسحاق قال: لما رجع رسول الله (ص) من غزوة الكدر الى المدينة أقام بها بقيّة شوال من سنة اثنتين من الهجرة وذا القعدة، ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة.

وقال ابن الأثير^(٣): كان أبو سفيان قد نذر بعد بدر أن لا يمّس رأسه ماء من جنابة حتّى يغزو محمداً، فخرج في مأتي راكب من قريش ليبرّ يمينه، حتّى جاء المدينة ليلاً واجتمع بالسلام بن مشكم سيد النضير، فعلم منه خبر الناس، ثم خرج في ليلته، فبعث رجالاً من قريش الى المدينة فأتوا العريض فحرّقوا في نخلها وقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له واسم الأنصاري معبد بن عمرو، وعادوا ورأى أن قد برّ في يمينه، وجاء الصريح فركب رسول الله (ص) وأصحابه فأعجزهم، وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرب السويق يتخففوا بها للنجاء، وكان ذلك عامّة زادهم، فلذلك سمّيت غزوة السويق. ولما رجع رسول الله (ص) والمسلمون قالوا: يا رسول الله أنطمع أن يكون لنا غزوة؟ قال: نعم. الخ.

وقال محمد بن سعد^(٤): خرج رسول الله (ص) يوم الأحد لخمس خلون من ذي الحجة

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٣١.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٨٣.

(٣) الكامل ٢ / ١٢٩.

(٤) الطبقات لابن سعد ٢ / ٣٠.

على رأس اثنين وعشرين شهراً من مهاجره. الى أن قال: فلما كان بالسحر خرج أبو سفيان ابن حرب، فرّ بالعريض وبينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال، فقتل به رجلاً من الأنصار وأجيراً له وحرقت أبياتاً هناك وتبنأ، ورأى أن يمينه قد حلت، ثم ولّى هارباً، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فندب أصحابه وخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم يطلبهم. الى أن قال: وانصرف رسول الله (ص) الى المدينة وكان غاب خمسة أيام.

غزوة غطفان بنجد

قال ابن هشام^(١): فلما رجع رسول الله (ص) من غزوة السوق أقام بالمدينة بقرية ذي الحجة أو قريباً منها، ثم غزا نجداً يريد غطفان وهي غزوة ذي أمر... الخ. وقال الطبري^(٢): أقام بالمدينة بقرية ذي الحجة والمحرم أو قريباً منه، ثم غزا نجداً يريد غطفان، وهي غزوة ذي أمر، فأقام بنجد صفاً كله أو قريباً من ذلك، ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيداً.

وقال محمد بن سعد^(٣): ثم غزوة رسول الله (ص) غطفان الى نجد، وهي ذو أمر ناحية النخيل في شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من مهاجره (ص)، وذلك أنه بلغ رسول الله (ص) أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب بذي أمر قد تجمّعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله، جمعهم رجل منهم يقال له دعثور بن الحارث من بني محارب، فندب رسول الله (ص) المسلمين، وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمئة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، فأصابوا رجلاً منهم بذي القصة يقال له جبّار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله (ص) فأخبره من خبرهم وقال: لن يلاقوك لو سمعوا بمسيرك هربوا في رؤوس الجبال وأنا سائر معك، فدعاه رسول

(١) السيرة النبوية ٤٩/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٧/٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٣٤/٢.

الله (ص) الى الإسلام فأسلم، وضمّه رسول الله الى بلال، ولم يلاق رسول الله أحداً إلا أنه ينظر إليهم في رؤوس الجبال، وأصاب رسول الله (ص) وأصحابه مطر، فنزع رسول الله ثوبيه ونشرهما ليَجفًا وألقاهما على شجرة واضطجع فجاء رجل من العدو يقال له دعثور بن الحارث ومعه سيف حتى قام على رأس رسول الله (ص)، ثم قال: من يمنعك مني اليوم؟ قال رسول الله: (الله)، ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده، فأخذه رسول الله (ص) وقال له: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الإسلام، ونزلت هذه الآية فيه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ﴿ الْآيَةَ، ثم أقبل رسول الله (ص) الى المدينة ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

غزوة بني سليم ببحران

ثم غزوة رسول الله (ص) بني سليم ببحران لستّ خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً من مهاجره (ص) - وبحران بناحية الفرع وبين الفرع والمدينة ثمانية بُرْد -، وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً من بني سليم كثير، فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وأغذّ السير حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرّقوا في مياهم، فرجع ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليال، انتهى.

سرية قتل كعب بن الأشرف اليهودي

قال ابن الأثير^(١): وفي هذه السنة - يعني السنة الثالثة من الهجرة - قُتل كعب بن الأشرف وهو أحد بني نهبان من طي، وكانت أمه من بني النضير، وكان قد كَبُرَ عليه قتل من قتل ببدر من قريش، فسار الى مكة وحرّض على رسول الله (ص) وبكى على أصحاب بدر، وكان

يشيب بنساء المسلمين (أي يذكر محاسنهن بالشعر) حتى آذاهم، فلما عاد الى المدينة قال رسول الله (ص): من لي من ابن الأشرف ... الخ.

قال محمد بن سعد^(١): ثم سرية قتل كعب بن الأشرف اليهودي، وذلك لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من مهاجر رسول الله (ص)، وكان سبب قتله أنه كان رجلاً شاعراً يهجو النبي وأصحابه ويحرّض عليهم ويؤذيهم، فلما كان وقعة بدر كبت وذلل وقال: بطن الأرض خير من ظهرها اليوم، فخرج حتى قدم مكة، فبكى قتلى قريش وحرّضهم بالشعر، ثم قدم المدينة فقال رسول الله (ص): اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت وإعلانه الشرّ وقوله الأشعار، وقال أيضاً: من لي بابن الأشرف فقد آذاني. فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله وأنا أقتله. فقال: افعل وشاور سعد بن معاذ في أمره، واجتمع محمد بن مسلمة ونفر من الأوس منهم عباد بن بشر وأبو نائلة سلكان بن سلامة والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن خبير، فقالوا: يا رسول الله نحن نقتله فأذن لنا فلنقل. فقال: قولوا، وكان أبو نائلة أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، فخرج إليه فأنكره كعب وذعّر منه، فقال أبو نائلة: إنما جئت أخبرك أنّ قدوم هذا الرجل كان علينا من البلاء، حاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، ونحن نريد التنحي منه ومعني رجال من قومي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فنبتاع منك طعاماً وتمراً ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة. فسكن الى قوله وقال: جيء بهم متى شئت، فخرج من عنده على ميعاد، فأتى أصحابه فأخبرهم وأجمعوا أمرهم على أن يأتوه إذا أمسى، ثم أتوا رسول الله (ص) فأخبروه، فشى معهم حتى أتى البقيع، ثم وجههم وقال: امضوا على بركة الله وعونه، وكان في ليلة مُقمرة، فمضوا حتى انتهوا الى حصنه، فهتف له أبو نائلة فوثب فأخذت امرأته بملحفته وقالت أني تذهب أنك رجل محارب وكان حديث عهد بعرس. قال: ميعاد عليّ، وإنما هو أخي أبو نائلة، وضرب بيده الملحفة وقال: لو دُعي الفتى لطننة أجاب. ثم نزل إليهم، فحادثوه ساعة حتى

انبسط إليهم وأنس بهم، ثم أدخل أبو نائلة يده في شعره وأخذ بقرون رأسه وقال لأصحابه: اقتلوا عدو الله، فضربوه بأسيا فهم، فالتفت عليه فلم تغن شيئاً ورد بعضها بعضاً ولصق بأبي نائلة.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً كان في سيفي، فانتزعت فوضعت في سرته ثم تحاملت عليه فقططته حتى انتهى إلى عانته، فصاح عدو الله صيحة ما بقي أطم من أطام يهود إلا أوقدت عليه ناراً، ثم جزوا رأسه وحملوه معهم، فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام رسول الله (ص) تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر (ص) وعرف أن قد قتلوه ثم انتهوا إلى رسول الله وقال: أفلحت الوجوه. فقالوا: ووجهك يا رسول الله، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله، فلما أصبح قال: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه. فخافت اليهود ولم يطلع منهم أحد ولم ينطقوا، وخافوا أن يبيتوا كما بيت ابن الأشرف.

ثم روى بإسناده عن عكرمة أنه أشرف عليهم، فكلّموه وقال: ما ترهنون عندي، أترهنونني أبناءكم، وأراد أن يسلفهم تمراً قالوا: أنا نستحي أن نغير أبناءنا فيقال: هذا رهينة وسق، وهذا رهينة وسقين. قال: فترهنونني نساءكم؟ قالوا: أنت أجمل الناس ولا نأمنك، وأي امرأة تمنع منك لجمالك، ولكننا نرهنك سلاحنا وقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم. قال: نعم إيتوني بسلاحكم واحتملوا ما شئتم. قالوا: فانزل إلينا نأخذ عليك وتأخذ علينا، فذهب ينزل فتعلقت به امرأته وقالت: أرسل إلى أمثالهم من قومك يكونوا معك. قال: لو وجدوني هؤلاء نائماً ما أيقظوني. قالت: فكلّمهم من فوق البيت، فأبى عليها فنزل إليهم يفوح ريحه، فقالوا: ما هذه الريح يا فلان؟ قال: عطر أم فلان، لامراته، فدنا بعضهم يشتم رأسه ثم اعتنقه وقال: اقتلوا عدو الله فطعنه أبو عبس في خصرته وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف، فقتلوه ثم رجعوا، فأصبحت اليهود مذعورين، فجاؤا النبي (ص) وقالوا: قتل سيدنا غيلة، فذكرهم النبي صنيعة وما كان يحضّ عليهم ويحرّض في قتالهم ويؤذيمهم، ثم دعاهم إلى أن يكتبوا بينه وبينهم صلحاً، أحسبه قال: وكان ذلك الكتاب مع علي (ع) بعد.

وقال ابن الأثير^(١): فلما انتهوا الى حصن كعب هتف به أبو نائلة وكان كعب قريب عهد بعرس، فوثب إليه وعليه ملحفة وتحذثوا ساعة، وسار معهم الى شعب العجوز، ثم ان أبانائلة أخذ برأس كعب وشتم بيده وقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعرف قط. ثم مشى ساعة وعاد لمثلها حتى اطمأن كعب، ثم مشى ساعة وأخذ بفود رأسه ثم قال: اضربوا عدو الله. الى أن قال: وقد صاح صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، ووقع عدو الله. الى أن قال: وقد أصيب الحرث بن أوس بن معاذ، أصابه بعض أسيفنا. قال: فخرجنا على بُغات وقد أبطأ علينا صاحبنا، فوقفنا له ساعة وقد نزفه الدم، ثم أتانا فاحتملناه وجئنا به الى النبي (ص) فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا وعُدنا الى أهلينا، فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه.

قال: وقال رسول الله (ص): من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنيته اليهودي فقتله، فقال له أخوه حويصة وهو مشرك: يا عدو الله قتلته، أما والله لرب شحم في بطنك من ماله وضربه، فقال محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك. قال: فوالله أن كان لأول إسلام حويصة، فقال ان ديناً بلغ بك ما أرى لعجب، ثم أسلم.

سرية زيد بن حارثة الى القردة

قال محمد بن سعد^(٢): ثم سرية زيد بن حارثة الى القردة، وكانت لهلالي جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهراً من مهاجر رسول الله (ص)، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً. والقردة من أرض نجد بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق، بعثه رسول الله (ص) يعترض لعير قريش فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعبدالله بن أبي ربيعة، ومعه مال كثير نقر وآنية فضة وزن ثلاثين ألف درهم، وكان دليلهم فرات بن حيان العجلي،

(١) الكامل ٢ / ١٤٤.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ / ٣٦.

فخرج بهم على ذات عرق طريق العراق، فبلغ رسول الله (ص) أمرهم، فوجه زيد بن حارثة في مائة راكب فاعترضوا لها، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم، وقدموا بالعير على رسول الله (ص) فخمسها فبلغ الخمس فيه عشرين ألف درهم، وقسم ما بقي على أهل السرية، وأسر فرات بن حيان فأتي به الى النبي (ص)، فقيل له: إن تسلم تترك، فأسلم فتركه رسول الله (ص) من القتل، انتهى.

سرية قتل سلام بن أبي الحقيق اليهودي

قال ابن الأثير^(١): وفي هذه السنة - يعني السنة الثالثة من الهجرة - في جمادى الآخرة قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي، وكان يظهر كعب بن الأشرف على رسول الله (ص)، فلما قتل كعب بن الأشرف وكان قتلته من الأوس قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها علينا عند رسول الله (ص)، وكانا يتصاولان تصاول الفحلين، فتذاكر الخزرج من يعادي رسول الله (ص) كابن الأشرف، فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله (ص) في قتله فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج عبدالله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبدالله بن أنيس وأبو قتادة وخزاعي بن الأسود حليف لهم، وأمر عليهم عبدالله بن عتيك، فخرجوا حتى قدموا خيبر، فأتوا دار أبي رافع ليلاً فلم يدعوا باباً في الدار إلا أغلقوه على أهله، وكان في عليته، فاستأذنوا عليه فخرجت امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: نفر من العرب يلتمسون الميرة. قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه، فلما دخلوا أغلقوا باب العلية ووجدوه في فراشه وابتدروه، فصاحت المرأة فجعل الرجل منهم يريد قتلها فيذكر نهي النبي (ص) إياهم عن قتل النساء والصبيان فيمسك عنها، وضربوه بأسيا ففهم، وتحامل عليه عبدالله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، ثم خرجوا من عنده. وكان عبدالله بن عتيك سيء البصر، فوقع من الدرجة فوثت رجله وثناءً شديداً، فاحتملوه واختفوا وطلبهم يهود في كل وجه فلم يروه،

فرجعوا الى صاحبهم، فقال المسلمون: كيف نعلم عدو الله قد مات. فعاد بعضهم ودخل في الناس، فرأى الناس حوله وهو يقول: قد عرفت صوت ابن عتيك ثم قلت: أين ابن عتيك. ثم صاحت امرأته وقالت: مات والله. قال: وما سمعت كلمة ألدُّ الى نفسي منها. ثم عاد الى أصحابه وأخبرهم الخبر، وسمع صوت الناعي يقول: أنعى أبي رافع تاجر أهل الحجاز، وساروا حتى قدموا على النبي (ص) واختلفوا في قتله، فقال رسول الله: هاتوا أسيافكم، فجاؤا بها فنظر إليها فقال لسيف عبدالله بن أنيس: هذا قتله أرى فيه أثر الطعام.

وقيل في قتله: ان رسول الله (ص) بعث الى أبي رافع اليهودي وكان بأرض الحجاز رجالاً من الأنصار، وأمر عليهم عبدالله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله (ص)، فلما دنوا منه غربت الشمس وراح الناس أسرجتهم، فقال عبدالله بن عتيك لأصحابه: أقيموا مكانكم فإني أنطلق وأتلف للبواب لعلِّي أدخل. فانطلق فأقبل حتى دنا من الباب، فتقنّع بثوبه كأنه يقضي حاجته، فهتف به البواب: إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب، فدخل وأغلق الباب وعلّق المفاتيح على وتد. قال: فقامت فأخذتها ففتحت بها الباب. وكان أبو رافع يُسمر عنده في علائ له، فلما أراد النوم ذهب عنه السمار، فصعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقته عليّ من داخل فقلت: إن علموا بي لم يخلصوا اليّ حتى أقتله. قال: فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو، فقلت: أبا رافع. قال: من هذا. فأهويت نحو الصوت، فضربته ضربة بالسيف وأنا دهش، فما أغنى عني شيئاً وصاح، فخرجت من البيت غير بعيد، ثم دخلت عليه فقلت: ما هذا الصوت. قال: لأمك الويل ان رجلاً في البيت ضربني بالسيف. قال: فضربته فأثخنه فلم أقتله، ثم وضعت حدّ السيف في بطنه حتى أخرجته من ظهره، فعرفت أنّي قتلته، فجعلت أفتح الأبواب وأخرج حتى انتهيت الى درجة، فوضعت رجلي وأنا أظن أنّي انتهيت الى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة وانكسرت ساقى، فعصبتها بعمامتي وجلست عند الباب، فقلت: والله لا أبرح حتى أعلم أقتلته أم لا. فلما صاح الديك قام الناعي فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت الى أصحابي فقلت: النجاء قد قتل الله أبا رافع، فانتهيت الى النبي (ص) فحدّثته فقال: ابسط

رجلك، فبسطتها فسحها فكأنني لم أشتكها قط. قيل: كان قتل أبي رافع في ذي الحجة سنة أربع من الهجرة، انتهى.

وقعة أحد

قال ابن الأثير^(١): وفي السنة الثالثة من الهجرة في شوال لسبع خلون منه كانت وقعة أحد، وقيل للنصف منه، وكان الذي أهاجها وقعة بدر، فإنه لما أصيب من المشركين من أصيب ببدر مشى عبدالله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهم ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بها، فكلموا أبا سفيان ومن كان له في تلك العير تجارة وسألوهم أن يعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله (ص) ليدركوا ثارهم منهم، ففعلوا وتجهز الناس وأرسلوا أربعة نفر - وهم عمرو بن العاص وهبيرة بن أبي وهب وابن أبي الزبير وأبو عزة الجمحي - فساروا في العرب ليستنفروهم، فجمعوا جمعاً من ثقيف وكنانة وغيرهم، واجتمعت قريش بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وتهامة، ودعا جبير بن مطعم غلامه وحشي بن حرب، وكان حبشياً يقذف بالحربة قلماً يخطيء، فقال له: أخرج مع الناس فإن قتلت عمّ محمد بعثي طعيمة بن عدي فأنت عتيق. وخرجوا معهم بالظعن لثلاث يافروا، وكان أبو سفيان قائد الناس، فخرج بزوجته... الخ.

قال ابن كثير^(٢): وكانت هذه الوقعة في شوال سنة ثلاث، قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك، وقال ابن إسحاق للنصف من شوال، وقال قتادة يوم السبت

(١) الكامل ١٤٨/٢.

(٢) السيرة النبوية ١٨/٣.

الحادي عشر منه ، قال مالك : كانت الواقعة في أول النهار ، وهي على المشهور التي أنزل الله فيها ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ الخ .

وقال الواقدي^(١) : قالوا لما رجع من حضر بدرًا من المشركين الى مكة والعيير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة وكذلك كانوا يصنعون فلم يُحرّكها أبو سفيان ولم يُفرّقها لغيبة أهل العير ، مشت أشراف قريش إلى أبي سفيان بن حرب فقالوا : يا أبا سفيان أنظر هذا العير التي قدمت بها فاحتبستها ، فقد عرفت أنها أموال أهل مكة ولطيمة قريش وهم طيّبوا أنفس تجهزون بهذه العير جيشاً كثيفاً الى محمد ، وقد ترى من قتل من آبائنا وأبنائنا وعشائرننا . قال أبو سفيان : وقد طابت أنفس قريش بذلك ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبدمناف معي ، فإننا والله الموتور الثائر ، قد قتل ابني حنظلة ببدر وأشراف قومي ، فلم تزل العير موقوفة حتى تجهّزوا للخروج الى أحد فباعوها ... الخ .

وقال محمد بن سعد^(٢) : لما رجع من حضر بدرًا من المشركين الى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة ، فشت أشراف قريش إلى أبي سفيان فقالوا : نحن طيّبوا أنفس أن تجهّزوا بربح هذه العير جيشاً الى محمد . فقال أبو سفيان : وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبدمناف معي ، فباعوها فصارت ذهباً ، فكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار ، فسلم الى أهل العير رؤوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم ، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً ، وفيهم نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية . وبعثوا رسلهم يسيرون في العرب يدعونهم إلى نصرهم ، فأوعبوا وتآلب من كان معهم من العرب ، وحضروا فأجمعوا على إخراج الظعن - يعني النساء - معهم ليذكرنهم قتلى بدر فيحفظنهم فيكون أحدّ لهم في القتال ، وكتب العباس بن عبدالمطلب بخبرهم كله الى رسول الله (ص) ، فأخبر رسول الله سعد بن الربيع بكتاب العباس وأرجف المناقون واليهود بالمدينة ... الخ .

(١) المغازي ١ / ١٩٩ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٦ .

وقال الطبري^(١): وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد منَّ عليه رسول الله (ص) يوم بدر، وكان فقيراً ذابنات، وكان في الأسارى، فقال: يا رسول الله اني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها، فامنن عليَّ صلى الله عليك. فمنَّ عليه رسول الله (ص)، فقال صفوان بن أمية: يا أبا عزة أنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك فاخرج معنا. فقال: ان محمداً قد منَّ عليَّ فلا أريد أن أظهر عليه. فقال: بلى فأعنا بنفسك فلك الله إذا رجعت أن أغنيك، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر. فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة، وخرج سافع بن عبد مناف بن وهب الى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم الى حرب رسول الله (ص).

وقال ابن هشام^(٢): فخرجت قريش بمجدها وجدّها وأحايبشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وأن لا يفرّوا، فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس معه هند ابنة عتبة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأمر حكيم. الى أن قال: فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة، فلما سمع بهم رسول الله (ص) والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا، قال رسول الله للمسلمين: اني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقرأ تذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت اني أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها بالمدينة. ثم قال: قال (ص): فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل... الخ.

وقال الواقدي^(٣): ثم قال (ص): أيها الناس اني رأيت في منامي رؤياً، رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت سيفي ذا الفقار انفصم من عند ظبته، ورأيت بقرأ تذبح، ورأيت كأني مردف كبشاً. فقال الناس: يا رسول الله فما أولتها؟ قال: أما الدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها، وأما انفصام سيفي من ظبته فمصيبة في نفسي، وأما البقر المذبوح فقتلى في أصحابي، وأما

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٥٠٠.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٦٥.

(٣) المغازي ١ / ٢٠٩.

مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إنشاء الله ... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): ورأى رسول الله (ص) تلك الليلة وكانت ليلة الجمعة كأنه في درع حصينة، وكان سيفه ذا الفقار قد انفصم من عند ظبته، وكان بقرأ تذبج، وكأنه مردف كبشاً، فأخبر بها أصحابه وأولها. الى أن قال: وكان رأي رسول الله (ص) أن لا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا، فأحب أن يوافق على مثل رأيه ... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): فلما أخبرهم برؤياه قالوا: يا رسول الله ماذا أولت رؤياك؟ قال: أولت البقر الذي رأيت بقر فينا وفي القوم، وكرهت ما رأيت بسيفي، ويقول رجال: كان الذي رأى بسيفه الذي أصاب وجهه فإن العدو أصاب وجهه يومئذ وقصموا رباعيته وخرقوا شفته، يزعمون ان الذي رماه عتبة بن أبي وقاص، وكان البقر من قتل المسلمين يومئذ، وقال (ص): وأولت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله الله، وأولت الدرع الحصينة المدينة، فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام، فإن دخل علينا القوم في الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت، وكانوا قد سکوا أزقة المدينة بالبنيان حتى صارت كالحصن، فقال الذين لم يشهدوا بدرأ: كُنَّا نتمنى هذا اليوم وندعوا الله فقد ساقه الله إلينا وقرب المسير. وقال رجل من الأنصار: متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شعبنا، وقال رجال: ماذا نمنع إذا لم تمنع الحرب بروع، وقال رجال قولاً صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة بن عبدالمطلب قال: والذي أنزل عليك الكتاب لنجادلنهم، وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة وهو أحد بني سالم: يا نبي الله لا تُحرمنا الجنة فوالذي نفسي بيده لأدخلنها. فقال رسول الله (ص): بم؟ قال: بآتي أحب الله ورسوله ولا أفرّ يوم الزحف. فقال رسول الله: صدقت، واستشهد يومئذ. وأبي كثير من الناس إلا الخروج الى العدو ولم يتناهاوا الى قول رسول الله (ص) ورأيه، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك، ولكن غلب القضاء والقدر، وعمامة من أشار إليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرأ قد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضيلة، فلما صلى رسول الله (ص) الجمعة وعظ

(١) الطبقات لابن سعد ٢ / ٣٧.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٢٣.

الناس وذكّرهم وأمرهم بالجد والجهاد، ثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلامته فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج، فلما رأى ذلك رجال من ذوي الرأي قالوا: أمرنا رسول الله (ص) أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحي من السماء. فقالوا: يا رسول الله امكث كما أمرتنا. فقال: لا ينبغي لني إذا أخذ لامة الحرب وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو، وانظروا ماذا أمركم الله فافعلوا.

قال: فخرج رسول الله (ص) والمسلمون، فسلكوا على البدائع وهم ألف رجل والمشركون ثلاثة آلاف، فضى رسول الله (ص) حتى نزل بأحد، ورجع عنه عبدالله بن أبي ابن سلول في ثلثائة، فبقي رسول الله (ص) في سبعائة.

قال البيهقي: هذا هو المشهور عند أهل المغازي أنهم بقوا في سبعائة مقاتل. قال: والمشهور عن الزهري أنهم بقوا في أربعائة مقاتل، كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن الزهري، وقيل عنه بهذا الإسناد سبعائة، فالله أعلم... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): وخرجت قريش من مكة ومعهم أبو عامر الفاسق، وكان يُسمى قبل ذلك بالراهب في خمسين رجلاً من قومه، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعائة دارع ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير، والظعن خمسة عشرة امرأة، وشاع خبرهم ومسيرهم في الناس حتى نزلوا ذا الحليفة، فبعث رسول الله (ص) عينين له أنساً ومؤنساً ابني فضالة الظنفرين ليلة الخميس لخمس مضي من شوال، فأتيا رسول الله (ص) بخبرهم وأنهم خلّوا إبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه ليس به خضراء، ثم بعث الحباب بن الجموح إليهم أيضاً، فدخل فيهم فحرزهم وجاءه بعلمهم... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): وذكر غير زياد عن محمد بن إسحاق عن الزهري أن الأنصار يوم أحد قالوا لرسول الله (ص): ألا نستعين بمخلفائنا من يهود. فقال: لا حاجة لنا فيهم... الخ.

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٣٧.

(٢) السيرة النبوية ٢/ ٦٨.

وقال محمد بن سعد^(١): قال (ص): لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك ... الخ.
 وقال الطبري^(٢): قال محمد بن عمر الواقدي: انخزل عبدالله بن أبي عن رسول الله (ص) من الشيخين بثلاثمائة وبقي رسول الله (ص) في سبعمائة، وكان المشركون ثلاثة آلاف والخيل مأتي فرس والظعن خمسة عشر امرأة. قال: وكان في المشركين سبعمائة دارع وكان في المسلمين مائة دارع، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان، فرس لرسول الله (ص) وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي، فأدج رسول الله (ص) من الشيخين حين طلعت الحمراء وهي أطمان كان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما فيتحدثان فلذلك سُميا الشيخين، وهو في طرف المدينة.

قال: وعرض رسول الله (ص) المقاتلة بالشيخين بعد المغرب فأجاز من أجاز وردّ من ردّ. قال: وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت وابن عمر وأسيد بن ظهير والبراء بن عازب وعرابة بن أوس. ثم قال: وردّ أبا سعيد الخدري وأجاز سمرة بن جندب ورافع بن خديج، وكان رسول الله (ص) قد استصغر رافعاً، فقام على خفين له فيها رقاع وتناول على أطراف أصابعه، فلما رآه رسول الله (ص) أجازته.

وقال الواقدي^(٣): ومضى رسول الله (ص)، فبينما هو في مسيره إذ ذبّ فرس أبي بردة بن نيار بذنبه فأصاب كلاب سيفه فسلّ سيفه، فقال رسول الله (ص): يا صاحب السيف شم سيفك فاني أخال السيوف ستسلّ فيكثر سلّها، وكان رسول الله يحبّ الفال ويكره الطيرة، ولبس رسول الله (ص) من الشيخين درعاً واحدة حتى انتهى إلى أحد فلبس درعاً آخر ومغفرة وبيضة فوق المغفر، فلما نهض رسول الله (ص) من الشيخين زحف المشركون على تعبئة حتى انتهوا إلى موضع أرض ابن عامر اليوم فلما انتهى رسول الله (ص) إلى أحد إلى موضع القنطرة اليوم جاء وقد حانت الصلاة وهو يرى المشركين، أمر بلالاً فأذن وقام وصلى

(١) الطبقات لابن سعد ٢ / ٣٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٥٠٤.

(٣) المغازي ١ / ٢١٨.

بأصحابه الصبح ... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): وأقبل (ص) يصف أصحابه ويُسوِّي الصفوف على رجله، وجعل ميمنةً وميسرةً وعليه درعان ومغفر وبيضة، وجعل أحداً خلف ظهره، واستقبل المدينة وجعل عينين جبلاً بقناة عن يساره وجعل عليه خمسين من الرماة واستعمل عليهم عبدالله بن جبير وأوعز إليهم فقال: قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا، فإن رأيتونا قد انتصرنا فلا تشركونا وإن رأيتونا نُقتل فلا تنصرونا. وأقبل المشركون قد صفوا صفوفهم واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ولهم مجنبتان مائتا فرس، وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية ويقال عمرو بن العاص، وعلى الرماة عبدالله بن أبي ربيعة وكانوا مائة رام، ودفعوا اللواء الى طلحة بن أبي طلحة، وسأل رسول الله (ص) من تحمل لواء المشركين؟ قيل: عبدالدار. قال (ص): نحن أحق بالوفاء منهم، أين مصعب بن عمير؟ قال: ها أنا ذا. قال (ص): خذ اللواء. فأخذه مصعب بن عمير فتقدم به بين يدي رسول الله (ص) ... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: كان اللواء أولاً مع علي بن أبي طالب، فلما رأى رسول الله (ص) لواء المشركين مع عبدالدار قال: نحن أحق بالوفاء منهم، فأخذ اللواء من علي بن أبي طالب فدفعه الى مصعب بن عمير، فلما قتل مصعب أعطى اللواء علي بن أبي طالب ... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٣): وعقد (ص) لواء للأوس وجعله بيد أسيد بن حُضير، ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر، وقيل بيد سعد بن عبادة، ولواء للمهاجرين وجعله بيد علي بن أبي طالب، ثم سأل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبي طلحة العبدي، فقال: نحن أحق بالوفاء منهم. فأخذه من علي بن أبي طالب ودفعه الى مصعب بن عمير بن

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٩.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٣٩.

(٣) السيرة النبوية ١ / ٢٣١.

هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار أكبر أولاد قصي، فجعل أبو قصي القيادة واللواء والحجابه والسقاية والرفادة ودار الندوة كلها إليه، ثم اختلف بنو عبدالدار وبنو عبدمناف بعد موت عبدالدار، ثم اتفقوا على أن اللواء والحجابه ودار الندوة لبني عبدالدار والقيادة والسقاية والرفادة لبني عبدمناف، وتقدمت القصة مستوفاةً، ولهذا قال (ص) نحن أحق بالوفاء منهم. وفي شرح الزرقاني على المواهب: أنه لما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله (ص) الراية علياً.

أقول: وبهذا يجمع بين القولين اللذين ذكروهما في حامل لواء النبي (ص) والمهاجرين كالحلبي وابن سعد والكايزوني اليماني وغيرهم، حيث أنهم قالوا: فعقد (ص) ثلاثة ألوية، فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير، ولواء الخزرج إلى الحباب، وقيل إلى سعد بن عباد، ولواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، وقيل إلى مصعب بن عمير. فعلم بذلك أن النبي (ص) أعطاه لواء المهاجرين أولاً في غزوة أحد، ولما سمع أن لواء المشركين كان مع بني عبدالدار أخذه من علي وأعطاه مصعباً، لأن مصعب كان أيضاً من بني عبدالدار، فلذا قال (ص) على ما روي عنه: نحن أحق بالوفاء من المشركين. فلما قتل مصعب أعطاه علياً فرجع اللواء إلى أهله ومحله.

وسياتي أيضاً أن قاتل حامل لواء المشركين وهو طلحة بن أبي طلحة كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان طلحة بن أبي طلحة كبش الكتيبة الذي استبشر النبي (ص) بقتله، وفرح المسلمون وكبروا حين سمعوا قتله، فصار هذا سبباً لقوة قلوب المسلمين وخذلان المشركين، وقد أخبر النبي (ص) بذلك حين سأله عن تعبير رؤياه التي رآه، حيث قال: فكبش الكتيبة يقتله الله إنشاءً الله.

وقال الزيني دحلان^(١): وقد صدق الله رؤياه (ص) فكان الرجل الذي هو من أهل بيته حمزة سيد الشهداء، وقتل علي (ع) طلحة بن عثمان العبدري صاحب لواء المشركين، فهو

صاحب الكتيبة، وكبش القوم سيدهم... الخ.

وقال الواقدي^(١): ودفعوا اللواء الى طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالدار بن قصي، وصاح أبو سفيان يومئذ: يا بني عبدالدار نحن نعرف أنكم أحق باللواء منا، إنما أتينا يوم بدر من اللواء، وإنما يؤتى القوم من قبل لوائهم، فالزموا لواءكم وحافظوا عليه أو خلّوا بيننا وبينه، فإننا قوم مُستमितون موتورون نطلب ثاراً حديث العهد. وجعل أبو سفيان يقول: إذا زالت الألوية فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها. فغضبت بنو عبدالدار وقالوا: نحن نسلم لواءنا؟ لا كان هذا أبداً، فأما محافظةً عليه فستري. ثم أسندوا الرماح إليه، وأحدقت بنو عبدالدار باللواء، وأغلظوا الأبي سفيان بعض الأغلاظ.

الى أن قال: وجعل رسول الله (ص) يمشي على رجله يسوي تلك الصفوف يسوي أصحابه للقتال، يقول تقدّم يا فلان وتأخر يا فلان، حتّى أنّه ليرى منكب الرجل خارجاً فيؤخره، فهو يقومهم كأنما يقوم بهم القداح، حتّى إذا سويت الصفوف سأل: من يحمل لواء المشركين؟ قيل: عبدالدار. قال (ص): نحن أحق بالوفاء منهم، أين مصعب بن عمير؟ قال: ها أنا ذا. قال (ص): خذ اللواء فتقدّم به بين يدي رسول الله.

ثم قام رسول الله (ص) فخطب الناس فقال: يا أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه، ثم أتكم اليوم بمنزلة أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه، ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجّد والنشاط، فإنّ جهاد العدو شديد كرهه قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله له رشده، فإنّ الله مع من أطاعه وإنّ الشيطان مع من عصاه، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم به، فإني حريص على رشدكم، وإنّ الإختلاف والتنازع والتثبّط من أمر العجز والضعف ممّا لا يجب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر. يا أيها الناس جدّد في صدري إنّ من كان على حرام فرّق الله بينه وبين نبيّه، ومن رغب له عنه غفر الله ذنبه، ومن صلّى عليّ صلّى الله عليه

وملائكته عشراً، ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو آجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا صبياً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غنيٌ حميد. ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه، وأنه قد بعث في روعي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في طلب الرزق. ولا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربكم، فإنه لا يقدر على ما عنده إلا بطاعته، قد بين لكم الحلال والحرام، غير أن بينها شبهاً من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عصم، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه، وليس ملك إلا وله حمى، ألا وإن حمى الله عز وجل محارمه، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى عليه سائر جسده. والسلام عليكم... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): فكان أول من أنشب الحرب أبو عامر الفاسق، طلع في خمسين من قومه فنادى: أنا أبو عامر. فقال المسلمون: لا مرحباً بك ولا أهلاً يا فاسق. قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ، ومعه عبيد قريش فتراموا بالحجارة هم والمسلمون، وجعل نساء المشركين يضرين بالاكبار والدفوف والغرايبيل، ويحترضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن:

نحن بنات طارق نمشي على النار
إن تقبلوا نعانق إن تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وقال ابن كثير^(٢): قال ابن إسحاق: وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشام. وقال رسول الله (ص): من يأخذ هذا السيف بحق؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم،

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٤٠.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٣٠.

حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة فقال: وما حقّه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في العدو حتى ينحني. قال: أنا أخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه. هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً.

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد وعثمان، قالا حدّثنا حمّاد وهو ابن سلمة، أخبرنا ثابت عن النبي (ص) أن رسول الله أخذ سيفاً يوم أحد فقال: من يأخذ هذا السيف، فأخذ قوم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: من يأخذه بحقه فأحجم القوم فقال أبو دجانة سماك بن خرشة: أنا أخذه بحقه، فأخذه ففلق به هام المشركين.
ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به.

قال ابن إسحاق: وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، وكان له عصاة حمراء يعلم بها عند الحرب، يعتصب بها فيعلم أنه سيقاتل. قال: فلما أخذ السيف من يد رسول الله (ص) أخرج عصابته تلك فاعتصب بها، ثم جعل يتبختر بين الصفين. إلى أن قال: قال رسول الله (ص): إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبدالدار يحرضهم على القتال: يا بني عبدالدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وأنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا. إلى أن قال: فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال، فقالت هند:

ويهاً بني عبدالدار ويهاً حماة الأدبار

ضرباً بكلّ تبار

وتقول أيضاً: «إنّ تقبلوا نعانق» ... الخ

ثم قال: قال ابن إسحاق: فأقبل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس.

قال ابن هشام: وحدّثني غير واحد من أهل العلم: إنّ الزبير بن العوام قال: وجدت في

نفسى حين سألت رسول الله (ص) السيف، فمنعني وأعطاه أبا دجانة وقلت: وأنا ابن صفيّة عمّته من قريش وقد قتت إليه وسألته إياه قبله فأعطاه أبو دجانة وتركني، والله لأنظرنّ ما يصنع. فاتبعته فأخرج عصاة الموت له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصاة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

الى أن قال: قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يحمس الناس حمساً شديداً، فصدمت له، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله (ص) أن أضرب به امرأة.

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله (ص) لما عرضه طلبه منه عمر فأعرض عنه، ثم طلبه منه الزبير فأعرضه عنه، فوجدا في أنفسهما من ذلك، ثم عرضه الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه إليه، فأعطى السيف حقه... الخ.

قال محمد بن سعد^(١): ودنا القوم بعضهم من بعض والرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل، فتولى هوازن، فصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء: من يبارز، فبرز له علي بن أبي طالب، فالتقيا بين الصفيين، فبدره علي فضربه على رأسه حتى فلق هامته، فوقع وهو كبش الكتيبة، فسّر رسول الله (ص) بذلك وأظهر التكبير، وكبر المسلمون وشدوا على كتائب المشركين يضربونهم حتى نقضت صفوفهم، ثم حمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة أبو شيبة، وهو أمام النسوة يرتجز ويقول:

انّ على أهل اللواء حقاً أن تخضب الصعدة أو تندقاً

وحمل عليه حمزة بن عبدالمطلب، فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره وبدأ سحره (بدأ سحره أي رثته)، ثم رجع وهو يقول: أنا ابن

ساقى الحجيج ... الخ.

وقال ابن هشام^(١): فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله (ص) اللواء علي بن أبي طالب، وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين.

ثم قال ابن هشام: وحدثني مسلمة بن علقمة المازني قال: لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله (ص) تحت راية الأنصار، وأرسل رسول الله الى علي بن أبي طالب أن قدم الراية، فتقدم علي فقال: أنا أبو القصم. فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة. قال: نعم، فبرز بين الصفين فاختلفا ضربتين، فضربه علي فصرعه، ثم انصرف ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت. فقال: أنه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم وعرفت ان الله عز وجل قد قتله.

ويقال ان أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفين، فنادى: أبا قاسم من يبارز، مراراً، فلم يخرج إليه أحد، فقال: يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم في الجنة وأن قتلاتنا في النار، كذبتهم واللات لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلي بعضكم. فخرج إليه علي بن أبي طالب، فاختلفا ضربتين فضربه علي فقتله ... الخ.

وقال الواقدي^(٢): وصاح طلحة بن أبي طلحة من يبارز؟ فقال علي: هل لك في البراز. قال طلحة: نعم، فبرز بين الصفين ورسول الله (ص) جالس تحت الراية عليه درعان ومغفر وبيضة، فالتقيا فبدره علي بضربة على رأسه، فضى السيف حتى فلق هامته حتى انتهى الى لحية، فوقع طلحة وانصرف علي، فقيل لعلي: ألا ذفقت عليه. قال: أنه لما صرع استقبلني عورته فعطفتني عليه الرحم، وقد علمت أن الله سيقتله، هو كبش الكتبية.

ويقال حمل عليه طلحة فاتقاه علي بالدرقة فلم يصنع سيفه شيئاً، وحمل عليه علي وعلى طلحة درع مشمرة، فضرب ساقه فقطع رجله، ثم أراد أن يذف عليه فسأله بالرحم فتركه علي فلم يذف عليه حتى مرّ به بعض المسلمين فذفف عليه. ويقال: ان علياً ذفف عليه. فلما

(١) السيرة النبوية ٣ / ٧٧.

(٢) المغازي ١ / ٢٢٥.

قُتِلَ طَلْحَةُ سَرَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَأَظْهَرَ التَّكْبِيرَ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ شَدَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) عَلَى كِتَابِ الْمُشْرِكِينَ فَجَعَلُوا يُضْرِبُونَ حَتَّى نَقَضَتْ صَفُوفَهُمْ ... الخ.

وَقَالَ الْكَازِرُونِيُّ الْيَمَانِيُّ: فَصَاحَ طَلْحَةُ مِنْ يُبَارِزُ؟ فَبَرَزَ لَهُ عَلِيٌّ فَضْرِبَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَفَلَقَ هَامَتَهُ وَهُوَ كَبَشُ الْكُتَيْبَةِ، فَسَرَّ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ شَدَّوْا عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَحَمَلُوا لَهُمْ أَخُو عَثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ، فَضْرِبَهُ حَمْرَةً بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ يَدَهُ ... الخ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ^(١): وَخَرَجَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ صَاحِبَ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُنَا بِسُيُوفِكُمْ إِلَى النَّارِ وَيُعَجِّلُكُمْ بِسُيُوفِنَا إِلَى الْجَنَّةِ، فَهَلْ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُعَجِّلُهُ سَيْفِي إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ يُعَجِّلُنِي سَيْفُهُ إِلَى النَّارِ؟ فَبَرَزَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَضْرِبَهُ عَلِيٌّ فَقَطَعَ رِجْلَهُ وَانْكَشَفَتْ عَوْرَتَهُ، فَنَاشَدَهُ اللَّهُ وَالرَّحِمَ، فَتَرَكَهُ ﷺ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَقَالَ لِعَلِيٍّ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَجْهَزَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: أَنَّهُ نَاشَدَنِي اللَّهُ وَالرَّحِمَ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ... الخ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ^(٢): فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أَفَلَا أَجْهَزْتُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: أَنَّهُ اسْتَقْبَلَنِي بِعَوْرَتِهِ فَعَطَفْتَنِي عَلَيْهِ الرَّحِمَ وَعَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَهُ.

وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ عَلِيٌّ ﷺ يَوْمَ صَفِّينَ مَعَ بَسْرِ بْنِ أَرْطَاةَ لَمَّا حَمَلَ عَلَيْهِ لِيَقْتُلَهُ أَبْدَى لَهُ عَوْرَتَهُ فَرَجَعَ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حِينَ حَمَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ فِي بَعْضِ أَيَّامِ صَفِّينَ أَبْدَى عَنْ عَوْرَتِهِ، فَرَجَعَ عَلِيٌّ ﷺ أَيْضاً، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْحَارِثُ بْنُ النَّضْرِ:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فَارِسٍ غَيْرِ مَنْتَهُ وَعَوْرَتَهُ وَسَطَ الْعِجَاجَةِ بَادِيَةً
يَكْفُهَا عَنْهُ عَلِيٌّ سَنَانَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهَا فِي الْخَلَاءِ مَعَاوِيَةَ

وَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ دِحْلَانَ^(٣): وَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَيْنَ الصَّفِّينَ وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْمِيِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، وَكَانَ بِيَدِهِ لُؤَاءُ الْمُشْرِكِينَ، فَطَلَبَ الْمُبَارَزَةَ مَرَاراً

(١) الكامل ٢ / ١٥٢.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ٣٩.

(٣) السيرة النبوية ١ / ٢٢٣.

فلم يخرج إليه أحد، فقال: يا أصحاب محمد زعمتم أن الله يُعجلنا بسيوفكم الى النار. الى أن قال: كذبتهم واللات والعزى، لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليّ بعضكم، فخرج علي بن أبي طالب فاختلفا ضربتين، وفي رواية فالتقيا بين الصفيين، فبدر علي فضربه فقطع رجله ووقع على الأرض وبدت عورته، فقال: يا بن عم أنشدك الله والرحم، فرجع عنه ولم يُجهز عليه.

وقال الحلبي^(١): ووقع لسيدنا علي مثل ذلك في يوم صفين مرتين، الأولى حمل على بسر ابن اوطاة فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه علي، والثانية حمل على عمرو ابن العاص فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه علي ... الخ.

وقال الطبري^(٢): ثم ان طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال: يا معشر أصحاب محمد أنكم تزعمون أن الله يُعجلنا بسيوفكم الى النار. الى أن قال: فقام إليه علي بن أبي طالب فقال: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى أُعجلك بسيفي الى النار أو تعجلني بسيفك الى الجنة، فضربه علي فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته، فقال: أنشدك الله والرحم يا بن عم، فتركه فكبر رسول الله (ص) ... الخ.

قال ابن هشام^(٣): وكان شعار أصحاب رسول الله (ص) يوم أحد «أمت أمت» ... الخ. وروى الطبري^(٤): باسناده عن البراء قال: لما كان يوم أحد ولقي رسول الله (ص) المشركين اجلس رسول الله رجالاتاً بإزاء الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا، فلما لقي القوم هزم المشركون حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهنّ خلاخيلهنّ، فجعلوا يقولون: الغنيمة الغنيمة. فقال عبد الله: مهلاً أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله، فأبوا فانطلقوا، فلما أتوهم صرف الله وجوههم فأصيب من المسلمين سبعون.

(١) السيرة النبوية ٢ / ٢٢٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٥٠٩.

(٣) السيرة النبوية ٣ / ٧٢.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٥٠٧-٥١٧.

وروى أيضاً باسناده عن السُّدي قال: لما برز رسول الله إلى المشركين بأحد أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال: لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم قد هزمتنا فإننا لا نزال غالبين ما ثبتتم مكانكم. إلى أن قال: ثم إن الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود حملاً على المشركين فهزماهم، وحمل النبي (ص) وأصحابه فهزموهم أباسفيان، فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع، فلما نظر الرماة إلى رسول الله وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا بالغنيمة، فقال بعضهم: لا نترك أمر رسول الله (ص) وانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر، فلما رأى خالد قلّة الرماة صاح في خيله، ثم حمل فقتل الرماة وحمل على أصحاب رسول الله (ص)، فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تنادوا، فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم.

ثم روى الطبري باسناده عن الزبير أنه قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدَم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهنّ قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلّوا ظهورنا للخيل، فأتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ إن محمداً قد قُتل. فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتّى ما يدنوا منه أحد من القوم. إلى أن قال: فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله (ص) اللواء علي بن أبي طالب، وقاتل حمزة بن عبدالمطلب حتّى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مرّ به سباع بن عبدالعزّي الغبشاني وكان يُكنّى بأبي نيار، فقال له حمزة بن عبدالمطلب: هلمّ إليّ يا ابن مقطّعة البظور، وكانت أمه غمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت ختانه بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله، فقال وحشي غلام جبير بن مطعم: والله أنّي لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه ما يليق شيئاً يرّبه مثل الجمل الأورق إذ تقدّمني إليه سباع ابن عبدالعزّي، فقال له حمزة: هلمّ إليّ يا ابن مقطّعة البظور، فضربه فكأنّما أخطأ رأسه، وهزرت حربتي حتّى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع في لبتّه حتّى خرجت من بين رجله، وأقبل نحوي فغلب فوقع فأمهلتّه حتّى إذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحّيت إلى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره... الخ.

قال محمد بن سعد^(١): فلما قتل أصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا، حتى أجهضوهم عن العسكر ووقعوا ينتهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم، وتكلم الرماة الذين على عينين واختلفوا بينهم، وثبت أميرهم عبدالله بن جبير في نفر يسير دون العشرة مكانهم وقال: لا أجاوز أمر رسول الله (ص)، ووعظ أصحابه وذكرهم أمر رسول الله فقالوا: لم يرد رسول الله هذا قد انهزم المشركون فما مقامنا هنا، فانطلقوا يتبعون العسكر ينتهبون معهم وخلوا الجبل، ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل وقلة أهله، فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وقتل أميرهم عبدالله بن جبير، وانتقضت صفوف المسلمين واستدارت رحاهم وحالت الريح فصارت دبوراً وكانت قبل ذلك صبا، ونادى إبليس لعنه الله: انّ محمداً قد قُتل، واختلط المسلمون فصاروا يقتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون به من العجلة والدهش، وقتل مصعب بن عمير، فأخذ اللواء ملك في صورة مصعب، وحضرت الملائكة يومئذ ولم تقاتل، ونادى المشركون بشعارهم يا للعزى يا لهبل، وأوجعوا في المسلمين قتلاً ذريعاً، وولّى من ولّى منهم يومئذ. الى أن قال: وقتل يومئذ حمزة بن عبدالمطلب، قتله وحشي ... الخ.

قصة شهادة حمزة بن عبدالمطلب

قال الواقدي^(٢): قالوا وكان وحشي عبداً لابنة الحارث بن عامر بن نوفل، ويقال كان لجبير بن مطعم، فقالت ابنة الحارث: انّ أبي قُتل يوم بدر فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حر، إن قتلت محمداً أو حمزة بن عبدالمطلب أو علي بن أبي طالب فاني لا أرى في القوم كفواً لأبي غيرهم. قال وحشي: أما رسول الله فقد عرفت أنّي لا أقدر عليه وإن أصحابه لن يسلموه، وأما حمزة فقلت والله لو وجدته نائماً ما أيقظته من هيئته، وأما علي فقد كنت التمسته.

(١) الطبقات الكبرى ٤١ / ٢.

(٢) المغازي ٢٨٥ / ١.

قال: فبينما أنا في الناس أتمس علياً إلى أن طلع علي، فطلع رجل حذر مرس كثير الالتفات. قال: فقلت ما هذا صاحبني الذي أتمس، إذ رأيت حمزة يُفري الناس فرياً، فكمنت له إلى صخرة وهو مكبس له كثيث، فاعترض له سباع بن أم أنمار، وكان سباع يُكنى أبا نيار فقال: وأنت أيضاً ابن مُقطعة البظور ممن يكثر علينا هلم إلي، فاحتمله حتى إذا برقت قدماه رمى به، فبرك عليه فشحطه شحط الشاة، ثم أقبل إليّ مكبساً حين رأني، فلما بلغ المسيل وطىء علي جُرُف فزالته قدمه، فهزرت حربتي حتى رضيت منها فضربت بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته، وكرّ عليه طائفة من أصحابه فأسمعهم يقولون: أبا عُمارة! فلا يجيب، فقلت: قد والله مات الرجل، وذكرت هنداً وما لقيت علي أبيها وعمّها وأخيها، وانكشف عنه أصحابه حين أيقنوا موته ولا يروني فأكرّ عليه، فشقت بطنه فأخرجت كبده فجئت بها إلى هند بنت عتبة فقلت: ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك؟ قالت: سلمي. فقلت: هذه كبد حمزة، فضغتها ثم لفظتها فلا أدري لم تسغها أو قدرتها، فنزعت ثيابها وحليها فأعطتنيها، ثم قالت: إذا جئت مكة فلك عشر دينار. ثم قالت: أربي مصرعه، فأريتها مصرعه، فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت مسكتين ومعضدين وخدمتين، حتى قدمت بذلك مكة وقدمت بكبده معها.

ثم روى الواقدي بإسناده عن عروة قال: حدثنا عبيد الله بن عدي بن الخيار قال: غزونا الشام في زمن عثمان بن عفان، فمررنا بجمص بعد العصر، فقلنا وحشي. فقالوا: لا تقدرين عليه، هو الآن يشرب الخمر حتى يصبح، فبتنا من أجله وأنا لثمانون رجلاً، فلما صلينا الصبح جئنا إلى منزله فإذا شيخ كبير قد طرح له زبيّة قدر مجلسه، فقلنا له: أخبرنا عن قتل حمزة وعن قتل مسيلمة، فكره ذلك وأعرض عنه، فقلنا له: ما بتنا هذه الليلة إلا من أجلك. فقال: اني كنت عبداً لجبير بن مطعم بن عدي، فلما خرج الناس إلى أحد دعاني فقال: قد رأيت مقتل طُعيمة بن عدي قتله حمزة بن عبدالمطلب يوم بدر، فلم تزل نساؤنا في حزن شديد إلى يومي هذا، فإن قتلت حمزة فأنت حرّ. قال: فخرجت مع الناس ولي مزاريق، وكنت أمرّ بهند بنت عتبة فتقول: إيه أبادسمة أشف واشتف. فلما وردنا أهدأ نظرت إلى حمزة يقدم الناس يهزهم

هزاً، فرآني وأنا قد كمنت له تحت شجرة، فأقبل نحوي ويعترض له سباع الخزاعي، فأقبل إليه فقال: وأنت أيضاً يا ابن مُقطّعة البظور ممن يكثر علينا، هلمّ إليّ. قال: وأقبل حمزة واحتمله حتّى رأيت برقان رجله، ثم ضرب به الأرض ثم قتله، وأقبل نحوي سريعاً... الخ.

وقال ابن كثير^(١): فلما مررنا بمحص وكان وحشي مولى جبير بن مطعم قد سكنها وأقام بها، فلما قدمناها قال عبيدالله بن عدي: هل لك في أن تأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله. قال: قلت له: إن شئت، فخرجنا نسأل عنه بمحص، فقال لنا رجل ونحن نسأل: أنكما ستجدانه بفناء داره، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر، فإن تجداه صاحبياً تجداً رجلاً عربياً وتجداً عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تجداه وبه بعض ما به فانصرفا عنه ودعاه. قال: فخرجنا نمشي حتّى جئناه، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له، وإذا شيخ كبير مثل البُغاث، وإذا هو صاح لا بأس به، فلما انتهينا إليه سلّمنا عليه، فرفع رأسه إلى عبيدالله بن عدي فقال: ابن العديّ بن الخيار أنت. قال: نعم. إلى أن قال: قال: فجلسنا إليه فقلنا: جئناك لتحدّثنا عن قتل حمزة كيف قتله. فقال: أتني أحدثكما كما حدّث رسول الله (ص) حين سألتني عن ذلك. ثم ذكر ابن كثير قريباً ممّا نقلناه عن الواقدي حتّى انتهى إلى قوله: فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت حتّى إذا افتتح رسول الله (ص) مكة هربت إلى الطائف، فكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله (ص) ليُسلموا تعيّن عليّ المذاهب فقلت: ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد، فوالله أتني لفي ذلك من همّي إذ قال لي رجل: ويحك أنّه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحقّ. قال: فلما قال لي ذلك خرجت حتّى قدمت على رسول الله (ص) المدينة، فلم يرعه إلاّ بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحقّ، فلما رأني قال لي: أوحشي أنت؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: اقعد فحدّثني كيف قتلت حمزة. قال: فحدّثته كما حدّثتكم، فلما فرغت من حديثي قال: ويحك غيّب عني وجهك فلا أرنيك. قال: فكنت أنتكّب برسول الله (ص) حيث كان لئلا يراني،

(١) السيرة النبوية ٣ / ٣٥.

حتى قبضه الله عز وجل.

ثم روى ابن كثير عن البخاري قريبا مما قدّمناه حتى انتهى الى قوله: فلما قبض رسول الله (ص) وخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرج الى مسيلمة لعليّ أقتله فأكافىء به حمزة. قال: فخرجت مع الناس، فكان من أمره ما كان. قال: فإذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جمل أورق نائر الرأس. قال: فرميته بحربتي فأضعها بين ثديه حتى خرجت من كتفيه. قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

قال عبدالله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبدالله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر البيت: وأمير المؤمنين قتله عبدالأسود. ثم قال ابن كثير: قال ابن هشام: فبلغني أن وحشيًا لم يزل يُحدّث في الخمر حتى خلع من الديوان، فكان عمر بن الخطاب يقول: قد قلت إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة. وتوفي وحشي بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب بجمص، وكان أول من لبس الثياب المدلوكة. انتهى ما نقله ابن كثير.

تتمة وقعة أحد

قال ابن الأثير^(١): والتقى حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة وأبو سفيان بن حرب، فلما استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود وهو ابن شعوب، فدعاه أبو سفيان فاتاه فضرب حنظلة فقتله، فقال رسول الله (ص): أنه لتغسله الملائكة فسلوا أهله، فسئلت صاحبه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهائعة، فقال رسول الله (ص) لذلك غسلته الملائكة. وروى ابن عساكر باسناده عن ابن عباس أنه قال: نظر رسول الله (ص) الى حنظلة الراهب وحمزة بن عبدالمطلب تغسلها الملائكة. الخ.

قال ابن كثير: قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده، فحسّوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها... الخ.

وقال ابن الأثير: وأنزل الله نصره على المسلمين وكانت الهزيمة على المشركين، وهرب النساء مُصعدات في الجبل، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون، فلما نظر بعض الرماة الى العسكر حين انكشف الكفار عنه أقبلوا يريدون النهب وثبتت طائفة وقالوا: نطيع رسول الله وثبتت مكاننا، فأنزل الله تعالى ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾ يعني أتباع أمر رسول الله (ص).

قال ابن مسعود: وقال ما علمت أن أحداً من أصحاب رسول الله (ص) يريد الدنيا حتى نزلت الآية، فلما فارق بعض الرماة مكانهم رأى خالد بن الوليد قلّة من بقي من الرماة، فحمل عليهم فقتلهم، وحمل على أصحاب النبي (ص) من خلفهم، فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم، وقد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء، فبقي مطروحاً لا يدنوا منه أحد، فأخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته، فاجتمعت قريش حوله وأخذة صواب فقتل عليه، وكان الذي قتل أصحاب اللواء علي عليه السلام. قاله أبو رافع. قال: فلما قتلهم أبصر النبي (ص) جماعة من المشركين، فقال لعلي: احمِل عليهم ففرّقهم، وقتل فيهم، ثم أبصر جماعة أخرى فقال: احمِل عليهم، فحمل عليهم وفرّقهم وقتل فيهم، فقال جبريل: يا رسول الله هذه المواساة. فقال رسول الله: أنه منّي وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما. قال: فسمعوا صوتاً: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ... الخ. ابن الأثير في الكامل (ج ٢، ص ١٠٧). والطبري في التاريخ (ج ٢، ص ١٩٧).

وروى ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٤، ص ٢٠ طبع مصر) باسناده عن سعيد بن المسيّب قال: لقد أصابت عليّاً يوم أحد ست عشرة ضربة كل ضربة تلزمه الأرض فما كان يرفعه إلا جبريل عليه السلام ... الخ.

وروى الطبري^(١) باسناده عن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم: إن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش فلاذوا به، وكان اللواء مع

(١) تاريخ الطبري ٥١٣/٢.

صواب غلام لبني طلحة حبشي وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل حتى قطعت يده ثم برك عليه، فأخذ اللواء بصدره وعُنقه حتى قتل عليه.

ثم قال الطبري: حدّثنا أبو كريب قال: حدّثنا عثمان بن سعيد قال: حدّثنا حبان بن علي، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه قال: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله (ص) جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي. قال: ثم أبصر رسول الله (ص) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم وقتل شيبه بن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبريل: يا رسول الله ان هذه المواساة. فقال رسول الله: أنّه منّي وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما. قال: فسمعوا صوتاً: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

وفي مجمع الزوائد (ج ٦، ص ١١٤) لابن حجر قال وعن أبي رافع قال لما قتل علي عليه السلام أصحاب الألوية قال جبريل (ع): يا رسول الله انّ هذه هي المواساة. فقال النبي (ص): أنّه منّي وأنا منه قال جبريل: وأنا منكما يا رسول الله.

ورواه الملامع في معارج النبوة في الركن الرابع ص ١٦٣ عن النبي (ص) أنّه قال لجبريل أنّه منّي وأنا منه وقال جبريل أنا منكما ثم قال انّهم سمعوا أصواتاً وقائلاً يقول لا فتى إلا علي (ع) ... الخ.

وروى المحبّ الطبري في (ج ٢، ص ١٧٢) عن أبي رافع قال: لما قتل علي (ع) أصحاب الألوية يوم أحد قال جبريل (ع): يا رسول الله انّ هذه هي المواساة فقال له النبي (ص): أنّه منّي وأنا منه. فقال جبريل (ع): وأنا منكما يا رسول الله. ثم قال: خرّجه أحمد في المناقب وقال (ص ١٩٠) عن أبي جعفر محمد بن علي، قال نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ثم قال أخرج الحسن بن عرفة العبدي.

وفي المناقب المرتضوية ص ٣٨٧ قال: قال النبي (ص): يا أخي أما سمعت رضوان خازن الجنة في السماء قال: لا فتى إلا علي إلى أن قال: قال جبريل: لقد تعجبت الملائكة من شجاعته

وفتوته قال (ص) إنه مني وأنا منه وقال جبريل: وأنا منكما ... الخ.
 وفي المدارج لعبدالحق الدهلوي ص ١٦٧ قال جبريل (ع): يا رسول الله ان هذه لهي
 المواساة قال (ص): أنه مني وأنا منه وقال جبريل: وأنا منكما يا رسول الله.
 وقالوا: سمعوا في هذا الحال قائلاً من الغيب يقول: لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار.
 وفي المدارج قبل ذلك ص ١٦٧ وفي المعارج في الركن الرابع ص ١٠٧ قال: قال
 النبي (ص) لعلي (ع): كيف لم تلحق ياخوانك؟ قال (ع): لا كفر بعد الإيمان ان لي بك أسوة.
 أقول: يظهر من كلامهما ان الأصحاب بأجمعهم قد فرّوا في تلك الغزوة غير علي بن
 أبي طالب (ع) وانهم كفروا بذلك.

ثم قال الطبري: فلما أتى المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم المشركون، وكان
 المسلمون لما أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً ثلث قتيل وثلث جريح وثلث منهزم، وقد
 جهده الحرب حتى ما يدري ما يصنع، وأصيب رباعية رسول الله (ص) السفلى وشقت شفته
 وكلم في وجنتيه وجبهته في أصول شعره، وعلاه ابن قيثة بالسيف على شقه الأيمن، وكان
 الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص.

ثم روى باسناده عن أنس بن مالك قال: لما كان يوم أحد كُسر رباعية رسول الله (ص)
 وشجّ، فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: كيف يفلح قوم
 خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله عزّ وجلّ، فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر
 شيء﴾ الآية. الى أن قال^(١): فحدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سلمة قال: حدّثني محمد بن
 إسحاق قال: حدّثني القاسم بن عبدالرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجّار قال: انتهى أنس
 ابن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين
 والأنصار وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم. قالوا: قُتل محمد رسول الله. قال: فما تصنعون
 بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل، وبه

سمي أنس بن مالك .

ثم روى باسناده عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر سبعين ضربة وطعنة ،
فما عرفه إلا أخته عرفته بحسن بنانه .

وروى أيضاً باسناده عن محمد بن إسحاق قال : كان أول من عرف رسول الله (ص) بعد
الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله كما حدثني ابن شهاب الزهري كعب بن مالك أخو
بني سلمة قال : عرفت عينيه تزهرا ن تحت المغفر ، فنادت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين
أبشروا هذا رسول الله ، فأشار إلي رسول الله (ص) أن انصت ، فلما عرف المسلمون رسول الله
نهضوا به ونهض نحو الشعب . الى أن قال : فلما أسند رسول الله (ص) في الشعب أدركه أبي بن
خلف وهو يقول : أين محمد ، لا نجوت إن نجا ، فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل
منا . قال : دعوه ، فلما دنا تناول الحربة من الحارث بن الصمة . قال : يقول بعض الناس فيما ذكر
لي : فلما أخذها رسول الله (ص) انتقض انتقاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير
إذا انتقض بها ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدا منها عن فرسه مرارا ، وكان أبي بن خلف
كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا مسلمة عن محمد بن إسحاق عن صالح بن إبراهيم يلقى رسول
الله (ص) بمكة فيقول : يا محمد انّ عندي العود (أي الفرس) أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك
عليه ، فيقول رسول الله : أنا أقتلك إن شاء الله ، فلما رجع الى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً
غير كبير فاحتقن الدم . قال : قتلتني والله محمد . قالوا : ذهب والله فؤادك ، والله انّ بك بأس .
قال : أنّه قد كان بمكة قال لي أنا أقتلك ، فوالله لو بصق عليّ لقتلني ، فمات عدو الله بسرف وهم
قافلون به الى مكة .

قال : فلما انتهى رسول الله (ص) الى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درفته
من المهراس ، (المهراس اسم لعين ماء بأحد) ثم جاء به الى رسول الله (ص) ليشرب منه ،
فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصبّ على رأسه وهو يقول :
اشتد غضب الله على من دمي وجه نبيّه . الى أن قال : فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما
نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وأهمهم أبو سفيان ، فقال رسول الله : ليس لهم أن يعلونا ،

اللهم إن يقتل هذه العصابة لا تعبد، ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم، فقال أبو سفيان يومئذ: اعلُ هُبَل حنظلة بحنظلة ويوم بيوم بدر.

الى أن قال: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله (ص) حتى انتهى بعضهم الى المنقى دون الأعوص، وفرّ عثمان بن عفان. قال محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ في كتاب المحرر ص ٢٨٣: الذين تولوا يوم التقى الجمعان فعفا الله عنهم من قريش عثمان بن عفان الى أن قال: ومضوا جميعاً الى الجعلب يقولون بلغوا الجنب والموضع واحد وبينهما وادٍ مضيق الى أن قال وهو على اثنين وعشرين ميلاً من المدينة وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان رجلان من الأنصار حتى بلغوا الجعلب جبلاً بناحية المدينة ممّا يلي الأعوص، فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا الى رسول الله (ص) ... الخ.

ثم روى الطبري عن البراء قال: ثم انّ أبا سفيان أشرف علينا فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه، مرّتين. ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثاً، فقال رسول الله: لا تجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ثلاثاً، فقال رسول الله (ص): لا تجيبوه، ثم التفت الى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قتلوا جميعاً لو كانوا في الأحياء لأجابوا، فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله قد أبقي الله لك ما يُخزيك. فقال: اعلُ هُبَل. فقال رسول الله (ص): أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجلّ. قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال رسول الله (ص): أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولا لكم ... الخ.

وروى الواقدي^(١) باسناده عن محمد بن مسلمة يقول: سمعت أذناي وأبصرت عيناي رسول الله (ص) يقول يومئذ وقد انكشف الناس الى الجبل وهم لا يلوون عليه وأنه ليقول: إليّ يا فلان إليّ يا فلان أنا رسول الله، فما عرج منها واحد عليه ومضيا.

ثم روى عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم قال: كان خالد بن الوليد يُحدّث وهو بالشام يقول: الحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جالوا

وانهزموا يوم أحد واتي لفي كتيبة خشناء فما عرفه منهم أحد غيري، فنكبت عنه وخشيت أن أغريت به من معي أن يصعدوا له، فنظرت إليه مُوجِّهاً إلى الشعب.

ثم قال الواقدي: وكان أربعة من قريش قد تعاهدوا وتعاهدوا على قتل رسول الله وعرفهم المشركون بذلك: عبدالله بن شهاب، وعتبة بن أبي وقاص، وابن قميئة، وأبي بن خلف. ورمى عتبة يومئذ رسول الله (ص) بأربعة أحجار، فكسر رباعيته أشطى باطنها اليمنى السفلى، وشجَّ في وجنتيه حتى غاب المغفر في وجنته، وأصيبت رُكبتاه وجحشتا... الخ.

وروى الطبري^(١) باسناده عن السدي قال: أتى ابن قميئة الحارثي فرمى رسول الله (ص) بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجَّه في وجهه، فأثقله وتفرَّق عنه أصحابه، ودخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها، وجعل رسول الله (ص) يدعو الناس: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً، فجعلوا يسيرون بين يديه، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف، فحماء طلحة فرمى بسهم في يده فبيست يده، وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلنَّ النبي (ص)، فقال: بل أنا أقتله. فقال: يا كذاب أين تفرّ، فحمل عليه فطعنه النبي (ص) في جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً، فوقع يخور خوار الثور، فاحتملوه وقالوا: ليس بك جراحة فما يجزعك؟ قال: أليس قال لأقتلنك، لو كانت هذه بجميع ربيعة ومضر لقتلتهم، فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح... الخ.

وروى ابن هشام^(٢) باسناده عن أبي سعيد الخدري: إنَّ عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله (ص) يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وإنَّ عبدالله بن الشهاب الزهري شجَّه في جبهته، وإنَّ ابن قميئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله (ص) في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله (ص) ورفع طلحة بن عبيدالله حتى

(١) تاريخ الطبري ٥١٩/٢.

(٢) السيرة النبوية ٨٥/٣.

استوى قائماً. الى أن قال: ونزع أبو عبيدة الجراح إحدى الحلقتين من وجه رسول الله (ص) فسقطت ثنيتيه، ثم نزع الأخرى فكان ساقط الثنيتين ... الخ.

وقال ابن كثير^(١): قلت: وذكر قتادة أن رسول الله (ص) لما وقع لشقه أغمي عليه، فزبه سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه، فأفاق وهو يقول: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبئهم وهو يدعوهم الى الله ... الخ.

وقال البخاري^(٢): حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب، عن أبي حازم، أنه سمع سهل بن سعد هو يسأل عن جرح النبي (ص) فقال: أما والله أني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ومن كان يسكب الماء وبما دووي. قال: كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تغسله وعلي يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم، وكسرت رباعيته يومئذ، وجرح وجهه، وكسرت البيضة على رأسه.

وقال الواقدي^(٣): فلما رأت فاطمة الدم لا يرقأ وهي تغسل الدم وعلي يصب الماء عليها بالمجن، أخذت قطعة حصير فأحرقتها حتى صارت رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم. ويقال أنها داوته بصوفة محترقة، وكان رسول الله (ص) بعد مداوي الجرح الذي في وجهه بعظم بال حتى يذهب أثره، ولقد مكث رسول الله (ص) يجدهن ضربة ابن قنثة على عاتقه شهراً أو أكثر من شهر ... الخ.

وقال ابن الأثير^(٤): وكسرت رباعيّة رسول الله (ص) السفلى وشقت شفته وكلم في وجنته وجبهته في أصول شعره. الى أن قال: وأما ابن قنثة فكلم وجنته ودخل من حلق المغفر فيها وعلاه بالسيف فلم يطق أن يقطع، فسقط رسول الله (ص) فجحشت ركبته. ثم قال: ولما

(١) السيرة النبوية ٤٦/٣.

(٢) صحيح البخاري ١٣٠/٥.

(٣) المغازي ٢٥٠/١.

(٤) الكامل ١٥٤/٢.

جرح رسول الله (ص) جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله. الى أن قال: ولما جرح رسول الله (ص) جعل علي ينقل الماء في درقته من المهراس ويغسله فلم ينقطع الدم، فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي وأحرقته حصيراً وجعلت على الجرح من رماده فانقطع الدم... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): وثبت رسول الله ما يزول يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا، ويرمى بالحجر، وثبت معه عصا من أصحابه. الى أن قال: ونالوا من رسول الله (ص) في وجهه ما نالوا، أصيبت رباعيته وكلم في وجنتيه وجهته وعلاه ابن قنينة بالسيف فضربه على شقه الأيمن، واتقاه طلحة بن عبيدالله بيده فشلت أصبعه، وادعى ابن قنينة أنه قتله، وكان ذلك مما رعب المسلمين وكسرهم.

ثم روى بإسناده عن سهل بن سعد قال: كسرت رباعيته رسول الله (ص) يوم أحد وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه، وكانت فاطمة عليها السلام تغسل وجهه وعلي يسكب الماء عليها بالمجن - يعني الترس - فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت فاطمة قطعة حصير فأحرقته فألصقته عليه فاستمسك الدم.

وقال الزيني دحلان^(٢): وتفرق المسلمون من كل وجه وتركوا ما انتهبوا، وقاتل حمزة بن عبدالمطلب ذلك اليوم قتالاً شديداً حتى بلغ الذين قتلهم أحداً وثلاثين رجلاً كلهم من شجعانهم، وكان (ع) يقاتل بسيفين بين يدي رسول الله (ص) وهو يقول: أنا أسد الله. الى أن قال: وروى ابن سعد أن مصعباً حمل اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى، فأخذه بيده اليسرى وهو يقول ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسل﴾ الآية ثم قطعت يده اليسرى فحتم على اللواء - أي أكب عليه وضمه بعضديه الى صدره - وهو يقول ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسل﴾ الآية. قال محمد بن شرحبيل: وما نزلت هذه الآية يومئذ بل أنطقه الله بها لما سمع قول القائل: قد قتل محمد. وقيل: إن الصارخ الذي قال قتل محمد ليس

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٤٢ - ٤٨.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ٢٣٥.

هو ابن قنثة بل كان إبليس لعنه الله ، وأنه تصوّر في صورة جعال بن سراقه الضمري ، وكان رجلاً صالحاً ممتن أسلم قديماً ، ورجع المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون ، واستمروا الى قرب المدينة ، وتفرّق سائرهم ووقع فيهم القتل .

قال المحافظ بن حجر : أنهم صاروا ثلاث فرق ، فرقة استمروا في الهزيمة الى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفضّ القتال وهم قليل ، وهم الذين نزل فيهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ ، وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أنّ النبي (ص) قد قُتِلَ ، فصارت غاية الواحد منهم أن يذبّ عن نفسه أو يستمرّ على بصيرته في القتال الى أن يقتل وهم أكثر الصحابة ، وفرقة تثبّتت مع النبي (ص) ، ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه (ص) حيّ ، ووثب بعض الصحابة على جعال بن سراقه يقتلوه ، فتبرأ من ذلك القول الذي نطق به الشيطان وهو على صورته ، وشهد خوات ابن جبير وأبو بردة بأن جعلاً كان عندهما وبجنبها حين صرخ ذلك الصارخ .

قال موسى بن عقبة : لما غاب النبي (ص) عن أعين بعض القوم اختلط بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ ، قال رجال من المنافقين : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ، وقال بعض منهم : لو كان نبياً ما قتل فارجعوا الى دينكم الأول ، وفي ذلك أنزل الله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ الآيات ، وقال رجل منهم لم يعرف اسمه : ليت لنا رسولاً الى عبدالله بن أبي ليستا من لنا من أبي سفيان ، يا قوم انّ محمداً قد قُتِلَ فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلون البيوت ، فقال أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك : يا قوم إن كان محمد قُتِلَ فإنّ ربّ محمد لم يُقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه ، وشهد له بهذه المقالة عند النبي (ص) سعد بن معاذ ، ووافق أنس بن النضر جماعة كثيرة على هذه المقالة ، وهم المؤمنون أهل الصدق واليقين الذين تمكّن الإيمان في قلوبهم .

وروى ابن إسحاق : أنّ أنس بن النضر جاء الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والأنصار ، فقال : إن كان قُتِلَ محمد فما تصنعون بالحياة بعده ، قوموا

فوتوا على ما مات عليه، ثم استقبل العدو فقاتل حتى قُتل. الى أن قال أنس - يعني أنس بن مالك - : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف وطعنة بالرح ورمية بالسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته عرفته بينانه. ثم قال: وثبت النبي (ص) وقت رجوع المسلمين، ولم يحصل منه فرار ولا انهزام ولا انصراف عن موقفه الذي وصل إليه حين انهزام المشركين بإجماع المسلمين.

قال ابن سعد: مازال يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا... الخ. ثم قال: وجاء عن علي وغيره: كنّا إذا اشتدّ البأس - أي حمي القتال - اتّقينّا برسول الله (ص) أي فيجعلونه في وجه القوم ويكونون خلفه.

وروى البيهقي عن المقداد بن الأسود أنّه قال: فوالذي بعثه بالحق ما زالت قدمه شبراً واحداً، وأنّه لفي وجه العدو وتفيء إليه طائفة من أصحابه مرّة وتفترق مرّة، فربّما رأيتَه قائماً يرمى عن قوسه ويرمى بالحجر حتى انحازوا عنه.

وروى أبو يعلى بسند حسن عن علي قال: لما انجلى الناس يوم أحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله (ص)، فقلت: والله ما كان ليفرّ وما أراه في القتلى، ولكن أرى أنّ الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيّه، فمالي من خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت غمد سيفي ثم حملت على القوم فأفرجوا لي، فإذا أنا برسول الله (ص) بينهم يقاتلهم.

الى أن قال: وفي فتح الباري فقد صحّت الأحاديث بأنّ عليّاً ممّن ثبت، وبعض الرواة لم يذكره لأنّه (ع) كان حامل اللواء بعد مصعب، فلا يحتاج الى أن يقال ثبت. ثم قال: وثبت أنّه (ص) لما تفرّقت عنه أصحابه صار يقول: إليّ يا فلان، إليّ يا فلان، أنا رسول الله، فما يعرج إليه أحد، والنبيل يأتيه من كل جانب والله يصرفه عنه، والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله ﴿إِذْ تَضَعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ﴾. الى أن قال: واشتغل المشركون ذكوراً وأناثاً بقتلى المسلمين، يمثلون بهم، يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون، وهم يظنّون أنّهم أصابوا رسول الله (ص)، وأشرف أصحابه وجاء وحشي بعد أن مات حمزة وأخذ حربته وأخرج كبده وذهب به الى هند بنت عتبة وقال: هذا كبده حمزة

قاتل أبيك ... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): ووقعت هند وصواحبها على القتلى يمثلن بهم، واتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خدماً وقلائد وأعطت خدماً وقلائدها وحشياً، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): قال ابن إسحاق: وقد كان يجلس بن زبّان وهو يومئذ سيد الأحابيش مرّ بأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة بن عبدالمطلب بزجّ الرمح ويقول: ذق عقق، فقال يجلس: يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمّه ما ترون لحماً. فقال: ويحك أكتمها عني فإنها كانت زلّة ... الخ.

وقال الطبري^(٣): فلما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إنّ موعدكم بدر للعام المقبل. فقال رسول الله (ص) لرجل من أصحابه: قل نعم هي بيننا وبينك موعد. ثم بعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب فقال: أخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون، فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل فانهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم. قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فلما اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجهوا إلى مكة، وقد كان رسول الله (ص) قال: أي ذلك كان فأخفه حتى تأتيني. قال علي: فلما رأيتهم قد توجهوا إلى مكة أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم الذي أمرني به رسول الله (ص) لما بي من الفرع، إذ رأيتهم أنصرفوا إلى مكة عن المدينة ... الخ.

وقال ابن هشام^(٤): ثم بعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب فقال: أخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل فانهم يريدون

(١) الكامل ١٥٧/٢.

(٢) السيرة لابن هشام ٩٨/٣.

(٣) تاريخ الطبري ٥٢٧/٢.

(٤) السيرة النبوية ١٠٠/٣.

مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فانهم يريدون المدينة. إلى أن قال: قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة.

وهكذا نقله ابن كثير بلا زيادة قوله: أقبلت أصبح ما أستطيع أن أكرم... الخ.

قال ابن كثير^(١): قال الإمام أحمد: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا عبدالواحد ابن أيمن المكي، عن ابن رفاعة الرزقي، عن أبيه قال: لما كان يوم أحد وانكفاً المشركون قال رسول الله (ص): استووا حتى أثني على ربي عز وجل، فصاروا خلفه صفوفاً فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم اني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم اني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف، اللهم اني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذي أوتوا الكتاب.

ورواه النسائي في اليوم واللييلة عن زياد بن أيوب، عن مروان بن معاوية... الخ.

قال الطبري^(٢): وفزع الناس لقتلاهم، فقال رسول الله (ص) كما حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، قال حدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة المازني أخي بني النجار: إن رسول الله (ص) قال: من رجل ينظر لي ما فعل سعد ابن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل، فنظر فوجده جريحاً في القتلى به رمق. قال: فقلت له: إن رسول الله (ص) أمرني أن أنظر له أفي الأحياء أنت أم في الأموات. قال: فأنا في الأموات وأبلغ رسول الله عني السلام

(١) السيرة النبوية ٣ / ٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٥٢٨.

وقل له : انّ سعد بن الربيع يقول لكم : جزاك الله خيرا ما جرى نبيّ عن أمّته ، وأبلغ عني قومك السلام وقل لهم : انّ سعد بن الربيع يقول لكم : انه لا عذر لكم عند الله إن خالص الى نبيّكم وفيكم عين تطرف . ثم لم أبرح حتّى مات ، فجنّث رسول الله (ص) فأخبرته خبره ، وخرج رسول الله فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبدالمطلب ، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثّل به فجدع أنفه وأذناه .

قال ابن كثير : قلت كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن سلمة فيما ذكره محمد ابن عمر الواقدي ، وذكر انه ناداه مرّتين فلم يجبه ، فلما قال : انّ رسول الله (ص) أمرني أن أنظر خبرك ، أجابه بصوت ضعيف وذكره .

وقال الشيخ أبو عمرو في الاستيعاب : كان الرجل الذي التمس سعداً أبيّ بن كعب . فالله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة ، وهو الذي آخى رسول الله (ص) بينه وبين عبدالرحمن بن عوف .

ثم قال ابن كثير : قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله (ص) فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبدالمطلب ، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثّل به فجدع أنفه وأذناه ، فحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير : انّ رسول الله (ص) قال حين رأى ما رأى : لولا أن تحزن صفيّة وتكون سنّة من بعدي لتركته حتّى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش لأمثلنّ بثلاثين رجلاً منهم . فلما رأى المسلمون حزن رسول الله (ص) وغيظه على من فعل بعمّه ما فعل قالوا : لئن أظهرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثّلنّ بهم مثلةً لم يمثّلها أحد من العرب .

قال ابن إسحاق باسناده عن ابن عباس : انّ الله أنزل في ذلك ﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين ﴾ الآية ، فعفا رسول الله (ص) وصبر ونهى عن المثلة .

ثم قال ابن كثير^(١): قال يعني ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن الحسن، عن سمرة قال: ما قام رسول الله (ص) في مقام قطّ ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة... الخ. وقال ابن هشام^(٢): ولما وقف النبي (ص) على حمزة قال: لن أصاب بمثلك أبداً، ما وقفت قط موقفاً أغيظ إليّ من هذا. ثم قال: جاءني جبريل فأخبرني أنّ حمزة مكتوب في السماوات السبع حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسول الله، وكان رسول الله (ص) وحمزة وأبو سلمة ابن عبدالأسد إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لأبي لهب... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٣): فلما انصرف المشركون عن أحد أقبل المسلمون على أمواتهم، وأتى رسول الله بحمزة بن عبدالمطلب فلم يغسله ولم يغسل الشهداء وقال: لقوهم بدمائهم وجراحهم، أنا الشهيد على هؤلاء ضعوهم، فكان حمزة أول من كبر عليه أربعاً، ثم جمع إليه الشهداء، فكان كلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرّة، وقد سمعنا من يقول: لم يصل رسول الله (ص) على قتلى أحد... الخ.

وقال الطبري^(٤): قال ابن إسحاق: وأقبلت فيما بلغني صفية بنت عبدالمطلب لتنظر إلى حمزة، وكان أخاها لأبيها وأُمّها، فقال رسول الله (ص) لابنها الزبير بن العوّام: القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها، فلقبها الزبير فقال لها: يا أمّه إنّ رسول الله (ص) يأمرك أن ترجعي. فقالت: ولمّ وقد بلغني أنّه مثل بأخي وذلك في الله قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله. فلما جاء الزبير رسول الله (ص) فأخبره بذلك قال: خلّ سبيلها، فأتته فنظرت إليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر رسول الله (ص) به فدُفن.

وقال ابن كثير^(٥): قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال:

(١) السيرة النبوية ٣ / ٧٨.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ١٠١.

(٣) الطبقات الكبرى ٢ / ٤٣.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٥٢٩.

(٥) السيرة النبوية ٣ / ٨٠.

أمر رسول الله (ص) بحمزة فسُجِّي بريدة، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلّى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة. ثم قال ابن كثير: وهذا غريب وسنده ضعيف، قال السهيلي: ولم يقل به أحد من علماء الأمصار.

ثم قال: وقال أحمد: حدّثنا محمد يعني ابن جعفر، حدّثنا شعبة، سمعت عبدربه، يحدث عن الزهري، عن ابن جابر، عن جابر بن عبد الله عن النبي (ص) أنه قال في قتلى أحد: فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكاً يوم القيامة، ولم يصل عليهم، وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته بيسير كما قال البخاري: حدّثنا محمد بن عبدالرحيم، حدّثنا زكريا ابن عدي، أخبرنا المبارك، عن حيوة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبه بن عامر قال: صلى رسول الله (ص) على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: أتني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وأني لأنظر إليه من مقامي، هذا وأني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكنني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها. قال: فكان آخر نظرة نظرتها الى رسول الله (ص).

ورواه البخاري في مواضع أخر، ومسلم وأبوداود والنسائي من حديث يزيد بن أبي حبيب به نحوه. الى أن قال: وقد تقدّم في صحيح البخاري أيضاً: إن رسول الله (ص) كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد بل في الكفن الواحد، وأنما أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يشقّ معها أن يحفروا لكل واحد واحد، ويقدم في اللحد أكثرهما أخذاً للقرآن، وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وبين عمرو بن الجموح، لأنها كانا متصاحبين، ولم يغسلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم، كما روى ابن إسحاق عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة: إن رسول الله لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال: أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يخرج في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمي اللون لون الدم والريح ريح مسك. ثم قال: وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا علي بن عاصم، عن عطاء بن ثابت، عن سعيد بن جبير، عن

ابن عباس قال: أمر رسول الله (ص) يوم أحد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود وقال: ادفنوهم بدمائهم وثيابهم. رواه أبو داود وابن ماجه من حديث علي بن عاصم.

وقال محمد بن سعد^(١): وقال رسول الله (ص): احفروا واعمقوا وأوسعوا وقدموا أكثرهم قرآنًا، فكان ممن نعرف أنه دُفن في قبر واحد عبدالله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبر، وخارجة بن زيد وسعد بن الربيع في قبر، والنعمان بن مالك وعبدية بن المسحاس في قبر واحد، فكان الناس قد حملوا قتلاهم الى المدينة فدفنوهم في نواحيها، فنادى منادي رسول الله (ص) ردّوا القتلى الى مضاجعهم، فأدرك المنادي رجلاً واحداً لم يكن دُفن فردّ وهو شماس بن عثمان. ثم انصرف رسول الله (ص) يومئذ فصلّى المغرب بالمدينة، وشمّت ابن أبي المنافقون بما نيل من رسول الله في نفسه وأصحابه، فقال رسول الله (ص): لن ينالوا منّا مثل هذا اليوم حتّى نستلم الركن. وبكت الأنصار على قتلاهم، فسمع ذلك رسول الله (ص) فقال: لكن حمزة لا بواكي له. فجاءت نساء الأنصار الى باب رسول الله (ص) فبكين على حمزة فدعا لهنّ رسول الله وأمرهنّ بالانصراف، فهنّ الى اليوم إذا مات الميت من الأنصار بدأ النساء فبكين على حمزة ثم بكين على قتلاهم.

وقال الطبري^(٢): ثم انصرف رسول الله (ص) راجعاً الى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش كما ذكر لي، فنُعي لها أخوها عبدالله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبدالمطلب، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها زوجها مصعب بن عمير، وقال الزيني دحلان (١ / ٢٤٩) فقالت: واحزنناه، وصاحت وولولت، فقال رسول الله (ص): انّ زوج المرأة ليمكان ما هو لأحد، لما رأى من تثبتّها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها. ثم قال لها: لم قلت هذا؟ قالت: تذكّرت يتم بنيه فراعني، أي فلا تؤاخذني، فدعا لها أن يحسن الله عليهم الخلف... الخ. فصاحت وولولت فقال رسول الله: انّ زوج المرأة منها ليمكان، لما رأى (ص) من تثبتّها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها.

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٤٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٥٣٢.

قال: ومرّ رسول الله بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وبني ظفر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله (ص)، فبكى ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له. فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حُضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرانساءهم أن يتحرّمن ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله (ص).

ثم روى الطبري باسناده عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: مرّ رسول الله (ص) بامرأة من بني دينار وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله بأحد، فلما نعوا لها قالت: ما فعل رسول الله؟ قالوا: خيراً يا أمّ فلان هو بحمد الله كما تحبّين. قالت: أرونيه حتّى أنظر إليه، فأشير لها إليه حتّى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل - أي قليل -.

وقال الواقدي^(١): وكانت حمنة خرجت يومئذ إلى أحد مع النساء يسقين الماء، وخرجت السميراء بنت قيس إحدى نساء بني دينار وقد أُصيب ابنها مع النبي بأحد النعمان بن عبد عمرو، وسليم بن الحارث، فلما نُعيها لها قالت: ما فعل رسول الله (ص)؟ قالوا: خيراً هو بحمد الله صالح على ما تحبّين. قالت: أرونيه أنظر إليه، فأشاروا لها إليه، فقالت: كل مصيبة بعدك يا رسول الله جليل. وخرجت يومئذ تسوق بابنها بعيداً تردها إلى المدينة، فلقيتها عائشة فقالت: ما وراءك؟ قالت: أمّا رسول الله بحمد الله فبخير لم يمب، واتخذ الله من المؤمنين شهداء، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال. قالت: من هؤلاء معك؟ قالت: ابناي، حل حل.

وقال الزيني دحلان^(٢): ولما أراد رسول الله (ص) أن يتوجّه إلى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله وعامّتهم جرحى. إلى أن قال: وجاءت أمّ سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله (ص) وهو على فرسه وابنها سعد بن معاذ أخذ بلجام فرس رسول الله، فقال سعد: يا رسول الله أمّي. فقال (ص): مرحباً بها، فوقف لها، فدنت حتّى تأملت رسول الله فعزّأها رسول الله بابنها عمرو بن معاذ، فقالت: أمّا إذا رأيتك سالماً فقد اشويت المصيبة

(١) المغازي ١/ ٢٩٢.

(٢) السيرة النبوية ١/ ٢٤٩.

- أي استقللتها..

ثم قال الواقدي^(١): قالوا وقال رسول الله (ص): من يأتيني بخبر سعد بن الربيع فإني قد رأيته - وأشار بيده الى ناحية من الوادي - وقد شرع فيه اثني عشر سنناً. قال: فخرج محمد بن مسلمة ويقال أبي بن كعب، فخرج نحو تلك الناحية. قال: فأنا وسط القتلى أتعرفهم اذ مررت به صريعاً في الوادي، فناديته فلم يجب، ثم قلت: ان رسول الله أرسلني اليك. قال: فتنفّس كما يتنفّس السكير ثم قال: وان رسول الله لحَيّ. قال: قلت نعم وقد أخبرنا أنه شرع لك اثني عشر سنناً. قال: طعنت اثني عشر طعنة كلّها أجافتنى، أبلغ قومك الأنصار السلام وقل لهم: الله الله وما عاهدتم عليه ليلة العقبة، والله ما لكم عذر عند الله إن خالص الى نبيكم ومنكم عين تطرف، فلم أرم من عنده حتى مات. قال: فرجعت الى رسول الله (ص) فأخبرته، قال: فرأيت رسول الله (ص) استقبل القبلة رافعاً يديه يقول: اللهم الق سعد بن ربيع وأنت عنه راض... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): وقال ابن اسحاق: وحدثني بعض أصحابنا عن عبدالله بن محمد بن عقيل قال: سمعت جابراً يقول: قال رسول الله (ص): ألا أبشرك يا جابر. قلت: بلى. قال: إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال له: ما تحبّ يا عبدالله أن أفعل بك؟ قال: أي ربّ أحبّ أن تردني الى الدنيا فأقاتل فيك مرّة أخرى.

الى أن قال: وقد روى البيهقي من حديث عبدالأعلى بن عبدالله بن أبي فروة، عن قطب بن وهب، عن عبيد بن عمير، عن أبي هريرة: ان رسول الله (ص) حين انصرف من أحد مرّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه فدعا له، ثم قرأ ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ الآية، قال (ص) أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم، والذي نفسي بيده لا يُسلم عليهم أحد الى يوم القيامة إلا ردّوا عليه. وهذا حديث غريب.

(١) المغازي ١ / ٢٩٢.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ٨٨.

ثم قال: وروى البيهقي من حديث موسى بن يعقوب، عن عباد بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: كان النبي (ص) يأتي قبور الشهداء، فاذا أتى فرضة الشعب قال: السّلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار. ثم كان أبو بكر بعد النبي (ص) يفعلُه، وكان عمر بعد أبي بكر يفعلُه، وكان عثمان بعد عمر يفعلُه.

قال الواقدي^(١): كان النبي (ص) يزورهم كل حول، فاذا بلغ نقرة الشعب يقول: السّلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. ثم قال: وكانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تأتيهم فتبكي عندهم وتدعو لهم ... الخ.

تنبيهات هامة في وقعة أحد

أقول: وينبغي التنبيه على أمور:

الأول: قد تقدّم أنّ انهزام المسلمين كان لمخالفة الرماة أمر رسول الله (ص) حين أمرهم بالثبات في أصل الجبل وأن لا يبرحوا مكانهم، حيث قال: لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم قد هزمناهم، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم، على ما رواه عنه الطبري. أو قال (ص): إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتّى أرسل اليكم، وإن رأيتمونا قد هزمنا القوم وظهروا عليهم وأوطاناهم فلا تبرحوا حتّى أرسل اليكم، على ما رواه عنه محمد بن سعد.

الثاني: إنّ الفرار من الزحف يكون من الكبائر التي أوعد الله تعالى عليها النار، وإنّ الفارّ من الزحف غير متحرّف لقتال أو متحيز الى فئة قد باء بسخط من الله وماواه النار. وقد ثبت بالآثار التي روتها حملة الأخبار أنّ جماعة من الصحابة قد فروا من الزحف في وقعة أحد حين غلب المسلمون، لكن بعضهم رجع حين أيقن بحياة النبي، وبعضهم لم يرجع إلا بعد ثلاثة أيام مضت من الوقعة كعثمان بن عفان.

الثالث: قد ثبت بالآثار والإجماع أنّ النبي (ص) ما زال عن مكانه، وكان هو الثابت في

مقامه حتى قال بعضهم: أنه (ص) ما زال عن مكانه شبراً، وأنه لم يزل يرمي عن قوسه حتى اندقت سيته.

الرابع: كان علي بن أبي طالب عليه السلام ممن ثبت وواسى النبي (ص) في أحد، وسمع في حقه «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي» على ما رواه حملة الأخبار في كتب السير والآثار كالطبري وابن الأثير وابن هشام وابن كثير وسبط ابن الجوزي وابن صباغ المالكي وسليمان ابن ابراهيم الحنفي وغيرهم^(١).

قال ابن كثير وابن هشام واللفظ له في السيرة: حدثني بعض أهل العلم: إن ابن أبي نجیح قال: نادى مناد يوم أحد «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي».

وقال سبط ابن الجوزي: فان قيل: قد ضعفوا لفظه لا سيف إلا ذو الفقار. قلنا: الذي ذكروه إن الواقعة كانت في يوم أحد، ونحن نقول أنها كانت في يوم خيبر.

وكذا ذكره أحمد بن حنبل في الفضائل، ولا كلام في يوم أحد، فإن ابن عباس قال: لما قتل علي (ع) طلحة بن أبي طلحة قال محمد بن حبيب في كتاب المحرّص ص ١٧٧ طبع حيدرآباد المتوفى ٢٤٥ هجري وقتل علي بن أبي طالب (ع) طلحة يوم أحد. حامل لواء المشركين صاح صائح من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار... الخ.

وقال ابن صباغ: وروى محمد بن إسحاق أن علياً لما فرغ من القتال ناول سيفه فاطمة وأنشد يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميم ولست برعديد ولا بجليم
لعمرى لقد أعذرت في نصر أحمد وطاعة ربّ بالعباد عليم

وقال ابن إسحاق: وفي هذا اليوم هابت ريح فسمع هاتفاً يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي
فاذا ندبتم هالكاً فابكوا الوليّ ابن الوليّ

(١) انظر تاريخ الطبري ٢/٥١٤، الكامل ٢/١٥٦، السيرة لابن هشام ٣/١٠٦، السيرة لابن كثير ٣/٩٤، تذكرة الخواص ص ٣٣، الفصول المهمة ص ٥٦.

وأشده الخطيب ضياء الدين أخطب خوارزم الموقِّق بن أحمد الخوارزمي ثم المكِّي :

أسد الإله وسيفه وقناته كالظفر يوم صياله والناب
جاء النداء من الإله وسيفه بدم الكمأة يسح في تسكاب
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي هازم الأحزاب

فكان السيف لمنبه بن الحجاج السهمي ، كان مع ابنه العاص بن منبه يوم بدر ، فقتله علي عليه السلام وجاء بالسيف الى رسول الله (ص) ، فأعطاه علياً بعد ذلك ، فقاتل دونه يوم أحد .
وقال سليمان بن إبراهيم : وما أقول في رجل أحبَّ كل أحد أن يتجمل ويتزيّن بالانتساب إليه حتّى الفتوة التي كانت صفة ومدحاً له بالبيت المشهور المروي أنهم سمعوا من السماء يوم أحد :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وأما الطبري وابن الأثير^(١) فقد أشرنا الى ما نقلاه في هذه الوقعة ، وانهما استندا فيما رواه الى أبي رافع ، كما ان ابن هشام وابن كثير استندا فيما نقلاه الى ابن أبي نُجَيْح ، وسبط ابن الجوزي الى ما رواه عن ابن عباس .

ورواه محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كفاية الطالب باسناده عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن جده عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله (ص) يوم بدر : هذا رضوان ملك من ملائكة الله ينادي لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي .

قال : أخرجه البيهقي صاحب السنن مع جلالة قدره عن الإمام المحافظ أبي عبدالله الحاكم صاحب المستدرک ... الخ .

ورواه قبل ذلك في كفاية الطالب في الباب التاسع والستين بثنائية طرق غير هذا الطريق عن أبي جعفر ، انتهى .

ورواه أحمد بن عبدالله الطبري في ذخائر العقبى ص ٧٥ ، وفي الرياض النضرة (ج ٢ ،

ص ١٩٠) عن ابي جعفر محمد بن علي. ورواه ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ١٤٤ طبع النجف.

فالعجب من ابن تيمية كيف أنكر تلك الفضيلة مع ان الرواية مستفيضة قد أوردتها جماعة من أئمة القوم كالطبري وابن هشام وابن الأثير وغيرهم، ومما ذكرنا ظهر ما في كلام ابن تيمية من الخلل حيث أن الحلبي قال^(١): ان ابن تيمية ادعى اتفاق الناس على كذبه، فقوله بأنه كذب باتفاق الناس باطل، لأن جماعة منهم قد أوردوها في كتبهم من دون طعن وقدح، فعلم بذلك ان الشيعة لا يتفردون بنقلها كما هو الظاهر من عبارة الحلبي حيث قال: وقول بعض الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله (ص) إلا علي بن أبي طالب ممنوع. وقوله وتعجبت الملائكة من شأن علي، وقول جبريل وهو يعرج الى السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، وقوله وقتل علي أكثر المشركين في هذه الغزوة فكان الفتح فيها على يديه... الخ. وبما قدمناه من كلمات القوم ظهر عدم اختصاص الشيعة بنقل تلك الفضائل، بل المنصفون منهم معترفون بذلك.

(تمة)

قال ابن الأثير^(٢): وكان في المسلمين رجل اسمه قزمان، وكان رسول الله (ص) يقول: أنه من أهل النار. فقاتل يوم أحد قتالاً شديداً فقتل من المشركين ثمانية أو تسعة، ثم جرح فحُمِل الى داره، وقال له المسلمون: أبشر يا قزمان. قال: بم أبشر وأنا ما قاتلت إلا عن أحساب قومي، ثم اشتد عليه جرحه فأخذ سهماً فقطع رواهش - يعني عروق ظاهر كفه - فنزف الدم فمات، فأخبر رسول الله (ص) فقال: أشهد اني رسول الله.

وكان ممن قُتل يوم أحد مخريق اليهودي قال ذلك اليوم لليهود: يا معشر يهود لقد علمتم ان نصر محمد عليكم حق. فقالوا: ان اليوم يوم السبت. فقال: لا سبت، وأخذ سيفه وعدته

(١) السيرة النبوية ٢ / ٢٣٥.

(٢) الكامل ٢ / ١٦٢.

وقال: إن قتلت فإلى محمد يصنع به ما يشاء، ثم غدا فقاتل حتى قُتل، فقال رسول الله (ص):
مخريق خير يهود.

وقُتل اليمان أبو حذيفة، قتله المسلمون، وكان رسول الله (ص) دفعه وثابت بن قيس مع
النساء، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان: ما ننتظر أفلا نأخذ أسيافنا فنلحق برسول الله
لعل الله أن يرزقنا الشهادة، ففعلا فدخلوا في الناس ولا يعلم بهما، فأما ثابت فقتله المشركون،
وأما اليمان فاختلف عليه سيوف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبي أبي. فقالوا:
والله ما عرفناه. فقال: يغفر الله لكم. وأراد رسول الله (ص) أن يديه فتصدّق بديته على
المسلمين.

وقال العلامة محمد حسين هيكل في كتاب حياة محمد ص ٢٩١: وصاح صائح بالناس:
إنّ محمداً قد قُتل، فازدادت الفوضى وعظمت البليّة واختلف المسلمون وصاروا يقتلون
ويضرب بعضهم ولا يشعرون لما هم فيه من العجلة والدهش. ثم قال: وكان أكبرهم كلّ
مسلم أن ينجو بنفسه إلا من عصم الله من أمثال علي بن أبي طالب. الى أن قال: فأما الذين
ظنّوا محمداً قد مات ومن بينهم أبو بكر فانتحوا الجبل وألقوا بأيديهم، فرآهم أنس بن النضر
فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله. قال: فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فوتوا على ما
مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل قتالاً شديداً وأبلى بلاءً منقطع النظير، حتّى أنّه لم يقتل إلا
بعد أن ضرب سبعين ضربة، وحتّى أنّه لم يعرفه أحد إلا أخته عرفته من بنانه. الى أن قال:
وازداد المسلمون في الجبل تصعيداً وقد نهكهم التعب وهدهم الجهد، حتّى صلّى النبي (ص)
الظهر قاعداً من الجراج التي أصابته وصلّى المسلمون خلفه قعوداً. وأما قريش فطارت
بنصرها سروراً وحسبت نفسها انتقمت لبدر أشدّ الانتقام، حتّى صاح أبو سفيان يوم بهوم
بدر: والموعود العام المقبل. وأما هند بنت عتبة زوجة فلم يكفها قتل حمزة بن عبدالمطلب، بل
انطلقت هي والنسوة اللاتي معها يمثّلتن بالقتلى من المسلمين يجدن الآذان والأنوف، وجعلت
هند لنفسها منها قلائد، وأقراطاً، ثم أنّها بقرت بطن حمزة وجذبت بين يديها كبده وجدّات
تلوكها بأسنانها فلا تستطيع أن تسيغها، وبلغ من شناعة ما فعلت وما فعلن النسوة ممّن معها

بل ما فعل الرجال كذلك من الفظائع أن تبرأ أبو سفيان من تبعتها وأعلن أنه لم يأمر به وإن كان قد اشترك فيه ، بل قال يخاطب أحد المسلمين : أنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ما رضيت وما سخطت وما نهيت وما أمرت ... الخ .

الآيات الواردة في غزوة أحد

قال العلامة محمد رضا: أنزل الله تعالى من القرآن في غزوة أحد ستين آية في سورة آل عمران ، قال الله تعالى ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مآعداً للقتال والله سميع عليم إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليُّها وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ زعم أكثر العلماء بالمغازي أن هذه الآية نزلت في وقعة أحد ، وقد كان المسلمون يومئذ كثيرين ، فلما انشقوا وخالفوا أمر الرسول انهزموا ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أنه تعالى لما ذكر قصة أحد أتبعها بذكر قصة بدر ، لأن المسلمين كانوا في غاية الضعف والكفار في غاية القوة ، ولكن لما كان الله ناصرهم قهروا خصومهم .

ثم قال تعالى ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ إن هذا الوعد كان يوم بدر ، وهو قول أكثر المفسرين ، وقد قالوا : إن الملائكة حاربوا يوم بدر ولم يقاتلوا في سائر الأيام ، وهذا المدد من المعجزات ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ فجعل مجيء خمسة آلاف من الملائكة مشروطاً بثلاثة أمور : الصبر ، والتقوى ، ومجيء الكفار على الفور . فلما لم توجد هذه الشرايط لا جرم لم يوجد المشروط .

﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم فينقلبوا خائبين ﴾ والمراد بالكبت الإخزاء والإهلاك والهزيمة والغيب والإذلال ، فكل ذلك ذكره المفسرون في تفسير الكبت .

﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾^(١) نزلت هذه الآية في قصة أحد لما شجّه عتبة بن أبي وقاص وكسر رباعيته، جعل يمسح الدم عن وجهه وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم، فنزلت هذه الآية. وقيل: أنه لعن أقواماً فنزلت هذه الآية.

الى أن قال تعالى ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴾ لما وقع الصراخ بأن محمداً قُتل، كما تقدّم ذكره في غزوة أحد. قال بعضهم: لو كان نبياً لما قُتل ارجعوا الى إخوانكم والى دينكم. فقال أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك: يا قوم إن كان قد قُتل محمد فإن ربّ محمد حيّ لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله، قاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه.

ثم قال: اللهم اتّى أعتذر اليك ممّا يقول هؤلاء، ثم سلّ سيفه فقاتل حتّى قُتل. الى أن قال: ثم إن رسول الله (ص) جعل ينادي ويقول: إلى عباد الله، حتّى انحازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم على هزيمتهم، فقالوا: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمّهاتنا أتانا خبر قتلك فاستولى الرعب على قلوبنا فولّينا مدبرين. وقد ذكر الله تعالى الحكمة فيما أصاب المؤمنين بمخالفتهم أمر النبي (ص) وعرفهم سوء عاقبة المعصية وشثوم ارتكاب المخالفة بما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله أن لا يبرحوا عنه بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الخ.

عدد القتلى من المسلمين والمشركين في غزوة أحد

قال محمد بن سعد^(١): وقُتل من الأنصار سبعون رجلاً، فيهم عمرو بن معاذ أخو سعد ابن معاذ. الى أن قال: وقُتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلاً فيهم حملة اللواء. الى أن قال: وأبو عزة الجمحي واسمه عمرو بن عبدالله بن عمير بن وهب، وقد كان أسير يوم بدر فنَّ عليه رسول الله (ص) فقال: لا أكثر عليك جمعاً. ثم خرج مع المشركين يوم أحد، فأخذه رسول الله أسيراً ولم يأخذ أسيراً غيره، فقال: مَنْ عليَّ يا محمد. فقال رسول الله (ص): انَّ المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، لا ترجع الى مكة تمسح عارضيك تقول: سخرت بمحمد مرتين، ثم أمر به عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فضرب عنقه، انتهى.

أقول: وقُتل من المهاجرين ثمانية رجلاً، منهم حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير وعبدالله بن جحش وشماس بن عثمان وعبدالله وعبدالرحمن ابنا الهيب ووهب بن قابوس وابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس، فجميع من قُتل من المهاجرين والأنصار ثمانية وسبعون رجلاً على ما رواه محمد بن سعد.

قال الطبري^(٢): وكان رجوع رسول الله (ص) الى المدينة يوم السبت، وذلك يوم الوقعة بأحد، فحدَّثنا ابن حميد قال: حدَّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدَّثني حسين ابن عبدالله عن عكرمة قال: كان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم أحد - وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال - أذن مؤذن رسول الله في الناس بطلب العدو... الخ.

(١) الطبقات الكبرى ٤٣/٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥٣٤/٢.

غزوة حمراء الأسد

قال ابن الأثير^(١): لما كان الغد من يوم أحد أذن مؤذن رسول الله بالغزو وقال: لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس، فخرج ليظن الكفار به قوة، وخرج معه جماعة جرحى يحملون نفوسهم، وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على سبعة أميال، فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء.

وقال محمد بن سعد^(٢): ثم غزوة رسول الله (ص) حمراء الأسد يوم الأحد لثمان ليال خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: لما انصرف رسول الله من أحد مساء يوم السبت بات تلك الليلة على بابة ناس من وجوه الأنصار، وبات المسلمون يداوون جراحاتهم، فلما صلى رسول الله (ص) الصبح يوم الأحد أمر بلالاً أن ينادي: إن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس. فقال جابر بن عبد الله: إن أبي خلفني يوم أحد على أخوات لي فلم أشهد الحرب، فأذن لي أن أسير معك، فأذن له رسول الله (ص)، فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال غيره. ودعا رسول الله (ص) بلوائه وهو معقود لم يُحل، فدفعه إلى علي بن أبي طالب... الخ.

وقال ابن هشام^(٣): وكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال: يا بُني أنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله على نفسي، فتخلف على أخواتك. قال محمد بن سعد^(٤): وخرج وهو مجروح في وجهه ومشجوج في جبهته ورباعيته قد شظيت وشفته السفلى قد كلمت في باطنها، وهو متوهن منكبه الأيمن من ضربة ابن قسيته وركبته مجحوشتان، وحشد أهل العوالي ونزلوا حيث أتاهم الصريح، وركب رسول الله (ص)

(١) الكامل ١٦٤/٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٤٨/٢.

(٣) السيرة النبوية ١٠٧/٣.

(٤) الطبقات الكبرى ٤٩/٢.

فرسه، وخرج الناس معه، فبعث ثلاثة نفر من اسلم طليعة في آثار القوم، فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد، وهي من المدينة على عشرة أميال طريق العقيق متياسرة عن ذي الحليفة إذا أخذتها في الوادي، وللقوم زحل، وهم يأترون بالرجوع وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك، فبصروا بالرجلين فعطفوا عليها فعلوها (أي قتلوها) ومضوا، ومضى رسول الله (ص) بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، فدفن الرجلين في قبر واحد وهما القرينان، وكان المسلمون يُوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فكبت الله تبارك وتعالى بذلك عدوهم ... الخ.

وقال ابن كثير^(١): قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد وذكره رجوعه (ص) الى المدينة: وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله (ص)، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه، فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكة القوم وجدّهم ثم تركتموهم ولم تبتروهم، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم. فأمر رسول الله (ص) وبهم أشدّ القرح بطلب العدو ليسمعوا بذلك، وقال: لا ينطلقنّ معي إلا من شهد القتال. فقال عبدالله بن أبي: أنا راكب معك. فقال: لا، فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء، فانطلقوا فقال الله في كتابه ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيمٌ﴾.

الى أن قال: قال ابن إسحاق: وأما خرج رسول الله (ص) مرهباً للعدو ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنّوا به قوّة، وإنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: أنّ رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أحداً أنا وأخي لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله (ص) في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله، والله ما لنا من دابة فنركبها وما منا إلا جريح ثقيل. فخرجنا مع رسول الله (ص)

وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غلب حملته عقبته ومشى عقبته حتى انتهينا الى ما انتهى إليه المسلمون .

الى أن قال : قال ابن إسحاق : حدّثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعي - وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيّبة رسول الله بتهمته صفتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها - ومعبد يومئذ مشرك مرّ برسول الله وهو مقيم بجمراء الأسد ، فقال : يا محمد أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ولوّدّنا انّ الله عافاك فيهم ، ثم خرج من عند رسول الله (ص) بجمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله (ص) وأصحابه ، وقالوا : أصبنا جدّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرنّ على بقيّتهم فلنفرغنّ منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرّقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا فيهم من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال : ويملك ما تقول . قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم لنستأصل شأفتهم . قال : فإني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر :

كادت تهدّ من الأصوات راحلتي	إذ سالت الأرض بالجرّد الأبايل
تردى بأشدّ كرام لا تنابله	عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدواً أظنّ الأرض مائلة	لما سمو برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم	إذا تعظمت البطحاء بالجيل
إني نذير لأهل البل ضاحية	لكلّ ذي أربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش قنابله	وليس يوصف ما أنذرت بالقييل

قال : فثنى ذلك أبو سفيان ومن معه ، ومرّ به ركب من عبدالقيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة . قال : ولمّ ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلّغون عنيّ محمداً رسالةً أرسلكم بها إليه وأحمل لكم إيلكم هذه غداً زيبياً بمكاظ إذا وافيتموها . قالوا : نعم . قال : إذا وافيتموه

فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه لنستأصل بقيتهم. فرّ الركب برسول الله (ص) وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال (ص): حسبنا الله ونعم الوكيل. وكذا قال الحسن البصري.

وقد قال البخاري: حدثنا أحمد بن يونس، أراه قال حدثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس: حسبنا الله ونعم الوكيل - قالها إبراهيم (ع) حين ألقى في النار، وقالها محمد حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

الى أن قال: وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد الذي كان منه، فرجع الى مكة. انتهى ما نقله ابن كثير.

وقال ابن الأثير^(١): ثم عاد (ص) الى المدينة وظفر في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص وبأبي عزة عمرو بن عبدة الله الجمحي، وكان قد تخلف عن المشركين بحمراء الأسد، وساروا وتركوه نائماً، وكان أبو عزة قد أسر يوم بدر، فأطلقه رسول الله (ص) بغير فداء، لأنه شكاه إليه فقراً وكثرة عيال، فأخذ رسول الله (ص) عليه العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله، فخرج معهم يوم أحد وحرّض على المسلمين، فلما أتى به رسول الله (ص) قال له: يا محمد أمن عليّ. قال: المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وأمر به وقتل. وأمّا معاوية ابن المغيرة وهو الذي جدع أنف حمزة ومثّل به مع من مثّل به، وكان قد أخطأ الطريق، فلما أصبح أتى دار عثمان بن عفان، فلما رآه قال له عثمان: أهلكني وأهلكك نفسك. فقال: أنت أقربهم مني رحماً وقد جئتك لتجيرني، وأدخله عثمان داره وقصد رسول الله (ص) ليشفع فيه، فسمع رسول الله يقول: إن معاوية بالمدينة فاطلبوه، فأخرجوه من منزل عثمان وانطلقوا به الى النبي (ص) فقال، عثمان: والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأطلب له أماناً فهبه لي. فوهبه له وأجله ثلاثة أيام وأقسم لئن أقام بعدها ليقتلته، فجهّزه عثمان وقال له: ارتحل. وسار رسول

الله (ص) الى حمراء الأسد، وأقام معاوية ليعرف أخبار النبي، فلما كان اليوم الرابع قال النبي (ص): إن معاوية أصبح قريباً ولم يبعد فاطلبوه. فطلبه زيد بن حارثة وعمار فأدركاه بالحماة فقتلاه. وهذا معاوية جد عبد الملك بن مروان بن الحكم لأمه.

وقال ابن هشام^(١): ويقال إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتل معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد، وكان لجأ الى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله (ص) فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قُتل، فأقام بعد ثلاث وتواري، فبعثها النبي (ص) وقال: أنكما تجدانه بموضع كذا وكذا، فوجدها وقتلاه... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٢): وقال الواقدي: وباتت وجوه الأنصار على بابها (ص) خوفاً من كثرة العدو، فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبدالله بن عمرو المزني فأخبر النبي (ص) أنه قد أقبل من عند أهله بجلل - اسم موضع قرب المدينة - إذا قریش قد نزلوا، فسمعهم يقولون: ما صنعتم شيئاً، أصبتم شوكة القوم وجدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم، قد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فارجعوا نستأصل من بقي منهم. وصفوان بن أمية يأبي ذلك عليهم ويقول: لا تفعلوا فإن القوم قد غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخنزرج، فارجعوا والدولة لكم فإني لا آمن إن رجعت أن تكون الدولة عليكم. فقال (ص): أرشدكم صفوان وما كان برشيد، والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكان كأسم الذهاب. فلما صلى الصبح ندب الناس وأذن مؤذن رسول الله بالخروج، أي أمر بلالاً أن ينادي: إن رسول الله (ص) يأمركم بطلب العدو، وأن لا يخرج معنا إلا من خرج أمس، يعني من شهد أحداً، وأراد بذلك اظهار الشدة للعدو، فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم على غاية من القوة والرسوخ في الإيمان وحب النبي، وأراد أيضاً الزيادة في تعظيم من شهد أحداً، وأيضاً خاف اختلاط المناققين بهم فيمنون عليهم بخروجهم معهم وهم مسلمون ظاهراً فلا يمكن منعهم.

(١) السيرة النبوية ٢ / ١١١.

(٢) السيرة النبوية ١ / ٢٥٢.

الى أن قال: وروى النسائي والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما رجع المشركون عن أحد قالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتن بئسما صنعتن ارجعوا، فسمع بذلك رسول الله فندب المسلمين فانتدبوا، فخرج بهم حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبي عتبة، فأنزل الله عز وجل ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية، وخرج وهو مجروح وفي وجهه أثر الحلقتين ورباعيته مكسورة وشفته السفلى مشقوقة وركبته مجروحتان من وقعة الحفيرة، ولقيه طلحة بن عبيدالله فقال له: يا طلحة أين سلاحك؟ فقال: قريب فذهب وأتى به وبه بضع وسبعون جراحة منها سبعة بصدرة، فقال له النبي (ص): يا طلحة أين تظن القوم؟ فقال: بالسيالة. فقال: ذلك الذي ظننت، أما أنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة.

الى أن قال: وكان اللواء في هذه الغزوة بيد علي بن أبي طالب، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم. الى أن قال: ثم رجع رسول الله (ص) بأصحابه بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء، ووصلوا المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمساً، وظفر (ص) عند رجوعه الى المدينة بمعاوية بن المغيرة فأمر بقتله، وحاصل قصته: أنه لما رجع المشركون من أحد ذهب على وجهه، ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبي: من أنت؟ قال: ابن عم عثمان. فقالت: ليس هو ههنا. فقال: أرسليني إليه فله عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه، فجاء عثمان فلما نظر إليه قال: أهلكني وأهلكت نفسك. فقال يابن عمّ لم يكن أحد أمس بي رحماً منك فأجرني، فأدخله عثمان منزله وجعله في ناحية. ثم خرج عثمان ليأخذ له أماناً من رسول الله (ص)، فسمع رسول الله يقول: إن معاوية بالمدينة فاطلبوه، فدخلوا منزل عثمان فأشارت إليهم أم كلثوم بأنه في ذلك المكان بعد أن علمت أن رسول الله أمرهم بذلك، فأخرجوه وأتوا به رسول الله (ص) فأمر بقتله.

بعض حوادث السنة الثالثة من الهجرة

قال ابن الأثير^(١): وفيها - أي السنة الثالثة من الهجرة - قيل ولد الحسن بن علي في النصف من شهر رمضان، وفيها علقت فاطمة بالحسين، وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوماً.. الخ.

وقال الطبري^(٢): وفي هذه السنة ولد الحسن بن علي بن أبي طالب في النصف من شهر رمضان، وفيها علقت فاطمة بالحسين صلوات الله عليهما، وقيل لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين إلا خمسون ليلة... الخ.

وقال ابن كثير^(٣) وفيها قال ابن جرير: ولد لفاطمة بنت رسول الله (ص) الحسن بن علي ابن أبي طالب. قال وفيها علقت بالحسين، انتهى.

وقال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة علقت فاطمة بالحسين في ذي القعدة، وكان بين ولادتها الحسن وعلوقها بالحسين خمسين ليلة.

وقال الزيني دحلان^(٤): وفي هذه السنة كانت ولادة الحسن بن علي، وهي سنة ثلاث من الهجرة منتصف شهر رمضان، وحملت فاطمة بعد ولادته بخمسين ليلة بالحسين بن علي، وفي هذه السنة أيضاً حرمت الخمر في شوال بعد وقعة أحد.

وقال الحلبي^(٥): وكان في هذه السنة الثالثة مولد الحسن بن علي... الخ.

(١) الكامل ١٦٦/٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥٣٧/٢.

(٣) السيرة النبوية ١٢٠/٢.

(٤) السيرة النبوية ٢٥٤/١.

(٥) السيرة للحلبي ٢٦١/٢.

غزوة الرجيع

قال ابن الأثير^(١): وفي هذه السنة - يعني السنة الرابعة من الهجرة - في صفر كانت غزوة الرجيع، وكان سببها أن رهطاً من عضل والقارة (وهما بطنان من الهون بن خزيمية بن مدركة) قدموا على النبي (ص) فقالوا: إن فينا إسلاماً فابعث لنا نفراً يفقهوننا في الدين ويقرؤنا القرآن، فبعث معهم ستة نفر وأمر عليهم عاصم بن ثابت وقيل مرثد بن أبي مرثد، فلما كانوا بالهدأة (هي بلدة) غدروا واستصرخوا عليهم حياً من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فبعثوا لهم مائة رجل، فالتجأ المسلمون إلى جبل فاستنزلوهم وأعطوهم العهد، فقال لهم عاصم: والله لا أنزل على عهد كافر، اللهم خبر نبيك عنا، وقاتلهم هو ومرثد وخالد بن البكير، ونزل إليه ابن الدثنة وخبيب بن عديّ ورجل آخر فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أتبعكم، فقتلوه وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة فباعوهما بمكة، فأخذ خبيباً بنو الحرث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحرث بأحد، فأخذوه ليقتلوه بالحرث، فبينما خبيب عند بنات الحرث استعار من بعضهن موسى يستحدها للقتل، فدب صبي لها فجلس على فخذ خبيب والموسى في يده، فصاحت المرأة فقال خبيب: أتخشين أن أقتله إن الغدر ليس من شأننا، فكانت المرأة تقول: ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، لقد رأيتته وما بمكة ثمرة وإن في

(١) الكامل ٢ / ١٦٧.

يده لقطفاً من عنب يأكله ما كان إلا رزقاً رزقه الله خُبياً، فلما خرجوا من الحرم مُخْبِيب ليقتلوه قال: ردوني أصلي ركعتين، فتركوه فصلّاهما فجرت سُنَّةٌ لمن قتل صبراً. ثم قال خُبِيب: لولا أن تقولوا جزع لَزِدْتُ، وقال أبياتا:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شقّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً، ثم صلبوه.

وأما عاصم بن ثابت فأنهم أرادوا رأسه لبيعهوه من سُلَاقَة بنت سعد، وكانت نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم لأنه قتل ابنها بأحد، فجاءت النحل فنعتته، فقالوا: دعوه حتى يمسي فنأخذه، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً، وكان عاهد الله أن لا يمسّ مشركاً ولا يمسه مشرك، فمنعه الله في مماته كما منع في حياته.

وأما ابن الدثنة فإن صفوان بن أمية بعث به مع غلامه نسطاس الى التنعيم ليقبله بابنيه، فقال نسطاس: أنشدك الله أتحبّ انّ محمداً الآن عندنا مكانك فضرب عنقه وانك في أهلك؟ قال: ما أحبّ انّ محمداً الآن مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كحُبِّ أصحاب محمد محمداً. ثم قتله نسطاس.

وقال الطبري^(١): وأمر رسول الله (ص) على القوم مرثد بن أبي مرثد، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء هذيل بناحية من الحجاز من صدور الهداة) غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذياً فلم يرع القوم وهم في رحاهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا لهم: إننا والله ما نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيبُ بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم. فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً، فقاتلوهم حتى قتلوهم

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٥٣٨.

جميعاً، وأمّا زيد بن الدثنة وخُبَيْب بن عديّ وعبدالله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعهم بها، حتّى إذا كان بالظهران انتزع عبدالله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتّى قتلوه فقبروه بالظهران ... الخ.

سرية الرجيع

قال محمد بن سعد^(١): ثم سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى الرجيع في صفر على رأس سنة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله (ص). ثم روى باسناده عن أبي هريرة أنّه قال: قدم على رسول الله (ص) رهط من عضل والقارة وهم الى الهون بن خزيمه، فقالوا: يا رسول الله إنّ فينا إسلاماً فابعث معنا نفرأ من أصحابك يفقهونا ويقرؤنا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله معهم عشرة رهط. الى أن قال: وأمّر عليهم عاصم بن ثابت وقال قائل مرثد بن أبي مرثد، فخرجوا حتّى إذا كانوا على الرجيع (وهو ماء لهذيل بصدور الهدأة والهدأة على سبعة أميال من عُسْفان) فغدروا بالقوم واستصرخوا عليهم هذياً، فخرج إليهم بنو لحيان فلم يرع القوم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم، فأخذ أصحاب رسول الله (ص) سيوفهم، فقالوا لهم: والله ما نريد قتالكم إنّما نريد أن نصيب بكم ثمناً من أهل مكة، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتلكم. فأما عاصم بن ثابت ومرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكير ومعتب بن عبيد فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً، فقاتلوهم حتّى قُتلوا، وأمّا زيد بن الدثنة وخُبَيْب بن عديّ وعبدالله بن طارق فاستأسروا وأعطوا بأيديهم.

الى أن قال: حتّى إذا كان بمز الظهران انتزع عبدالله بن طارق يده من القران وأخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتّى قتلوه فقبروه بمز الظهران، وقدموا بخُبَيْب وزيد مكة. ثم قال: فحبسوهما حتّى خرجت الأشهر الحرم ثم أخرجوهما الى التنعيم فقتلوهما.

وكانا صلياً ركعتين ركعتين قبل أن يُقتلا، فخُيِّب أول من سنّ ركعتين عند القتل .
ثم روى باسناده عن موهب قال: قال لي خُبيب وكانوا جعلوه عندي: يا موهب أطلب
اليك ثلاثاً: أن تسقيني العذب، وأن تحبيني ما ذبح على النصب، وأن تُؤذني إذا أرادوا قتلي،
انتهى.

وقال العلامة محمد رضا: فحبسوها حتّى خرجت الأشهر الحرم فقتلوا زيّداً، وأمّا
خُبيب فكذلك مكث أسيراً حتّى خرجت الأشهر الحرم ثم أجمعوا وكانوا في أوّل الأمر أساؤا
إليه في حبسه، فقال لهم: ما يصنع القوم الكرام هكذا بأسيرهم، فأحسنوا إليه بعد ذلك
وجعلوه عند امرأة تحرسه وهي ماوية مولاة حجير وقد قالت ماوية: كان خُبيب يتهجّد
بالقرآن، فاذا سمعه النساء بكين ورققن عليه، فقلت له: أهل لك من حاجة؟ قال: لا إلا أن
تسقيني العذب، ولا تطعمين ما ذبح على النصب، وتخبريني إذا أرادوا قتلي. فلما أرادوا ذلك
أخبرته ... الخ.

قال ابن الأثير^(١): ولما قتل عاصم وأصحابه بعث رسول الله (ص) عمرو بن أميّة
الضرمي الى مكة مع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب. قال عمرو:
فخرجت أنا ومعي بعير لي وبرجل صاحبي علة، فكنت أحمله على بعيري حتّى جئنا بطن
يأجج (اسم موضع قريب من مكة) فعقلنا بعيرنا في فناء شعب وقلت لصاحبي: انطلق بنا الى
دار أبي سفيان لنقتله، فإن خشيت شيئاً فالحق بالبعير فاركبه والحق برسول الله وأخبره الخبر
وخلّ عني فأتيت عالم بالبلد. فدخلنا مكة ومعي خنجر قد أعددت له إن عاقني إنسان ضربته به،
فقال لي صاحبي: هل لك أن نبدأ فنطوف ونصلي ركعتين؟ فقلت: إن أهل مكة يجلسون
بأفئتهم وأنا أعرف بها، فلم يزل بي حتّى أتينا البيت فطفنا وصلينا، ثم خرجنا فررنا بمجلس
لهم فعرفني بعضهم، فصرخ بأعلى صوته: هذا عمرو بن أميّة، فثار أهل مكة اليها وقالوا: ما
جاء إلا لشرّ وكان فاتكاً متشيطناً في الجاهلية، فقلت لصاحبي: النجاء هذا والله الذي كنت

أحذر، أما أبو سفيان فليس إليه سبيل فأنج بنفسك فخرجنا نشتد حتى صعدنا الجبل، فدخلنا غاراً فبتنا فيه ليلتنا ننتظر أن يسكن الطلب. قال: فوالله أني لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك التيمي يختل بفرس له، فقام على باب الغار، فخرجت إليه فضربته بالخنجر تحت الثدي، فصاح صيحةً أسمع أهل مكة، فأقبلوا إليه ورجعت إلى مكاني فوجدوه وبه رمق، فقالوا: من ضربك؟ قال: عمرو بن أمية. ثم مات ولم يقدر أن يخبرهم بمكاني، وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبي، فاحتملوه ومكثنا في الغار يومين حتى سكن الطلب، ثم خرجنا إلى التنعيم فاذا بخشبة خبيب وحوله حرس، فصعدت خشبته فاحتلته واحتملته على ظهري، فما مشيت به إلا نحو أربعين خطوة حتى نذروا بي (أي اطلعوا علي) فطرحته فاشتدوا في أثري، فأخذت الطريق فأعيوا ورجعوا. وانطلق صاحبي فركب البعير وأتى النبي (ص) فأخبره، وأما خبيب فلم ير بعد ذلك وكان الأرض ابتلعتة.

قال الزيني دحلان^(١): ثم بعد أن قتلوا خبيباً أبقوه على خشبته مصلوباً مدة وحوله جماعة منهم يحرسونه، فأرسل رسول الله (ص) الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وفي رواية عمرو بن أمية الضمري فأتوه، فاذا هو رطب لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوماً، فحمله الزبير على فرسه وسار، فلحقهم سبعون من الكفار فقفده فابتلعتة الأرض... الخ. قال: وسرت حتى دخلت غاراً بضجنان (اسم جبل على بريد من مكة) ومعني قوسي وأسهمي، فبينما أنا فيه إذ دخل علي رجل من بني الدئل، أعور طويل يسوق غنماً، فقال: من الرجل؟ قلت، من بني الدئل، فاضطجع معي ورفع عقيرته يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمين

ثم نام فقتلته أسوأ قتلة، ثم سرت فاذا رجلاً بعثتها قريش يتجسسان أمر رسول الله (ص)، فرميت بسهم فقتلته واستأسرت الآخر فقدمت على النبي (ص) وأخبرته الخبر، فضحك حتى بدت نواجذه ودعاني بخير... الخ.

وقال ابن كثير^(١): قال عمرو بن أمية: فلما قدمت المدينة أتى صبيان الأنصار وهم يلعبون، وسمعوا أشياخهم يقولون: هذا عمرو، فاشتد الصبيان إلى النبي (ص) فأخبروه، وأتته بالرجل قد ربطت إبهامه بوتر قوسي، فلقد رأيت النبي (ص) وهو يضحك ثم دعا لي بخير... الخ.

بعض أحداث السنة الرابعة من الهجرة

قال ابن الأثير^(٢): وفي هذه السنة - أي السنة الرابعة من الهجرة - تزوج رسول الله (ص) زينب بنت خزيمة أم المساكين من بني هلال في شهر رمضان، وكانت قبله عند الطفيل بن الحرث فطلقها.

وهكذا روى الطبري ما نقله ابن الأثير مع زيادة، وهي قوله: ودخل بها فيه وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشأ - يعني نصفاً - الخ.

وقال محمد بن سعد^(٣): ثم سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي إلى قطن (وهو جبل بناحية فيد) به ماء لبني أسد بن خزيمه في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله (ص)، وذلك أنه بلغ رسول الله أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومها ومن أطاعهما يدعونهم إلى حرب رسول الله، فدعا رسول الله (ص) أبا سلمة وعقد له لواءً وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، وقال: سر حتى تنزل أرض بني أسد فاغز عليهم قبل أن تلاقي عليك جمعهم، فخرج فأغذ السير ونكب عن سنن الطريق وسبق الأخبار وانتهى إلى أدنى قطن فأغار على سرح لهم، فضمّوه وأخذوا رعاء لهم بمالك ثلاثة وأفلت سائرهم، فجاؤا جمعهم فحذروهم فتفرقوا في كل ناحية، ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق في طلب النعم والشاء، فأبوا إليه سالمين قد أصابوا إبلاً وشاءً ولم يلقوا

(١) السيرة النبوية ١٣٨/٣.

(٢) الكامل ١٧٠/٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٥٠/٢.

أحداً فأنحدر أبو سلمة بذلك كله الى المدينة .

وقال محمد بن سعد أيضاً: ثم سرية عبدالله بن أنيس الى سفيان بن خالد نسيح الهذلي بعرنة، خرج من المدينة يوم الإثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله، وذلك أنه بلغ رسول الله (ص) أن سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني - وكان ينزل عرنة وما والاها في ناس من قومه وغيرهم - وقد جمع الجموع لرسول الله، فبعث رسول الله عبدالله بن أنيس ليقتله، فقال صفه لي يا رسول الله . قال (ص) إذا رأيته هبته وفرقت منه وذكرت الشيطان . قال: وكنت لا أهاب الرجال، واستأذنت رسول الله (ص) فأذن لي، فأخذت سيفي وخرجت اعترى الى خزاعة، حتى إذا كنت ببطن عرنة لقيته يمشي ووراءه الأحابيش ومن ضوى إليه، فعرفته بنعت رسول الله (ص) وهبته فرأيتني أقطر، فقلت: صدق الله ورسوله . فقال: من الرجل؟ فقلت: رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك . قال: أجل أني لأجمع له، فشيت معه وحدثته واستحلى حديثي حتى انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه، حتى إذا هدا الناس وناموا اغتررت فقتلته وأخذت رأسه، ثم دخلت غاراً في الجبل وضربت العنكبوت عليّ، وجاء الطلب فلم يجدوا شيئاً فانصرفوا راجعين، ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتواري بالنهار، حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله (ص) في المسجد، فلما رأيته قال: أفلح الوجه . قلت: أفلح وجهك يا رسول الله . فوضعت رأسه بين يدي رسول الله (ص) وأخبرته خبري، فدفع إليّ عصاً وقال: تخصّر بهذه في الجنة، فكانت عنده، فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدرجوها في كفيه ففعلوا . وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم، انتهى .

حادثة بئر معونة

قال ابن الأثير: وفي هذه السنة - أي السنة الرابعة من الهجرة - في صفر قُتل جمع من المسلمين ببئر معونة، وكان سبب ذلك أن أبا براء ابن عازب بن عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة سيّد بني عامر بن صعصعة قدم المدينة وأهدى للنبي (ص) هديّة فلم يقبلها

وقال: يا أبا براء لا أقبل هديّة مشرك. ثم عرض عليه الإسلام فلم يبعد عنه ولم يُسلم وقال: إن أمرك هذا حسن، فلو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعوهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله (ص): أخشى عليهم أهل نجد. فقال أبو براء: أنا لهم جار، فبعث رسول الله (ص) سبعين رجلاً، فيهم المنذر بن عمرو الأنصاري والحارث ابن الصمّة وحرام بن ملحان وعامر بن فهيرة وغيرهم، وقيل كانوا أربعين، فساروا حتّى نزلوا ببئر معونة من أرض بني عامر وحرّة بني سليم، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي (ص) إلى عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر إلى الكتاب وعدا على حرام فقتله، فلما طعنه قال: الله أكبر فزت وربّ الكعبة، واستصرخ بني عامر فلم يجيبوه وقالوا: لن نحضر أبا براء فقد أجارهم، فاستصرخ بني سليم فأجابوه وخرجوا حتّى أحاطوا بالمسلمين، فقاتلوهم حتّى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد الأنصاري فإنهم تركوه وبه رمق، فعاش حتّى قتل يوم الخندق.

وقال الطبري^(١): فبعث رسول الله المنذر بن عمرو وأخا بني ساعدة المُنِق فيموت في أربعين رجلاً من خيار المسلمين... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): ثم سرية المنذر بن عمرو الساعدي إلى بئر معونة في صفر على رأس ستّة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله (ص). إلى أن قال: فبعث رسول الله (ص) مع أبي براء سبعين رجلاً من الأنصار شَبَبَةً يُسَمُّون القراء، وأمّر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي، فلما نزلوا ببئر معونة وهو ماء من مياه بني سليم وهو بين أرض بني عامر وأرض بني سليم كلا البلدين يعدّ منه وهو بناحية المعدن نزلوا عليها وعسكروا بها وسرحوا ظهرهم وقدّموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل، فوثب على حرام فقتله واستصرخ عليهم بني عامر وقالوا: لا يخفر جوار أبي براء، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عُصيّة ورعلاً وذكوان، فنفروا معه وواسوه، واستبطأ المسلمون حراماً فأقبلوا في أثره فلقبهم

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٥٤٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٥١.

القوم فأحاطوا بهم فكاثروهم، فتقاتلوا فقتل أصحاب رسول الله (ص) وفيهم سليم بن ملحان والحكم بن كيسان في سبعين رجلاً، فلما أحاطوا بهم قالوا: اللهم إنا لا نجد من يبلغ رسولك منا السلام غيرك، فأقرته منا السلام، فأخبره جبرئيل بذلك، فقال (ص) فعليهم السلام. وبقي المنذر بن عمرو فقالوا: أمناك فأبى وأتى مصرع حرام فقاتلهم حتى قتل، فقال رسول الله: أعنق ليموت - يعني أنه تقدم على الموت وهو يعرفه - . وكان معهم عمرو بن أمية الضمري فقتلوا جميعاً غيره، فقال عامر بن الطفيل: قد كان على أمي نَسَمَةٌ فأنت حرَّ عنها وجزَّ ناصيته، وفقد عمرو بن أمية عامر بن فهيرة من بين القتلى، فسأل عنه عامر بن الطفيل فقال: قتله رجل من بني كلاب يقال له جبَّار بن سُلمي لما طعنه. قال: فزت والله، ورفع الى السماء علواً فأسلم جبَّار بن سُلمي لما رأى من قتل عامر بن فهيرة ورفع، وقال رسول الله: إنَّ الملائكة وارت جُثته وأنزل عليَّين. وجاء رسول الله (ص) خبر أهل بئر معونة، وجاءه تلك الليلة أيضاً مصاب خبيب بن عدي ومرثد بن أبي مرثد وبعث محمد بن مسلمة، فقال رسول الله: هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارهاً. ودعا رسول الله (ص) على قتلهم بعد الركعة من الصبح، فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم عليك ببني لحيان وعضل والقارة وزغب ورعل وذكوان وعُصيَّة فانهم عصوا الله ورسوله. ولم يجد رسول الله (ص) على قتلى ما وجد على قتلى بئر معونة ... الخ.

ثم روى محمد بن سعد باسناده عن أنس بن مالك أنه قال: وكانوا يُدعون فينا القراء، كانوا يحطبون بالنهار ويُصلُّون بالليل، فلما بلغوا بئر معونة غدروا بهم فقتلوهم، فبلغ ذلك نبي الله (ص) فقنت شهراً في صلاة الصبح يدعو على رعل وذكوان وعُصيَّة وبني لحيان. قال: فقرأنا بهم قرآناً زماناً ثم إنَّ ذلك رُفِعَ أو نُسي «بلَّغوا عنَّا قومنا إنا لقينا ربنا فرضي عنَّا وأرضانا» انتهى.

وقال الطبري^(١): إنَّ عامر بن الطفيل كان يقول: من الرجل منهم، لما قُتل رأيته رفع بين

السماء والأرض، حتى رأيت السماء من دونه. قالوا: هو عامر بن فهيرة.
ثم روى بإسناده عن رجل من بني جبّار قال: كان جبّار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم
أسلم بعد ذلك. فقال: فكان يقول: ممّا دعاني الى الإسلام أنّي طعنت رجلاً منهم بالرمح بين
كتفيه، فنظرت الى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعتة يقول حين طعنته: فزتُ والله.
قال: قلت في نفسي: ما فاز، أليس قد قتلت الرجل، حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا:
الشهادة. قال: فقلت فاز لعمر الله.

الى أن قال: قال إسحاق: حدّثني أنس بن مالك: انّ الله عزّ وجلّ أنزل فيهم قرآناً «بلّغوا
عنا قومنا أنّا قد لقينا ربّنا فرضي عنا ورضينا عنه» ثم نسخت فرفعت بعدما قرأناه زماناً،
وأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرزقون﴾ فرحين ﴿الآية.

وقال الواقدي^(١): خرج المنذر بدليل له من بني سليم يقال له المطالب، فلما نزلوا عليها
عسكروا بها وسرّحوا ظهرهم، وبعثوا في سرحهم الحارث بن الصمّة وعمرو بن أميّة،
وقدّموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (ص) الى عامر بن الطفيل. الى أن قال: وأقبل
الحارث بن الصمّة وعمرو بن أميّة بالسرح، وقد ارتابا بعكوف الطير على منزلهم أو قريب
منه، فجعلوا يقولان: قتل والله أصحابنا أهل نجد.

وقال الطبري^(٢): وكان في سرح القوم عمرو بن أميّة الضمري ورجل من الأنصار أحد
بني عمرو بن عوف فلم يُنبئها بمصاب أصحابها إلا الطير تحوم على العسكر، فقالا: والله انّ
لهذه الطير لشأناً فأقبلا لينظرا إليه، فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال
الأنصاري لعمر بن أميّة: ماذا ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله (ص) فنخبره الخبر.
فقال الأنصاري: لكنّي ما كنت لأرغب بنفسني عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنت
لتخبرني عنه الرجال. ثم قاتل القوم حتى قُتل، وأخذوا عمرو بن أميّة أسيراً، فلما أخبرهم أنّه

(١) المغازي ١ / ٣٠٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٥٤٧.

من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجزّ ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنّها كانت على أمّه، فخرج عمرو بن أميّة حتّى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بني عامر حتّى نزلا معه في ظلّ هو فيه، وكان مع العامريّين عقد من رسول الله (ص) وجوار لم يعلم به عمرو بن أميّة، وقد سألهما حين نزلا: ممّن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأمهلهما حتّى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنّه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر بما أصابوا من أصحاب رسول الله، فلما قدم عمرو بن أميّة على رسول الله أخبر الخبر، فقال رسول الله (ص): لقد قتلت قتيلين... الخ.

وقال الواقدي^(١): وأخبر عمرو بن أميّة النبي (ص) بمقتل العامريين، فقال: بشس ما صنعت، قتلت رجلين قد كان لهما منّي أمان وجوار لأدينتهما، فكتب إليه عامر بن الطفيل وبعث نقرأ من أصحابه يخبره أنّ رجلاً من أصحابك قتل رجلين من أصحابنا ولهما منك أمان وجوار، فأخرج رسول الله (ص) ديتها دية حرّين مسلمين، فبعث بها إليهم، انتهى.

غزوة بني النضير

قال محمد بن سعد^(٢): ثم غزوة رسول الله (ص) بني النضير في شهر ربيع الأول سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله، وكانت منازل بني النضير بناحية الغرس وما والاها مقبرة بني خَطْمَة اليوم، فكانوا حلفاء لبني عامر. قالوا: خرج رسول الله (ص) يوم السبت فصلّى في مسجد قباء ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم أتى بني النضير فكلّمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلها عمرو بن أميّة الضمري، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت، وخلا بعضهم ببعض وهمّوا بالغدر به، وقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة، فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا والله ليخبرنّ

(١) المغازي ١/٣٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٥٧.

بما همتم به وأنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه، وجاء رسول الله (ص) الخبر بما هموا، فنهض رسول الله سريعاً كأنه يريد حاجة، فتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه فقالوا: أقتت ولم نشعر. قال (ص): همّت يهود بالقدر فأخبرني الله بذلك فقمت، وبعث إليهم رسول الله محمد بن مسلمة: أن أخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد همتم بما همتم به من القدر، وقد أجلتكم عشراً فنرئى بعد ذلك ضربت عنقه. فكثوا على ذلك أياماً يتجهزون، وأرسلوا إلى ظهر لهم بذي الجدر، وتكاروا من ناس من أشجع إبلاً، فأرسل إليهم ابن أبي: لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصنكم، فإنّ معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم، وتمدّكم قريظة وحلفائكم من غطفان. فطمع حبي بن أخطب فيما قال ابن أبي.

وقال الواقدي: فقال سلام: ليس قول ابن أبي بشيء، إنّما يريد ابن أبي أن يُورطك في الهلكة حتّى تحارب محمداً ثمّ يجلس في بيته ويتركك، قد أراد من كعب بن أسد النصر فأبى كعب وقال: لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حيّ، وإلاّ فإنّ ابن أبي قد وعد حلفاء بني قينقاع مثل ما وعدك حتّى حاربوا ونقضوا العهد وحصروا أنفسهم في صياصيمهم وانتظروا نصر ابن أبي، فجلس في بيته وسار محمد إليهم فحصرهم حتّى نزلوا على حكمه، فابن أبي لا ينصر حلفاءه هو ومن كان يمنعه من الناس كلهم ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الأوس في حربهم كلّها إلى أن تقطعت حربهم، وقدم محمد فحجز بينهم وابن أبي لا يهودي على دين يهود ولا هو على دين محمد ولا هو على دين قومه، فكيف تقبل منه قولاً قاله؟ قال حبي بن أخطب: تأبى نفسي إلاّ عداوة محمد وإلاّ قتاله. فقال سلام: فهو والله جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا وذهاب شرفنا وسبي ذرارينا مع قتل مقاتلينا، فأبى حبيّ إلاّ القتال، انتهى.

وقال محمد بن سعد^(١): فأرسل إلى رسول الله (ص): أنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، فأظهر رسول الله (ص) التكبير وكبر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربت يهود، فصار

إليهم النبي في أصحابه فصلّى العصر بفضاء بني النضير وعليّ يحمل رايته، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فلما رأوا رسول الله (ص) قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم، وخذلهم ابن أبيّ وحلفاؤهم من غطفان فأيسوا من نصرهم، فحاصرهم رسول الله (ص) وقطع نخلمهم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادك. فقال: لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة، فنزلت يهود على ذلك. وكان حاصرهم خمسة عشر يوماً، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم، ثم أجلاهم عن المدينة، وولّى إخراجهم محمد بن مسلمة، وحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستائة بعير، فقال رسول الله (ص): هؤلاء في قومهم بمنزلة بني المغيرة في قريش فلحقوا بخيبر، وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً، وقبض رسول الله الأموال والحلقة، فوجد من الحلقة خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً، وكانت بنو النضير صقيماً لرسول الله (ص) خالصة له حبساً لنوابه، ولم يخمسها ولم يسهم منها لأحد، وقد أعطى ناساً من أصحابه ووسّع في الناس منها .. الخ.

وقال الواقدي^(١): وأمر رسول الله (ص) أن يسير الى بني النضير فيخرجهم من المدينة، وأرسل المنافقون الى بني النضير: أن لا تخرجوا ودرّبوا الأزقة وحصنوا الدور، فأنه إن أبي إلا قتالكم أعناكم. ففعلت اليهود ذلك، ونادى رسول الله (ص) في الناس فأخذوا السلاح وساروا الى القوم، فلما انتهى إليهم نبيّ الله (ص) وجدهم ينوحون على كعب، فقالوا: يا محمد أواعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية. قال: نعم. قالوا: ذرنا نبك شجوناً ثم أتم أمرك. قال: اخرجوا من المدينة، فأبوا ذلك وقالوا: الموت أقرب إلينا ممّا يريد، فتنازروا الحرب فاقتتلوا الناس قريباً من عشرين ليلة، فجعل رسول الله (ص) إذا ظهر على الدرب أو الدار تأخرت اليهود الى الدار التي من بعدها فنقبوا من دبرها ثم حصنوها، وتخرب أصحاب رسول الله ما ظهروا عليه، وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا

يا أولي الأبصار ﴿ وأمر رسول الله (ص) بقطع شيء من النخل ليُغيظهم به ويخزيهم الله به ، وكان في نخلهم ضرب يقال له اللوز أصفر شديد الصفرة ترى النواة من اللحم تكون النخلة أحب إليهم من الوصيف ، فجزع أعداء الله حين رأوا ذلك الضرب من نخلهم يقطع ، قالوا: يا محمد أوجدتَ فيما أنزل اليك الفساد في الأرض أو الإصلاح ، فجعلوا يكثرُونَ في ذكر هذا ، فلما آيسوا من نصر المنافقين وقذف الله في قلوبهم الرعب سألوا نبيَّ الله أن يؤمنهم على أموالهم ودمائهم وذراريهم يخرجون من المدينة ، فصالحهم نبيَّ الله (ص) على أن يخرجوا من المدينة ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاؤوا من مال أو طعام أو شراب ليس لهم غيره ، فخرجوا على ذلك ، فأنزل الله تعالى في ذلك النخل الذي قطعوا أو الشجر ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ وقال تعالى في إخراجهم من المدينة ﴿ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾ فساروا حتى خرجوا من المدينة الى أذرعات وأريحا من الشام ، غير أن حبيبي بن أخطب سار في أهله وبني أخيه الى خيبر ، فتركهم فيها وسار الى مكة ... الخ .

وقال ابن كثير^(١): في صحيح البخاري عن ابن عباس: أنه كان يُسمِّيها - يعني سورة

الحشر - بني النضير .

وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أخذ . وقد أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن عبدالله بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري به . الى أن قال: وقال البيهقي: وقد كان الزهري يقول: هي قبل أحد . قال: وذهب آخرون الى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضاً . ثم قال: قلت هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدّم ، فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله (ص) الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر ... الخ .

وقال ابن الأثير^(١): وكان سبب ذلك - يعني غزوة بني النضير - انّ عامر بن الطفيل أرسل الى النبي (ص) يطلب دية العامريين اللذين قتلها عمرو بن أمية، وقد ذكرنا ذلك، فخرج النبي (ص) الى بني النضير يستعينهم فيها ومعه جماعة من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي، فقالوا: نعم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض وتأمرؤا على قتله، وهو (ص) جالس الى جنب جدار، فقالوا: من يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه، فانتدب له عمرو بن جحاش، فنهاهم عن ذلك سلام بن مشكم وقال: هو يعلم، فلم يقبلوا منه، وصعد عمرو بن جحاش فأتى بخبر من السماء الى رسول الله (ص) بما عزموا عليه، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيكم. وخرج راجعاً الى المدينة، فلما أبطأ قام أصحابه في طلبه فأخبرهم الخبر وأمر المسلمين بحربهم ونزل بهم، فتحصنوا منه في الحصون، فقطع النخل وأحرق.

الى أن قال: واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وكانت رايته مع علي بن أبي طالب، انتهى.

وقال الزيني دحلان^(٢): قال ابن إسحاق: ثم أمر النبي (ص) أصحابه بالتهيؤ لحرب بني النضير، ثم سار بالناس إليهم، وحمل الراية علي بن أبي طالب، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين في عوالي المدينة من ناحية قباء، فنزل بهم وحاصرهم ست ليال، وقيل خمسة عشر يوماً، وقيل قريباً من عشرين، فتحصنوا منه بالحصون، فقطع نخلاً لهم يُسمّى العجوة وآخر يُسمّى اللين، وكان ذلك أحرق لهم، لأن ذلك خير أموالهم، فلما قطعت العجوة شقّ النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل، وحرّق بعض نخيلهم أيضاً، فنادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها، أهو فساد أم إصلاح... الخ.

(١) الكامل ١٧٣ / ٢.

(٢) السيرة النبوية ٢٦١ / ١.

وقال الحلبي^(١): فلما اجتمع الناس خرج رسول الله (ص) بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وحمل رايته علي بن أبي طالب، وسار بالناس حتى نزل بهم، وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل والحجارة الى أن قال: ولما جاء وقت العشاء رجع رسول الله (ص) الى بيته في عشرة من أصحابه عليه الدرع وهو على فرس، واستعمل على المعسكر علي بن أبي طالب ويقال أبا بكر، وبات المسلمون يحاصرونهم ويكبرون حتى أصبحوا، ثم أذن بلال بالفجر، فغدا رسول الله (ص) في أصحابه الذين كانوا معه، فصلّى بالناس وأمر بلالاً فضرب القبة - وهي قبة من خشب عليها مسوح - فدخل (ص) فيها، وكان رجل من يهود يقال له غزول - وكان أعسر رامياً يبلغ نبله ما لا يبلغه نبل غيره فوصل نبله تلك القبة، فأمر بها فحوّلت، وفي ليلة من الليالي فقد علي بن أبي طالب قرب العشاء، فقال الناس: يا رسول الله ما نرى علياً. فقال: دعوه - أي اتركوه - فإنه في بعض شأنكم، فعن قليل جاء برأس الرجل الذي يقال له غزول الذي وصل نبله قبة رسول الله، وكان كمن له علي حين خرج يطلب غرة المسلمين ومعه جماعة، فشدّ عليه فقتله وفرّ من كان معه، فأرسل رسول الله (ص) مع علي أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة، فأدركوا أولئك الجماعة الذين كانوا مع غزول، وفرّوا من علي فقتلوهم. الى أن قال: وأمر رسول الله (ص) بقطع النخيل وبجرقها بعد أن حاصروهم ستّ ليال، وقيل خمسة عشرة يوماً، وقيل عشرين ليلة، وقيل ثلاثاً وعشرين ليلة، وقيل خمساً وعشرين ليلة. وكان سعد بن عبادة في تلك المدّة يحمل التمر للمسلمين - أي يجاء به من عنده - واستعمل على قطع النخيل أبا ليلي المازني وعبدالله بن سلام، وكان أبو ليلي يقطع العجوة وعبدالله يقطع اللين، ويقال له اللوز وهو ما عدا العجوة. الى أن قال: وفي لفظ قالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح، فمن الصلاح قطع النخل، وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟ وقالوا للمؤمنين: أنكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون، وحينئذ وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شيء، فأنزل الله تعالى

﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ قال بعضهم: جميع ما قطعوا وحرقوا است نخلات ... الخ.

وقال الكازروني اليماني: وجاء جبرئيل رسول الله (ص) فخرج راجعاً إلى المدينة، ثم دعا علياً وقال: لا تبرح مقامك، فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل: توجه إلى المدينة، ففعل ذلك علي حتى تناثلوا إليه، ثم تبعوه ولحقوا به، فقالوا: أقمت ولم نشعر. فقال (ص): هممت اليهود بالغدر فأخبرني الله بذلك فقامت وبعث إليهم رسولاً أن اخرجوا من بلدي. إلى أن قال: فصلى العصر بفضاء بني النضير وعلي يحمل رايته ... الخ.

وقال الطبري^(١): واستخلف رسول الله (ص) إذ خرج لحرب بني النضير فيما قيل ابن أم مكتوم، وكانت رايته يومئذ مع علي بن أبي طالب.

تتمة أحداث السنة الرابعة الهجرية

وفي هذه السنة يعني السنة الرابعة من الهجرة مات عبدالله بن عثمان بن عفان في جمادى الأولى منها، وهو ابن ست سنين، وصلى عليه رسول الله (ص) ونزل في حفرته عثمان بن عفان.

وفيها ولد الحسين بن علي لليال خلون من شعبان ... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): وفيها ولد الحسين بن علي بن أبي طالب في قول ... الخ.

وقال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة ولد الحسين بن علي لثلاث ليال خلون من شعبان ... الخ.

وقال ابن هشام^(٣): ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نعمته وما سلط عليهم به رسول الله (ص) وما عمل به فيهم، فقال تعالى ﴿ هو الذي أخرج

(١) تاريخ الطبري ٥٥٥ / ٢.

(٢) الكامل ١٧٦ / ٢.

(٣) السيرة النبوية ٢٠٢ / ٢.

الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر ﴿١﴾ .

غزوة ذات الرقاع وتشريع صلاة الخوف وكيفيةها

قال ابن كثير^(١): قالوا لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله (ص) طالباً بدمانهم ليصيب من بني لحيان غرة، فسلك طريق الشام ليُرى أنه لا يريد بني لحيان، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فقال رسول الله (ص): لو أنا هبطنا لرأت قريش أننا قد جئنا مكة، فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين حتى جاء أكرع الغميم، ثم انصرفا. فذكر أبو عياش الزرقى أن رسول الله (ص) صلى بعسفان صلاة الخوف.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق، حدثنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كنا مع رسول الله (ص) بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلّى بنا رسول الله (ص) صلاة الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم. ثم قالوا: تأتي الآن عليهم صلاة هي أحبّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم. قال: فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ الآيات. قال: فحضرت فأمرهم رسول الله (ص) فأخذوا السلاح، فصففنا خلفه صفين، ثم ركع فركعنا جميعاً، ثم رفع فرفعنا جميعاً، ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم، ثم تقدّم هؤلاء الى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء. قال: ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ثم سجد الصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم، فلما جلسوا جلس الآخرون، فسجدوا ثم سلّم عليهم ثم انصرف قال: فصلّاها رسول الله (ص) مرّتين، مرّة بأرض عسفان ومرّة بأرض بني سليم. ثم رواه أحمد عن غندر، عن شعبة، عن منصور به نحوه.

وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور، عن جرير بن عبد الحميد والنسائي عن القلاس، عن عبدالعزيز بن عبد الصمد، عن محمد بن المثني، وبندار عن غندر، عن شعبة، ثلاثهم عن منصور به. وهذا اسناد على شرط الصحيحين ولم يخرج واحد منها، لكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال: غزونا مع رسول الله (ص) قوماً من جهينة، فقاتلوا قتالاً شديداً، فلما أن صلى الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلاً واحدة لاقتطعناهم. فأخبر جبرئيل رسول الله (ص) بذلك، وذكر لنا رسول الله قال: وقالوا أنه سيأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد. فذكر الحديث كنحو ما تقدم.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا هشام، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: صلى رسول الله بأصحابه الظهر بنخل، فهم به المشركون، ثم قالوا: دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحب إليهم من أبنائهم قال: فنزل جبريل على رسول الله (ص) فأخبره، فصلى بأصحابه صلاة العصر، فصفهم صفين بين أيديهم رسول الله والعدو بين يدي رسول الله، فكبر وكبروا جميعاً، وركعوا جميعاً، ثم سجد الذين يلونهم والآخرون قيام، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون، ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونه والآخرون قيام، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون.

وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن أبي الزبير عن جابر، وقال الإمام أحمد: حدثنا سعيد بن عبيد الهنائي، حدثنا عبد الله بن شفيق، حدثنا أبو هريرة: أن رسول الله (ص) نزل بين ضجنان وعسفان، فقال المشركون: إن هؤلاء صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر، فاجمعوا أمركم فليلوا عليهم ميلاً واحدة، وإن جبريل أتى رسول الله (ص) وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلي بعضهم ويقدم الطائفة الأخرى ورائهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ثم تأتي الأخرى فيصلون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم، ليكون لهم ركعة مع رسول الله ولرسول الله ركعتان.

ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الصمد به، وقال الترمذي حسن صحيح.

قلت: إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خيبر، وإلا فهو من مراسلات الصحابي، ولا

يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم .

ثم قال : ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبي داود الطيالسي أمر عُسفان ولا خالد بن الوليد ، لكن الظاهر أنّها واحدة . بقي الشأن في أنّ غزوة عُسفان قبل الخندق أو بعدها ، فإنّ من العلماء منهم الشافعي من يزعم أنّ صلاة الخوف إنّما شرعت بعد يوم الخندق ، فإنّهم أخرجوا الصلاة يومئذ عن ميقاتها عند القتال ، ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازي : إنّ غزوة بني لحيان التي صلّى فيها صلاة الخوف بعُسفان كانت بعد بني قريظة .

وقد ذكر الواقدي بإسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله (ص) إلى الحديبية لقيته بعُسفان ، فوقفت بازائه وتعرضت له ، فصلّى بأصحابه الظهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليه ثم لم يغير لنا ، فأطلق الله على ما في أنفسنا من الهمّ به ، فصلّى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف . ثم قال ابن كثير : قلت وعمرة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتي ، وفي سياق حديث أبي عيَّاش الزرقي ما يقتضي أنّ آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عُسفان ، فافتضى ذلك أنّها أوّل صلاة خوف صلّاها . والله أعلم .

وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله ، انتهى .

قال ابن هشام^(١) : قال ابن إسحاق : ثم قام رسول الله (ص) بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة ، واستعمل على المدينة أباذر الغفاري ... الخ

وقال محمد بن سعد^(٢) : ثم غزوة رسول الله (ص) ذات الرقاع في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً من مهاجره (ص) قالوا : قدم قادم المدينة مجلب له فأخبر أصحاب رسول الله أنّ أنماراً وثعلبة قد جمعوا لهم ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فاستخلف على المدينة عثمان بن

(١) السيرة النبوية ٣ / ٢١٣ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٦١ .

عقّان، وخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم من أصحابه ويقال سبعمائة، فمضى (ص) حتى أتى محالهم بذات الرقاع، وهو جبل فيه بقع حمرة وسواد وبياض قريب من النخيل بين السعد والشقرة، فلم يجد في محالهم أحداً إلا نسوة، فأخذهنّ وفيهنّ جارية وضيئة، وهربت الأعراب الى رؤوس الجبال، وحضرت الصلاة فخاف المسلمون أن يغيروا عليهم، فصلى رسول الله (ص) صلاة الخوف، فكان ذلك أوّل ما صلاها وانصرف رسول الله (ص) راجعاً الى المدينة فابتاع من جابر بن عبد الله في سفره ذلك جملة بأوقية وشرط له ظهره الى المدينة وسأله عن دين أبيه وأخبره به فاستغفر له رسول الله (ص) في تلك الليلة خمساً وعشرين مرّة، وبعث رسول الله (ص) حجال بن سراقه بشيراً لسلامته وسلامة المسلمين، وقدم صراراً يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم، وصرار على ثلاثة أميال من المدينة، وهي بئر جاهلية على الطريق، وغاب خمس عشرة ليلة.

ثم روى باسناده عن جابر بن عبد الله قال: أقبلنا مع رسول الله (ص) حتى إذا كنا بذات الرقاع، كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله (ص). قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله (ص) معلق بشجرة، فأخذه فاخرطه - أي سلّه من غمده - وقال لرسول الله: أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك. قال: فتهدّده أصحاب رسول الله (ص) فأغمد السيف وعلّقه. قال: فنودي بالصلاة. قال: فصلى (ص) بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، فكانت لرسول الله (ص) أربع ركعات وللقوم ركعتان، انتهى.

وقال ابن الأثير^(١): وقد اختلف الرواة في صلاة الخوف، وهو مستقصى في كتب

الفقه ... الخ.

وروى الطبري^(٢): باسناده عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله (ص) الى نجد حتى

إذا كنا بذات الرقاع من نخل لقي جمعاً من غطفان، فلم يكن بيننا قتال إلا أن الناس قد خافوا

(١) الكامل ٢ / ١٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٥٥٦.

ونزلت صلاة الخوف، فصعد أصحابه صدعين، فقامت طائفة مواجهة العدو وقامت طائفة خلف رسول الله، فكبر رسول الله (ص) فكبروا جميعاً، ثم ركع بمن خلفه وسجد بهم، فلما قاموا مشوا القهقري إلى مصاف أصحابهم، ورجع الآخرون فصلوا لأنفسهم ركعة، ثم قاموا فصلّى بهم رسول الله (ص) ركعة وجلسوا، ورجع الذين كانوا مواجهين العدو فصلوا الركعة الثانية، فجلسوا فجمعهم رسول الله (ص) بالسلام فسلم عليهم.

ثم قال: وقد اختلف الرواة في صفة صلاة رسول الله (ص) هذه الصلاة بيطن نخل اختلافاً متفاوتاً كرهت ذكرها في هذا الموضع خشية إطالة الكتاب، وسأذكرها انشاء الله في كتابنا المُستَمَيّ بسبب القول في أحكام شرائع الإسلام في كتاب صلاة الخوف منه.

ثم روى بإسناده عن سليمان اليشكري أنه سأل جابر بن عبد الله عن اقصار الصلاة أيّ يوم أنزل أو في أيّ يوم هو؟ فقال جابر: انطلقنا ملتقى غير قريش آتية من الشام، حتى إذا كنا بنخل جاء رجل من القوم إلى رسول الله (ص) فقال: يا محمد. قال: نعم. قال: هل تخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك، قال: فسلّ السيف ثم تهدّده وأوعده، ثم نادى بالرحيل وأخذ السلاح، ثم نُودي بالصلاة، فصلّى نبيّ الله (ص) بطائفة من القوم وطائفة أخرى تحرسهم، فصلّى بالذين يلونه ركعتين، ثم تأخّر الذين يلونه على أعقابهم، فقاموا في مصاف أصحابهم، ثم جاء الآخرون فصلّى بهم ركعتين والآخرون يحرسونهم، فسلم فكانت للنبي (ص) أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين، فيومئذ أنزل الله عزّ وجلّ في اقصار الصلاة وأمر المؤمنين بأخذ السلاح... الخ.

قال ابن هشام^(١): وإنما قيل لها غزوة «ذات الرقاع» لأنهم رقعوا فيها راياتهم، ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع.

ثم قال: قال ابن إسحاق: فلقي بها جمعاً عظيماً من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلّى رسول الله (ص) بالناس صلاة الخوف.

ثم روى ابن هشام باسناده عن جابر بن عبد الله في صلاة الخوف، قال: صلى رسول الله (ص) صلاة الخوف ثم انصرف بالناس.

ثم قال ابن هشام: إن النبي (ص) صلى بطائفة ركعتين ثم سلم وطائفة مقبلون على العدو. قال: فجاؤا فصلّى بهم ركعتين آخرين ثم سلم.

ثم روى باسناده عن جابر أيضاً أنه قال: صفنا رسول الله (ص) صفين، فركع بنا جميعاً ثم سجد رسول الله وسجد الصف الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم، ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم، ثم ركع النبي (ص) بهم جميعاً، ثم سجد النبي وسجد الذين يلونه معه، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون بأنفسهم، فركع النبي بهم جميعاً وسجد كل واحد منها بأنفسهم سجدتين ... الخ.

وروى أيضاً باسناده عن عبد الله بن عمر قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة وطائفة مما يلي عدوهم، فيرجع بهم الإمام ويسجد بهم ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو، ويتقدم الآخرون فيرجع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة ... الخ.

وقال الحلبي^(١): فصلّى (ص) صلاة العصر صلاة الخوف، وكان العدو في غير جهة القبلة، ففرّقهم فرقتين فرقة ووقفت في وجه العدو وفرقة صلى بها ركعة، عند قيامه للثانية فارقت وأتمت بقيّة صلاتها، ثم جاءت ووقفت بها في وجه العدو وجاءت تلك الفرقة التي كانت في وجه العدو واقتدت به في الثانية، فصلّى بها ركعة ثم قامت وهو في جلوس التشهد وأتمت بقيّة صلاتها ولحقته في جلوس التشهد وسلم بها.

وهذه الكيفية في ذات الرقاع رواها الشيخان ونزل بها القرآن، وهو قوله تعالى ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ الآية.

وفي كلام بعضهم: فصلّى بهم النبي (ص) صلاة الخوف، صلى بطائفة ركعتين وبالأخرى

آخرين . وسيأتي ان هذه صلاته يبطن نخل .

وفي الخصائص الصغرى: وَخَصَّ (ص) بصلاة الخوف، ولم تشرع لأحد من الأمم قبلنا، وبصلاة شدة الخوف عند التحام القتال ... الخ.

وقال الجصاص^(١): قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ الآية . قال: قد روي عن النبي (ص) صلاة الخوف على ضروب مختلفة، واختلف فقهاء الأمصار فيها، فقال أبو حنيفة ومحمد: تقوم طائفة بإزاء العدو فيصلّي بهم ركعة وسجدتين ثم ينصرفون الى مقام أصحابهم، ثم تأتي الطائفة التي بإزاء العدو فيقضون ركعة بغير قراءة وتشهدوا وسلّموا وذهبوا الى وجه العدو، ثم تأتي الطائفة الأخرى فيقضون ركعة وسجدتين بقراءة. وقال ابن أبي ليلى: إذا كان العدو بينه وبين القبلة جعل الناس طائفتين، فيكبر ويكبرون ويركع ويركعون جميعاً معه، وسجد الإمام والصف الأوّل، ويقوم الصف الآخر في وجوه العدو، فاذا قاموا من السجود سجد الصف المؤخّر، فاذا فرغوا من سجودهم قاموا وتقدّم الصف المؤخّر وتأخر الصف المقدم، فيصلّي بهم الإمام الركعة الأخرى كذلك، وإن كان العدو في دبر القبلة قام الإمام ومعه صفّ مستقبل القبلة والصف الآخر مستقبل العدو، فيكبر ويكبرون جميعاً ويركع ويركعون جميعاً ثم يسجد الصف الذي مع الإمام سجدتين، ثم ينقلبون فيكونون مُستقبل العدو، ثم يجيء الآخرون فيسجدون ويصلّي بهم الإمام جميعاً الركعة الثانية فيركعون جميعاً ويسجد الصف الذي معه، ثم ينقلبون الى وجه العدو ويجيء الآخرون فيسجدون معه ويفرغون، ثم يسلم الإمام وهم جميعاً.

قال أبو بكر: ورؤى عن أبي يوسف في صلاة الخوف ثلاث روايات: إحداها مثل قول أبي حنيفة ومحمد، والأخرى مثل قول ابن أبي ليلى إذا كان العدو في القبلة وإذا كان في غير القبلة فمثل قول أبي حنيفة، والثالثة أنه لا تصلّي بعد النبي (ص) صلاة الخوف بإمام واحد وإنما تصلّي بإمامين كسائر الصلوات. ورؤى عن الثوري مثل قول أبي حنيفة، ورؤى أيضاً مثل

قول ابن أبي ليلى، وقال: إن فعلت كذلك جاز. وقال مالك: يتقدّم الإمام بطائفة وطائفة بإزاء العدو، فيصلّي بهم ركعة وسجدتين ويقوم قائماً وتم الطائفة التي معه لأنفسها ركعة أخرى، ثم يتشهدون ويسلمون، ثم يذهبون الى مكان الطائفة التي لم تصلّ فيقومون مكانهم وتأتي الطائفة الأخرى، فيصلّي بهم ركعة وسجدتين ثم يتشهدون ويسلمون ويقومون فيتمون لأنفسهم الركعة التي بقيت.

قال ابن القاسم: كان مالك يقول: لا يُسلم الإمام حتّى تتم الطائفة الثانية لأنفسها ثم يُسلم بهم، لحديث يزيد بن رومان، ثم رجع الى حديث القاسم، وفيه: إنّ الإمام يُسلم ثم تقوم الطائفة الثانية فيقضون.

وقال الشافعي مثل قول مالك، إلاّ أنّه قال: الإمام لا يُسلم حتّى تتم الطائفة الثانية لأنفسها ثم يُسلم بهم.

وقال الحسن بن صالح مثل قول أبي حنيفة، إلاّ أنّه قال: الطائفة الثانية إذا صلّت مع الإمام وسلم الإمام قضت لأنفسها الركعة التي لم يصلّوها مع الإمام، ثم تنصرف وتجيء الطائفة الأولى فتقضي بقيّة صلاتها. قال أبو بكر: أشدّ هذه الأقاويل موافقة لظاهر الآية قول أبي حنيفة ومحمد، وذلك لأنّه تعالى قال ﴿وإذا كنت فيهم﴾ الآية. الى أن قال: ومما يدل من جهة السنّة على ما وصفناه: ما حدّثنا محمد بن بكر، قال حدّثنا مسدد، قال حدّثنا يزيد بن ذريع، عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه: إنّ رسول الله (ص) صلّى بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة العدو، ثم انصرفوا وقاموا في مقام أولئك، وجاء أولئك فصلّى بهم ركعة أخرى ثم سلّم عليهم، ثم قام هؤلاء فقضوا ركعتهم وقام هؤلاء فقضوا ركعتهم. قال أبو داود: كذلك رواه نافع وخالد بن معدان عن ابن عمر عن النبي (ص)، وقال أبو داود: وكذلك قول مسروق ويوسف بن مهران عن ابن عباس وكذلك روى يونس عن الحسن عن أبي موسى أنّه فعله، وقول ابن عمر: فقضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة، على أنّهم قضوا على وجه يجوز القضاء، وهو أن ترجع الثانية الى مقام الأوّل. وجاءت فقضت ركعة وسلّمت ثم جاءت الثانية فقضت ركعة وسلّمت وقد بيّن ذلك في حديث خصيف عن أبي عبيدة عن

عبدالله ان رسول الله (ص) صلى في حرّة بني سالم صلاة الخوف، قام فاستقبل القبلة وكان العدو في غير القبلة، فصّف معه صفّاً، وأخذ صف السلاح واستقبلوا العدو، فكبر رسول الله (ص) والصف الذي معه، ثم ركع وركع الصف الذي معه، ثم تحوّل الصف الذين صفّوا مع النبي (ص)، فأخذوا السلاح وتحوّل الآخرون، فقاموا مع النبي، فركع النبي وركعوا وسجد وسجدوا، ثم سلّم النبي (ص) فذهب الذين صلّوا معه، وجاء الآخرون فقصوا ركعة، فلما فرغوا أخذوا السلاح، وتحوّل الآخرون وصلّوا ركعة، فكان للنبي (ص) ركعتان وللقوم ركعة ركعة فبيّن هذا الحديث انصراف الطائفة الثانية قبل قضاء الركعة الأولى، وهو معنى ما أجمله ابن عمر في حديثه.

وقد روى في حديث عبدالله بن مسعود من رواية ابن فضيل عن خصيف عن أبي عبيدة عن عبدالله ان الطائفة الثانية قضت ركعة لأنفسها قبل قضاء الطائفة الأولى الركعة التي بقيت عليها، والصحيح ما ذكرناه أولاً، لأن الطائفة الأولى قد أدركت أول الصلاة والثانية لم تدرك، فغير جائز للثانية الخروج من صلاتها قبل الأولى، ولأنه لما كان من حكم الطائفة الأولى أن تصلي الركعتين في مقامين فكذلك حكم الثانية أن تقضيها في مقامين لا في مقام واحد، لأن سبيل صلاة الخوف أن تكون مقسومة بين الطائفتين على التعديل بينها فيها.

واحتج مالك بحديث رواه عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات مُرسلاً عن النبي (ص) وذكر فيه أن الطائفة الأولى صلّت الركعة الثانية قبل أن يُصلّيها رسول الله (ص). وهذا لم يروه أحد إلا يزيد بن رومان، وقد خولف فيه، فروى شعبة عن عبدالرحمن ابن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي خيثمة: ان رسول الله (ص) صلى بهم صلاة الخوف، فصّف صفّاً خلفه وصفّ صفّاً مصاف العدو، فصلّى بهم ركعة ثم ذهب هؤلاء وجاء أولئك، فصلّى بهم ركعة ثم قاموا فقصوا ركعة ركعة، ففي هذا الحديث ان الطائفة الأولى لم تقض الركعة الثانية إلا بعد خروج رسول الله (ص) من صلاته. وهذا أولى لما قدمناه من دلائل الأصول عليه.

وقد روى يحيى بن سعيد عن القاسم عن صالح مثل رواية يزيد بن رومان.

وفي حديث مالك عن يزيد بن رومان ان تلك الصلاة انما كانت من رسول الله (ص) بذات

الرقاع، وقد روى يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن جابر قال: كنا مع رسول الله (ص) بذات الرقاع فصلّى رسول الله بطائفة منهم ركعتين ثم انصرفوا، وجاء الآخرون فصلّى بهم ركعتين، فصلّى رسول الله (ص) أربعاً وكل طائفة ركعتين وهذا يدلّ على اضطراب حديث يزيد بن رومان.

وقد روى عن النبي (ص) صلاة الخوف على وجوه آخر، فاتفق ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وجابر وحذيفة وزيد بن ثابت أنّ النبي (ص) صلّى بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهون العدو، ثم صلّى بالطائفة الأخرى ركعة، وإنّ أحداً منهم لم يقض بقية صلاته قبل فراغ رسول الله (ص).

وروى صالح بن خوات على ما قد اختلف عنه فيه ممّا قدّمنا ذكره.

وروى ابن عياش الزرقي عن النبي (ص) في صلاة الخوف نحو المذهب الذي حكيناه عن أبي ليلى وأبي يوسف إذا كان العدو في القبلة، وروى أيوب وهشام عن أبي الزبير عن جابر هذا المعنى عن النبي (ص)، وكذلك رواه داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس، وكذلك عبد الملك عن عطاء عن جابر، وكذلك قتادة عن الحسن عن حطان عن أبي موسى من فعله، ورواه عكرمة بن خالد عن مجاهد عن النبي (ص)، وكذلك هشام بن عروة عن النبي. وقد روى عن ابن عباس وجابر ما قدّمنا ذكره قبل هذا، واختلفت الرواية عنهما فيها.

وروى فيها نوع آخر وهو ما حدّثنا محمد بن بكر، قال حدّثنا أبو داود، قال حدّثنا الحسن بن علي، قال حدّثنا أبو عبد الرحمن المقرئ، قال حدّثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة، قالوا: أخبرنا أبو الأسود أنّه سمع عروة بن الزبير يُحدّث عن مروان بن الحكم أنّه سأل أبا هريرة: هل صلّيت مع رسول الله (ص) صلاة الخوف، فقال أبو هريرة: نعم. قال مروان: متى؟ فقال أبو هريرة: عام غزوة نجد، قام رسول الله (ص) إلى صلاة العصر، فقامت معه طائفة وطائفة أخرى مقابل العدو وظهورهم إلى القبلة فكبر رسول الله (ص) فكبروا جميعاً الذين معه والذين مقابلي العدو، ثم ركع رسول الله ركعة واحدة وركعت الطائفة التي معه، ثم سجد رسول الله فسجدت الطائفة التي تليه والآخرون قيام في مقابلي العدو، ثم قام رسول الله (ص)

وقامت الطائفة التي معه، فذهبوا الى العدو فقاتلوهم وأقبلت الطائفة التي كانت مقابلي العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله قائم كما هو، ثم قاموا فركع رسول الله ركعة أخرى وركعوا معه وسجد وسجدوا معه، ثم أقبلت الطائفة التي كانت مقابلي العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله قاعد ومن معه، ثم كان السلام، فسلم رسول الله (ص) وسلموا جميعاً، فكان لرسول الله ركعتان ولكل رجل من الطائفتين ركعة ركعة.

وقد روى عنه (ص) نوع آخر من صلاة الخوف، وهو ما حدثنا محمد بن بكر، قال حدثنا أبو داود، قال حدثنا عبيد الله بن معاذ، قال حدثنا أبي، قال حدثنا الأشعث، عن الحسن، عن أبي بكر قال: صلى رسول الله (ص) في خوف الظهر، فصفت بعضهم خلفه وبعضهم بإزاء العدو، فصلى ركعتين ثم سلم، فانطلق الذين صلوا فوقفوا موقف أصحابهم، ثم جاء أولئك فصلوا خلفه، فصلى بهم ركعتين ثم سلم فكانت لرسول الله أربعاً ولأصحابه ركعتين ركعتين، وبذلك كان يفتي الحسن. قال أبو داود: وكذلك يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله عن النبي (ص) وكذلك رواه سليمان اليشكري عن جابر بن عبد الله عن النبي (ص). قال أبو بكر: وقد منا قبل ذلك أن ابن عباس وجابراً روي عن النبي (ص) أنه صلى بكل طائفة ركعة ركعة، فكان لرسول الله ركعتان ولكل طائفة ركعة وإن هذا محمول عندنا على أنه كان ركعة في جماعة وفعلاً مع رسول الله (ص)، فذهب ابن أبي ليلى وأبو يوسف إذا كان العدو في القبلة الى حديث أبي عياش الزرقى الذي ذكرناه وجائز أن يكون النبي (ص) قد صلى هذه الصلوات على الوجوه التي وردت به الروايات، وذلك لأنها لم تكن صلاة واحدة فتضاد الروايات فيها وتتناقض، بل كانت صلوات في مواضع مختلفة بعُسفان في حديث أبي عياش الزرقى وفي حديث جابر ببطن النخل، ومنها حديث أبي هريرة في غزوة نجد، وذكر فيه أن الصلاة كان بذات الرقاع وصلّاها في حرة بني سليم. ويشبه أن يكون قد صلى في بعض هذه المواضع عدة صلوات، لأن في بعض حديث جابر الذي يقول فيه: أن النبي (ص) صلى بكل طائفة ركعتين، ذكر أنه كان بذات الرقاع، وفي حديث صالح بن خوات أيضاً أنه صلّاها بذات الرقاع، وهما مختلفان كل واحد منهما ذكر فيه من صفة صلاته خلاف صفة الأخرى، وكذلك

حديث أبي عياش الزرقى ذكر أنه صلاها بعُسفان .

وذكر ابن عباس أيضاً أنه صلاها، فروى تارة نحو حديث ابن عياش وتارة على خلافه .
 واختلاف هذه الآثار تدلّ على أن النبي (ص) قد صلى هذه الصلوات على اختلافها على حسب ورود الروايات بها، وعلى ما رآه النبي (ص) احتياطاً في الوقت من كيد العدو وما هو أقرب إلى الحذر والتحرز على ما أمر الله تعالى به من أخذ الحذر في قوله ﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وداً الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ ولذلك كان الاجتهاد سائغاً في جميع أقاويل الفقهاء على اختلافها، لما روى عن النبي (ص) فيها إلا أن الأولى عندنا ما وافق ظاهر الكتاب والأصول، وجائز أن يكون الثابت الحكم منها واحد والباقي منسوخ، وجائز أن يكون الجميع ثابتاً غير منسوخ لثلاثي يخرج من ذهب إلى بعضها ويكون الكلام في الأفضل منها .

إلى أن قال: باب الاختلاف في صلاة المغرب، قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر ومالك والحسن بن صالح والأوزاعي والشافعي يصلي بالطائفة الأولى ركعتين وبالطائفة الثانية ركعة، إلا أن مالكا والشافعي يقولان يقوم الإمام قائماً حتى يتموا لأنفسهم، ثم يصلي بالطائفة الثانية ركعة أخرى ثم يسلم الإمام، وتقوم الطائفة الثانية فيقضون ركعتين . وقال الشافعي: إن شاء الإمام ثبت جالساً حتى تتم الطائفة الأولى لأنفسهم وإن شاء كان قائماً، ويسلم الإمام بعد فراغ الطائفة الثانية . وقال الثوري: يقوم صف خلفه وصف موازي العدو فيصلّي بهم ركعة ثم يذهبون إلى مقام أولئك ويجيء هؤلاء فيصلّي بهم ويجلسون، فاذا قام ذهب هؤلاء إلى مصاف أولئك وجاء أولئك فركعوا وسجدوا والإمام قائم، لأن قراءة الإمام لهم قراءة، وجلسوا ثم قاموا يصلّون مع الإمام الركعة الثالثة، فاذا جلسوا وسلم الإمام ذهبوا إلى مصاف أولئك وجاء الآخرون فصلّوا ركعتين، وذهب في ذلك إلى أن عليه التعديل بين الطائفتين في الصلاة فيصلّي بكل واحدة ركعة . وقد ترك هذا المعنى حين جعل للطائفة الأولى أن تصلي مع الإمام الركعة الأولى والثالثة والطائفة الثانية إنما صلّت الركعة الثانية معه .

وقال الثوري: أنه إذا كان مقياً فصلّي بهم الظهر أنه يصلي بالطائفة الأولى ركعتين وبالثانية

ركعتين فلم يُقسم الصلاة بينهم على أن يُصلي كل طائفة منهم معه ركعة على حياها. ومذهب الثوري هذا مخالف للأصول من وجه آخر، وذلك أنه أمر الإمام أن يقوم قائماً حتى تفرغ الطائفة الأولى من الركعة الثانية، وذلك خلاف الأصول على ما بيّنا فيما سلف من مذهب مالك والشافعي. والله أعلم بالصواب.

انتهى ما نقله أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص في كتاب «أحكام القرآن».

بعض ما قيل عن غزوة ذات الرقاع

قال ابن كثير^(١): في وجه تسمية «ذات الرقاع» وجوهاً:

منها قول أبي موسى، فإنه قال: إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر، ثم نقل قول الواقدي وأنه قال: خرج رسول الله (ص) إلى ذات الرقاع في أربعين سنة ويقال سبعين من أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٢): وتسمى غزوة ذات الرقاع غزوة محارب وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها، وغزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة، واختلف فيها متى كانت وفي سبب تسميتها بذلك، فقال ابن إسحاق: أنها كانت بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى، وقيل أنها كانت سنة خمس، ومال البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر، وخيبر إنما كانت سنة سبعة. واستدل لذلك بأمر: منها أن هذه الغزوة حضرها أبو موسى الأشعري، وهو إنما جاء بعد فتح خيبر. وقال الغزالي: أنها آخر الغزوات، وغلظه ابن الصلاح، وانتصر بعضهم للغزالي بأن المراد آخر الغزوات التي صلى فيها صلاة الخوف، ونازع بعضهم في ذلك.

وسبب تسميتها بذات الرقاع أنهم رقعوا فيها راياتهم، وقيل لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع، وقيل إن الأرض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبيض كأنها مرقعة برقع.

(١) السيرة النبوية ٣ / ١٦٠.

(٢) السيرة النبوية ١ / ٢٦٤.

فُسِّمَتِ ذات الرقاع لذلك، وقيل لأن خيلهم كان بها سواد وبياض، وقيل لصلاتهم فيها صلاة الخوف فُسِّمَتِ بذلك لترقيع الصلاة فيها، لأنهم فعلوا بعضها منفردين عن النبي (ص) وبعضها معه، فأشبه ذلك إصلاح خلل الثوب برقعة.

قال السهيلي: وأصح الأقوال كلها ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع رسول الله (ص) في غزوة، ونحن ستة نفر - أي من الأشعريين - بيننا بعير نعتقه، فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري، فكنا نلفّ على أرجلنا من الخرق، فُسِّمَتِ غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا. إلى أن قال: ثم خرج في أربعمئة من أصحابه، وقيل سبعمائة، وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، وقيل عثمان بن عفان. وسار إلى أن وصل إلى موضع يُسَمَّى «وادي الشقرة»، وبثّ السرايا فرجعوا إليه من الليل وأخبروه أنهم لم يروا أحداً فسار حتى نزل نخلاً وهو موضع من نجد من أراضي غطفان، فلم يجدوا في مجالسهم إلا نسوة فأخذهنّ، فبلغ الخبر القوم فخافوا وتفرّقوا في رؤوس الجبال، ثم أجمع جمع منهم وجاءوا لمحاربة جيش النبي (ص)، فتقارب الناس ودنا بعضهم من بعض، وأخاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى النبي (ص) بالناس صلاة الخوف في صلاة العصر، ولم يكن بينه وبين القوم حرب، وألقى الله في قلوبهم الرعب، وتفرّقت جموعهم خائفين منه (ص).

وفي هذه الغزوة نزل (ص) ليلاً في شعب استقبله، وكانت تلك الليلة ذات ريح. فقال (ص) بعد نزوله: من يكلؤنا؟ فقام عباد بن بشر وعمّار بن ياسر فقالا: نحن يا رسول الله فجلسا على فم الشعب، فقال عباد بن بشر لعمّار بن ياسر: أن أكفيك أول الليل وتكفيني أنت آخره، فنام عمّار وقام عباد، وكان زوج بعض النسوة اللاتي أصابهنّ رسول الله أي أسرهنّ غائباً فلما أخبر جاء الخبر فتبع الجيش وحلف لا ينثنى حتى يصيب محمداً أو يهريق في أصحاب محمد دماً، فلما قرب من الشعب رأى سواد عباد، فقال: هذه راية القوم، ففوّق سهاً فوضعه في عباد فانترعه، فلما غلبه الدم قال لعمّار: اجلس، فجلس عمّار، فلما رأى المشرك عمّاراً جلس علم أنه قد نذره (أي اطلع عليه) فهرب، فقال عمّار لعباد: أي أخي ما منعك أن

توقظني له في أول سهم رماك به؟ قال: كنت أقرأ في سورة - يعني سورة الكهف - فكرهت أن أقطعها.

وفي رواية جعل رسول الله (ص) شخصين من أصحابه يقال هما عباد بن بشر من الأنصار وعمار بن ياسر من المهاجرين في مقابلة العدو، فرمي أحدهما وهو عباد بن بشر بسهم فأصابه ونزفه الدم وهو يصلي ولم يقطع صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصلي ولم يقطع صلاته، وقد قال عباد معتذراً عن ترك إيقاظ صاحبه: لولا أنني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني به رسول الله (ص) ما انصرفت ولو أتى على نفسي - يعني ولو قتلني -.

وقال الطبري^(١): وقال - يعني عمار - سبحان الله أفلا أهبتني أول ما رماك. قال: كنت في سورة اقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تتابع الرمي ركعت آذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها.

وقال ابن الأثير^(٢): ثم رماه بالثالث فوضعه فيه، فانتزعه ثم ركع وسجد ثم أيقظ صاحبه وأعلمه، فوثب فلما رآهما الرجل علم أنّهما علما به، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري قال: سبحان الله ألا أيقظتني أول ما رماك. قال: كنت في سورة... الخ.

غزوة بدر الموعد - السويق

قال محمد بن سعد^(٣): ثم غزوة رسول الله (ص) بدر الموعد، وهي غير بدر القتال، وكانت لهلل ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهراً من مهاجره (ص) قالوا: لما أراد أبو سفيان بن حرب أن ينصرف يوم أحد نادى: الموعد بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحمول نلتقي بها فنقتل. فقال رسول الله (ص) لعمر بن الخطاب: قل نعم إن شاء الله. فافترق الناس على ذلك، ثم رجعت قريش فخبروا من قبلهم بالموعد وتهيأوا للخروج، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان

(١) تاريخ الطبري ٥٥٩ / ٢.

(٢) الكامل ١٧٥ / ٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٥٩ / ٢.

الخروج... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): وسُميت أيضاً غزوة السويق، وفي شعبان منها خرج رسول الله (ص) الى بدر الميعاد أبي سفيان بن حرب، حتى نزل بدرأ فأقام عليها ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة الى مرّ الظهران وقيل الى عسفان، ثم رجع ورجعت قريش معه، فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: أنّما خرجتم تشربون السويق... الخ.

وقال الطبري^(٢): وهي غزوة النبي (ص) بدر الثانية لميعاد أبي سفيان ثم قال: حدّثنا ابن حميد، قال حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: لما قدم رسول الله (ص) المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً، ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد أبي سفيان حتى نزله، فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنّة من ناحية مرّ الظهران وبعض الناس يقول: قد قطع عسفان، ثم بداله الرجوع فقال: يا معشر قريش أنّه لا يصلحكم إلّا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإنّ عامكم هذا عام جدب، وإنّي راجع فارجعوا. فرجع ورجع الناس.

الى أن قال: وأمّا الواقدي فإنه ذكر أنّ رسول الله (ص) ندب أصحابه لغزوة بدر لموعد أبي سفيان الذي كان وعده الالتقاء فيه يوم أحد رأس الحول للقتال في ذي القعدة، وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد اعتمر، فقدم على قريش فقالوا: يا نعيم من أين كان وجهك؟ قال: من يثرب. قال: وهل رأيت لمحمد حركة؟ قال: تركته على تعبئة لغزوكم، وذلك قبل أن يُسلم نعيم. قال: فقال له أبو سفيان: يا نعيم إنّ هذا عام جدب ولا يصلحنا إلّا عام ترعى فيه الإبل الشجر وتشرب فيه اللبن، وقد جاء أوان موعد محمد، فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم أنّا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا فيأتي الخلف منهم أحبّ الي من أن يأتي من قبلنا ولك عشر فرائض أضعها لك في يد سهيل بن عمرو يضمنها. فجاء سهيل بن عمرو إليهم، فقال نعيم لسهيل: يا أبا يزيد أضمن هذه الفرائض وأطلق الى محمد (ص) فأثبطه. فقال: نعم. فخرج نعيم حتى

(١) الكامل ١٧٥ / ٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥٥٩ / ٢.

قدم المدينة، فوجد الناس يتجهّزون، فتدسس لهم وقال: ليس هذا برأي، ألم يخرج محمد في نفسه، ألم يقتل أصحابه. قال: فثبط الناس حتى بلغ رسول الله (ص) فتكلّم فقال: والذي نفسي بيده لو لم يخرج معي أحد لخرجت وحدي. ثم أنهج الله عزّ وجلّ للمسلمين بصائرهم فخرجوا بتجارات، فأصابوا للدرهم درهمين ولم يلقوا عدوّاً وهي بدر الموعد، وكان موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام.

ثم قال الطبري: واستخلف رسول الله (ص) على المدينة عبد الله بن رواحة... الخ. وقال محمد بن سعد^(١): فقال رسول الله (ص): والذي نفسي بيده لأخرجنّ وإن لم يخرج معي أحد، فنصر الله المسلمين وأذهب عنهم الرعب، فاستخلف رسول الله على المدينة عبد الله ابن رواحة، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، وسار في المسلمين وهم ألف وخمسمائة، وكانت الخيل عشرة أفراس، وخرجوا ببضائع لهم وتجارات، وكانت بدر الصفراء مجتمعاً يجتمع فيه العرب، وسوقاً تقوم لهلال ذي القعدة الى ثمان تخلو منه ثم يتفرّق الناس الى بلادهم، فانتهاوا الى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقامت السوق صبيحة الهلال، فأقاموا بها ثمانية أيام وباعوا ما خرجوا به من التجارات فربحوا للدرهم درهماً، وانصرفوا وقد سمع الناس بسيرهم، وخرج أبو سفيان بن حرب من مكة في قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً، حتى انتهوا الى مجنّة وهي مرّ الظهران، ثم قال: ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام خصب غيداق نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن.

الى أن قال: وقدم معبد بن أبي معبد الخزاعي مكة بخبر رسول الله (ص) وموافاته بدرأ في أصحابه، فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا أن قد أخلفناهم، ثم أخذوا في الكيد والنفقة والتهيو لغزوة الخندق... الخ.

وروى ابن كثير^(٢): باسناده عن عروة بن الزبير: ان رسول الله (ص) استنفر الناس لموعد أبي سفيان، وانبعث المنافقون في الناس يثبطونهم، فسلم الله أوليائه، وخرج المسلمون صحبة

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٥٩.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ١٧١.

رسول الله (ص) الى بدر، وأخذوا معهم بضائع وقالوا: إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر.

ثم قال: قال الواقدي: فأقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام، فرجعوا وقد رجحوا من الدرهم درهمين.

وقال غيره: فانقلبوا كما قال الله عز وجل ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسِّنْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

وقال الزيني دحلان^(١): وتسمى - يعني غزوة بدر الأخيرة - غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع القتال فيها، فهي صغرى بالنسبة للتي وقع فيها القتال وهي الكبرى. وتسمى هذه أيضاً بدر الموعد للمواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد، وتسمى بدر الثالثة، وكانت في شعبان سنة أربع بعد ذات الرقاع على قول ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: لما قدم رسول الله المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً، ثم خرج في شعبان. الى أن قال: واستعمل على المدينة عبدالله ابن رواحة الخزرجي، وحمل اللواء علي بن أبي طالب... الخ.

وقال العلامة محمد رضا: وتسمى أيضاً غزوة السويق، وخرج رسول الله الى بدر ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس، وذلك في شهر شعبان لميعاد أبي سفيان، واستعمل على المدينة عبدالله بن رواحة الخزرجي، وحمل اللواء علي بن أبي طالب، وخرج أبو سفيان في قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً. الى أن قال: فسأهم أهل مكة جيش السويق، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق. وهذه حيلة دبرها أبو سفيان، لأنه لم يكن يريد حرباً بل خرج لثلاثي يقال أخلف وعده، ولم يخرج على أنه لم يعارضه أحد من قريش في الرجوع، فكان الجيش كذلك لا يريد الحرب.

وقال صاحب المحاضرات: وكان ذلك - يعني رجوع أبي سفيان - مما أخذه الناس على أبي

سفيان لعدم وفائه، ولكنها الحروب ولقاء الموت تحمل الناس كثيراً على ما يكرهون... الخ.
وقال ابن كثير^(١): وقال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله (ص) يعني من بدر الموعد راجعاً إلى المدينة، فأقام بها حتى مضى ذو الحجة، وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع.

وقال الواقدي: وفي هذه السنة - يعني سنة أربع - أمر رسول الله (ص) زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود.

ثم قال ابن كثير: قلت فثبت عنه في الصحيح أنه قال: تعلمته في خمسة عشر يوماً. والله أعلم، انتهى.

وقال الطبري^(٢): نقلاً عن الواقدي أنه قال: وفي هذه السنة تزوج رسول الله (ص) أم سلمة بنت أبي أمية في شوال ودخل بها، قال: وفيها أمر رسول الله (ص) زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود وقال: أتني لا آمن أن يبدلوا كتابي... الخ.

وقال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة أمر رسول الله (ص) زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود وقال: أتني لا آمنهم أن يبدلوا كتابي، فتعلمه في خمس عشر ليلة... الخ.

غزوة دومة الجندل

قال ابن كثير^(٣): قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله (ص) دومة الجندل. قال ابن هشام: في ربيع الأول يعني من سنة خمس، واستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري... الخ.
وقال ابن الأثير^(٤): وفيها - يعني السنة الخامسة من الهجرة - كانت غزوة دومة الجندل في ربيع الأول، وسببها أنه بلغ النبي أن بها جمعاً من المشركين فغزاهم فلم يلق كيداً... الخ.

(١) السيرة النبوية ٣/ ١٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٥٦١.

(٣) السيرة النبوية ٣/ ١٧٧.

(٤) الكامل ٢/ ١٧٧.

وقال ابن كثير^(١): وقد قال محمد بن عمر الواقدي باسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا: أراد رسول الله (ص) أن يدنو إلى أداني الشام، وقيل له إن ذلك مما يفزع قيصر، وذكر له إن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يظلمون من مَرَّ بهم، وكان لها سوق عظيم، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة، فندب رسول الله (ص) الناس، فخرج في ألف من المسلمين.

وقال محمد بن سعد^(٢): ثم غزوة رسول الله (ص) بدومة الجندل في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً من مهاجره (ص). قالوا: بلغ رسول الله أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً، وأنهم يظلمون من مَرَّ بهم من الضافطة، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة، وهي طَرَفٌ من أفواه الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة. فندب رسول الله (ص) الناس، واستخلف على المدينة سباع بن عُرفطة الغفاري، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل له من بني عذرة يقال له مذکور. فلما دنا منهم إذا هم مُغْرَبُونَ وإذا آثار النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة الجندل ففرقوا، ونزل رسول الله (ص) بساحتهم فلم يجد بها أحداً، فأقام بها أياماً وبث السرايا وفرقها، فرجعت ولم تصب منهم أحداً، وأخذ منهم رجل فسأله رسول الله (ص) عنهم فقال: هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَعْمَهُم، فعرض عليه الإسلام فأسلم. ورجع رسول الله (ص) ولم يلق كيداً لعشر ليال بقين من شهر ربيع الآخر... الخ.

غزوة بني المصطلق

قال محمد بن سعد: ثم غزوة رسول الله (ص) المريسيع في شعبان سنة خمس من مهاجره (ص)... الخ.

(١) السيرة النبوية ١٧٧/٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٦٢/٢.

وقال الحلبي^(١): ويقال غزوة المريسيع ويقال لها غزوة محارب، وقيل محارب غيرها، ويقال لها غزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة، وبنو المصطلق بطن من خزاعة، وهم بنو جذيمة وجذيمة هو المصطلق. والصلق، هو رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من مياههم، أي من ماء خزاعة وسببها أنه (ص) بلغه أن الحرث بن أبي ضرار سيّد بني المصطلق جمع لحرب رسول الله (ص) من قدر عليه من قومه ومن العرب، فأرسل رسول الله بريدة بن الحصيب ليعلم علم ذلك ... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): فبلغ ذلك رسول الله (ص) فبعث بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم علم ذلك، فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه، ورجع الى رسول الله (ص) فأخبره خبرهم، فندب رسول الله (ص) الناس إليهم، فأسرعوا الخروج وقادوا الخيول، وهي ثلاثون فرساً في المهاجرين منها عشرة وفي الأنصار عشرون، وخرج معه بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وكان معه (ص) فرسان لزاز والظرب، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان. وبلغ الحارث ابن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله (ص) وأنه قد قتل عينه الذي كان وجهه ليأتيه بخبر رسول الله، فسيء بذلك الحارث ومن معه وخافوا خوفاً شديداً، وتفرّق عنهم من كان معهم من العرب، وانتهى رسول الله (ص) الى المريسيع وهو الماء، فاضطرب عليه قبته ومعه عائشة وأم سلمة، فتهيأوا للقتال ... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٣): فبعث (ص) بريدة بن الحصيب الأسلمي ليعلم حالهم، فأتاهم ولقي الحرث بن أبي ضرار وكلمه فوجده قد جمع الجموع، وقالوا له: من الرجل؟ قال: منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يداً واحدة حتى نستأصله. قال الحرث: فنحن على ذلك فعجل علينا. فقال لهم بريدة أركب الآن وآتيكم بجمع

(١) السيرة النبوية ٢ / ٢٧٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٦٣.

(٣) السيرة النبوية ١ / ٢٢٦.

كثير من قومي، فسروا بذلك ورجع هو الى النبي (ص) فأخبره خبرهم، فندب الناس وخرج مسرعاً في جمع كثير. الى أن قال: وخرجت معه عائشة وأم سلمة، وأصاب رسول الله (ص) في طريقه عيناً - أي جاسوساً للمشركين - فسأله عنهم فلم يذكر من شأنهم شيئاً، فعرض عليه الإسلام فأبى. الى أن قال: ثم أمر (ص) أصحابه فحملوا حملة رجل واحد، فما أفلت منهم أحد قتلوا عشرة وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة، وسبوا الرجال والنساء والذرية، وساقوا النعم والشاء، وكانت الإبل ألفي بعير والشاة خمسة آلاف وكان المسبى مائتي بيت، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد وهو هشام بن صبابه أصابه رجل من رهط عبادة بن الصامت خطأ. وكان من جملة السبي جويرية بنت الحرث، فاخص بها النبي (ص) وأعتقها وتزوج بها.

وقال محمد بن سعد^(١): وأمر (ص) بالأسارى فكتفوا، واستعمل عليهم بريدة بن الحصيبي، وأمر بالغنائم فجمعت، واستعمل عليها شقران مولاه وجمع الذرية ناحية واستعمل على مقسم الخمس وسهمان المسلمين محمية بن جزء، واقتسم السبي وفرق وصار في أيدي الرجال، وقسم النعم والشاء فعدلت الجزور بعشر من الغنم، وبيعت الرثة - يعني متاع البيت - في من يزيد، وأسهم للفرس سهمان ولصاحبه سهم وللراجل سهم.

الى أن قال: وصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس وابن عم له، فكاتبها على تسع أواق ذهب، فسألت رسول الله (ص) في كتابتها وأداها عنها وتزوجها وكانت جارية حلوة. ويقال جعل صداقها عتق كل أسير من بني المصطلق، ويقال جعل صداقها عتق أربعين من قومها. وكان السبي منهم من من عليه رسول الله (ص) بغير فداء ومنهم من افتدى، فافتديت المرأة والذرية بست فرائض وقدموا المدينة ببعض السبي فقدم عليهم أهلهم فافتدوهم، فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلا رجعت الى قومها، وهو الثبت عندنا... الخ.

وقال ابن هشام^(١): فلما سمع رسول الله (ص) بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله (ص) أبناءهم ونسائهم وأموالهم، فأفاءهم عليه، وقد أصيب رجل من المسلمين.

قصة جهجاه وسانان الجهني

قال ابن هشام: فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسانان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبدالله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث، فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليُخرجنَّ الأعز منها الأذلَّ ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا الى غير داركم، فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به الى رسول الله (ص)، وذلك عند فراغ رسول الله من عدوه، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله (ص) فكيف يا عمر إذا تحدث الناس انّ محمداً يقتل أصحابه، لا ولكن أذن بالرحيل، فأذن في ساعة لم يكن رسول الله (ص) يرتحل فيها، فارتحل الناس وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول الى رسول الله (ص) حين بلغه انّ زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به، وكان في قومه شريفاً عظيماً. فقال من حضر رسول الله من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ

(١) السيرة النبوية ٣/٣٠٢.

ما قال الرجل .

ثم قال : قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله (ص) وسار لقيه أسيد بن حضير فحيّاه بتحيّة النبوة وسلّم عليه ثم قال : يا نبيّ الله والله لقد رحمت في ساعة منكّرة ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله (ص) : أوّما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله . قال : عبدالله بن أبيّ . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنّه إن رجع الى المدينة أخرج الأعرزّ منها الأذلّ . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنّ قومه لَيَنْظُمُونَ له الخرز ليتوّجوه ، فأنه ليرى أنّك قد استلبته ملكاً . ثم مشى رسول الله (ص) يومهم ذلك حتّى أمسى وليلتهم حتّى أصبح وصدر يومهم ذلك حتّى أذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً ، وانما فعل ذلك رسول الله (ص) ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبدالله بن أبيّ ، ثم راح رسول الله (ص) وسلك الحجاز حتّى نزل على ماء بالحجاز ، فلما راح رسول الله (ص) هبّت ريح شديدة أذتهم وتخوّفوها ، فقال رسول الله (ص) : لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار .

فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد التابوت أحد بني قينقاع - وكان عظيماً من عظماء يهود وكهفياً للمنافقين - مات في ذلك اليوم ، ونزلت السورة التي ذكره الله فيها المنافقين في ابن أبيّ ومن كان على مثل أمره . فلما نزلت أخذ رسول الله (ص) باذن زيد بن أرقم ثم قال : هذا الذي أوفى لله باذنه ، وبلغ عبدالله بن عبدالله بن أبيّ الذي كان من أمر أبيه .

ثم قال : قال ابن إسحاق : فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ عبدالله أتى رسول الله (ص) فقال : بلغني أنّك تريد قتل عبدالله بن أبيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فرني به فأنا أحمل اليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان من رجل أبرّ بوالده منّي ، وائي أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل عبدالله بن أبيّ يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله (ص) : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا .

وقال ابن كثير : وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أنّ ابنه عبدالله وقف لأبيه عبدالله بن

أبي بن سلول عند مضيق المدينة فقال قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله (ص) في ذلك فلما جاء رسول الله (ص) استأذنه فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة... الخ.

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومهم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه فقال رسول الله (ص) لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتله. قال: قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله (ص) أعظم بركة من أمري.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وقدم مقيس بن صبابه من مكة مسلماً فيما يظهر، فقال: يا رسول الله جئتك مسلماً وجئتك أطلب دية أخي قُتل خطأ، فأمر له رسول الله (ص) بدية أخيه هشام ابن صبابه، فأقام عند رسول الله (ص) غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج الى مكة مرتداً. الى أن قال ابن هشام: وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق «يا منصور أمت أمت».

ثم قال: قال ابن إسحاق: وأصيب من بني المصطلق ناس، وقتل علي بن أبي طالب رجلين مالكا وابنه. الى أن قال: قالت - يعني عائشة - وخرج الخبر الى الناس ان رسول الله (ص) قد تزوج جويرية ابنة الحرث، فقال الناس: أصهار رسول الله، وأرسلوا ما بأيديهم. قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان ان رسول الله (ص) بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم فرجع الى رسول الله فأخبره ان القوم قد هموا بقتله ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم. فأكثر المسلمون في ذلك غزوهم حتى هم رسول الله (ص) بأن يغزوهم، فبينما هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته الينا فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة فانشر راجعاً، فبلغنا انه زعم لرسول الله انا خرجنا إليه لنقتله، ووالله ما جئنا لذلك. فأنزل الله تعالى فيه وفيهم ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جئكم فاسقاً نبأً فتبينوا أن تُصيبوا قوماً

بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴿١﴾ الْآيَةَ .

حديث الافك

قد أقبل رسول الله (ص) من سفره ذلك كما حدّثني من لا أتّهم عن الزهري عن عروة عن عائشة، حتّى إذا كان قريباً من المدينة وكانت معه عائشة في سفره ذلك، قال فيها أهل الافك ما قالوا. انتهى ما نقله ابن هشام.

وقال محمد بن سعد^(١): وفي هذه الغزاة كان حديث عائشة وقول أهل الافك، وأنزل الله تعالى براءتها، وغاب رسول الله (ص) في غزاته هذه ثمانية وعشرين يوماً، وقدم المدينة لهُلال شهر رمضان.

وروى ابن كثير^(٢): باسناده عن عائشة أنّها قالت: كان رسول الله (ص) إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها معه فلما كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي عليهنّ معه فخرج بي رسول الله . قالت: وكان النساء اذذاك يأكلن العلق لم يَهْجِهَنَّ اللحم (لم يَهْجِهَنَّ اللحم كناية عن خفة الجسم) فيثقلن، وكنت إذا رحلت لي بعيري جلست في هودجي ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملونني ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدّونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت: فلما فرغ رسول الله (ص) من سفره ذلك وجّه قافلاً حتّى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل، ثم أذن مؤذّن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار، فلما فرغت انسلّ من عنقي ولا أدري، فلما رجعت الى الرحل ذهبت أتمسه في عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل فرجعت الى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتّى وجدته، وجاء القوم خِلافي الذين كانوا

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٦٥ .

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٣٠٤ .

يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنّي فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدّوه على البعير ولم يشكّوا أنّي فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت الى العسكر وما فيه داع ولا مجيب فقد انطلق الناس. قالت: فتلففتُ بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني وعرفت أن لو افتقدت لرجع الناس إليّ. قالت: فوالله أنّي لمضطجعة إذ مرّ بي صفوان بن المعطلّ السلمي، وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي فأقبل حتّى وقف عليّ وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنّ الله وإنا إليه راجعون ظعينة رسول الله وأنا متلففة في ثيابي قال: ما خلّفك يرحمك الله. قالت: وما كلمته، ثم قرب اليّ البعير فقال اركبي واستأخر عني. قالت: فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتّى أصبحت ونزل الناس، فلما اطمانوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الافك ما قالوا وارتجّ العسكر، والله ما أعلم بشيء من ذلك، ثم قدمنا المدينة ... الخ.

وهكذا رواه البخاري^(١): في موضعين، الأول في غزوة بني المصطلق، والثاني في التفسير، قال ثنا لحي بن بكير، ثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة ابن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن حديث عائشة زوج النبي (ص) حين قال لها أهل الافك ما قالوا، فبرأها الله ممّا قالوا. الى أن قال: قالت وكانت النساء اذ ذاك خفافاً لم يثقلهنّ اللحم، أمّا يأكلن العلقمة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمرّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأقمت منزلي الذي كنت به وظننت أنّهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطلّ السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلى فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرّفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين

(١) صحيح البخاري ٥/١٤٨/٦٠١٢٨.

عرفني ، فخرتُ وجهي بجلبابي والله ما كلّمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته فوطيء على يديها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش ... الخ .

كلام في الحجاب الشرعي

ثم أنه لا بأس لصرف الكلام في هذا المقام الى بيان الحجاب في شرع الإسلام ، وهذه المسئلة من المسائل المهمة بلا كلام .

واعلم أنه قد وقع الخلاف في المعنى المقصود بين الأعلام ، وكثر بينهم النقض والابرام ، وقد زلّ فيه الأقدام وفرط فيه الأقدام وقصر عنه الأفهام .

والحقّ الذي يقتضيه التأمل والتتبع التام انّ المقصود ستر جميع جسد المرأة حتى الوجه والكفين ، وفاقاً لجماعة كثيرة قديماً وحديثاً من متبّعي علماء الإسلام . على وأنا لا نخاف الانفراد لو ساعدنا الدليل في باب الأحكام . وعلى الله التوكّل وبه الاعتصام مستمداً من أم الأئمة شمس سماء العصمة وبضعة خير الأنام عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها صلوات الله الملك العلام . ويتبعه عدم جواز نظر الرجال إليها غير ذوي الأرحام إلا للضرورة ، كمقام الشهادة والمناكحة والمعالجة من الأسقام ، فنقول :

إنّ المرأة عورة بكلّيتها كما قال النبي (ص) على ما رواه الترمذي والإمام البغوي في المصابيح عن النبي أنه قال : المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان . وهذا هو الأصل في المسئلة ولا يعدل عنه إلا بدليل .

وقد استدلّ المجوّز بأدلة من الكتاب والسنة والاجماع والعقل والسيرة ، وكلّها مخدوشة لا تنهض حجة للعدول عن الأصل : أمّا الكتاب فقد يستدلّ بآيات منه لا تخلو بعضها من إشعار :

ومنها آية الغضّ ، وهي قوله تعالى ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ بل هي عمدة مستند المجوّز من الآيات . فالحقّ انّ الآية من جملة التشابهات ، لاختلاف المفسرين فيها

اختلافاً لا يُرجى جمعه، حتّى أنّ الطبري في التفسير ذكر في تفسيرها وجوهاً لعلّها تبلغ العشرين: منها الثياب الظاهرة، ومنها الخاتم، ومنها الخاتم والمسكة، ومنها الكحل والخاتم والخضاب، ومنها غير ذلك، ومن جعلتها الوجه فقط، ومنها الوجه والكفين، ومنها أنّ الاستثناء يكون منقطعاً. فعلى الأول والأخير لا يمكن الاستدلال بالآية، فيبقى سائر الأقوال التي يمكن الاستدلال بها.

والذي ظهر لي بعد التتبّع أنّ الأقوال كلّها راجعة إلى أقوال أربعة: الأول ما روى عن ابن عباس، والثاني عن ابن مسعود، والثالث عن عائشة، والرابع عن ابن عطية.

والقول الثاني - وهو الذي اختاره ابن مسعود ومن تابعه كأبي الجوزا وابن سيرين وإبراهيم النخعي والحسن البصري في أحد قوليّه - هو الثياب الظاهرة فقط، ودليلهم في ذلك قوله تعالى ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ والزينة في الآية هي المفسرة بالثياب الظاهرة فقط مضافاً إلى أنّ الآية نزلت في باب الستر على ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس.

والقولان - وهو قول عائشة بأنّه الخاتم فقط واختاره الزهري، وقول ابن عطية وهو كون الاستثناء منقطعاً مرجعها إلى ما اختاره ابن مسعود ومن تابعه على هذا القول، لأنّ عائشة فسّرت «ما ظهر منها» في آية الغضّ بالخاتم، وهذا التفسير على تقدير أن يراد مواضع الزينة من الآية ليستلزم كشف بعض البنان لا الوجه والكفان.

وهكذا ما اختاره ابن عطية من كون الاستثناء منقطعاً، كآية ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباءكم ﴾ أو ﴿ ولا تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ﴾ وآية ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ لأنّ الآية على هذا التقدير خارجة عن محلّ النزاع، فيبقى ما روى عن ابن عباس ومن تابعه في المقام، وهو ليس بحجة في تفسير الآية بالوجه والكفين، لمعارضة مع ما روي عن ابن مسعود ومن تابعه بطرق عديدة تبلغ تسعة، وكلّها متّفقة بأنّ المقصود من الآية الثياب الظاهرة لا غيرها.

مضافاً إلى أنّ ما روى عن ابن عباس قد اختلف الناقلون في روايته عنه، ولعلّه يبلغ أقوالاً

الأوّل ما رواه سعيد بن جبّير عن ابن عباس بأنّه الكحلّ والخاتم، والثاني ما رواه ضحّاك عنه بأنّه قال الظاهر منها الكحلّ والخدّان، والثالث ما رواه ابن جُريج عنه بأنّه قال إلاّ ما ظهر منها الخاتم والمسكّة (والمسكّة هي القلب والسواد) والرابع ما رواه مجاهد وعطاء عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿إلاّ ما ظهر منها﴾ قال: ما كان في الوجه والكفّ الخضاب والكحلّ وهذا القول ربّما يوافق القول الثاني المنقول عن ابن عباس، والخامس ما رواه حسن البصري عن ابن عباس بأنّه الوجه فقط، والسادس ما رواه سعيد بن جبّير وعطاء والضحاك والأوزاعي عن ابن عباس بأنّه قال الوجه والكفّان والخاتم، وروي عنه أيضاً أقوال أخرى تركناها لرجوعها إلى ما سبق منه.

فظهر بما قدّمناه عنه عدم جواز التمسك بقوله في تفسير الآية.

ولقائل أن يقول: إنّ ما روي عن ابن عباس مع اختلافه هو تفسير لمصاديق الزينة الظاهرة، فكيف لا يمكن التمسك به؟ قلنا: أوّلاً بأنّه معارض بما روي عن ابن مسعود وعائشة وابن عطية، وثانياً أنّ ما روي عنه سوى القول الثالث يمكن أن يكون من قبيل ذكر المصاديق، لكنّ الثالث منها فغاية دلالاته استثناء الكفين فقط، فكيف يمكن الالتزام بقوله وأنّه فسّر الآية بالوجه والكفين، خصوصاً مع احتمال أن يكون ما روي عنه من تفسير ما ظهر منها بما ذكر أنّه فسّر الزينة التي نُهين عن ابدائها للأجانب كما قال ابن كثير في تفسيره، وهو قوله: وعن ابن عباس قال: وجهها وكفّها والخاتم. وروي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبّير وابن الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي وغيرهم ذلك. ثمّ قال: وهذا يحتمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نُهين عن ابدائها... الخ.

فإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال.

وثالثاً مع الإغماض عمّا يرد عليه، فلا ريب في رجحان ما اختاره ابن مسعود، لأنّه أعلم أصحاب النبي (ص) بالقرآن، وأنّه قرأ القرآن كلّه أو أكثره على النبي (ص)، وإنّ بعض الصحابة يعدّه وأمه من أهل بيت النبي لكثرة دخوله مع أمّه في بيت النبي، وأنّه قال: استقرأ القرآن من أربعة، فبدأ به ثمّ ذكر الآخرين. وأنّه قال (ص): من أحبّ أن يقرأ القرآن غصّاً كما

أنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد. وأنه قال فيه عمر: كنيف ملء علماً. وأنه أول من جهر بالقرآن بمكة، فقرأ سورة الرحمن. وأنه قال: والذي لا اله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت. وغير ذلك مما ورد في مدحه - على ما رواه القوم في كتبهم كصحيح البخاري ومسلم وغيرها من السير والتواريخ.

وأما عند الشيعة فالرجل من الثقات، بل قال بعضهم في حقه فهو ثقة إن لم يكن في أعلى درجة الوثاقة. فيتعين الأخذ بقوله وطرح ما سواه من الأقوال. ورابعاً على فرض التساوي وعدم الترجيح فيتساقطان، فيكون المرجع في تفسير الآية سائر الأدلة من السنة وغيرها. وأما السنة التي يمكن التمسك بها من طريق القوم فهي روايتان: فالأولى ما رواه أبو داود في سننه عن عائشة أنها قالت: دخلت أسماء بنت أبي بكر على النبي (ص) وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها النبي (ص) وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه.

وهذه الرواية قاصرة سنداً ودلالة: أما سنداً فلأنها مرسلة، وأما دلالة فلأنه (ص) في مقام إعطاء القاعدة وإن المرأة إذا بلغت المحيض لا يصلح أن يُرى منها إلا هذا، مع قطع النظر عن الأجنبي، بحيث لو فاجأها بغتة لا يُرى منها إلا الوجه والكفان، فيكون هذا الاستثناء لرفع العسر والمخرج، وأنها مع عدم حضور الأجنبي لا تكون مأمورة بستر الوجه والكفين. ويشهد لما قلناه ما روته عائشة أيضاً عن النبي (ص) قالت: دخلت على ابنة أخي لأُمِّي مزينة، فدخل النبي (ص) فأعرض، فقالت عائشة: أنها ابنة أخي وجارية. فقال: إذا عرقت المرأة لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها والآ ما دون هذا، وقبض (ص) على ذراع نفسه، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى.

وهذا صريح بأن المرأة إذا خرجت من بيتها مع كونها بالغة لا يحل لها أن تظهر إلا وجهها والآ يدها إلى فوق الزند، وإن كانت في بيت ولم يكن معها في البيت إلا المحارم، لأن خارج بيتها مظنة لورود الأجانب.

ولعله لما قلناه قال ابن كثير في التفسير بعد ذكر الآية وتفسيرها. ويحتمل أن ابن عباس

ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين، وهذا هو المشهور عند الجمهور، ويستأنس بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه. ثم ذكر الحديث الأول، وبعد نقله قال: لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي هو مرسل.

وأما الروايات التي تمسك بها جماعة من علماء الإمامية لجواز كشف المرأة وجهها وكفيها فكثيرة وكلها مخدوشة:

منها صحيحة علي بن سويد التي لم يقل أحد من أصحابنا بضمونها إلا على بعض المحامل الذي تخرج الصحيحة عما كانوا في مقام اثباته.

وأما صحيحة المفضل فهي على خلاف مقصود المجوز أدلّ، لأنّه قال عليه السلام في جواب السائل: وما دون الخمار من الزينة وما دون السوارين من الزينة بمعنى أنّ الوجه من الزينة كما أنّ الكفين من الزينة، لا بمعنى أنّ ما فوق الخمار من الزينة وما فوق السوارين من الزينة. وعلى فرض الاجمال تسقط الصحيحة عن الحجية.

وأما الروايات المأثورة عن الصادقين في تفسير ﴿ما ظهر منها﴾ بأنّه الكحل والخاتم أو الخاتم والمسكة أو الثياب والكحل والخاتم وخضاب الكفّ والسوار، فغاية دلالتها جواز كشف الكفين والأصابع على ما نسب إليهم الطبرسي في جمع الجوامع، مع الإغماض عن ضعف السند والدلالة والصدور فيها.

وأما مرسله مروك التي هي عمدة مستند المجوزين فهي قاصرة سنداً ودلالة وصدوراً، مع اشتهاها أيضاً لما لا يقول به المشهور من علماء الإسلام من تجويز النظر الى القدمين.

ومثلها في الضعف ما رواه صاحب المستدرک عن الحسن بن الفضل في مكارم الأخلاق نقلاً عن المحاسن عن أبي عبدالله عليه السلام مع اشتهاها أيضاً لما لا يقول به المشهور من علماء الإسلام من تجويز النظر الى الذراعين.

وأما الرواية المروية عن الكافي بإسناده عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن جابر بن عبدالله الأنصاري، فضعيفة جداً، لأنّ عمرو بن شمر قد دسّ أحاديث في كتب جابر الجعفي على ما حكى عن النجاشي والعلامة في الخلاصة وغيرهما.

وأما المروية عن قرب الاسناد عن الصادق عليه السلام فهي محتملة لمحاميل كثيرة: منها جواز كشفها متعمداً.

والرواية الأخرى المروية عن قرب الاسناد عن علي بن جعفر عن أخيه، فهي صادرة في مقام المعالجة، لأنها مشتملة على مسائل عديدة كلها في المعالجة.

وأما الرواية الخثعمية فهي مع قصورها سنداً محمولة على ستر وجهها، وليس في الرواية ما يدل على كشف وجهها إلا ظهور لفظ «النظر إليها».

وأما الرواية المروية عن أبي جعفر عليه السلام في باب الحج بأنه مرّ بامرأة محرمة استترت وجهها بمروحة، فأماط المروحة بقضيبه، فهي محمولة على ملاصقته لوجهها.

وأما خبر سعد الاسكافي في قضية شاب نظر الى وجه امرأة... الخ. فكان قبل نزول آية الحجاب، وعلى فرض صحة هذه الروايات سنداً وحجيتها دلالة وصدوراً فهي معارضة بأخبار صحيحة واضحة الدلالة في أبواب كثيرة، كالحج والشهادة والمعالجة والذميمة ومريد التزويج والقواعد.

وبالجملة فالذي ظهر لي بعد التتبع ان الروايات المجوزة الصادرة عن الأئمة عليهم السلام ناظرة الى تفاسير القوم وفتاواهم وقد تقدّم ذكر التفاسير وسيأتي الكلام في ذكر الفتاوى عن قريب انشاء الله تعالى.

وأما الإجماع - بمعنى اتفاق الكل - فمقطوع العدم، وبمعنى اتفاق الأكثر أو الشهرة فليس بحجة جزمياً. أما عدم اتفاق الكل عند القوم، فظاهر لأن جماعة من الصحابة والتابعين ذهبوا الى خلاف ما ذهب إليه ابن عباس كابن مسعود وأبي الجوزاء وإبراهيم النخعي والحسن البصري وابن سيرين والزهري على ما رواه عنهم ابن كثير في التفسير حيث قال: وقوله تعالى ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابن مسعود: كالرداء والثياب. الى ان قال ابن كثير: وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وإبراهيم النخعي وغيرهم. ثم قال: وفي رواية عنه بهذا الاسناد - يعني ما رواه أبو إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: الزينة

زينتان، فزينة لا يراها إلا الزوج الخاتم والسوار، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الشباب... الخ.

وسنذكر بقية الكلام في رسالة مستقلة انشاء الله تعالى لانّ الأزيد من ذلك خروج عمّا نحن في مقام ذكره.

غزوة الخندق - الأحزاب

قال محمد بن سعد^(١): ثم غزوة رسول الله (ص) الخندق، وهي غزوة الأحزاب في ذي القعدة سنة خمس من مهاجره.

قالوا: لما أجلي رسول الله (ص) بني النضير ساروا الى خيبر، فخرج نفر من أشرفهم ووجههم الى مكة، فألبوا قريشاً ودعوهم الى الخروج الى رسول الله (ص) وعاهدوهم وجامعوهم على قتاله ووعدوهم لذلك موعداً، ثم خرجوا من عندهم فأتوا غطفان وسليماً ففارقوهم على مثل ذلك، وتجهّزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب بن أمية. ووافتهم بنو سليم بمجرّ الظهران، وهم سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية، وهو أبو أبي الأعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد الأسدي، وخرجت فزارة فأوعبت وهم ألف بعير يقودهم عيينة ابن حصن، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف، وخرج معهم غيرهم. وقد روى الزهري: أنّ الحارث بن عوف رجع ببني مرة فلم يشهد الخندق منهم أحد، وكذلك روت بنو مرة، والأول أثبت أنهم قد شهدوا الخندق مع الحارث بن عوف، وهجاه حسان بن ثابت. فكانت جميع القوم الذين وافوا الخندق ممّن ذكر من القبائل عشرة آلاف.

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٦٥.

وهم الأحزاب، وكانوا ثلاثة عساكر وعناج الأمر الى أبي سفيان بن حرب .
 فلما بلغ رسول الله (ص) فُصولَهُمْ من مكة ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم
 وشاورهم في أمرهم، فأشار إليه سلمان الفارسي بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر
 بهم رسول الله (ص) الى سفح سلع، وجعل سلعا خلف ظهره. وكان المسلمون يومئذ ثلاثة
 آلاف، واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم، ثم خندق على المدينة وجعل المسلمون
 يعملون مستعجلين يبادرون قدوم عدوهم عليهم، وعمل رسول الله (ص) معهم بيده لينشط
 المسلمين، ووكل في كل جانب منه قوماً، فكان المهاجرون يحفرون من ناحية راتج الى ذباب،
 وكانت الأنصار يحفرون من ذباب الى جبل بني عبيد، وكان سائر المدينة مُشَبَّكاً بالبنيان فهي
 كالحصن، وخندقت بنو عبد الأشهل عليها مما يلي راتج الى خلفها حتى جاء الخندق من وراء
 المسجد، وخندقت بنو دينار من عند جربا الى موضع دار ابن أبي الجنوب اليوم. وفرغوا من
 حفرة في ستة أيام، ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام، وخرج رسول الله (ص) يوم
 الاثنين لثماني ليال مضين من ذي القعدة ... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): وكانت - يعني الغزوة - في شوال، وكان سببها ان نفراً من يهود من بني
 النضير منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم قد حزبوا
 الأحزاب على رسول الله، فقدموا على قريش بمكة فدعوههم الى حرب رسول الله وقالوا:
 نكون معكم حتى نستأصله. فأجابوهم الى ذلك.

وقال الطبري^(٢): فقالت لهم قريش: يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما
 أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قال: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى
 بالحق منه. قال: فهم الذين أنزل إليه عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ
 يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ الى
 قوله ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوههم إليه من

(١) الكامل ١٧٨ / ٢

(٢) تاريخ الطبري ٥٦٥ / ٢

حرب رسول الله (ص) فأجمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعواهم الى حرب رسول الله (ص) وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشاً تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه فأجابوهم ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة .

الى أن قال : فلما سمع بهم رسول الله (ص) وبما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة ، فحدثت عن محمد بن عمر قال : كان الذي أشار على رسول الله (ص) بالخندق سلمان ، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله وهو يومئذ حُرّ ، وقال : يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا .

ثم قال الطبري : رجع الحديث الى حديث ابن إسحاق : فعلم رسول الله (ص) ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون ، وأبطأ عن رسول الله (ص) وعن المسلمين في عملهم رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعف من العمل ويتسللون الى أهاليهم بغير علم من رسول الله ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتة نائبة من الحاجة التي لا بدّ منها يذكر ذلك لرسول الله ويستأذنه في اللحوق بحاجته فيأذن له ، فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتساباً له ، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ الى قوله ﴿ واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم ﴾ فنزلت هذه الآية في كل من كان من أهل الحسبة من المؤمنين والرغبة في الخير والطاعة لله ولرسوله . ثم قال الله تعالى للمنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن رسول الله ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ الى قوله ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ أي قد علم ما أنتم عليه من صدق أو كذب ... الخ .

وقال ابن الأثير^(١) : وقسم الخندق بين المسلمين ، فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان كل يدعيه أنه منهم ، فقال رسول الله (ص) : سلمان منا أهل البيت . وجعل لكل عشرة أربعين

ذراعاً، فكان سلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وعمرو بن عوف وستة من الأنصار يعملون ... الخ.

وقال الطبري^(١): خط رسول الله (ص) الخندق عام الأحزاب أجم الشيخين (اسم موضع) طرف بني حارثة حتى بلغ المذاد، ثم قطعه أربعين ذراعاً بين كل عشرة فاحتق المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قوياً، فقالت الأنصار: سلمان منا، وقالت المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله: سلمان منا أهل البيت.

وقال الواقدي: ثم إن قريشاً جمعوا الجموع واستأجروا حياً من قبائل العرب، فسارت غطفان وأسد وسليم وقريش ومن دخل فيها، فاجتمع منهم نفيهم، فساروا جميعاً وبلغ نبي الله الخبر، فأخذ في حفر الخندق من حول المدينة، فلما رأوا أصحابه إن نبي الله (ص) قد جد في أمر الخندق عرفوا أن المشركين قد ساروا إليهم، وجعل رسول الله لكل بني أبي طائفة من الخندق، فاخصم المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً، فقال رسول الله: هو من أهل البيت. فأخذ القوم في حفر الخندق، فعرضت عليهم صخرة فشقت على كل من يليها من الناس، فبينما سلمان يضرب فيها لا يغني فيها شيئاً إذ نزل رسول الله فأخذ معولاً كان في يد سلمان وضرب رسول الله ثلاث ضربات فانصدع الحجر، فأبصر سلمان أمراً من الحجر لم يبصره غيره وغير النبي، فلما أخرجوا الصخرة قال: يا رسول الله لقد رأينا من الصخرة وأنت تضربها أمراً مُعجباً. قال رسول الله: وهل رأيت يا سلمان؟ قال: نعم والذي أنزل عليك الكتاب. قال رسول الله: لقد رأيت في الضربة الأولى قرى اليمن، ثم في الثانية أبيض المدائن، وفي الضربة الثالثة مدائن الروم، ولقد أوحى الله به إلي ليفتحن عليّ، فابشروا. فاستبشر المؤمنون ببشرى رسول الله ... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): فلما سمع بهم رسول الله (ص) وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة. ثم قال: قال ابن هشام: يقال إن الذي أشار به سلمان.

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٦٧.

(٢) السيرة النبوية ٢/١٨٢.

قال الطبري والسهيلي: أول من حفر الخنادق منوشهر بن ايرج بن أفريدون، وكان في زمن موسى (ع). الى أن قال: وقد قال البخاري: حدّثنا عبدالله بن محمد، حدّثنا معاوية بن عمرو، حدّثنا أبو إسحاق، عن حميد، سمعت إنساناً قال خرج رسول الله (ص) الى الخندق، فاذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللَّهُمَّ اِنَّ الْعَيْشَ عَيْشَ الْآخِرَةِ فاغفر الأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

الى أن قال: وقال البخاري: حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا عبدالعزيز بن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: كنّا مع رسول الله (ص) في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله (ص): اللهم لا عيش إلاّ عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار. ورواه مسلم عن القعبي عن عبدالعزيز به.

وقال البخاري: حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله (ص) ينقل التراب يوم الخندق حتّى اغمر بطنه أو اغبرّ بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا

فأنزلن سكينه علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا

إنّ الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

الى أن قال: وقال الإمام أحمد، حدّثنا سليمان، حدّثنا شعبة، عن معاوية بن قرّة، عن أنس: إنّ رسول الله (ص) قال وهم يحفرون الخندق: اللهم لا خير إلاّ خير الآخرة فاصلح الأنصار والمهاجرة. وأخرجاه في الصحيحين من حديث غندر عن شعبة ... الخ.

وقال الزيني دحلان^(١): وفي البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال: كنا مع النبي (ص) في الخندق ونحن ننقل التراب على أكتافنا، فقال (ص): اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة. وهو من كلام ابن رواحة وأصله لا همَّ أن العيش عيش الآخرة فنطق به النبي (ص) اللهم لا عيش... الخ. لأنه يعسر عليه النطق بالشعر وإن كان من قول غيره.

الى أن قال: وفي البخاري من حديث البراء بن عازب قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رأيته (ص) ينقل من تراب الخندق حتى وار الغبار جلدة بطنه الشريفة، وكان كثير الشعر، وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة:

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

وقال الطبري^(٢): قال عمرو بن عوف: فكننت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا تحت ذوباب حتى بلغنا الندى، فأخرج الله جلّ وعزّ من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة، فكسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق الى رسول الله (ص) فاخبره خبر هذه الصخرة فإمّا أن نعدل عنها فإن المعدل قريب وإمّا أن يأمرنا فيها بأمره فإننا لا نحبّ أن نجاوز خطّه. فرقى سلمان حتى أتى رسول الله (ص) وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما نحيك فيها قليلاً ولا كثيراً فمرنا فيها بأمرك فإننا لا نحبّ أن نجاوز خطك، فهبط رسول الله (ص) مع سلمان في الخندق ورقينا نحن التسعة على شقة الخندق، فأخذ رسول الله (ص) المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربةً صدعها وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتيها - يعني لابتي المدينة - حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله (ص) الثالثة فكسرها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف

(١) السيرة النبوية ٢ / ٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٥٦٨.

بيت مظلم، فكبر رسول الله . الى أن قال: ثم أخذ بيد سلمان فرقى، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط، فالتفت رسول الله (ص) الى القوم فقال: هل رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا: نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كال موج فرايناك تكبر فنكبر ولا نرى شيئاً غير ذلك. قال: قد صدقتم، ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضأت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرئيل ان أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضأت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبقر منها الذي رأيتم أضأت لي قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرئيل ان أمتي ظاهرة عليها، فابشروا يبلغهم النصر، وابشروا يبلغهم النصر، وابشروا يبلغهم النصر فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صادق بارّ، وعدنا النصر بعد الحصر.

فطلعت الأحزاب، فقال المؤمنون: ألا تعجبون ﴿ هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ وقال المنافقون: ألا تعجبون يُحدّثكم ويُنيكم ويعدكم الباطل، ليخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وإنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا، وأنزل القرآن ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾.

ثم روى الطبري باسناده عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمن عمر وعثمان وما بعده: افتتحوا ما بدالكُم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما اقتحمت من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة إلا وقد أعطى محمد مفاتيحها قبل ذلك ... الخ.

وقال ابن هشام^(١): قال ابن إسحاق: وحُدّثت عن سلمان الفارسي أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ صخرة ورسول الله قريب مني، فلما رأني أضرب ورأى شدة

المكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، قال: ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى. قال: ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى. قال: قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أو قد رأيت ذلك يا سلمان. قال: قلت نعم. قال: أمّا الأولى فإنّ الله فتح بها اليمن، وأمّا الثانية فإنّ الله فتح بها الشام والمغرب، وأمّا الثالثة فإنّ الله فتح عليّ بها المشرق... الخ.

وروى ابن كثير^(١): باسناده عن عبدالله بن عمر قال: لما أمر رسول الله (ص) بالخندق فخذق على المدينة قالوا: يا رسول الله أنا وجدناه صفاة لا نستطيع حفرها، فقام النبي (ص) وقمنا معه، فلما أتاه أخذ المعول فضرب به ضربة وكبّر، فسمعت هدّة لم أسمع مثلها قط، فقال (ص): فتحت فارس، ثم ضرب أخرى فكبّر، فسمعت هدّة لم أسمع مثلها قط، فقال: فتحت الروم، ثم ضرب أخرى فكبّر، فسمعت هدّة لم أسمع مثلها قط، فقال: جاء الله بمجيمر أعواناً وأنصاراً.

وروى أيضاً باسناده عن ابن عباس أنّه قال: احتفر رسول الله الخندق وأصحابه قد شدّوا الحجارة على بطونهم من الجوع. الى أن قال: ثم مشوا الى الخندق، فقال (ص): اذهبوا بنا الى سلمان، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها، فقال رسول الله (ص): دعوني فأكون أول من ضربها، فقال: بسم الله، فضربها فوقعت فلقة ثلثها، فقال (ص): الله أكبر قصور الشام وربّ الكعبة، فقال: ضرب أخرى فوقعت فلقة، فقال: الله أكبر قصور فارس وربّ الكعبة، فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم.

ثم روى عن البيهقي باسناده عن البراء بن عازب الأنصاري قال: لما كان حين أمرنا رسول الله (ص) بحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ بها المعاول، فشكوا ذلك الى رسول الله (ص)، فلما رآها أخذ المعول وقال: بسم الله، وضرب

(١) السيرة النبوية ٣/١٩٣.

ضربة فكسر ثلثها وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله اني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله اني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله، فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة.

الى أن قال: قال النسائي: حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا ضمرة، عن أبي ذرعة، عن أبي سكينه، عن رجل من أصحاب النبي (ص) قال: لما أمر رسول الله بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام النبي (ص) وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال ﴿وَمَتَّ كَلِمَةَ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله برقة، ثم ضرب الثانية وقال ﴿وَمَتَّ كَلِمَةَ رَبِّكَ﴾ الآية، فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فرأها سلمان، ثم ضرب الثالثة وقال ﴿وَمَتَّ كَلِمَةَ رَبِّكَ﴾ الآية، فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله (ص) فأخذ رداءه وجلس، فقال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة. قال رسول الله: يا سلمان رأيت ذلك؟ قال: اي والذي بعثك بالحق يا رسول الله. قال: فاني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني، قال: ثم ضربت الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني، ثم قال: ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني، ثم قال رسول الله: دَعُوا الْحَبْشَةَ مَا ودَعَوْكُمْ وَاتركوا التُّرْكُ مَا تَرَكُوكُمْ. هكذا رواه النسائي مطولاً، وإنما روى منه أبو داود: دَعُوا الْحَبْشَةَ مَا ودَعَوْكُمْ وَاتركوا التُّرْكُ مَا تَرَكُوكُمْ ... الخ.

ثم روى ابن كثير باسناده عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: بُعثت بجوامع الكلم ونُصرت بالرعب، وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي. ورواه أيضاً عن الإمام أحمد باسناده عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله (ص) نُصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض. انتهى ما نقله ابن كثير مُلخَّصاً.

أقول: وقد ذكر ابن كثير في التاريخ وابن هشام في السيرة معجزات وكرامات سوى ما ذكرناه من أمر الصخرة، فمن أراد الاطلاع عليها فعليه المراجعة بكتب التواريخ والسير خصوصاً البداية والنهاية لابن كثير.

تتمة غزوة الأحزاب

قال الطبري^(١): ولما فرغ رسول الله (ص) من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من دومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد، وخرج رسول الله (ص) والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): ودسّ أبو سفيان بن حرب حبيّ بن أخطب إلى بني قريظة يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينه وبين رسول الله (ص) ويكونوا معهم عليه، فامتنعوا من ذلك ثم أجابوا إليه، وبلغ ذلك النبي فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. قال: ونجم النفاق وفشل الناس وعظم البلاء واشتدّ الخوف وخيف على الذراري والنساء، وكانوا كما قال الله تبارك وتعالى ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ الآية، ورسول الله (ص) والمسلمون وجاء العدو لا يزالون، غير أنهم يعتقبون خندقهم ويحرسونه.

وقال الطبري^(٣): وعظم عند ذلك البلاء واشتدّ الخوف وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنّ المؤمنون كل ظنّ ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط... الخ.

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٥٧٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٦٧.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٥٧٢.

وقال محمد بن سعد^(١): وكان رسول الله (ص) يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة، وكان عبّاد بن بشر على حرس قبّة رسول الله (ص) مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة، فكان المشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً، ويغدو عمرو بن العاص يوماً، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً، ويغدو ضرّار بن الخطاب الفهري يوماً، فلا يزالون يجيلون خيلهم ويتفرّقون مرّةً ويجمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله (ص) ويُقدّمون رماثهم فيرمون. الى أن قال: ثم اجتمع رؤساؤهم أن يغدوا يوماً، فغدوا جميعاً ومعهم رؤساء سائر الأحزاب، وطلبوا مضيقاً من الخندق يقحمون منه خيلهم الى النبي (ص) وأصحابه، فلم يجدوا ذلك وقالوا إنّ هذه المكيدة ما كانت العرب تصنعها. فقليل لهم: إنّ معه رجلاً فارسياً أشار عليه بذلك.

وقال ابن الأثير^(٢): وأقام رسول الله (ص) والمشركون بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ولم يكن بين القوم إلاّ الرمي بالنبل. الى أن قال: ثم إنّ فوارس من قريش منهم عمرو ابن عبد ودّ وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبدالله وضرّار بن الخطاب خرجوا على خيولهم واجتازوا ببني كنانة وقالوا: تجهزوا للحرب وستعلمون من الفرسان، وكان عمرو بن عبد ودّ قد شهد بدرًا كافرًا وقاتل حتّى كثرت الجراح فيه ولم يشهد أحداً وشهد الخندق مُعلماً حتّى يعرف مكانه، فأقبل هو وأصحابه حتّى وقفوا على الخندق، ثمّ تيمّموا مكاناً ضيقاً فاقتحموه، فجالت بهم خيولهم في السبحة بين الخندق وطلع، وخرج علي ابن أبي طالب في نفر من المسلمين، فأخذوا عليهم الثغرة، فقال له علي: يا عمرو أنّك عاهدت أن لا يدعوك رجل من قريش الى خصلتين إلاّ أخذت إحداهما. قال: أجل. قال له علي: فاني أدعوك الى الله والى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فاني أدعوك الى النزال. قال: والله

(١) الطبقات الكبرى ٦٧/٢.

(٢) الكامل ١٨٠ / ٢.

ما أحبّ أن أقتلك . قال علي : ولكني أحبّ أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فنزل عن فرسه وعقره ثم أقبل على علي فتجاولا ، وقتله علي وخرجت خيلهم مُنهزمةً ، وقتل مع عمرو رجلان قتل علي أحدهما وأصاب آخر سهم فمات منه بمكة .

وقال الطبري^(١) : وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتّى أخذ عليهم الشفرة التي اقتحموا منها خيلهم ، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وقد كان عمرو بن عبد ودّ قاتل يوم بدر حتّى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً ، فلما كان يوم الخندق خرج مُعلماً ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال له علي : يا عمرو أنك كنت تعاهد الله ألا يدعوك رجل من قريش الى خلّتين إلا أخذت منه أحدهما . قال : أجل . قال له علي : فاني أدعوك الى الله عزّ وجلّ والى رسوله والى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فاني أدعوك الى النزال . قال : ولم يابن أخي فوالله ما أحبّ أن أقتلك . قال علي : ولكني والله أحبّ أن أقتلك . قال : فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي ﷺ ، وخرجت خيله مُنهزمةً حتّى اقتحمت من الخندق هاربة ، وقتل مع عمرو رجلان مُنّبئ بن عثمان أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة وكان اقتحم الخندق فتورّط فيه فرموه بالحجارة فقال : يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه . فنزل إليه علي فقتله ، فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله أن يبيعهم جسده . فقال رسول الله (ص) : لا حاجة لنا بجسده ولا ثمنه فشأنكم به ، فخلّي بينهم وبينه ... الخ .

وقال العلامة محمد رضا : وخرج عمرو بن عبد ودّ وطلب المبارزة وكان عمره تسعين سنة ، فبارزه علي بن أبي طالب فقتله .

وذكر ابن إسحاق : أنّ المشركين بعثوا الى رسول الله (ص) يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف ، فقال رسول الله : هو لكم ولا تأكل ثمن الموتى . وخرجت خيله مُنهزمةً ... الخ
وقال ابن هشام^(٢) : فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز ، فبرز له علي بن أبي طالب . الى أن

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٥٧٤ .

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٢٣٦ .

قال: فحمى عمرو وعند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي، وخرجت خيله مُنهزمةً حتى اقتحمت من الخندق هاربةً.

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب في ذلك:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرت ربّ محمد بصوابي
فصدت حين تركته متجدلاً	كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني	كنت المقطر بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه	ونبيّه يا معشر الأحزاب

وقال الكازروني اليماني: فحمى عمرو عند ذلك فنزل عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتجاولا فقتله علي، وخرجت مُنهزمةً حتى ولّت هاربةً ... الخ.

وقال في التعليقة على الكامل لابن الأثير: وروى السهيلي عن ابن إسحاق أنّ عمراً دعا المسلمين للمبارزة، وعرض رسول الله (ص) الأمر ثلاث مرّات ولا يقوم إلاّ علي، ففي الثالثة قال له: أنّه عمرو. وقال: وإن كان عمراً، فنزل إليه وقتله وكبرّ وكبرّ المسلمون فرحاً بقتله، انتهى.

وقال محمد بن سعد^(١): فجعل عمرو بن عبد ودّ يدعو الى البراز ويقول:

ولقد بَجَحْتُ من النداء
بجمعهم هل من مبارز

وهو ابن تسعين سنة، فقال علي ابن أبي طالب: أنا أبارزه يا رسول الله، فأعطاه رسول الله (ص) سيفه وعمّمه وقال: اللهم أعنه عليه، ثم برز له ودنا أحدهما من صاحبه وثارَت بينهما غَبْرَةٌ، وضربه علي فقتله وكبرّ ... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): وذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن إسحاق في موضع آخر من السيرة قال: وخرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنّع بالحديد فنادى: من يبارز؟ فقام علي بن أبي طالب فقال: أنا له يا نبيّ الله. فقال: أنّه عمرو اجلس، ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز،

(١) الطبقات الكبرى ٦٨/٢.

(٢) السيرة النبوية ٢٠٤/٣.

فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إليّ رجلاً. فقام علي فقال: أنا يا رسول الله. فقال: اجلسن ثم نادى الثالثة:

ولقد مجحت من النداء لجمعهم هل مبارز
ووقفت اذ جبن المشجع موقف القرن المناجز
ولذاك اني لم أزل مُتسرّعا قبل الهزاهز
ان الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

قال فقام علي فقال: أنا يا رسول الله. فقال: أنه عمرو. فقال: وإن كان عمراً، فأذن له رسول الله (ص) فمشى إليه حتى أتى وهو يقول:

لا تعجلنّ فقد أتا لك مجيب صوتك غير عاجز
في نيّة وبصيرة والصدق مُنجي كُل فائز
اني لأرجو أن أقيـ سم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقي ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: ومن أنت؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبدمناف. قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنّ منك، فاني أكره أن اهريق دمك. فقال له علي: لكنني والله لا أكره أن اهريق دمك. فغضب فنزل وسلّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو بن عبد ودّ في درقته فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه، وضرب علي على حبل عاتقه فسقط، وثار العجاج وسمع رسول الله التكبير، فعرفنا انّ علياً قد قتله، فثم يقول علي:

أعلّيّ تقتحم الفوارس هكذا عنيّ وعنهم أخروا أصحابي
اليوم يمنعي الفرار حفيظتي ومصمّم في الرأس ليس بنابي

الى أن قال:

عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدت ربّ محمد بصواب

الى آخرها.

ثم قال ابن كثير: قال - يعني البيهقي - ثم أقبل علي نحو رسول الله (ص) ووجهه يتهلل، فقال عمر بن الخطاب: هلا سلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها. فقال: ضربته فأتقاني بسواته فاستحييت ابن عمي أن أسلبه. قال: وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق.

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عنه البيهقي: إن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات في الخندق، وبعث المشركون إلى رسول الله (ص) يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال: هو لكم لا تأكل ثمن الموتى.

وقال الإمام أحمد: حدثنا نصر بن باب، حدثنا حجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس أنه قال: قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوا الجيفة مالاً، فقال رسول الله (ص): ادفعوا إليهم بجيفته فإنه خبيث خبيث الدية، فلم يقبل منهم شيئاً. وقد رواه البيهقي باسناده أيضاً عن ابن عباس: قال إن رجلاً من المشركين قُتل يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله (ص) أن ابعث إلينا بجسده ونعطيهم إثني عشر ألفاً، فقال رسول الله: لا خير في جسده ولا في ثمنه.

إلى أن قال: وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قُتل وعرضوا عليه الدية، فقال: أنه خبيث خبيث الدية فلغنه الله ولعن ديته، فلا ارب لنا في ديته ولسنا نمنعكم أن تدفنوه... الخ. انتهى ما نقله ابن كثير.

وقال الحلبي والزيني دحلان^(١): والعبارة له في السيرة النبوية: ثم إن جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم على خيولهم، وكان منهم عمرو بن عبد ود العامري وهو ابن تسعين سنة، وكان من الشجعان المشهورين - إلى أن قال - فلما ساروا بالسبخة بين الخندق ولسع (اسم جبل) طلب عمرو بن عبد ود المبارزة وقال: من يبارز؟ فقام علي وقال: أنا له يا نبي الله. فقال (ص): اجلس أنه عمرو، ثم كرّر عمرو النداء وجعل يوبّخ المسلمين

(١) السيرة النبوية لدحلان ٦٠٧/٣.

ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أن من قُتل منكم يدخلها، أفلا تبرزون لي رجلاً؟ فقام علي فقال: أنا يا رسول الله. فقال: اجلس أنه عمرو. فقال: وإن كان عمراً، فأذن له رسول الله (ص) وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال: اللهم أعنه عليه، اللهم هذا أخي وابن عمي، فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين.

وفي رواية: أنه (ص) رفع عمامته الى السماء وقال: الهي أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. فمشى إليه علي فقال: يا عمرو أنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى إحدى الخلتين إلا قبلتها. قال له: أجل. قال علي: فإني أدعوك الى الله والى رسوله والى الإسلام. فقال: لا حاجة لي بذلك. قال له علي: فإني أدعوك البراز. وفي رواية: أنك كنت تقول: لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث إلا قبلتها. قال: أجل. قال علي: فإني أدعوك أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتسلم لرب العالمين. فقال: يا ابن أخي أخرج عني هذه. قال: وأخرى ترجع الى بلادك، فإن يك صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كان الذي تريد. قال: هذا مما لا يتحدث به نساء قريش أبداً، كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت، أي لآته نذر لما أفلتت هارباً يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهن حتى يقتل محمداً. قال: فالثالثة؟ قال: وما هي. قال: البراز، فضحك عمرو وقال: إن هذه الخصلة ما كنت أظنّ أحداً من العرب يروعي بها. وفي رواية: يروم مني هذه. ثم قال له عمرو: من أنت؟ لأنّ علياً كان مقنعاً بالحديد فما عرفه عمرو، فأجابه وقال: علي. قال: ابن عبدمناف؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب. فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشدّ منك، فإني أكره أن أهريق دمك، وإنّ أباك كان صديقاً لي. وفي لفظ: كنت له نديماً.

(وفي كتاب المجرّم لمحمد بن حبيب البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥ هجري ص ١٧٥ من طبع حيدر آباد الدكن قال: الندماء من قريش الى أن قال وكان أبو طالب بن عبدالمطلب نديماً لمسافر بن أبي عمرو بن أمية فمات مسافر فنادم أبو طالب بعده عمرو بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وقتل علي بن أبي طالب عمراً يوم الخندق مبارزة وهو يومئذ

ابن مائة وأربعين سنة، وهكذا رواه في كتاب المنقح ص ٤٥٦ من طبع حيدرآباد الدكن قال فيه فنادم أبو طالب بعده عمرو بن عبد ودّ قتله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الخندق). فقال علي: أنا والله ما أكره أن أهريق دمك وفي رواية: قال عمرو: يا ابن أخي فوالله ما أحبّ أن أقتلك. فقال علي: لكنّي أحب أن أقتلك. فحمى عمرو عند ذلك - أي أخذته الحميّة - وفي رواية: فغضب فقال له علي: أقاتلك وأنت على فرسك، ولكن انزل معي. فاقتحم عن فرسه وسلّ سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه كيلا يفر، وأقبل على علي ودنا أحدهما من الآخر وثارَت بينهما غبرة، فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه فضربه علي على حبل عاتقه وهو موضع الرداء من العنق، وقيل طعنه في ترقوته حتّى أخرجها من مراقه، فسقط وكبر المسلمون، فلما سمع رسول الله (ص) التكبير عرف أنّ علياً قد قتل عمراً ثم أقبل علي نحو النبي (ص) وهو متهلّل، فقال له عمر بن الخطاب: هلا سلبته درعه فأنه ليس في العرب درع خير منها. فقال: أنّه لما ضربته استقبلني بسواته فاستحييت. قال الحاكم: سمعت الأصمّ قال: سمعت العطاردي قال: سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول: ما شبّهت قتل علي عمراً إلا بقوله تعالى ﴿فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت﴾. وفي تفسير الفخر الرازي: أنّه (ص) قال لعلي بعد قتله عمرو بن عبد ودّ: كيف وجدت نفسك معه. قال: وجدت أن لو كان أهل المدينة في جانب لقدرت عليهم... الخ. وقال الحلبي^(١): وذكر بعضهم أنّ النبي (ص) عند ذلك قال: قتل علي لعمر بن عبد ودّ أفضل من عبادة الثقلين.

قال الإمام أبو العباس ابن تيمية: وهذا من الأحاديث الموضوعة التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها ولا بسند ضعيف، وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الإنس والجن ومنهم الأنبياء. قال: بل إنّ عمرو بن عبد ودّ هذا لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة.

ثم قال الحلبي: أقول: ويردّ قوله أنّ عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتّى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعلماً - أي جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه. ويردّه أيضاً ما تقدّم من أنّه نذر أن لا يمَسّ رأسه دهناً حتّى يقتل محمداً (ص). واستدلّاه بقوله: وكيف يكون - إلى آخره. فيه نظر، لأنّ قتل هذا كان فيه نصرة للمدين وخذلان للكافرين... الخ.

أقول: ويردّه أيضاً ما روي عن النبي (ص) حين برز علي إلى عمر بن عبد ودّ قال: برز الإيمان كلّهُ إلى الشرك كلّهُ، فلما قتل قال له: أبشر يا علي فلو وزن عملك اليوم بعمل أمّتي لرجح عملك بعملهم. وما روي عنه (ص) أيضاً أنّه قال: ضربة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمّتي إلى يوم القيامة. رواهما صاحب ينابيع المودّة في الباب الثالث والعشرين ص ٧٨ وقال في تاريخ آل محمد الطبعة الرابعة ص ٥٧ قال: ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين إلى يوم القيامة.

والخطيب في التاريخ ١٣ ص ١٩ قال: قال (ص): لمبارزة علي بن أبي طالب (ع) لعمر بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من عمل أمّتي إلى يوم القيامة.

وفي المستدرک للحاكم ج ٣ ص ٣٢ قال حدّثنا لؤلؤ بن عبد الله المقطري في قصر الخليفة ببغداد، ثنا أبو الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبد الوهاب المصري بدمشق، ثنا أحمد بن عيسى الخشاب بتنييس، ثنا عمرو بن أبي سلمة، ثنا سفيان الثوري عن نهر بن حكيم عن أبيه عن جده قال قال رسول الله (ص): لمبارزة علي بن أبي طالب (ع) لعمر بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمّتي إلى يوم القيامة. وفي الينابيع في الباب السادس والأربعين ص ١١٢ قال وفي المناقب عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله (ص) ضربة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمّتي إلى يوم القيامة.

ويردّه أيضاً ما ورد في تفسير آية ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ حيث قال الحافظ جلال الدين السيوطي: في مصحف ابن مسعود «كفى الله المؤمنين القتال بعلي» وروى أيضاً صاحب المناقب بالسند عن زياد بن مطرب أنّه قال: كان ابن مسعود يقرأ «وكفى الله المؤمنين القتال

بعلي». قال صاحب ينابيع المودة: وسبب نزوله ان عمرو بن عبد ود كان فارساً مشهوراً يعدل بألف فارس، وكان قد شهد بدرأ ولم يشهد أحدأ، ويوم الخندق نادى: هل من مبارز؟ فلم يجبه أحد، فقام علي عليه السلام وقال: أنا يا رسول الله. فقال: انه عمرو، وجلس فنادى ثانية فلم يجبه أحد، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله. فقال: انه عمرو. فقال: وإن كان عمراً، فاستأذن النبي (ص). قال حذيفة بن اليمان: ألبسه رسول الله (ص) درعه الفضول وعممه عمامته السحاب على رأسه تسعة أدوار وقال له: تقدم، فلما ولى قال النبي: برز الايمان كله الى الشرك كله، وقال: رب لا تذرني فردأ، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه، فاستقبل علي. الى أن قال: ثم ان علياً ضربه على حبل عاتقه فسقط الى الأرض، فسمعنا تكبير علي، فقال رسول الله (ص) قتله علي. وقال: ابشريا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم، فنزلت آية «وكفى الله المؤمنين القتال بعلي». ثم قال: أخرج أبو نعيم الحافظ هذا الحديث نحوه. انتهى ما نقله سليمان ابن إبراهيم الحنفي في ينابيع المودة.

ورواه محمد صالح الكشفي في المناقب المرتضوية هكذا: ضربة علي يوم الأحزاب خير من عبادة الثقلين، انتهى.

وفي شرح مواقف العضدي الجزء الثاني ص ٤٧٦ قال (ص): يوم الأحزاب لضربة علي خير من عبادة الثقلين.

في معارج النبوة لملا معين في الركن الرابع ص ١٠٧ قال (ص): مبارزة علي بن أبي طالب يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي الى يوم القيامة. وقال أيضاً في المعارج ولما رجع علي بن أبي طالب (ع) من القتال قام أبو بكر وعمر إليه وقبلا رأسه (ع). وروى عن عبدالله بن مسعود انه قرأ «وكفى الله المؤمنين القتال بعلي» الآية. وفي المناقب المرتضوية لمحمد صالح الكشفي ص ٥٥ قال قال (ص): ضربة علي يوم الأحزاب خير من عبادة الثقلين.

أقول: والذي يظهر من الفصول المهمة^(١): انّ عليّاً كان راكباً حيث قال: ونزل عليٌّ عليه السلام عن فرسه وأقبل كل واحد منها نحو الآخر فتصاولا وتجاولا ساعة ثم ضربه علي على عاتقه بالسيف ورمى جثته الى الأرض وتركه قتيلاً، ثم ركب علي على فرسه وكرّ على ابنه حسيل بن عمرو فقتله، فخرجت خيولهم مُنهزماً، ورمى عكرمة بن أبي جهل رمحه وفرّ مُنهزماً مع من انهزم من أصحابه، فرجع علي بن أبي طالب وهو يقول:

أعلّيّ تفتخر الفوارس هكذا	عني وعنهم سائلوا أصحابي
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي	ومصمّم في الرأس ليس بناب
أرديت عمراً إذ طغى بمهّد	صافي الحديد مجرّب قصاب
هذا ابن عبد الودّ كذب قوله	وصدقت فاستمعوا الى الكذاب
نصر الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرت دين محمد بصواب
وغدوت حين تركته متجدّلاً	كالعير بين دكادك وروابي
لا تحسبنّ الله خاذل دينه	ونبيه يا معشر الأحزاب

ولما قُتل عمرو وولده حسيل انهزم عكرمة ومن معه من فوارس قريش الذين اقتحموا الخندق، وأرسل الله تعالى الريح على قريش وغطفان، ووقع الاختلاف والاضطراب بينهم، فولّوا راجعين ﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾^(٢).

وفي قتل عمرو بن عبد ودّ يقول حسان:

أمسى الفتى عمرو بن ودّ يرى	لجنوب يثرب غارة لم ينظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة	ولقد وجدت رماحنا لم يقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبه	ضربوك ضرباً ليس ضرب المحضر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة	يا عمر كلا والاله الأكبر

(١) الفصول المهمة ص ٦١.

(٢) سورة الأحزاب / الآية ٢٥.

وقالت أخت عمرو وقد نعي إليها أخوها عمرو: من اجترأ عليه؟ فقالوا: علي بن أبي طالب فقالت: كفو كريم، وأنشدت تقول:

أسدان في ضيق المكر تصاولا وكلاهما كفو كريم باسل
الى أن قالت:

فاذهب علي فما ظفرت بمثله قول سديد ليس فيه تحامل
ثم قالت: والله لا ثارت قريش بأخي ما حنت النوق. وقالت أم عمرو ترثيه:
لو كان قاتل عمرو غير قاتله مازلت أبكي عليه دائم الأبد
لكن قاتله ما لا يراب به من كان يدعى أبوه بيضة البلد
من هاشم في ذراها وهي صاعدة الى السماء تميت الناس بالجسد
قوم أبي الله إلا أن تكون لهم مكارم الدين والدنيا الى الأبد
يا أم كلثوم ابكيه ولا تدعي بكاء معولة حرّى على ولد

ثم قال: فاسلاها وعزاها وهو عليها قتل ولدها جلالة القاتل، وافتخرت بكون ولدها مقتولاً له. انتهى ما نقله ابن صباغ المالكي في الفصول المهمة.

قال ابن هشام^(١): قال ابن إسحاق: وحدثني أبو ليلى عبدالله بن سهل بن عبدالرحمن بن سهل الأنصاري أخو بني حارثة: ان عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة، قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن، فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فرّ سعد وعليه درع له مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلّها وفي يده حربة يرفل بها ويقول:

لَبَّثَ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَاءُ جَمَلًا لا بأس بالموت إذا حان الأجل
فقالت له أمّه: الحق أي يا بُنيّ فقد والله أحرّت. قالت عائشة: فقلت لها: يا أمّ سعد والله لو ددت انّ درع سعد كانت أسبغ مما هي، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرّمي

سعد بن معاذ بسهم ففقط منه الأكل، رماه كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، فلما أصابه قال: خذها مني فأنا ابن العرقة. فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقني لها، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمنني حتى تقرّ عيني من بني قريظة.

ثم قال ابن هشام: ويقال إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان. قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد قال: كانت صفية بنت عبدالمطلب في فارغ حصن حسان بن ثابت، قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان، قالت صفية: فرر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله (ص) والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا أن أتانا آت. قالت: فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله (ص) وأصحابه فانزل إليه فاقتله. قال: يغفر الله لك يا ابنة عبدالمطلب، والله لقد عرفت ما أنا صاحب هذا. قالت: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجرت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلتها، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. قال: ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبدالمطلب، انتهى.

وقال ابن الأثير^(١): وكان حسان فيه - أي الحصن - مع النساء والصبيان لأنّه كان جباناً... الخ.

قال ابن هشام وابن كثير والطبري وابن الأثير والعبارة له في الكامل^(٢): ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى النبي (ص) فقال: يا رسول الله أتني قد أسلمت ولم يعلم قومي فمرني بما

(١) الكامل ٢ / ١٨٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٥٧٨، السيرة لابن كثير ٣ / ٢١٤، السيرة لابن هشام ٣ / ٢٤٠.

شئت . فقال رسول الله : إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة ، فخرج حتى أتى بني قريظة وكان نديماً لهم في الجاهلية ، فقال لهم : قد عرفتم وُدِّي إياكم . فقالوا : لست عندنا بمُتَّهم . قال : قد ظاهرتم قريشاً وغطفان على حرب محمد وليسوا كأنتم ، البلد بلدكم به أموالكم وأبناءكم ونساءكم لا تقدرّون على أن تتحوّلوا منه ، وإن قريشاً وغطفان إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم ثقة لكم حتى تُناجزوا محمداً . قالوا : آثرت بالنصح ، ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه : قد عرفتم وُدِّي إياكم وفراقي محمداً ، وقد بلغني أنّ قريظة ندموا وقد أرسلوا إلى محمد هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجلاً من أشرفهم فنعطيك فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم ، فأجابهم أن نعم ، فإن طلبت قريظة منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : أنتم أهلي وعشيرتي ، وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس كان من صنع الله لرسوله (ص) أن أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان وقالوا لهم : إننا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخفّ والحافر فاغدو للقتال حتى نناجز محمداً . فأرسلوا إليهم : إنّ اليوم السبت لا نعمل فيه شيئاً ، ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً ثقة لنا فإنا نخشى أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل ونحن ببلادهم فلما أبلغتهم الرسل هذا الكلام قالت قريش وغطفان : والله لقد صدق نعيم بن مسعود ، فأرسلوا إلى قريظة أنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً . فقالت قريظة عند ذلك : إنّ الذي ذكر نعيم بن مسعود لحقّ ، وخذل الله بينهم وبعث عليهم ريحاً في ليالٍ شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح ابنيهم . فلما انتهى إلى النبي (ص) اختلاف أمرهم دعا حذيفة بن اليمان ليلاً فقال : انطلق إليهم وانظر حالهم ولا تُحدّثن شيئاً حتى تأتينا . قال حذيفة : فذهبت فدخلت فيهم والريح وجنود الله تفعل فيهم ما تفعل لا يقدر لهم قدر ولا بناء ولا نار ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه . قال : فأخذت بيد الرجل الذي

بجانبي فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان ثم قال أبو سفيان: والله لقد هلك الحنف والحافر وأخلفتنا قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فأتني مرتحل. ثم قام الى جملة وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم، ولولا عهد رسول الله (ص) إليّ أتني لا أحدث شيئاً لقتلته... الخ.

وقال الحلبي: قال حذيفة: فسمعت أبا سفيان يقول: يا معشر قريش ليتعرف كل امرئ منكم جلسه واحذروا الجواسيس والعيون، فأخذت بيد جليسي على يميني وقلت: من أنت؟ قال: معاوية، وقبضت على يد من على يساري وقلت: من أنت؟ قال عمرو بن العاص، وإنما فعلت ذلك خشية أن يفطن بي... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): ثم اتعدوا أن يغدوا من الغد، يعني بعد قتل عمرو ونوفل وانهمام من هزم ممن اقتحم الخندق. قال: فباتوا يعبئون أصحابهم وفرقوا كتابهم ونحووا الى رسول الله (ص) كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد، فقاتلوهم يومهم ذلك الى هوي من الليل ما يقدرون أن يزولوا من موضعهم ولا صلى رسول الله (ص) ولا أصحابه ظهراً ولا عصراً ولا مغرباً ولا عشاء حتى كشفهم الله فرجعوا متفرقين الى منازلهم وعسكرهم وانصرف المسلمون الى قبّة رسول الله (ص)، وأقام أسيد بن الحضير على الخندق في مائتين من المسلمين، وكرّ خالد بن الوليد في خيل من المشركين يطلبون غزّة من المسلمين، فناوشوهم ساعة ومع المشركين وحشيّ فزرق الطفيل بن النعمان من بني سلمة بمزراقه فقتله - أي رماه برمح فقتله - وانكشفوا وصار رسول الله (ص) الى قبته فأمر بلالاً فأذن وأقام الظهر فصلى، ثم أقام بعد كل صلاة اقامة اقامة، وصلى هو وأصحابه (ص) ما فاتهم من الصلوات، وقال: شغلونا عن الصلاة الوسطى - يعني العصر - ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً. ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعاً حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون يبعثون الطلائع بالليل يطعمون في الغارة، وحصر رسول الله (ص) وأصحابه بضع عشرة ليلة حتى خلص الى كل امرئ منهم الكرب،

(١) الطبقات لابن سعد ٢ / ٦٨ - ٧٣.

فأراد رسول الله (ص) أن يصالح غطفان على أن يعطيهم ثلث التمرة ويخذلوا بين الناس وينصرفوا عنه، فأبت ذلك الأنصار، فترك ما كان أراد من ذلك.

وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد أسلم فحسن إسلامه، فمشى بين قريش وقريظة وغطفان وأبلغ هؤلاء عن هؤلاء كلاماً وهؤلاء عن هؤلاء كلاماً يرى كل حزب منهم أنه ينصح له، فقبلوا قوله وخذله عن رسول الله (ص) واستوحش كل حزب من صاحبه، وطلبت قريظة من قريش الرهن حتى يخرجوا فيقاتلوا معهم، فأبت ذلك قريش واتهموهم، واعتلت قريظة عليهم بالسبت وقالوا: لا نقاتل فيه لأن قومنا عدوا في السبت فسخوا قرده وخنازير، فقال أبو سفيان بن حرب: لا أراني أستعين بأخوة القرده والخنازير، وبعث الله الريح ليلة السبت، ففعلت بالمشركين ما فعلت وتركت لا تقرّ لهم بناء ولا قدر، وبعث رسول الله (ص) حذيفة بن اليمان إليهم ليأتيه بخبرهم، وقام رسول الله يُصلي تلك الليلة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش أنكم لستم بدار مقام، لقد هلك الخفّ والحافر وأجدب الجنب وأخلفتنا بنو قريظة، ولقد لقينا من الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل.

إلى أن قال: فرجع حذيفة إلى رسول الله (ص) فأخبره بذلك كله، وأصبح رسول الله وليس بحضرته أحد من العساكر قد انتشعوا إلى بلادهم، فأذن رسول الله للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم، فخرجوا مبادرين مسرورين بذلك.

إلى أن قال: وحاصرهم المشركون خمس عشرة ليلة، وانصرف رسول الله (ص) يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس.

ثم روى بإسناده عن سعيد بن المسيّب أنه قال: حاصر النبي (ص) المشركون في الخندق أربعاً وعشرين ليلة وروى أيضاً بإسناده عن سعيد بن جبیر أنه قال: فأتى جبريل ﷺ ومعه الريح فقال (ص) حين رأى جبريل: ألا ابشروا (ثلاثاً)، فأرسل الله عليهم الريح فهتكت القباب وكفأت القدور ودفنت الرحال وقطعت الأوتاد، فانطلقوا لا يلوي أحد على أحد، فأنزل الله تعالى ﴿إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ الآية، فرجع رسول الله (ص).

وروى أيضاً بإسناده عن علي بن أبي طالب أنهم لم يُصلّوا يوم الأحزاب العصر حتّى غربت الشمس - أو قال آبت الشمس - فقال النبي (ص) اللهم املأ بيوتهم ناراً كما حبسوناً عن الصلاة الوسطى حتّى غابت الشمس - أو قال آبت الشمس - قال: فعرفنا أنّ الصلاة الوسطى هي العصر.

وروى أيضاً بإسناده عن أبي صفرة قال: قال رسول الله (ص) حين حفر الخندق وخاف أن يُبيته أبو سفيان فقال (ص): إن يُيتمّ فإنّ دعواكم حم لا يُنصرون.

وروى أيضاً بإسناده عن عبدالله بن أبي أوفى أنّه يقول: دعا رسول الله (ص) يوم الأحزاب على المشركين فقال: اللهم مُنزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وَزَلِّهِمْ. ومن دعائه (ص) يوم الأحزاب: اللهم انّي أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إنّك إن تشأ لا تُعبد. رواه أيضاً محمد بن سعد بإسناده عن سعيد بن المسيّب. انتهى.

قال العلامة محمد رضا: ذكر ابن إسحاق أنّه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستّة لا غير سعد بن معاذ وأنس بن أوس وعبدالله بن سهل، وهذه الثلاثة من الأوس، وثلاثة من الخزرج وهم الطفيل بن النعمان وثلعبه وكعب بن زيد وأمّا عدد قتلى المشركين فثلاثة منبّه بن عبدالله العبدري أصابه سهم فمات منه بمكة، ونوفل بن عبدالله، وعمرو بن عبد ودّ.

أقول: ولعل هذا هو المشهور بين القوم، لكن على ما نقله بعضهم كانوا أربعة بزيادة حصل ابن عمرو الذي قتله علي بن أبي طالب كما تقدّم، وقد قتل أبوه عمرو بن عبد ودّ بلا خلاف بين القوم، كما شرك في قتل نوفل بن عبدالله على ما نقله جماعة كما تقدّم أيضاً، وكان نوفل وعمرو ابن عبد ودّ عظيمين من عظماء قريش، لأنهما لما قُتلا أرسلوا الى النبي (ص) وأرادوا أن يشتروا جيفتهما بأعلى ثمن، حتّى أنّ الواقدي في كتاب المغازي ذكر أنّهم قالوا للنبي (ص): أنا نعرض عليك بجيفة نوفل الدية مائة من الإبل، فأجاب (ص) لهم: خذوه فإنّه خبيث خبيث الدية. ولم يقبل منهم شيئاً، وقد تقدّم أنّما قال (ص) في جوابهم أيضاً على ما رواه عنه جماعة من أرباب التواريخ والسير.

وهذه الغزوة كانت من أشدّ الغزوات على النبي (ص) والمسلمين، حيث جاءهم العدو من

فوق الوادي ومن أسفل منه وزاغت أبصارهم وبلغت قلوبهم الحناجر خوفاً من العدو وظنوا بالله ظنوناً من حيث الهلاكة والفناء وقتل الذراري والنساء أو الاسارة والذلة، الى غير ذلك من الظنون، وقد ابتلي المؤمنون وزلزلت قلوبهم ولا مهم المنافقون والذين في قلوبهم مرض بأن الله ورسوله ما وعدهم إلا غروراً، واتهم مع هذه القلّة والمحاصرة وكثرة عدد العدو والعُدّة كيف يكون لهم النجاة، فلذا اعتذر بعضهم بأن بيوتنا عورة ولا يكون لها حصن ولا حصار ليأذن لهم النبي (ص) فيرجعوا الى منازلهم ولا يشهدون النزال، لانهم رأوا أنفسهم موتى لا محالة في مقابل تلك العِدّة والعُدّة، وقد أخبر الله عزّ وجلّ في كتابه بذلك كلّه. والشاهد على ذلك انّ أحداً منهم لم يبارز عمراً حتّى وتجنّهم بقوله: أين جنتكم التي تزعمون أنّه من قُتل منكم دخلها، فبرز إليه أسد الله وأسد رسوله والذاب عن الإسلام وأهله والسيف المسلول على أعداء الله وأعداء رسوله علي بن أبي طالب عليه السلام ثم ضربه ضربةً حوت المكرّمات وكشف بهذه الضربة الكرب عن وجه رسول الله (ص) وكسرها صولة الباطل، بل هي في الحقيقة أزالّت سلطة عبدة الأوثان واليهود عن المدينة وأهله، ولنعم ما قال القائل:

يا لها ضربة حوت مُكرّمات لم يزن ثقل أجراها ثقلاها
والى الحشر رنة السيف منه ملأ الخافقين رجع صداها
هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذا فقس ما سواها

ثم أيد الله عزّ وجلّ رسوله (ص) والمؤمنين بجنود من الملائكة، وسلّط عليهم البرد الشديد والريج العاصف والمطر الغزير، ففرّق شملهم وبدّد جمعهم وردّ إليهم كيدهم، فرجعوا الى مكة سراعاً وقد ملأ الله عزّ وجلّ قلوبهم الرعب وارتعشت أبدانهم من الخوف، حتّى انّ أبا سفيان الذي كان قائد الكفرة وأهل النفاق ورئيس الجموع والأحزاب، ركب بعيره من دون أن يفك عقاله من الدهشة والعجلة، فقام البعير بعد أن ضربه على ثلاث قوائم ثم فكّ عقاله. وهكذا سائر المشركين ولّوا معه مدبرين الى أن دخلوا مكة مذعورين، قال الله عزّ وجلّ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاء تكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ الآيات، الى قوله تعالى ﴿وردّ الله الذين كفروا

بغیظهم لم ینالوا خیراً وكفی الله المؤمنین القتال وكان الله قویاً عزیزاً ﴿١﴾ .
 قال ابن كثير^(١): أي صرف الله عنهم عدوهم بالريح التي أرسلها عليهم، والجنود من
 الملائكة وغيرهم التي بعثها الله إليهم، وكفی الله المؤمنین القتال أي لم يحتاجوا إلى منازلهم
 ومبارزتهم بل صرفهم القويّ العزيز بحوله وقوته .
 ثم روى عن الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: كان رسول الله (ص) يقول: لا إله إلا الله
 وحده صدق وعده ونصر عبده وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده .
 وفي قوله ﴿وكفی الله المؤمنین القتال﴾ إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم، وهكذا وقع
 ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين كما قال محمد بن إسحاق .
 فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله (ص) فيما بلغنا: لن تغزوكم قريش
 بعد عامكم ولكنكم تغزونهم . قال - يعني ابن إسحاق - فلم تغر قريش بعد ذلك وكان يغزوهم
 بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة . وهذا بلاغ من ابن إسحاق .
 وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى، عن سفيان، حدّثني أبو إسحاق، سمعت سليمان بن
 سرد يقول: قال رسول الله (ص) الآن تغزوهم ولا يغزونا . وهكذا رواه البخاري ... الخ .

غزوة بني قريظة

قال محمد بن سعد^(٢): ثم غزوة رسول الله (ص) بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس من
 مهاجره (ص) .
 قالوا: لما انصرف المشركون عن الخندق ورجع رسول الله (ص) فدخل بيت عائشة أتاه
 جبريل فوقف عند موضع الجنائز فقال: عذيرك من محارب، فخرج إليه رسول الله (ص)
 فزعا فقال: ان الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة فاني عامد إليهم فزلزل بهم حصونهم . فدعا
 رسول الله (ص) علياً فدفع إليه لواءه وبعث بلالاً فنادى في الناس: ان رسول الله يأمركم أن

(١) السيرة النبوية ٣ / ٢٢١ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٧٤ .

لا تصلّوا العصر إلّا في بني قريظة. واستخلف رسول الله (ص) على المدينة عبد الله بن أمّ مكتوم، ثم سار إليهم في المسلمين وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرساً، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمسة عشر يوماً أشد الحصار، ورموا بالنبل فانحجروا فلم يطلع منهم أحد... الخ.

وقال ابن الأثير: لما أصبح رسول الله (ص) عاد إلى المدينة ووضع المسلمون السلاح، وضرب على سعد بن معاذ قبة في المسجد ليعوده من قريب، فلما كان الظهر أتى جبريل النبي (ص) فقال: أقد وضعت السلاح؟ قال (ص): نعم. قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح، إن الله يأمرك بالمشير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم، فأمر رسول الله (ص) منادياً فنادى: من كان سامعاً مطيعاً فلا يُصلّين العصر إلّا في بني قريظة، وقدّم عليّاً برايته، وتلاحق الناس، ونزل رسول الله (ص)، وأتاه رجال بعد العشاء الأخيرة فصلّوا العصر بها، وما عابهم رسول الله (ص) وحاصر بني قريظة شهراً أو خمس وعشرين ليلة... الخ.

وقال الطبري^(١): فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله كما حدّثنا ابن حميد، قال حدّثنا سلمة، قال حدّثني محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج فقال: أقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم. قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح وما رجعت إلّا من طلب القوم، إن الله يأمرك بالمشير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى بني قريظة، فأمر رسول الله (ص) منادياً فأذن في الناس إلى أن قال: وقدّم علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب حتّى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله منهم فرجع حتّى لقي رسول الله بالطريق فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث. قال: لم أظنك سمعت لي منهم أذى. قال: نعم يا رسول الله. قال: لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً... الخ.

قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: وقدّم رسول الله (ص) علي بن أبي طالب برايته إلى بني

قريظة، وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة... الخ.

وقال الحلبي^(١): ولما رجع رسول الله (ص) من الخندق وكان وقت الظهر -أي وقد صلى الظهر- ودخل بيت عائشة وقيل زينب بنت جحش ودعا بماء فبينما هو (ص) يغتسل شق رأسه الشريف، وفي رواية بينا رسول الله في الغسل. الى أن قال: أتى جبريل النبي (ص) معتجراً بعمامة أي سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج مُرخياً منها بين كتفيه. وفي رواية: عليه لامته، ولا معارضة لأنه يجوز أن يكون الاعتجاز بالعمامة على تلك اللامة، وهو على بغلة أي شهباء، وفي رواية جاءه على فرس أبلق فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم. قال جبريل: ما وضعت السلاح، وفي رواية ما وضعت ملائكة الله السلاح بعد. الى أن قال: وفي لفظ ما وضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو وما رجعنا الآن إلا من طلب القوم - يعني الأحزاب - حتى بلغنا الأسد - يعني حمراء الأسد -... الخ.

وقال الكازروني اليماني: قال جبريل: عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، ورُوي أنه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه، فجعل النبي (ص) يمسح الغبار عن وجهه وعن وجه فرسه، فقال: إن الله يأمرك بالمشير الى بني قريظة. الى أن قال: وقدّم رسول الله (ص) علي بن أبي طالب برايته إليهم وابتدروا الناس، فسار علي حتى إذا دنا من الحصون... الخ.

وروى محمد بن سعد^(٢): باسناده عن بعض قال: جاء جبريل الى رسول الله (ص) عليه عمامة سوداء قد أرخاها بين كتفيه.

وقال الزيني دحلان^(٣): وبعث (ص) علياً على المقدمة ودفع إليه لواءه، وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق. الى أن قال: فلما دنا علي بن أبي طالب من الحصن ومعه

(١) السيرة النبوية ٢ / ٢٢١.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٧٦.

(٣) السيرة النبوية ٢ / ١٣.

نفر من المهاجرين والأنصار، وعرز اللواء عند أصل الحصن، سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقّه (ص)، فسكت المسلمون وقالوا: السيف بينا وبينكم. فلما رأى علي رسول الله (ص) مُقبلاً أمر أبا قتادة الأنصاري أن يلزم اللواء، ورجع إليه (ص) وقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث... الخ.

وقال الحلبي^(١): وفي رواية بعث رسول الله (ص) يومئذ منادياً يقول: يا خيل الله - أي يافرسان خيل الله - اركبي، ثم سار إليهم. قال: وقد لبس (ص) السلاح والدرع والمغفر والبيضة، وأخذ قناة بيده الشريفة وتقلد السيف وركب فرسه اللجيف بالضم، وقيل ركب حماراً وهو اليعفور عرياناً، والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ثلاثة وثلاثون. الى أن قال: وقدّم علي بن أبي طالب برايته الى بني قريظة. وفي رواية دفع إليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق، ومرّ (ص) بنفر من بني النجّار قد لبسوا السلاح، فقال: هل مرّ بكم أحد؟ قالوا: نعم دحية الكلبي مرّ على بغلة بيضاء - وفي رواية على فرس أبيض - عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح، قال لنا: رسول الله يطّلع عليكم الآن، فلبسنا سلاحنا وصفقنا. فقال: ذاك جبريل بعث الى بني قريظة ليُنزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم، فلما دنا علي بن أبي طالب من الحصن ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار وعرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقّه (ص). الى أن قال: فلما دنا رسول الله (ص) من حصونهم قال: يا إخوة القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته. قال: وفي رواية: نادى بأعلى صوته نقرأ من أشرفهم حتى أسمعهم وقال: أجيئوا يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته أتشتمونني، فجعلوا يحلفون ويقولون: ما قلنا، ويقولون: ما كنت جهولاً. وفي لفظ: ما كنت فاحشاً. الى أن قال: وأما قال (ص): يا اخوان القردة والخنازير لأن اليهود مُسَخ شُبّانهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك... الخ.

وقال ابن هشام^(١): وحاصرهم رسول الله (ص) خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم المحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، وقد كان حبي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده، فلما أيقنوا أن رسول الله (ص) غير مُنصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون واتي عارض عليكم خلافاً ثلاثاً فخذوا أيها شتم. قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره. قال: فاذا أبيتم على هذه فهلتم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقل حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن ظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم. قال: فان أبيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا عللنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ. قال: ما بات رجل منكم منذ ولدت أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): فلما اشتدت عليهم المحصار أرسلوا إلى رسول الله (ص) أنت تبعث إلينا أبا لبابة بن عبدالمُنذر وهو أنصاري من الأوس نستشيره. فأرسله، فلما رآه قام إليه الرجال وبكى النساء والصبيان، فرق لهم فقالوا: نزل على حكم رسول الله. فقال: نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح... الخ.

وقال ابن كثير^(٣): فأتاهم أبو لبابة فبكوا إليه وقالوا: يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فإنه

(١) السيرة النبوية ٢٤٦/٣.

(٢) الكامل ١٨٥/٢.

(٣) السيرة النبوية ٢٢٩/٣.

لا طاقة لنا بالقتال، فأشار أبو لبابة بيده الى حلقه وأمرّ عليه أصابعه يريهم أنّما يُراد بهم القتل، فلمّا انصرف أبو لبابة سقط في يده ورأى أنّه قد أصابته فتنة عظيمة، فقال: والله لا أنظر الى وجه رسول الله (ص) حتّى أحدث لله توبة نصوحاً يعلمها الله من نفسي، فرجع الى المدينة فربط يديه الى جذع من جذوع المسجد، وزعموا أنّه ارتبط قريباً من عشرين ليلة، فقال رسول الله (ص) حين غاب عليه أبو لبابة: أما فرغ أبو لبابة من حلفائه؟ فذكر له ما فعل، فقال: لقد أصابته بعدي فتنة، ولو جاءني لاستغفرت له، واذ قد فعل هذا فلن أحرّكه من مكانه حتّى يقضي الله فيه ما يشاء.

وقال ابن هشام^(١): فأنزل الله تعالى في أبي لبابة فيما قال سفيان بن عُيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن عبدالله بن أبي قتادة ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ الى أن قال: أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ستّ ليال تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحلّه ثم يعود فيربط بالجذع... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): قال أبو لبابة: لا أبرح حتّى يتوب الله عليّ، فتاب الله عليه وأطلقه رسول الله... الخ.

وقال ابن هشام^(٣): والآية التي نزلت في توبته قول الله عزّ وجلّ ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾.

وقال الطبري^(٤): ثم انّ ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هو بنو عمّ القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله (ص). الى أن قال: قال ابن إسحاق: فلمّا أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله (ص) فتواثبت الأوس فقالوا: يا رسول الله أنّهم موالي لنا دون الخزرج

(١) السيرة لابن هشام ٢٤٧/٣.

(٢) الكامل ١٨٥/٢.

(٣) السيرة النبوية ٢٤٨/٣.

(٤) تاريخ الطبري ٥٨٥/٢.

وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله (ص) قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له، فلما كلمه الأوس قال رسول الله: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى. قال: فذاك إلى سعد بن معاذ إلى أن قال: وكان رسول الله (ص) قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخنندق: اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب، فلما كلمه رسول الله في بني قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطؤاله بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً ثم أقبلوا معه إلى رسول الله (ص) وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله أنما ولآك لتحسن فيهم. فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنُعي لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سُمع منه... الخ.

وقال ابن كثير^(١): وكان رسول الله (ص) قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رُفيدة في مسجده، وكانت تداوي الجرحى، فلما حكمه في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار. إلى أن قال: وكان رجلاً جسيماً جميلاً... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): فلما انتهى سعد إلى رسول الله (ص) قال: قوموا إلى سيّدكم - أو قال خيركم - فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا: يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك فقد ردّ رسول الله الحكم فيهم إليك. فقال سعد: عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم إليّ. قالوا: نعم، فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها النبي (ص) وغيض بصره عن رسول الله إجلالاً له وقال: وعليّ من هنا العهد أيضاً. فقالوا: نعم. وقال رسول الله: نعم. قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وتُسبى الذرية والنساء وتقسم الأموال. فقال له رسول الله (ص): لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

(١) السيرة النبوية ٣ / ٢٣٣.

(٢) الكامل ٢ / ١٨٦.

وقال ابن كثير^(١): وقال أبو سعيد: فلما طلع - يعني سعداً - قال رسول الله (ص): قوموا الى سيّدكم فأنزلوه. قال عمر: سيّدنا الله. قال: أنزلوه، فأنزلوه، قال رسول الله: أحكم فيهم. فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم. الى أن قال: قال رسول الله (ص): لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله ... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): حدّثني بعض من أثق به من أهل العلم: إنّ علي بن أبي طالب صاح وهم مُحاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدّم هو والزبير بن العوام وقال: والله لأذوقنّ ما ذاق حمزة، أو لأفتحنّ حصنهم فقالوا: يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ.

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله (ص) بالمدينة في دار بنت الحرث امرأة من بني النجّار، ثم خرج رسول الله الى سوق المدينة التي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ... الخ.

قال محمد بن سعد^(٣): ثم نزلوا على حكم رسول الله (ص)، فأمر بهم رسول الله محمد بن مسلمة، فكتفؤا ونحووا ناحية، وأخرج النساء والذرية فكانوا ناحية، واستعمل عليهم عبد الله ابن سلام، وجمع أمتعتهم وما وُجد في حصونهم من الحلقة والأثاث والثياب، فوُجد فيها ألف وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفا رمح وألف وخمسمائة تُرس وجحفة وخمرٌ وجرار سكر، فأهريق ذلك كلّهُ ولم يخبّس، ووجدوا جمالاً نواضح وماشية كثيرة، وكلمت الأوس رسول الله (ص) أن يهبهم لهم وكانوا حلفاءهم، فجعل رسول الله (ص) الحكم فيهم الى سعد بن معاذ، فحكم فيهم أن يقتل كل من جرت عليه المواسي (جمع موسى وهي آلة الحديد) وتسبي النساء والذرية وتُقسم الأموال، فقال رسول الله (ص): لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. وانصرف رسول الله (ص) يوم الخميس لسبع ليال خلون من ذي الحجة، ثم أمر بهم فأدخلوا المدينة وحفر لهم أخدوداً في السوق، وجلس رسول الله ومعه أصحابه وأخرجوا

(١) السيرة لابن كثير ٣ / ٢٢٣.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٢٥١.

(٣) الطبقات الكبرى ٢ / ٧٥.

رسلاً رسلاً - أي فرداً فرداً - فضربت أعناقهم، فكانوا ما بين ستائة الى سبعمائة. واصطفى رسول الله (ص) ریحانة بنت عمرو لنفسه، وأمر بالغنائم فجمعت فأخرج الخمس من المتاع والسبي، ثم أمر بالباقي فبيع في من يزيد وقسمه بين المسلمين، فكانت السهان على ثلاث آلاف واثنين وسبعين سهماً للفرس سهان ولصاحبه سهم، وصار الخمس الى حمية بن جزء الزبيدي، فكان رسول الله يُعتق منه ويهب منه ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما صار إليه من الرثة.

وقال الواقدي: فكان سبي بني قريظة يومئذ سبعمائة رأساً وخمسين، فقال عمر بن الخطاب: ألا تحمّس يا رسول الله كما حمّست يوم بدر؟ قال (ص): لا هذا شيء جعله الله لي دون المؤمنين، فقال الله عزّ وجلّ ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى﴾ قريظة والنضير وفدك وخيبر وهي قرى عربية وعدّها قبل أن تفتح، فأخذ رسول الله (ص) من سبي بني قريظة سبع عشرة خيلاً فقسمهم في أهله، وقسم ما بقي نصفين فبعث سعد بن عبادة في أحد النصفين الى الشام، وبعث أنس بن قبيصة في النصف الباقي الى أرض غطفان، فأمرها أن تتفحل بالخيال ففعلوا فجلبوا خيلاً عظيمة، فجعلها رسول الله (ص) في المؤمنين قوة في سبيل الله، فقال رسول الله (ص): وددت ما كان مما كان لي من الخمس أحمسه على المؤمنين، وكان الخمس مائة وخمسين... الخ.

قال ابن هشام^(١): وبعث رسول الله (ص) سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً، يعني فابتاع للمسلمين -... الخ. وروى محمد بن سعد^(٢): باسناده عن عطية القرظي قال: كنت فيمن أخذ يوم قريظة، فكانوا يقتلون من أنبت - يعني من نبتت عانته - ويتركون من لم ينبت، فكنت فيمن لم ينبت. أقول: والإنبات و عدمه كناية عن البلوغ وعدمه، كما ان المقصود ممن جرت عليه المواسي ذلك، وقد تقدّم.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٦/٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٧٦/٢.

وكان المتولي لقتل مقاتلة بني قريظة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام على ما نقله الحلبي في السيرة.

وروى محمد بن سعد أيضاً عن حميد بن هلال: وخرج رسول الله - يعني حين توجه الى بني قريظة - فاستقبله رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله اجلس فلنكفك. قال: وما ذاك؟ قال: سمعتم ينالون منك. قال (ص): قد أوذى موسى بأكثر من هذا. قال: وانتهى إليهم فقال: يا اخوة القردة والخنازير إياي إياي. قال: فقال بعضهم لبعض: هذا أبو القاسم ما عهدناه فحاشاً الى أن قال: فأخذهم من الغم في حصنهم ما أخذهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ من بين الناس. الى أن قال: فلما فرغ منهم وحكم فيه بما حكم مرت عليه عز وهو مضطجع فأصابته الجرح بظلفها، فما رقاً حتى مات.

شهادة سعد بن معاذ بالمدينة

قال ابن الأثير^(١): فلما انقضى أمر قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فاستجاب الله دعاءه، وكان في خيمته التي في المسجد، فحضره رسول الله (ص) وأبو بكر وعمر، وقالت عائشة: سمعت بكاء أبي بكر وعمر عليه، وأما النبي (ص) فكان لا يبكي على أحد، كان إذا اشتدَّ وجده (أي حزنه) أخذ بلحيته ... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): قال ابن إسحاق: وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله أنها لعندي تحدثت معي وتضحك ظهراً وبطناً ورسول الله (ص) يقتل رجالها في السوق، اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت لها: ويلك ما لك. قالت: أقتل. قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته. قالت: فانطلق بها فضربت عنقها، فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عجباً منها من طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تُقتل. قال ابن هشام: وهي التي طرحت

(١) الكامل ٢ / ١٨٧.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٢٥٣.

الرحا على خلاد بن سويد فقتله ، انتهى .

وقال ابن كثير^(١) : فقتلها رسول الله (ص) به . قال ابن إسحاق في موضع آخر : وسمّاها بنانة امرأة الحكم القرظي .

ثم قال : قال ابن إسحاق : ثم ان رسول الله (ص) قسّم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعدما أخرج الخمس ، وقسّم للفارس ثلاثة أسهم سهمين للفارس وسهماً لراكبه وسهماً للراجل ، وكان أول فيء وقعت فيه السهمان وخمس . الى أن قال : فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً .

ثم روى أحاديث كثيرة في شأن سعد بن معاذ :

منها - ان جبريل أتى رسول الله (ص) حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل مُعْتَجِراً بعمامة من استبرق ، فقال : يا محمد من هذا الميت الذي فُتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسول الله سريعاً يجرّ ثوبه الى سعد فوجده قد مات .

ومنها - ان جبريل جاء الى رسول الله (ص) فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات فُتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش ؟ قال : فخرج رسول الله فاذا سعد بن معاذ . قال : فجلس على قبره وهو يُدفن ، فبينما هو جالس اذ قال : سبحان الله - مرّتين ، فسبح القوم ، ثم قال : الله أكبر ، فكبر القوم ، ثم قال رسول الله : عجبت لهذا العبد الصالح شدّد عليه في قبره ... الخ .

ومنها - قوله (ص) لسعد يوم مات وهو يُدفن : سبحان الله لهذا العبد الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء شدّد عليه ثم فرّج الله عنه .

ومنها - قوله (ص) : انّ للقبر ضغطة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ .

ومنها - قوله (ص) : لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك الى الأرض لم يهبطوا قبل ذلك ، ولقد ضمه القبر ضمةً ... الخ .

ومنها - قوله (ص) : ولقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ، ما وطئوا الأرض

(١) السيرة لابن كثير ٣/٢٤٢ .

قبل ذلك ... الخ.

ومنها - قوله (ص): بعدما دخل رسول الله قبره فاحتبس، فلما خرج قيل له: يا رسول الله ما حبسك؟ قال: ضمّ سعد في القبر ضمةً، فدعوت الله فكشف عنه.

ومنها - قوله (ص): حين سئل عن ذلك فقال: كان يقصر في بعض الطهور من البول.

ومنها - ما رواه أبو سعيد عن النبي (ص) أنه قال: اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ.

ومنها - ما رواه أنس بن مالك عن النبي (ص) أن رسول الله قال - وجنازة سعد بن معاذ

موضوعة - : اهتزّ لها عرش الرحمن.

ومنها - ما رواه قتادة عن أنس أنه قال: لما حملت جنازة سعد قال المنافقون: ما أخفّ

جنازته، وذلك لحكمه في بني قريظة، فسئل رسول الله (ص) فقال: لا ولكن الملائكة

تحملته ... الخ.

وروى ابن هشام عن ابن إسحاق أنه قال: حدّثني من لا أتهم عن الحسن البصري قال:

كان سعد رجلاً بادناً، فلما حمّله الناس وجدوا خفةً، فقال رجل من المسلمين: والله إن كان

لبادناً وما حملنا جنازة أخف منه، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال: إن له حملةً غيركم، والذي

نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتزّ له العرش.

ومنها - ما رواه ابن كثير وابن هشام^(١): عن النبي (ص) أنه قال: كل نائحة تكذب إلا

نايحة سعد بن معاذ.

ومات سعد بن معاذ بعد حكمه على بني قريظة بقليل، فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو

أوائل ذي الحجة من سنة خمس من الهجرة. هكذا نقله ابن كثير في التاريخ.

ونزلت في هذه الغزوة آيات من القرآن على ما نقله الواقدي^(٢): منها قوله تعالى ﴿الْم تَرَىٰ

الَّذِينَ نَاقَظُوا يَاقُولُونَ لَا إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا

نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ

(١) السيرة لابن كثير ٣ / ٢٥٠، السيرة لابن هشام ٣ / ٢٦٤.

(٢) المغازي ٢ / ٥٠٩.

مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿ الآيات .
ومنها قوله عز وجل ﴿ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ
وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية .

ومنها قوله عز وجل ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي
قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسُرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْزَتْكُمْ أَرْضَهُمْ وِدْيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا
لَمْ تَطَّوُّهَا ﴾ الآية .

أقول : الذي يظهر من الحلبي والزيبي دحلان ومحمد بن سعد : ان سعد بن معاذ حكم بأن
الديار خاصة للمهاجرين وليس للأنصار فيها نصيب .

قال الحلبي^(١) : فلما انتهى سعد الى رسول الله (ص) والى المسلمين وهم حوله جلوس ،
قال رسول الله : قوموا الى سيّدكم ، وفي رواية قال : فأنزلوه ، فقال عمر : السيّد هو الله . الى أن
قال : فقاموا إليه ، وفي رواية فقمنا صفين يُحْيِيهِ كُلُّ رَجُلٍ مَنَّا ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص)
فقال : احكم فيهم يا سعد . فقال : الله ورسوله أحقّ بالحكم . قال : قد أمر الله أن تحكم فيهم .
فقال سعد لمن في الناحية التي ليس فيها رسول الله : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم
فيهم كما حكمت . قالوا : نعم . قال : وعليّ من هنا ذلك ، وأشار الى الناحية التي فيها رسول الله
وهو معرضاً عنه ، يعني غضّ بصره عن رسول الله اجلالاً له ، فقال رسول الله (ص) : نعم ، وفي
لفظ فقال سعد لبني قريظة : ترضون بحكمي ؟ قالوا : نعم ، فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن
الحكم ما حكم به . قال سعد : فاني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، - وفي لفظ : كل من جرت
عليه الموسى - ، وتُغنم الأموال وتُسبى الذراري والنساء . ثم قال : وزاد بعضهم : وتكون
الديار للمهاجرين دون الأنصار . فقالت الأنصار : إخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم . فقال
سعد : انّي أحببت أن يستغنوا عنكم . فقال رسول الله : لقد حكمت فيهم بحكم الله ... الخ .

وقال الزيبي دحلان^(٢) : قال سعد : فاني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال وتُقسم الأموال

(١) السيرة النبوية ٢ / ٣٢٨ .

(٢) السيرة النبوية ١ / ٢٦٦ .

وتُسبى الذراري والنساء وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار... الخ.
وقال محمد بن سعد^(١): قال حميد: قال بعضهم: وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار.
قال: قالت الأنصار: إخواننا كنا معهم، فقال سعد: اني أحببت أن يستغنوا عنكم.
أقول: ما ذكرناه من تقديم غزوة بني المصطلق على غزوة الخندق وبني قريظة هو اختيار
الحلبي ومحمد بن سعد والزيبي دحلان والكاذروني اليماني وغيرهم، لكن الطبري وابن الأثير
وابن هشام^(٢): قد اختاروا خلاف ذلك، وهو تقديم غزوة الخندق على بني المصطلق، ولعل
هذا هو مختار أكثر القوم في ترتيب الغزوات. وسنذكر ما بقي من الغزوات والسرايا نحو ما نقله
محمد بن سعد في الطبقات.

سرية القرطاء

قال محمد بن سعد^(٣): ثم سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء، خرج لعشر ليال خلون من
المحرّم على رأس تسعة وخمسين شهراً من مهاجر رسول الله (ص) بعثه في ثلاثين راكباً الى
القرطاء، وهم بطن من بني بكر من كلاب وكانوا ينزلون البكرات بناحية ضرية، وبين ضرية
والمدينة سبع ليال. الى أن قال: فسار الليل وكمن النهار وأغار عليهم، فقتل نفراً منهم وهرب
سائرهم واستاق نعماً وشاء ولم يعرض للظعن، وانحدر الى المدينة، فخمس رسول الله (ص)
ما جاء به وفض على أصحابه ما بقي، فعدلوا الجزور بعشر من الغنم، وكانت النعم مائة
وخمسين بعيراً والغنم ثلاثة آلاف شاة، وغاب تسعة عشرة ليلة، وقدم لليلة بقي من المحرّم،
انتهى.

وقال الزيني دحلان^(٤): وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرّم سنة ست من الهجرة.

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٦٣.

(٢) الكامل ٢ / ١٩٢، تاريخ الطبري ٢ / ٦٠٤، السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٣٠٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٢ / ٧٨.

(٤) السيرة النبوية ٢ / ٢٠.

والقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمد وهم بطن من بني بكر، ويكون ينزلون بناحية ضرية، وهي قرية لبني كلاب على طريق البصرة الى مكة، وهي الى مكة أقرب، وبها جبل يُسمى البكرات، وبين ضرية والمدينة سبع ليال. الى أن قال: وأسر ثمامة بن أثال الحنفي. روى ابن إسحاق عن أبي هريرة: أن خيلاً لرسول الله (ص) أخذت رجلاً ولا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله، فقال: أتدرون من أخذتم؟ قال: هذا ثمامة بن أثال الحنفي، فربطوه بسارية من سواري المسجد بأمره (ص) لينظر حُسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه، فخرج إليه (ص) فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ قال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد مالاً فسل تعط منه ما شئت. فتركه حتى إذا كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة؟ قال: عندي ما قلت لك. فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله. ثم قال: والله يا محمد ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، وقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبّ الدين كلّهُ إليّ، والله ما كان بلد أبغض إليّ من بلادك، فأصبح بلدك أحبّ البلاد إليّ، وإنّ خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى. فبشّره (ص) وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة يلبّي وينفي الشريك عن الله، قال له قائل: صبوت - أي خرجت من دينك - قال: لا ولكن أسلمت لربّ العالمين مع محمد رسول الله، والله لا تأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي.

وروي أنّهم قدّموه ليضربوا عنقه، فقال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون الى اليمامة، فخلّوا سبيله ولذا قيل:

ومنا الذي لبّي بمكة معلناً بزعم أبي سفيان في الأشهر الحرم

ثم خرج الى اليمامة فنعمهم أن يحملوا الى مكة شيئاً، فكتبوا إليه (ص): أنّك تأمر بصلة الرحم وأنك قد قطعت أرحامنا فكتب (ص) الى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل.

وروى البيهقي في الدلائل: ان ثمامة بن أثال الحنفي لما أتى به النبي (ص) وهو أسير خلى سبيله فأسلم ولحق بمكة، ثم رجع وحال بين مكة والميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز - أي الوبر والدم - فجاء أبو سفيان الى النبي فقال: ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قال: بلى. قال: فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع. وفي رواية: أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز. فكتب (ص) إليه أن يخلي بينهم وبين الحمل ثم قال: فانظر الى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة والرأفة العميمة، يواجهه بهذا الخطاب الخشن مع شدة حاجته إليه ومحاربتة له قريباً في وقعة الأحزاب، ومع ذلك لم يمتنع من قضاء حاجته تصديقاً لقوله تعالى ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾، بل جاء في بعض الروايات أنه (ص) دعا لهم بالمطر فسقاهم الله. الى أن قال: وجاء في بعض الروايات أنه بعد أن أسلم جاؤه بالطعام فلم ينل منه إلا قليلاً وباللقحة فلم يصب من حلالها إلا اليسير، فعجب المسلمون فقال: أتعجبون من رجل أكل في أول النهار في معنى كافر وأكل آخر النهار في معنى مسلم، ان الكافر يأكل في سبعة أمعاء وان المسلم يأكل في معنى واحد. ثم صار ثمامة من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقاً كثيراً من قومه، ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة، ولا خرج من الطاعة قط، بل جاء أنه قام مقاماً حميداً بعد وفاة النبي (ص) حين ارتد أهل اليمامة مع مسيلمة، فقال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم حمّ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾ ثم قال لهم: فأين هذا من هذيان مسيلمة، فأطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا الى المسلمين، انتهى.

غزوة بني لحيان والغابة

قال محمد بن سعد^(١): ثم غزوة بني لحيان، وكانوا بناحية عسفان، في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجرة (ص).

قالوا: وجد رسول الله على عاصم بن ثابت وأصحابه جداً شديداً، فأظهر أنه يريد الشام، وعسكر لغزوة هلال شهر ربيع الأول في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران وبينها وبين عسفان خمسة أميال حيث كان مصاب أصحابه (ص)، فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت بهم بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدرُوا على أحد، ثم خرج حتى أتى عسفان... الخ.

وقال الطبري وابن الأثير وابن هشام والعبارة لأبن الأثير^(١)، قال: خرج رسول الله إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غزوة، وأغذ السير حتى نزل على غران منازل بني لحيان وهي بين اجم وعسفان، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلما أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتى نزل بعسفان تخويفاً لأهل مكة، وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): فكان جابر بن عبدالله يقول: سمعت رسول الله (ص) حين وجّه راجعاً: آتبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعشاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال. إلى أن قال: ثم قدم رسول الله (ص) المدينة فلم يبق بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة في خيل من غطفان على لقاح رسول الله (ص) بالغابة، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح. (النوق القريبة العهد من الولادة)، انتهى.

قال محمد بن سعد^(٣): ثم غزوة رسول الله (ص) الغابة، وهي على بريد من المدينة طريق الشام في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجره (ص).

قالوا: كانت لقاح رسول الله (ص) وهي عشرون لقة تُرعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها،

(١) الكامل ١٨٨ / ٢.

(٢) السيرة النبوية ٢٩٣ / ٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٨٠ / ٢.

فأغار عليهم عيينة بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر، وجاء الصريح فنادى: الفرع الفرع، فنودي: يا خيل الله اركبي. وكان أول ما نودي بها وركب رسول الله (ص) فخرج غداة الأربعاء في الحديد مُقنَّعاً، فوقف فكان أول من أقبل إليه المقداد بن عمرو وعليه الدرع والمغفر شاهراً سيفه، فعقد له رسول الله (ص) لواءً في رحمه وقال: امض حتى تلحقك الخيول أنا على أترك، واستخلف رسول الله (ص) على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخلف سعد بن عباد في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة. قال المقداد: فخرجت فأدركت أخريات العدو، وقد قتل أبو قتادة مسعدةً فأعطاه رسول الله (ص) فرسه وسلاحه، وقتل عكاشة بن محصن أثار بن عمرو بن أثار، وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن وفرقة بن مالك، وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجليه، فجعل يراميهم بالنبل ويقول:

خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع

حتى انتهى بهم الى ذي قرد، وهي ناحية خيبر مما يلي المستناخ.

قال سلمة: فلحقنا رسول الله (ص) والناس والخيول عشاء، فقلت: يا رسول الله ان القوم عطاش فلو بعثني في مائة رجل استنقذت ما بأيدهم من السرح وأخذت بأعناق القوم. فقال النبي (ص): ملكت فاسجح. (أي قدرت فسهل) ثم قال: انهم الآن ليُقرون في غطفان، وذهب الصريح الى عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد، فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا الى رسول الله (ص) بذي قرد، فاستنقذوا عشر لقائح وأفلت القوم بما بقي وهي عشرة، وصلى رسول الله (ص) بذي قرد صلاة الخوف، وأقام به يوماً وليلة يتحسس الخبر، وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها وكانوا خمسمائة ويقال سبعمائة، وبعث إليه سعد بن عبادة بأحمال تمر وبعشر جزائر، فوافت رسول الله بذي قرد... الخ:

وقال الحلبي^(١): غزوة ذي قرد بفتح القاف والراء وقيل بضمّها، أي بضمّ الأول وفتح الثاني، اسم ماء. والقرد في الأصل الصوف الرديء، ويقال لها غزوة الغابة، والغابة الشجر الملتف. ولما قدم رسول الله (ص) المدينة من غزوة بني لحيان لم يبق بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن في خيل غطفان على لقاح رسول الله بالغابة، وكانت اللقاح عشرين لقحة، وهي ذات اللبن القريبة من الولادة لها ثلاثة أشهر ثم هي لبون، وفيها رجل من بني غفار هو ولد أبي ذر الغفاري وزوجة لأبي ذر، وكان راعياً يرجع بلبنها كل ليلة عند المغرب إلى المدينة، فإن المسافة بينها وبين المدينة يوم أو نحو يوم، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة مع اللقاح.

ثم نقل الحلبي قولاً بأن أبا ذر استأذن رسول الله (ص) أن يكون في اللقاح، فقال له رسول الله: لا تأمن عيينة بن حصن وذويه أن يُغيروا عليك، فألح عليه. فقال له رسول الله لكأنني بك قد قُتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك، فكان أبو ذر يقول: عجباً لي ورسول الله يقول: لكأنني بك وأنا ألح عليه، فكان والله ما قال رسول الله.

وقال العلامة محمد رضا: وكانت نتيجة هذه الغزوة أنهم أدركوا العدو فهزموه وقتلوا رؤساءه واستنقذوا اللقاح، وقيل بعضها، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد وهو محرز ابن نضلة، وسار رسول الله (ص) حتى بلغ ذا قرد في اتجاه خيبر، فالتجأ العدو إلى بني غطفان، وقد أبلت في هذه الغزوة سلمة بن الأكوع بلاءً حسناً وكان رامياً... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): والرواية صحيحة عن سلمة أنها كانت بعد مقدمه (ص) المدينة منصرفاً من الحديبية وبين الوقعتين تفاوت، قال سلمة بن الأكوع: أقبلنا مع النبي (ص) إلى المدينة بعد صلح الحديبية، فبعث رسول الله بظهره - أي إبله - مع رباح غلامه، وخرجت معه بفرس طلحة بن عبيدالله، فلما أصبحنا إذا عبدالرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله (ص) فاستاقه أجمع وقتل راعيه. قلت: يا رباح هذه الفرس فأبلغها

(١) السيرة النبوية ٣/٣.

(٢) الكامل ١٨٨/٢.

طلحة وأخبر النبي (ص) انّ المشركين قد أغاروا على سرحه - أي على إبله - ثم استقبلت الأكمة فناديت ثلاث أصوات: يا صباحاه. ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول:

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ الْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ

قال: فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم، فاذا خرج إليّ فارس قعدت في أصل شجرة فرميته ففقرت به، وإذا دخلوا في مضايق الجبل رميتهم بالحجارة من فوقهم، فما زلت كذلك حتى ما تركت من ظهر رسول الله (ص) بعيراً إلا جعلته وراء ظهري، وخلّوا بيني وبينه وألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وثلاثين بردة يستخفون بها لا يلقون شيئاً إلا جعلت عليه أمارة - أي علامة - حتى تعرفه أصحاب رسول الله (ص) ... الخ.

وروى محمد بن سعد وابن كثير عن سلمة بن الأكوع أنّه قال: ثم أتت خرجت في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي (ص) شيئاً. الى أن قال: وإذا بنى الله في خمسمائة - أي من أصحابه - وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلّفت فهو يشوي لرسول الله من كبدها وسنامها، فأتيت رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله خلّني فأنتخب من أصحابك مائة فأخذ على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته. فقال: أكنت فاعلاً ذلك يا سلمة. قال: قلت نعم والذي أكرمك، فضحك رسول الله حتى رأيت ثواجذه في ضوء النار، ثم قال: انهم يُقرّون الآن بأرض غطفان، فجاء رجل من غطفان فقال: مرّوا على فلان الغطفاني فنحرهم جزوراً، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هراباً، فلما أصبحنا قال رسول الله (ص): خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة. فأعطاني رسول الله (ص) سهم الفارس والراجل جميعاً، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين الى المدينة ... الخ.

وقال ابن هشام: فقسم رسول الله في أصحابه في كل مائة جزوراً، وأقاموا عليها، ثم رجع رسول الله (ص) قافلاً حتى قدم المدينة، وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله (ص) حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر، فلما فرغت قالت: يا رسول الله اني قد نذرت الله أن أنحرها إن نجاني الله عليها. قال: فتبسم رسول الله (ص) ثم قال: بئس ما جزيتها أن حملك

الله عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها، أنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين، أنما هي ناقة من إبلي، فارجعي الى أهلك على بركة الله.

ثم قال ابن هشام: وكان ممّا قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان بن ثابت:

لولا الذي لاقت ومسّ نسورها بجنوب راية أمس في التقواد

الى أن قال:

كُنّا ثمانية وكانوا جحفلًا لجباً فشكّوا بالرماح بداد
كُنّا من القوم الذين يلوّنهم ويقدمون عنان كل جواد
كلّا وربّ الراقصات الى منى يقطعن عرض محارم الأطواد
حتّى نبيل الخيل في عرّصتكم ونؤب بالملكات والأولاد

سرايا الغمر وذى القصة والجموم وغيرها

قال محمد بن سعد^(١): ثم سرية عكاشة بن محصن الأسدي الى الغمر، وهو ماء لبني أسد

على ليلتين من فيد، وكانت في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجر رسول الله (ص).

قالوا: وجّه رسول الله (ص) عكاشة بن محصن الى الغمر في أربعين رجلاً، فخرج سريعاً

يغذّ السير، ونذر به (أي اطلع عليه) القوم فهربوا، فنزلوا علياء بلادهم ووجدوا دارهم

حلوفاً. الى أن قال: فاستاقوا مائتي بعير وقدموا على رسول الله (ص) ولم يلقوا كيداً، انتهى

ملخصاً.

ثم قال محمد بن سعد: ثم سرية محمد بن مسلمة الى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة

ست من مهاجر رسول الله (ص).

قالوا: بعث رسول الله محمد بن مسلمة الى بني ثعلبة وبني عوال من ثعلبة وهم بذي القصة

وبينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً طريق الربذة في عشرة نفر، فوردوا عليهم ليلاً،

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٨٤ - ٩٣.

فأحرق به القوم وهم مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوه، ووقع محمد بن مسلمة جريحاً فضرب كعبه فلا يتحرك وجرّ دوهم من الثياب. ومرّ بمحمد بن مسلمة رجل من المسلمين فحمله حتى ورد به المدينة، فبعث رسول الله (ص) أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى مصارع القوم، فلم يجدوا أحداً ووجدوا نعماً وشاء فساقه ورجع، انتهى.

ثم سرّية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجر رسول الله (ص).

قالوا: أجذبت بلاد بني ثعلبة وأنمار ووقعت سحابة بالمراض إلى تغلمين، والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السحابة، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفاء موضع على سبعة أميال من المدينة، فبعث رسول الله (ص) أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً من المسلمين حين صلّوا المغرب، فمشوا إليهم حتى وافوا ذا القصة مع عمارة الصبح، فأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم وتركه، فأخذ نعماً من نعمهم فاستاقه ورثته من متاعهم، وقدم بذلك المدينة، فخمسه رسول الله (ص) وقسم ما بقي عليهم، انتهى.

ثم سرّية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجر رسول الله (ص).

قالوا: بعث زيد بن حارثة إلى بني سليم، فسار حتى ورد الجموم ناحية بطن نخل عن يسارها، وبطن نخل من المدينة على أربعة برد، فأصابوا عليه امرأة من مزينه يقال لها حليلة، فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سليم، فأصابوا في تلك المحلّة نعماً وأسرى، فكان فيهم زوج حليلة المزيّنة. فلما قتل زيد بن حارثة بما أصاب وهب رسول الله (ص) للمزيّنة نفسها وزوجها، انتهى.

ثم سرّية زيد بن حارثة إلى العيص، وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين المروة ليلة، في جمادى الأولى سنة ست من مهاجر رسول الله (ص).

قالوا: بلغ رسول الله (ص) ان عيراً لقريش قد أقبلت من الشام، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرّض لها، فأخذوها وما فيها وأخذوا يومئذ فضّة كثيرة لصفوان بن أميّة وأسروا ناساً ممّن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة فاستجار أبو العاص بزینب بنت رسول الله (ص) فأجارته ونادت في الناس حين صلّى رسول الله الفجر: انّي قد أجزتُ أبا العاص. فقال رسول الله (ص): وما علمت بشيء من هذا وقد أجرنا من أجزت، وردّ عليه ما أخذ منه، انتهى.

ثم سرّية زيد بن حارثة الى الطرف في جمادى الآخرة سنة ست من مهاجر رسول الله (ص).

قالوا: بعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة الى الطرف، وهو ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة طريق البقرة على المحجة، فخرج على بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فأصاب نعماً وشاءً وهربت الأعراب، وصبّح زيد بالنعم المدينة وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيداً وغاب أربع ليال، وكان شعارهم «أمت أمت»، انتهى.

ثم سرّية زيد بن حارثة الى حسمى، وهي وراء وادي القراء في جمادى الآخرة سنة ست من مهاجر رسول الله.

قالوا: أقبل دحية بن الخليفة الكلبي من عند قيصر وقد أجاره وكساه، ولقيه الهنيد بن عارض وابنه عارض بن الهنيد في ناس من جذام محسمى، فقطعوا عليه الطريق ولم يتركوا عليه إلا سمل ثوب، فسمع بذلك نفر من بني الضبيب فنفروا إليهم فاستنقذوا الدحية متاعه، وقدم دحية على النبي (ص) فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل وردّ معه دحية، فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل من بني عذرة، فأقبل بهم حتّى هجم بهم مع الصبح على القوم، فأغاروا عليهم فقتلوا فيهم فأوجعوا وقتلوا الهنيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم، فأخذوا من النعم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبي مائة من النساء والصبيان، فرحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه الى رسول الله (ص)، فدفع الى رسول الله كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم وقال:

يا رسول الله لا تُحَرِّم علينا حلالاً ولا تحل لنا حراماً. فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ قال أبو يزيد ابن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً، ومن قُتل فهو تحت قدمي هاتين. فقال رسول الله: صدق أبو يزيد، فبعث معهم علياً إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين حُرَمِهِمْ وأموالهم. فتوجّه علي فلقي رافع بن مكيث الجهني بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم، فردّها علي على القوم، ولقي زيدا بالفحلتين وهي بين المدينة وذي المروة، فأبلغه أمر النبي (ص)، فردّ إلى الناس كل ما كان أخذ منهم، انتهى.

ثم سرّية زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رجب سنة ست من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: بعث رسول الله (ص) زيدا أميراً سنة ست، انتهى.

ثم سرّية عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله (ص) قالوا: دعا رسول الله عبدالرحمن بن عوف فأقعه بين يديه وعممه بيده وقال: أغزُ باسم الله وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله لا تغلّ ولا تغدر ولا تقتل وليداً. وبعثه إلى كلب بدومة الجندل وقال: إن استجابوا لك فتزوّج ابنة ملكهم. فسار عبدالرحمن حتّى قدم دومة الجندل، فكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبح بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً وكان رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام على إعطاء الجزية، وتزوّج عبدالرحمن تماضر بنت الأصبح، وقدم بها إلى المدينة، وهي أم أبي سلمة بن عبدالرحمن، انتهى.

ثم سرّية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله (ص).

قالوا: بلغ رسول الله (ص) أنّهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر، فبعث إليهم علي بن أبي طالب في مائة رجل، فسار الليل وكمن النهار حتّى انتهى إلى الهَمَج وهو ماء بين خيبر وفدك، وبين فدك والمدينة ست ليال فوجدوا بها رجلاً فسألوه عن القوم فقالوا: أخبركم على أنّكم تُؤمّنوني، فأمنوه فدّهم، فأغاروا عليهم وأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وبر بن عليم، فعزل علي صفي النبي (ص) لقوحاً تدعى الحفزة، ثم

عزل الخمس وقسم سائر الغنائم على أصحابه، وقدم المدينة ولم يلق كيداً، انتهى.
ثم سرية زيد بن حارثة الى أم قرفة بناحية بوادي القرى على سبع ليال من المدينة في شهر
رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله (ص).

قالوا: خرج زيد بن حارثة في تجارة الى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي (ص) فلما كان
دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان
معهم، ثم استبلى زيد وقدم على رسول الله (ص) فأخبره، فبعثه رسول الله (ص) إليهم،
فكمنوا النهار وساروا الليل ونذرت بهم بنو بدر ثم صبّحهم زيد وأصحابه فكبروا وأحاطوا
بالحاضر، وأخذوا أم قرفة وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة
ابن بدر، وكان الذي أخذ الجارية مسلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله، فوهب رسول
الله (ص) بعد ذلك لحزن بن أبي وهب، وعمد قيس بن المحسّر الى أم قرفة وهي عجوز كبيرة
فقتلها قتلاً عنيفاً ربط بين رجلها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعها، وقتل
النعمان وعبيد الله ابني مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك
ففرع باب النبي (ص)، فقام إليه عريانا يجرّ ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفّره الله
به، انتهى.

قال محمد بن سعد: ثم سرية عبدالله بن عتيك الى أبي رافع، وقد ذكرناها قبل وقعة أحد
فراجع.

ثم سرية عبدالله بن رواحة الى أسير بن زارم اليهودي بخيبر في شوال سنة ست من مهاجر
رسول الله (ص).

قالوا: لما قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود عليهم أسير بن زارم، فسار في
غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله (ص)، وبلغ رسول الله فوجّه عبدالله بن رواحة في
ثلاثة نفر في شهر رمضان سرّاً، فسأل عن خبره وغرّته فأخبر بذلك، فقدم على رسول
الله (ص) فأخبره وندب رسول الله الناس فانتدب له ثلاثون رجلاً، فبعث عليهم عبدالله بن
رواحه فقدموا على أسير بن زارم فقالوا: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له. قال: نعم

ولي منكم مثل ذلك . وقالوا : نعم . فقلنا : ان رسول الله بعثنا اليك لتخرج إليه فيستعملك على خير ويحسن اليك ، فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين ، حتى إذا كنا بقرقرة بشار ندم أسير فقال عبدالله بن أنيس وكان في السرية وأهوى بيده الى سيفي ، ففطنت له ودفعت بعيري وقلت : عذراً أي عدو الله ، فعل ذلك مرتين ، فنزلت فسقتُ بالقوم حتى أنفرد لي أسير فضربته بالسيف فأندرت عامة فخذته وساقه وسقط عن بعيره ويده مخرش (عصاً مُعوجة الرأس) من شَوْحط (نوع من شجر الجبال) ، فضربني فشجني مأمومة (وهي كناية عن شدة الضربة وانها بلغت الجلدة التي تجمع الدماغ) ، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شداً ، ولم يصب من المسلمين أحد ، ثم أقبلنا الى رسول الله (ص) فحدثنا الحديث ، فقال : قد نجّاكم الله من القوم الظالمين ، انتهى .

ثم سرية كُرز بن جابر الفهري الى العُرنيين في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله (ص) .

قالوا : قدم نفر من عرينة ثمانية على رسول الله (ص) فأسلموا واستوباؤا - أي أخذهم الوباء - فمرضوا ، فأمر بهم رسول الله الى لقاحه وكانت تُرعى بذي الجدر ناحية قباء قريباً من غير على ستة أميال من المدينة فكانوا فيها حتى صحّوا وسمنوا ، فغدروا على اللقاح فاستاقوها ، فيدركهم يسار مولى رسول الله (ص) ومعه نفر فقاتلهم فقطعوا يده ورجله وخرسوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات ، وبلغ رسول الله الخبر ، فبعث في أثرهم عشرين فارساً واستعمل عليهم كُرز بن جابر الفهري ، فأدركوهم فأحاطوا بهم وأسروهم وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة ، وكان رسول الله (ص) بالغابة ، فخرجوا بهم نحوه فلقوه بالزغابة بمجتمع السيول ، فأمرهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُمل أعينهم فصُلبوا هناك ، وأنزلت على رسول الله ﴿ إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً ﴾ الآية ، فلم يسمل بعد ذلك عيناً . وكانت اللقاح خمس عشرة لقحة غزاراً ، فردوها الى المدينة ، ففقد رسول الله (ص) منها لقحة تُدعى الحناء ، فسأل عنها فقيل نحرها ، انتهى .

ثم سرية عمرو بن أمية الضمري ، وقد ذكرناها بعد غزوة الرجيع فراجع .

انتهى ما نقله محمد بن سعد من الغزوات والسرايا قبل غزوة الحديبية .

قال ابن الأثير^(١): وفي هذه السنة - يعني سنة ست من الهجرة - خرج رسول الله (ص) مُعْتَمِراً في ذي القعدة لا يريد حرباً، ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار ومن تبعه من الأعراب ألف وأربعمائة، وقيل ألف وخمسمائة، وقيل ثلاثمائة، وساق الهدي معه سبعين بدنةً ليعلم الناس أنه إنما جاء زائراً للبيت ... الخ.

غزوة الحديبية

قال محمد بن سعد^(٢): ثم غزوة رسول الله (ص) الحديبية، خرج للعمرة في ذي القعدة سنة ست من مهاجره. قالوا: استنفر رسول الله (ص) أصحابه إلى العمرة، فأسرعوا وتهيئوا، ودخل رسول الله بيته فاغتسل ولبس ثوبين وركب راحلته القصواء وخرج، وذلك يوم الإثنين لئلا يذوق القعدة، واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم، ولم يخرج معه بسلاح إلا السيوف في القرب، وساق بُدناً وساق أصحابه أيضاً بدناً، فصلّى الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بالبُدن التي ساق فجللت ثم أشعرها في الشق الأيمن وقلدها وأشعر أصحابه أيضاً وهنّ موجّهات إلى القبلة، وهي سبعون بدنةً فيها جمل أبي جهل الذي غنمه يوم بدر، وأحرم ولبيّ. وقدم عباد بن بشر أمامه طليعةً في عشرين فرساً من خيل المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه من المسلمين ألف وستائة، ويقال ألف وأربعمائة، ويقال ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً، وأخرج معه زوجته أم سلمة.

وبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صدّه عن المسجد الحرام، وعسكروا ببلدح، وقدّموا مائتي فارس إلى كراع الغميم وعليهم خالد بن الوليد، ويقال عكرمة بن أبي جهل، ودخل بشر بن سفيان الخزاعي مكة، فسمع كلامهم وعرف رأيهم، فرجع إلى رسول الله (ص)، فلقه بغدير الأشطاط وراء عُسفان فأخبره بذلك ودنا خالد بن الوليد في خيله

(١) الكامل ٢ / ٢٠٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٩٥.

حتى نظر الى أصحاب رسول الله (ص)، فأمر رسول الله عبّاد بن بشر فتقدّم في خيله فأقام بإزائه وصف أصحابه وحانت صلاة الظهر، فصلّى رسول الله (ص) بأصحابه صلاة الخوف، فلما أمسى رسول الله قال لأصحابه: تيامنوا في هذه العصل (الرملة) فإنّ عيون قريش بمرّ الظهران وبضجنان فسار حتى دنا من الحديبية وهي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة. وروى الطبري^(١): باسناده عن جابر قال: كنّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، وروى أيضاً باسناده عن ابن عباس قال: كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): فلما بلغ عُسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فاجتمعوا بذوي طوى يملفون بالله لا تدخلها عليهم أبداً، وقد قدّموا خالد بن الوليد الى كراع الغميم. وقيل: إنّ خالداً كان مع النبي (ص) مسلماً، وإنّه أرسله فلقى عكرمة بن أبي جهل فهزمه، والأول أصح.

ولما بلغه بشر ما فعلت قريش قال رسول الله: يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر الناس، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله دخلوا في الإسلام وافرّين، والله لا أزال أجاهدكم على الذي بعثني الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة. ثم خرج على غير الطريق التي همّ بها، وسلك ذات اليمين حتى سلك ثنية المراد على مهبط الحديبية، فبركت به ناقته، فقال الناس: خلّأت. فقال (ص): ما خلّأت ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة... الخ.

وقال ابن هشام^(٣): وخرج رسول الله (ص) حتى إذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته، فقال الناس: خلّأت الناقة. قال: ما خلّأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم الى خطّة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إيّاها ثم قال

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٦٢١.

(٢) الكامل ٢ / ٢٠٠.

(٣) السيرة النبوية ٣ / ٣٢٤.

للناس: انزلوا. قيل له: يا رسول الله ما بالوادي ماء ينزل عليه، فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القلُب فغرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب بعطن.

وقال محمد بن سعد^(١): فوقعت يدا راحلته (ص) فبركت، فقال المسلمون: حَلَّ حَلَّ - يَزْجُرُونَهَا، فأبت أن تنبعث، فقالوا: خلأت القصواء - أي توقفت عن السير - فقال النبي (ص): إنها ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل، أما والله لا يسألوني اليوم خطّة فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها فقامت، فوئى راجعاً عوده على بدنه حتى نزل بالناس على ثمد من أثماد الحديبية ظنون (قيل هي البئر التي يُظنّ أنّ فيها ماء وليس فيها ماء وقيل البئر القليلة الماء) قليل الماء، فانتزع سهماً من كنانته فأمر به فغرز فيها فجاشت لهم بالرواء حتى اغترفوا بأنيتهم جلوساً على شفير البئر، ومطّر رسول الله (ص) بالحديبية مراراً وكرت المياه. وجاء بديل بن ورقاء وركب من خزاعة، فسلموا عليه وقال بديل: جئناك من عند قومك كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم معهم العوذ (جمع عائد وهي الناقة إذا وضعت) والمطافيل (جمع مطفل وهي الناقة القريبة العهد بالولادة معها طفلها) والنساء والصبيان يقسمون بالله لا يخلّون بينك وبين البيت حتى تبديد خضراؤهم. فقال رسول الله (ص): لم نأت لقتال أحد إنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فن صدنا عنه قاتلناه. فرجع بديل فأخبر بذلك قريشاً، فبعثوا عروة بن مسعود الثقفي، فكلمه رسول الله بنحو ما كلم به بديلاً. فانصرف إلى قريش فأخبرهم فقالوا: نردّه عن البيت في عامنا ويرجع من قابل فيدخل مكة ويطوف بالبيت. ثم جاء مُكرز بن حفص بن الأخيف فكلمه بنحو ممّا كلم به صاحبيه، فرجع إلى قريش فأخبرهم، فبعثوا الحليس بن علقمة وهو يومئذ سيّد الأحابيش وكان يتأله، فلما رأى الهدي عليه القلائد قد أكل أوباره من طول الحبس رجع ولم يصل إلى رسول الله (ص) إعظاماً لما رأى، فقال لقريش: والله لتُخلنّ بينه وبين ما جاء له

(١) الطبقات الكبرى ٩٦/٢.

أو لأنفرن بالأحابيش . قالوا: فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

وقال ابن هشام^(١): ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيّد الأحابيش، وهو أحد بني الحرث بن عبدمناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله (ص) قال: إن هذا من قوم يتألمون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلانده وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله (ص) إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك . قال: فقالوا اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك .

ثم قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: فحدثني عبدالله بن أبي بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم ولا على هذا عاقدناكم، أصد عن البيت من جاء معظماً له، والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قال: فقالوا له: مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به ... الخ .

وقال ابن الأثير^(٢): فبينما هم كذلك أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه خزاعة، وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله (ص) من تهامة، فقال: تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي أعداد مياه الحديبية وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال النبي (ص): إنا لم نأت لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين، وإن شاءت قريش ماددناهم مدة ويخلو بيني وبين الناس وإن أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي (هذه كناية عن الموت والمعنى تقطع رأسي من عنقي) . فانطلق بديل الى قريش فأعلمهم بما قال النبي (ص)، فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: إن هذا الرجل عرض عليكم خطة رشده فاقبلوها دعوني آته . فقالوا: آته، فأتاه وكلمه فقال له: يا محمد جمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم، إنهم قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود

(١) السيرة النبوية ٣/٢٢٦ .

(٢) الكامل ٢/٢٠١ .

النور يُعاهدون الله أنك لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد تكشفوا عنك غداً. فقال أبو بكر: امصص بظُر اللات، (بظر ما يقطع من الفرج عند الختان. واللات اسم صنم يعبده الثقيف)، أنحن ننكشف عنه. قال: من هذا يا محمد. قال النبي: هذا ابن أبي قحافة. فقال: أما والله لو لا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ثم جعل يتناول لحيمة رسول الله (ص). وقال الزيني دحلان وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحيمة من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة يريدون بذلك التحية والتواصل وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير فرمما رأى لعظمته في قومه أنه نظير للنبي (ص) ... الخ. وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله في الحديد، فجعل يقرع يده إذا تناولها ويقول: اكفف يدك قبل أن لا تصل اليك. فقال عروة: من هذا يا محمد. قال النبي: هذا ابن أخيك المغيرة. فقال: أي غدر وهل غسلت سواتك إلا بالأمس.

الى أن قال: وطال بينهما الكلام - يعني بين النبي وعروة - فقال له النبي (ص) نحو مقالته لبديل، فقال له عروة: يا محمد أرايت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب احتاج أصله قبلك، وجعل يرمق أصحاب النبي (ص) ... الخ.

وقال ابن هشام^(١): أراد عروة بقوله هذا - يعني قوله هل غسلت سواتك إلا بالأمس - أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف، فتهابح الحيتان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة ديةً وأصلح ذلك الأمر.

ثم قال: قال ابن إسحاق: قال الزهري: فكلمه رسول الله (ص) بنحو مما كَلَّمَ أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً، فقام من عند رسول الله وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوؤه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، فرجع الى قريش فقال: يا معشر قريش اتني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في

(١) السيرة النبوية ٣/٢٢٨.

ملكه، واني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، فرؤا رأيكم.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم ان رسول الله (ص) دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه الى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله (ص) وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش فخلّوا سبيله حتى أتى رسول الله.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس: ان قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله (ص) ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأخذوا أخذاً فأتي بهم رسول الله فعفا عنهم وخلّى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله (ص) بالحجارة والنبيل... الخ.

قال الطبري^(١): وكفّ الله النبي (ص) عنهم بعد أن أظفروهم عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفروه عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم.

قال الواقدي: ثم ان رسول الله (ص) أمر عمر بن الخطاب أن يأتي أهل مكة فيتأذنهم أن يخلوا له مكة ثلاثة أيام ليقضي رسول الله نُسكُهُ ثم يرجع، فقال عمر: يا رسول الله أنا بها قليل العشيرة وأخاف القوم أن يقتلوني، ولكن أرسل عثمان بن عفان فهو بها كثير العشيرة لن يعرض له أحد، فأرسل رسول الله (ص) عثمان بن عفان ليستأذن له أهل مكة، فانطلق عثمان فلقي خيل قريش ببلدح ولقي فيهم أبان بن سعيد بن العاص، فاستجاره عثمان فأجاره، وحمله أبان بين يديه على الفرس حتى أتى بمكة، فنزل على أبي سفيان بن حرب، فبلغه رسالة رسول الله (ص)، فخرج أبو سفيان الى مكة فقالوا: يا أبا سفيان ما أتاك به ابن عمك؟ فقال: أتاني بشرّ سألني أن أخلي مكة خلقاً من أهل يثرب لينحروا فيها ثلاثة أيام، فإذا تأمرون؟ قالوا: والله لا يدخلها محمد علينا أبداً بعد أن أخرجه الله منها، وأمر الله نبيه بالبيعة، فعقدت تحت

الشجرة التي بالمدينة، ثم نادى منادي رسول الله (ص) في المسلمين: ان رسول الله قد أمر بالبيعة فاجتمعوا إليه. فأتاه الناس فبايعوه على أن لا يفروا إن كان قتال... الخ.

قال ابن هشام^(١): قال ابن إسحاق: فحدثني عبدالله بن أبي بكر ان رسول الله (ص) قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل: لا نبرح حتى نُنَاجِزَ القوم، فدعا رسول الله الى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله على الموت، وكان جابر بن عبدالله يقول: ان رسول الله (ص) لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفرّ. فبايع رسول الله (ص) الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجدي بن قيس أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبدالله يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بابط ناقته قد ضبأ إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله (ص) ان الذي ذكر من أمر عثمان باطل... الخ.

وروى الطبري^(٢) باسناده عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن قافلون من المدينة نادى منادي النبي: أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس. قال: فثرنا الى رسول الله (ص) وهو تحت شجرة سُمرة. قال: فبايعناه. قال: وذلك قول الله تعالى ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين اذا يبايعونك تحت الشجرة﴾ الآية.

وقال ابن الأثير^(٣): فدعا رسول الله (ص) عمر ليرسله الى مكة، فقال: ليس بمكة من بني عدي من يمنعني وقد علمت قريش عداوتي لها وغلظتي عليها وأخافها على نفسي، فأرسل عثمان فهو أعزّ بها مني. فدعا عثمان فأرسله ليلبغ عنه، فانطلق فلقية أبان بن سعيد بن العاص فأجاره، فأتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله (ص)، فقالوا لعثمان حين فرغ من أداء الرسالة: إن شئت أن تطوف بالبيت فطّف به. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به النبي (ص)، فاحتبسه قريش عندها، فبلغ النبي أنه قد قُتل فقال: لا نبرح حتى نُنَاجِزَ القوم. ثم دعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وهي سُمرة... الخ.

(١) السيرة النبوية ٣ / ٢٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٦٣٢.

(٣) الكامل ٢ / ٢٠٣.

وقال الواقدي: وانطلق ناس من المهاجرين الى عشائرهم بمكة يزورونهم، فاحتبس القوم عندهم في الرحال، فبلغ ذلك أصحاب النبي (ص) فخرجوا سراعاً حتى دخلوا فوجدوا رجالاً كثيراً حول الكعبة، فقرنوهم في الحبال حتى قدموا بهم عسكر نبي الله، فلما أمسى أهل مكة أقبل منهم ستة سفهاء فرموا في عسكر نبي الله (ص) بأسهم تحت الليل، ففزع الناس فساروا الى أهل مكة حين صبحوا فوجدوهم من دون الجبل، فارتقوا بالنبل والحجارة فهزم الله المشركين، واتبعهم المؤمنون فرموهم حتى أدخلوا البيوت، ثم كفَّ الله أيدي المؤمنين عنهم وأنزل الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ويقول الله تعالى لمحمد ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعَكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بِيغْيَرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَلَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

فلما رأى أهل مكة انَّ الله تعالى قد أخزاهم وقذف في قلوبهم الرعب بعثوا سهيل بن عمرو القرشي أخا بني عامر بن لؤي للصلح والموادعة، فلما انتهى الى العسكر نادى بالصلح والموادعة وقال: أما والله لقد كان الذي كان من الأعين غير موالاته مني ولا رضا وقد أتيتكم للصلح. فقبل رسول الله (ص) ذلك وقال: على ماذا يا سهيل؟ قال: ترجع عودك على بدئك وتنحر الهدى حيث تحبسه، ليس لك أن تجاوز الى المنحر، ويكون الصلح بيننا وبينك سنتين بعضنا لبعض آمن، على أنك لا تقبل من صبا اليك منّا في تلك السنتين. فقال رسول الله (ص) فما لي إن فعلت ذلك؟ قال سهيل: نخلي لك مكة عاماً قابلاً ثلاثة أيام. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله جعلني الله فداك أتجعل لهم ألا تقبل مسلماً أتاك منهم. قال: اسكُت يا عمر، واشترط عليهم سهيل انَّ من أتانا من أصحابك يريدنا فهو لنا، ومن أتاكم منّا رددته الينا. فقال عمر: يا رسول الله لا تفعل، فضحك رسول الله الى عمر وقال: يا عمر أما من أراد أن يلحق بنا منهم فسيجعل الله تعالى له مخرجاً، ومن أتاهم منّا فأبعده الله وهم أولى بمن كفر. فعرف عمر عند ذلك انَّ الذي رأى رسول الله (ص) أفضل، ففعل رسول الله. فقال سهيل:

اكتب بيننا وبينك كتاباً وادفع الكتاب إليّ... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): فدعا رسول الله (ص) علي بن أبي طالب فقال: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: لا نعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم. فكتبها ثم قال: اكتب «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال لعلي: أحم «رسول الله». فقال: لا أمحوك أبداً. فأخذه رسول الله (ص) وليس يحسن أن يكتب، فكتب موضع رسول الله محمد بن عبد الله وقال (ص): لتُبَلِّغَنَّ بثلثيها - يعني قضية الحكمين في يوم الصّفين.

وقال محمد بن سعد^(٢): وكتبوا بينهم «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، اصطلاحاً على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه لا إسلال ولا إغلال، (الاسلال السرقة الخفية وقيل الغارة الظاهرة وقيل سلّ السيوف. والإغلال الخيانة أو السرقة الخفية وقيل لبس الدروع) وإن بيننا عيبة مكفوفة (مكفوفة يعني صدوراً نقيّة من الغلّ والخداع منطوية على الوفاء بالصلح) وأنه من أحبّ أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأنه من أحبّ أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليّه ردّه إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردّوه، وإن محمداً يرجع عنّا عامه هذا بأصحابه ويدخل علينا قابلاً في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب»... الخ.

قال ابن هشام^(٣): قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وأخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله (ص) وقالوا له: أنت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنه في عامه هذا، فوالله لا تحدّث العرب عنّا أنه دخلها علينا عنوة أبداً. فأتاه سهيل ابن عمرو، فلما رآه رسول الله مقبلاً قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل. فلما

(١) الكامل ٢/ ٢٠٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ٩٧.

(٣) السيرة النبوية ٣/ ٣٣١.

انتهى سهيل بن عمرو الى رسول الله (ص) تكلم فأطال الكلام وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله. قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين. قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين. قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا. قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله. قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله. ثم أتى رسول الله (ص) فقال: أأنت برسول الله. قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين. قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين. قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا. قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني. قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً. قال: ثم دعا رسول الله (ص) علي بن أبي طالب فقال: اكتب... الخ.

وروى الطبري^(١): باسناده عن علقمة بن قيس النخعي عن علي بن أبي طالب قال: ثم دعاني رسول الله فقال: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب «باسمك اللهم»، فكتبتها ثم قال (ص): اكتب «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل بن عمرو: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. قال: فقال رسول الله (ص): اكتب «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين... الخ.

وقال الحلبي والزيبي دحلان^(٢): والعبارة له في السيرة النبوية: ولما علمت قريش بهذه البيعة وخافوا أشار أهل الرأي منهم بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً معه سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس، فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامري ومعه حويطب بن عبد العزى، وقيل معه جمع منهم، وقيل إن إرسال سهيل كان مرتين جاء ورجع إليهم ثم رجع الى النبي (ص). الى أن قال: ثم تم الأمر على الصلح على ترك القتال، وأن يوضع

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٦٣٤.

(٢) السيرة لدحلان ٢ / ٤٢، السيرة للحلبي ٣ / ١٩.

الحرب بينهم عشر سنين، وأن يأمن بعضهم بعضاً، وأن يرجع عنهم عامهم هذا ويأتي في العام القابل ويخلون له مكة ثلاثة أيام، وأن لا يدخلوا إلا بالسيوف في قُرْبها، واشترط سهيل على النبي (ص) شروطاً، منها أنه قال: لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته اليينا، وقيل انّ هذا الشرط أنّما ذكره عند كتابة الكتاب كما سيأتي. فلما تمّ الأمر ولم يبق إلا كتابة الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس هو برسول الله. قال: بلى. الى أن قال: ثم أتى عمر رسول الله فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فقال النبي (ص): أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولم يضيّعني الله. ثم دعا رسول الله (ص) أوس بن خولة وأمره أن يكتب بينهم، فقال له سهيل بن عمرو: لا يكتب إلا ابن عمك علي أو عثمان بن عفان. فأمر النبي (ص) علياً فقال: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا - أي الرحمن الرحيم - ولكن اكتب «باسمك اللهم» الى أن قال: ثم قال لعلي: اكتب «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم نصدك عن البيت، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال رسول الله لعلي: ارح رسول الله. فقال علي: ما أنا بالذي أمحوه، وفي رواية والله لا أمحوك أبداً. فقال: أرنيه، فأراه إيّاه، فحاه رسول الله وقال: اكتب «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو» وقال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فجعل علي يبكي ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال له (ص): اكتب فإنّ لك مثلها تعطيتها وأنت مقهور، وهذا من معجزاته وأعلام نبوته، فإنّه إشارة لما سيقع بين علي ومعاوية، فإنّها بعد حرب صفين وقعت بينها المصالحة الى رأس الحول، فلما كتب الكاتب «هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان» فقال عمرو بن العاص وكان أحد الحكمين من جهة معاوية: لا تكتب أمير المؤمنين، وأرسل معاوية أيضاً لعمرو بن العاص يقول: لا تكتب انّ علياً أمير المؤمنين لو علمت أنّه أمير المؤمنين ما قاتلته ... الخ.

وقال الكازروني اليماني: فقال رسول الله (ص) لعلي: ارح رسول الله. قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً. قال: فأرنيه، فأراه فحاه النبي بيده، وأخذ رسول الله الكتاب وليس يحسن

يكتب، فكتب « هذا ما قضى محمد بن عبدالله ».

قال مؤلف الكتاب سعيد بن مسعود الكازروني رزقه الله الإنبابة وجعله من أهل الإصابة: فعلى هذه الرواية هذه معجزة لرسول الله، حيث أنه انكتب ذلك على يده ولم يكن يحسن الخط... الخ.

وقال الزيني دحلان^(١): وجاء في بعض الروايات: ثم أخذ رسول الله (ص) الكتاب بيده فكتب فتمسك بعضهم بظاهره وقال: إن النبي كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب، وجرى على ذلك أبو الوليد الباجي المالكي، فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه وقالوا: إن هذا مخالف للقرآن، فناظرهم واستظهر عليهم بأن هذا لا ينافي القرآن، وهو قوله تعالى ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك﴾ الآية، بأن هذا النفي مقيد بما قبل ورود القرآن وقبل تحقق أميته، أما بعد القرآن وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته (ص) فلا مانع أن يعرف الكتابة من غير معلم معجزة أخرى، ولا يخرج ذلك عن كونه أمياً. وأما الجمهور على أن الروايات التي فيها أخذ الكتاب بيده فكتب فحمولة على المجاز، أي أمر (ص) الكاتب، وقوله «بيده» متعلق بأخذ، وليس متعلقاً بقوله كتب... الخ. وقال الحلبي: ولقي عمر من ذلك الشروط الآتي ذكرها أمراً عظيماً، وجعل يرد على رسول الله (ص) حتى قال له رسول الله: أتني رضيت وتأبى... الخ.

قال ابن كثير^(٢): ثم دعا رسول الله (ص) علي بن أبي طالب فقال: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم». إلى أن قال (ص): اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو، اصطالحا على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغللال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. فتواثبت خزاعة

(١) السيرة النبوية ٤٣ / ٢.

(٢) السيرة النبوية ٣٢٠ / ٣.

فقالوا: نحن في عقد محمد (ص) وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنتك ترجع في عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقت بها ثلاثاً معك السلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها.

قال: فبينما رسول الله (ص) يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، واذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ويرسف المشي (المشي مع القيد) في الحديد قد انفلت إلى رسول الله (ص)، وقد كان أصحاب رسول الله قد خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح لرؤياً رآها رسول الله، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمّل عليه رسول الله (ص) في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه وقال: يا محمد قد لجت القضية (تمت المعاهدة) بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت، فجعل ينتره بتليبيه ويجرّه - يعني يردّه إلى قريش - وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أرددّ إلى المشركين يفتنونني في ديني، فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله (ص): يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، أنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله، وأنا لا نغدر بهم. قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر أبا جندل فأنما هم المشركون وأنما دم أحدهم دم كلب. قال: ويؤدني قائم السيف منه. قال يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه. قال فضنّ الرجل بأبيه ونفذت القضية... الخ.

وقال الكازروني اليماني: فوثب عمر يمشي إلى جنب أبي جندل فقال: اصبر فأنما هم المشركون. إلى أن قال: وكان أصحاب رسول الله قد خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح لرؤياً رآه رسول الله (ص) فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم كادوا يهلكون. إلى أن قال: قال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ... الخ.

وقال الزيني دحلان^(١): فوثب عمر بن الخطاب الى جنب أبي جندل يقول له: اصبر يا أبا جندل فأنما هم مشركون وأنما دم أحدهم كدم الكلب، ويدني له السيف. قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، وجعل يقول: إن الرجل يقتل أباه، والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله. فقال له أبو جندل: ما لك لا تقتله أنت. فقال عمر: نهانا رسول الله (ص) عن قتله وقتل غيره. فقال أبو جندل ما أنت أحق بطاعة رسول الله مني. ثم قال: ولعل عمر ظنّ جواز قتل أبي جندل لأبيه لكونه أراد أن يفتنه عن دينه، وإن قال رسول الله له يا أبا جندل اصبر واحتسب.

أقول: وهذا معنى الاجتهاد في مقابل النص الصريح، وكم كان له من نظير.

ثم قال الزيني دحلان: ثم رجع أبو جندل الى مكة في جوار مُكرز بن حفص وحويطب بن عبدالعزّي، وأدخلاه مكة وكفيا عنه أباه... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): فلما فرغ رسول الله (ص) من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين أبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة ومُكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك، وعلي ابن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة - يعني علياً... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٣): ولما فرغ رسول الله أشهد عليه رجالاً من المسلمين، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد ابن مسلمة، ومن المشركين حويطب بن عبدالعزّي ومُكرز بن حفص، وما تمّ هذا الصلح إلا بعد توقّف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون النبي ويسألونه ألا يوافق على تلك الشروط، لا سيما عمر فإنه أتى النبي (ص) وراجعته كثيراً كما تقدّم، ومن مراجعته أنه قال له: ألسنت نبيّ الله حقاً. قال: بلى. قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل. قال: بلى. قال:

(١) السيرة النبوية ٤٥ / ٢.

(٢) السيرة لابن كثير ٣٢٢ / ٣.

(٣) السيرة النبوية ٤٦ / ٢.

أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار. قال: بلى. قال: فَلِمَ نُعْطِي الدنْيَةَ - أي الحالة الدنيّة - الخسيسية في ديننا - إذا نرجع ولم يحكم الله بيننا. فقال له النبي (ص): أتني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تُحدّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به. قال: بلى! فأخبرتكم أنّا نأتيه هذا العام. قال: لا. قال: فإنك آتية ومطوّف به وكذلك الصحابة، لأنّه (ص) أخبرهم بأنّه رأى أنّهم يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالبيت، ووعدهم بذلك، فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتّى كادوا يهلكون، وشقّ عليهم. قال عمر: لقد دخلني أمر عظيم، وراجعت النبي مراجعة ما راجعته مثلها قط، قال لي أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول، تعوّد بالله من الشيطان الرجيم. وروى البزار عن عمر أنّه قال: إتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أردّ أمر رسول الله برأيي وما آلوت عن الحق، فرضي (ص) وأبيت حتّى قال: يا عمر تراني رضيت وتأبى. وفي رواية قال: يا ابن الخطاب أتني رسول الله ولن يضيّعني الله، فرجع متغيّظاً فلم يصبر حتّى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً.

الى أن قال: ثم إن هذه الرواية مُصرّحة بأنّ إتيانه لأبي بكر كان بعد إتيانه للنبي (ص)، وتقدّمت رواية صحيحة بأنّ ذلك كان قبل إتيانه، ويمكن الجمع بأنّ تلك المراجعة تكرّرت فجاء لأبي بكر وراجعه قبل وبعد... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): فلما فرغوا من الكتاب انطلق سهيل وأصحابه ونحّر رسول الله هديه وحلّق حلقه خراش بن أمية الكعبي، ونحّر أصحابه (ص) حلّق عامتهم وقصّر الآخرون، فقال رسول الله: رحم الله المحلّقين - قالها ثلاثاً. قيل: يا رسول الله والمقصّر بن. قال: والمقصّرين.

وقال ابن هشام^(٢): فلما فرغ من الصلح قام الى هديه فنحّره، ثم جلس فحلّق رأسه. الى أن قال: فلما رأى الناس أنّ رسول الله (ص) قد نحّر وحلّق توابثوا ينحرون ويحلّقون.

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٩٨.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٣٣٣.

قال ابن إسحاق: فحدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: حلق رجال يوم الحُدَيْبِيَّةِ وقَصَّرَ آخرون، فقال رسول الله (ص) يرحم الله المحلِّقين. قالوا: والمقَصِّرين يارسول الله. قال: يرحم المحلِّقين. قالوا: والمقَصِّرين يا رسول الله. قال: يرحم المحلِّقين. قالوا: والمقَصِّرين يا رسول الله. قال: والمقَصِّرين. فقالوا: يا رسول الله فليَمَ ظاهرت الترحيم للمحلِّقين دون المقَصِّرين؟ قال (ص): لم يَشْكُوا.

ثم روى ابن هشام باسناده عن ابن عباس: ان رسول الله (ص) أهدى يوم الحُدَيْبِيَّةِ في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة يعيظ بذلك المشركين.

وقال الزيني دحلان^(١): ولما فرغ رسول الله (ص) من الصلح والاشهاد وتوجه سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب، قام (ص) الى هديه فنحره ومن جملة جمل كان لأبي جهل نجيب مهري غنمه المسلمون منه يوم بدر ثم صار له، وكان يضرب في لقاحه، وفي رأسه برة - أي حلقة من فضة وقيل من ذهب - وإنما أدخله (ص) في الهدى ليكون في ذبحه إغاضة للمشركين، وكان قد فرّ هذا الجمل من الحُدَيْبِيَّةِ ودخل مكة وانتهى الى دار أبي جهل وخرج في أثره عمرو بن غنمة الأنصاري، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة ثياب، فقال رسول الله: لو لا أنا سمّيناه في الهدى فعلنا. وفي لفظ قال لهم سهيل: إن تريدوه فأعرضوا على محمد مائة من الإبل فإن قبلها فأمسكوا هذا الجمل والآ فلا تتعرضوا له، فعرضوا ذلك عليه (ص) فأبى وقال: لو لم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت المائة فردّوه إليه، فنحره وفرّق لحمه ولحم بقية الهدى على الفقراء الذين حضروا الحُدَيْبِيَّةِ. وفي رواية: أنه (ص) بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رجل من أسلم... الخ.

وقال الواقدي^(٢): ونحر رسول الله (ص) الهدى دون المنحر، وأمر رسول الله أصحابه أن يخلقوا، فكره ناس منهم أن يخلقوا رؤوسهم فقالوا: أراك الله يا رسول الله حين أمرك بالحج أنه مدخلك مكة أنت وأصحابك آمنين مُحلِّقين رؤوسكم ومقَصِّرين فنرجع ولم يكن ذلك، وإنما

(١) السيرة لدحلان ٤٧/٢.

(٢) المغازي ٦١٣/٢.

كانت رؤيا رسول الله (ص) للعام المقبل، ففيه أنزل الله ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ ذَلِكَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني خيبر وَعَدَهُ إِيَّاهَا إِذَا رَجَعَ وَأَخْبَرَهُ أَنْ تَمَامَ رُؤْيَاكَ يَا مُحَمَّدُ إِذَا أَخْلَوَا لَكَ مَكَّةَ عَامًا قَابِلًا، ثم أخرج رأسه من القبة وهو مخلوق فقال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ. وقال الذين قَصَّروا: وللمقصرين يا رسول الله. فأعادها رسول الله ثلاث مرَّات كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لِلْمُحَلِّقِينَ، قالوا: للمقصرين يا رسول الله. وقال، في آخر الثلاث: وللمقصرين ... الخ.

وقال الزيني دحلان^(١): فإن قيل: ما الحكمة في كونه وافق سهيلاً على هذه الشروط التي من جملتها أنه لا يأتيه رجل منهم وإن كان على دين الإسلام إلا يرده. فالجواب كما نقله النووي عن العلماء: إن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هي ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي علمها النبي (ص) وخفيت عليهم فحمله ذلك على موافقتهم، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم أمور النبي (ص) كما هي ولا يجتمعون بمن يُعلمهم بها مفصلة، فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاءوا إلى المدينة وجاء المسلمون إلى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحوهم، وسمعوا منهم أحوال النبي (ص) ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعانوا بأنفسهم كثيراً من ذلك فمالت أنفسهم إلى الإيمان حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما، وزاد الآخرون الذين لم يسلموا ميلاً إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قد تمهد لهم الميل، وكانت العرب من غير قريش ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأي، ولأنهم كانوا يقولون: قوم الرجل أعلم به، فلما أسلمت قريش أسلمت العرب، قال الله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ففيه إشارة إلى أنه عند حصول

(١) السيرة النبوية ٢ / ٤٤.

نصر الله نبيّه على أعدائه وفتح مكة يدخل الناس في دين الله جماعات. وكان الأمر كذلك، فجاءه العرب بعد فتح مكة من أقطار الأرض طائعين، وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة كما سيأتي إنشاء الله تعالى. فالله ورسوله أعلم بالحكمة البالغة، فإن صدّ المسلمين عن البيت كان في الظاهر هضماً للمسلمين وفي الباطن عزاً لهم وقوّة، فأذّل الله المشركين من حيث أرادوا العزّ لأنفسهم وقهرهم من حيث أرادوا الغلبة، والله العزّة لرسوله وللمؤمنين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): وأقام رسول الله (ص) بالحديبية بضعة عشر يوماً، ويقال عشرين يوماً، ثم انصرف رسول الله، فلما كانوا بضجنان نزل عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾... الخ.

وقال الطبري^(٢): ثم رجع النبي (ص) الى المدينة، ثم روى عن الزهري أنه قال: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، أمّا كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً فالتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، فلقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر... الخ.

وقال الواقدي: ثم ارتحل رسول الله (ص) راجعاً الى المدينة، فأنزل الله تعالى وهو في الطريق أنه ستفتح لكم خيبر فلا تجعل الغنيمة إلا لمن شهد الحديبية، وأخبره ان ناساً من الأعراب والمخلفين بالمدينة سيريدونك أن يغزو معك ليصيبوا الغنيمة، فأمره الله تعالى أن لا يدعهم يغزون معه، فقال ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُواهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣).

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٩٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٦٣٨.

(٣) سورة الفتح / الآية ١٥.

وأخبره انّ ذلك سَيَسْتَدُّ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ لَيْسَ بِنَا الْغَنِيمَةَ وَهُمْ كَاذِبُونَ، فقال الله تعالى ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ... الخ. وقال العلامة محمد رضا: واختلف الناس في المراد من الفتح، فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب: الفتح هنا فتح الحديبية، وقيل الفتح المراد هو فتح مكة، فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عِدَّةً لَهُ بِفَتْحِهَا، وَعَبَّرَ فِيهِ بِالْمَاضِي لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ. وَنُرْجِحُ أَنَّ الْفَتْحَ الْمَقْصُودَ هُوَ فَتْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ قَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنْهَا، وَهَذَا الْفَتْحُ مَقْدَمَةٌ لِفَتْحِ مَكَّةَ.

وروى الإمام أحمد وأبو داود والحاكم^(١): من حديث مجمع بن جارية الأنصاري الأوسي قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا عنها وجدنا رسول الله (ص) عند كراع الغميم وهو موضع أمام عسفان، وجمع الناس وقرأ عليهم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ فقال رجل: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال: اي والذي نفسي بيده انه الفتح.

وروى موسى بن عقبة والزهري والبيهقي عن عروة بن الزبير قال: أقبل النبي (ص) راجعاً، فقال رجل من أصحابه: ما هذا بفتح، لقد صُددنا عن البيت وصدّ هدينا وردّ رجلين من المؤمنين كانا خرجا إليه. فبلغه قول ذلك الرجل، فقال: بئس الكلام، بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويستلوكم القضيّة ويرغبوا اليكم في الأمان، ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردّكم سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتوح، أنسيتم يوم أحد ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَأَنَا دَعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ﴾ أنسيتم يوم الأحزاب ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ الآية. فقال المسلمون: صدق الله وصدق رسوله هو أعظم الفتوح، والله يا نبي الله ما فكّرنا فيما فكّرت فيه، ولأنت أعلم بالله وأمره منا... الخ.

(١) مسند الإمام أحمد ٣ / ٤٢٠، المستدرک للحاکم النيسابوري ٢ / ٤٥٩.

وقال الزيني دحلان^(١): وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي في قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: لم يكن في الإسلام فتح قبله أعظم منه. الى أن قال: ويدل عليه أنه (ص) خرج في الحُدَيْبِيَّةِ في ألف وأربعمائة، ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة في عشرة آلاف. ومما ظهر من مصلحة الصلح أنه كان مقدّمة بين يدي الفتح الأعظم الذي دخل الناس عقبه في دين الله أفواجا، فكانت قصة الحُدَيْبِيَّةِ مقدّمة الفتح، فسُمِّيت فتحاً اذ مقدّمة الظهور ظهور.

الى أن قال الزيني دحلان: ولما قدم (ص) المدينة هاجرت إليه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل أن يهاجر (ص) ثم خرجت في مدّة الصلح ماشية على قدميها من مكة الى المدينة، وصحبت رجلاً من خزاعة حتّى قدمت المدينة وهي أخت عثمان بن عفان لأمّه. وذكر بعضهم أنّها أول امرأة هاجرت. وفيه نظر، ولما قدمت المدينة دخلت على أم سلمة وأعلمتها أنّها جاءت مهاجرة، وتخوّفت أن يردّها رسول الله (ص) عملاً بالشرط، فلما دخل رسول الله على أم سلمة أعلمته، فرحّب بأم كلثوم، فخرج أخوها عمارة والوليد في ردّها بالعهد، فقالا: يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه. فقالت: يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء الضعف، أفتردّني الى الكفار يفتنونني عن ديني ولا صبر لي، فنزل القرآن بأنّ النساء المؤمنات لا يرجعن وانّ الشرط في الرجال فقط وانّ النساء يمتحنن، قال الله تعالى ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾، فأبى (ص) أن يرجعها إليهم، وكان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة أنّها ما هاجرت ناشزاً ولا هاجرت إلاّ الله ورسوله، فلما رجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشاً بذلك فرضوا، ولم يكن لأم كلثوم زوج بمكة، فلما قدمت المدينة تزوّجها زيد بن حارثة، فكان (ص) في مدّة الصلح يردّ الرجال ولا يردّ النساء بعد امتحانهنّ.

ومنّ جاء من الرجال الى النبي (ص) أبو بصير، وكان مسلماً بمكة، فحبسوه فهرب حتّى

وصل الى المدينة، فكتب في ردهً أزهري بن عبدعوف وقد أسلم بعد ذلك وهو من الطلقاء يوم الفتح والأخنس بن شريق الثقفي كتاباً وبعثاه رجلاً من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق، فقدم على رسول الله (ص) بالكتاب، فقرأه أبي بن كعب على رسول الله فاذا فيه: قد عرفت ما شارطناك عليه من ردّ من قدم عليك من أصحابنا، فابعث إلينا بصاحبنا. فقال رسول الله (ص): يا أبابصير أنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح في ديننا الغدر، وإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. فانطلق الى قومك. فقال: يا رسول الله أتردني الى المشركين يفتنونني في ديني. قال (ص) يا أبابصير انطلق فإنّ الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. فانطلق معها، وصار المسلمون يقولون له: الرجل يكون خيراً من ألف رجل، يريدون بذلك إغراءه على من معه، حتّى إذا كان بذي الحليفة جلس الى جدار ومعه صاحبه فقال أبو بصير لأحد صاحبيه ومعه سيفه: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر. فقال: نعم انظر إليه إن شئت، فاستلّه العامري ثم هزّه وقال: لأضربنّ بسيفي في الأوس والخزرج يوماً الى الليل. فقال أبو بصير: ناولنيه أنظر إليه، فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتّى برد - يعني مات. ثم طلب المولى الذي كان معه يهديه الطريق، فوجده قد خرج سريعاً حتّى أتى رسول الله (ص) وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسول الله والحصى يطنّ من تحت قدميه - في لفظ يطير من تحت قدميه - من شدّة عدوه وأبو بصير في أثره قد أعجزه، فقال (ص): إنّ هذا الرجل قد رأى فرجاً، وفي رواية ذعراً، فلما انتهى الى رسول الله وهو جالس في المسجد قال له: ويحك. قال: قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكذب أنّي لمقتول، واستغاث برسول الله فأمنه، فاذا أبو بصير أناخ بعير العامري بباب المسجد ودخل متوشحاً بالسيف وقال: يا رسول الله وفت ذمّتك وأدّى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه. فقال: اذهب حيث شئت. فقال: يا رسول الله هذا سلب العامري الذي قتلته رحلته وسيفه فخمسه. فقال رسول الله: إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك. وعند ذلك ذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام يمرّ به ذووا الميرة، واجتمع إليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا

بمكة، فكانوا يتسللون إليه، وانقلب أبو جندل ابن سهيل بن عمرو الذي ردّه (ص) يوم الحديبية، وخرج من مكة في سبعين راكباً أسلموا، فلحقوا بأبي بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله (ص) في مدة الهدنة خوفاً من أن يردّهم الى أهلهم، وانضمّ إليهم ناس من غفار وأسلم وجُهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل، فقطعوا مارة قريش، لا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمرّ بهم غير الا أخذوها، حتى كتبت قريش له (ص) تسأله بالأرحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم.

وفي رواية: ان قريشاً أرسلت أبا سفيان بن حرب في ذلك، وان قريشاً أسقطت هذا الشرط وقالت: ان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح اقراره. فكتب رسول الله (ص) الى أبي جندل وأبي بصير أن يقدموا عليه، وان من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهلهم، ولا يتعرضوا لأحد مرّ بهم من قريش ولا لغيرهم. فقدم كتاب رسول الله (ص) عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له، فمات وكتب رسول الله في يده يقرأه، فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً، وقدم أبو جندل على رسول الله مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهلهم، وآمنت قريش على غيرهم، وتحقق قول النبي (ص): سيجعل الله لأبي جندل وأصحابه فرجاً ومخرجاً. وعلم أصحاب رسول الله (ص) الذين صعب عليهم ردّ أبي جندل الى قريش مع سهيل بن عمرو ان طاعة رسول الله (ص) خير مما أحبّوه، وان رأيه أفضل من رأيهم، وعلموا بعد ذلك ان المصلحة كانت أولى لهم كما تقدّم بيان ذلك، انتهى.

وقال الحلبي^(١): وعن بعضهم - أي وهو أبو بكر - انه كان يقول: ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية، ولكن الناس قصر رأيهم عمّا كان بين محمد وربّه، والعباد يُعجلون والله لا يُعجل لعجلة العباد، حتى تبلغ الأمور ما أراد، لقد رأيت سهيل بن عمرو بعد إسلامه في حجة الوداع قائماً عند المنحر يقرب لرسول الله بدنةً ورسول الله ينحرها بيده، ودعا الحلاق

لحلق رأسه، فأنظر الى سهيل كلما يلفظ من شعره (ص) يضعه على عينيه، وأذكر امتناعه أن يقرّ يوم الحديبية بأن يكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» وأن «محمدًا رسول الله»، فحمدت الله وشكرته الذي هداه للإسلام.

وقال الحلبي أيضاً: وذكر بعضهم أنه (ص) لما دخل مكة عام القضيّة وحلق رأسه قال: هذا الذي وعدتكم، فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال: ادعوا لي عمر بن الخطاب. فقال: هذا الذي قلت لكم، ولما كان في حجة الوداع ووقف (ص) بعرفة فقال لعمر بن الخطاب: هذا الذي قلت لكم... الخ.

وقال ابن كثير^(١): قال البخاري: حدّثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أنّ رسول الله (ص) كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه فقال (ص): ثكلتك أمك يا عمر نزلت رسول الله ثلاث مرّات كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحرّكت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيّ قرآن، فانشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي. قال: فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن، فجئت رسول الله فسلمت عليه فقال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرّم وولى تلك الحجة المشركون... الخ.

بعض وقائع سنة الست من الهجرة

قال ابن كثير^(٣): وفي هذه السنة - أعني سنة ست من الهجرة - نزل فرض الحج كما قرّره

(١) السيرة لابن كثير ٣/ ٣٣٧.

(٢) السيرة لابن هشام ٣/ ٣٤٢.

(٣) السيرة النبوية ٣/ ٣٤٢.

الشافعي زمن الحديبية في قوله تعالى ﴿ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ولهذا ذهب الى ان الحج على التراخي لا على الفور، لانه (ص) لم يحج إلا في سنة عشر، وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد، فعندهم ان الحج يجب على كل من استطاعه على الفور، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى ﴿ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ وإنما في هذه الآية الأمر بالانتهاء بعد الشروع فقط، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية.

ثم قال: وفي هذه السنة حرمت المسلمات على المشركين تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منّا أحد وإن كان على دينك إلا رددته علينا، فنزل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ الى قوله ﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حُلُّهُنَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ الآية.

الى أن قال: قال الواقدي: وفيها في ذي الحجة منها بعث رسول الله (ص) ستة نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية، وشجاع بن وهب الى الحارث بن أبي شمر الغساني يعني ملك عرب النصارى، ودحية بن الخليفة الكلبي الى قيصر وهو هرقل ملك الروم، وعبدالله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك الفرس، وسليط بن عمرو العامري الى هوزة بن علي الحنفي، وعمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك النصارى بالحبشة ... الخ.

وقال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة اتّخذ رسول الله (ص) الخاتم، وذلك أنه قيل ان الملوك لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً.

وفي هذه السنة بعث رسول الله (ص) ستة نفر مصطحبين ... الخ.

وقال العلامة محمد رضا: قيل لرسول الله (ص) عندما أراد إرسال كتبه الى الملوك يدعوهم فيها الى الإسلام: أنهم لا يقرؤون الكتاب إلا مختوماً، فاتّخذ خاتماً من فضة، وكان لنقشه ثلاثة أسطر «محمد رسول الله والأسطر الثلاثة تُقرأ من أسفل الى فوق، فمحمد آخر الأسطر رسول في الوسط والله فوق، وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء إذا ختم به، وكان ذلك الخاتم في يده (ص) ... الخ.

سفر النبي الى الملوك والقادة

قال الطبري^(١): وفيها بعث رسول الله الرسل، فبعث في ذي الحجة ستة نفر ثلاثة مصطحين حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس وشجاع بن وهب الى الحارث بن أبي شمر الغساني ودحية بن خليفة الكلبي الى قيصر.

الى أن قال: وأما ابن إسحاق فإنه فيما زعم قال: كان رسول الله (ص) قد فرّق رجالاً الى ملوك العرب والعجم دعاءً الى الله عزّ وجلّ فيما بين الحديبية ووفاته. الى أن قال: قال ابن إسحاق: ثم فرّق رسول الله (ص) بين أصحابه، فبعث سليط بن عمرو الى هوزة بن علي (صاحب اليمامة)، وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوي أخي بني عبدالقيس صاحب البحرين، وعمرو بن العاص الى جيفر بن جلندا وعباد بن جلندا الأزديين صاحبي عمان، وبعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية، فأدّى إليه كتاب رسول الله (ص) وأهدى المقوقس الى رسول الله أربع جوار منهنّ مارية أم إبراهيم ابن رسول الله، وبعث رسول الله (ص) دحية بن خليفة الكلبي ثم الخزرجي الى قيصر وهو هرقل ملك الروم، فلما أتاه كتاب رسول الله (ص) نظر فيه ثم جعله بين فخذه وخاصرته.

ثم قال الطبري: حدّثنا أبي حميد، قال حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس قال: حدّثني أبو سفيان بن حرب قال: كُنّا قوماً تجّاراً، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتّى نهكت أموالنا، فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله. ثم قال: خرجت في نفر من قريش تجّاراً الى الشام، وكان وجه متجرنا منها غزّة، فقدمناها حين ظهور هرقل على من كان بأرضه من فارس وأخرجهم منها وانتزع له منهم صليبه الأعمم، وكانوا قد استلبوه إيّاه، فلما بلغ ذلك منهم وبلغه أنّ صليبه قد استنقذ له وكانت حمص منزله خرج منها يمشي على قدميه متشكراً لله

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٦٤٤ - ٦٥١.

حين ردّ عليه ما ردّ ليصليّ عند بيت المقدس تبسط له البُسط وتلقى عليه الرياحين، فلما انتهى الى ايليا وقضى فيها صلاته ومعه بطارقه وأشراف الروم، أصبح ذات غداة مهموماً يقلّب طرفه الى السماء، فقال له بطارقه: والله لقد أصبحت أيها الملك الغداة مهموماً. قال: أجل أريتُ في هذه الليلة انّ ملك الخِتان ظاهر. قالوا له: أيها الملك ما نعلم أمة تختن إلا يهود، وهم في سلطانك وتحت يدك، فابعث الى كل من لك عليه سلطان في بلادك فمره فليضرب أعناق كل من تحت يديه من يهود واسترح من هذا الهمّ، فوالله أنّهم لفي ذلك من رأيهم يُديرونه إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده، وكانت الملوك تهادي الأخبار بينها، فقال: أيها الملك انّ هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يُحدّث عن أمر حدث ببلاده عجب فسّله عنه. فلما انتهى به الى هرقل رسول صاحب بصرى قال هرقل لترجمانه: سلّه ما كان هذا الحدث الذي كان ببلاده. فسأله فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنّه نبي قد اتبعه ناس وصدّقوه وخالفه ناس، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة فتركهم على ذلك. قال: فلما أخبر الخبر قال: جرّدوه، فجرّدوه فاذا هو مختون، فقال هرقل: هذا والله الذي أريتُ لا ما تقولون، أعطوه ثوبه، انطلق عتاً. ثم دعا صاحب شرطته فقال له: قلب لي الشام ظهراً وبطناً حتّى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل - يعني النبي - قال أبو سفيان: فوالله أنا لبغزة إذ هجم علينا صاحب شرطته فقال: أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز. قلنا: نعم. قال: انطلقوا بنا الى الملك. فانطلقنا معه، فلما انتهينا إليه قال: أنتم من رهط هذا الرجل. قلنا: نعم. قال: فأيتكم أمسّ به رحماً. قلت: أنا. قال أبو سفيان: وأيم الله ما رأيت من رجل أرى أنّه كان أنكر من ذلك الأغلف - يعني هرقل - فقال: أدنه، فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي، ثم قال: أتّي سائله فإن كذب فردّوا عليه، فوالله لو كذبت ما ردّوا عليّ ولكني كنت امراً سيّداً أتكرّم عن الكذب، وعرفت انّ أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتّه أن يحفظوا ذلك عليّ ثم يُحدّثوا به عني، فلم أكذبه، فقال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدّعي ما يدّعي. قال: فجعلت أزهد له شأنه وأصغر له أمره وأقول له: أيها الملك ما يُحكّك من أمره، انّ شأنه دون ما يبلغك. فجعل لا يلتفت الى ذلك ثم قال: انبثني عمّا أسألك عنه من شأنه. قلت: سل

عما بدالك . قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : محض أوسطنا نسباً . قال : أخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبه به . قلت : لا . قال : فهل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه . قلت : لا . قال : فأخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرني عن تبعه أيحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه . قلت : قلت ما تبعه رجل ففارقه . قال : فأخبرني هل يغدر ؟ - فلم نجد شيئاً مما سألتني عنه أغمره فيه غيرها - قلت : لا ونحن منه في هدنة ولا نأمن غدره . قال : فوالله ما التفت إليهما مني ، ثم كرّ عليّ الحديث قال : سألتك كيف نسبه فيكم ، فزعمت أنه محض من أوسطكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً ، وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به ، فزعمت أن لا ، وسألتك هل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه ، فزعمت أن لا ، وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ، فزعمت أن لا يتبعه أحد فيفارقه ، وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلباً فتخرج منه ، وسألتك هل يغدر ؟ فزعمت أن لا ، فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبني على ماتحت قدمي هاتين ، ولوددت اني عنده فأغسل قدميه ، انطلق لشأنك . قال : فقامت من عنده وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول : أي عباد الله لقد أمر أمر بن أبي كبشة (أي عظم أمره قيل كان أبو كبشة جدّ لآمنة أم النبي (ص)) ، أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام .

قال : وقدم عليه كتاب رسول الله (ص) مع دحية بن الخليفة الكلبي «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن تتولّ فانّ إثم الأكارين (الفلاحين يعني من اتبعك) عليك» .

الى أن قال : حدّثنا ابن حميد ، قال حدّثنا سلمة ، قال حدّثني ابن إسحاق ، قال : قال ابن

شهاب الزهري: حدثني أسقف للنصارى أدركته في زمان عبد الملك بن مروان أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله (ص) وأمر هرقل وعقله، قال: فلما قدم عليه كتاب رسول الله مع دحية بن خليفة أخذه هرقل فجعله بين فخذه وخاصرته، ثم كتب الى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرؤونه يذكر له أمره ويصف له شأنه ويخبره بما جاء منه، فكتب إليه صاحب رومية أنه للنبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه، واتبعه وصدقه، فأمر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له في دسكرة وأمر بها فأشرجت (أغلقت) أبوابها عليهم، ثم اطلع عليهم من عليّة له وخافهم على نفسه وقال: يا معشر الروم اني قد جمعتمكم لخير، انه قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني الى دينه، وأنه والله للنبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، فهلّموا فلنّتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا. قال: فنخروا نخرة رجل واحد، ثم ابعدوا أبواب الدسكرة ليخرجوا منها فوجدوها قد أغلقت، فقال: كروهم عليّ (يعني ردّوهم عليّ)، وخافهم على نفسه فقال: يا معشر الروم اني قد قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الذي قد حدث، وقد رأيت منكم الذي أسرّ به، فوقعوا له سُجّداً وأمر بأبواب الدسكرة ففتحت لهم فانطلقوا.

ثم قال: وحدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، قال حدثنا محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم: ان هرقل قال لدحية بن الخليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله: ويحك، والله اني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل وأنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب الى ضغاطر الأسقف فاذا ذكر له أمر صاحبكم، فهو والله أعظم في الروم مني وأجوز قولاً عندهم مني، فانظر ما يقول لك. قال: فجاءه دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله (ص) الى هرقل وبما يدعو به إليه، فقال ضغاطر: صاحبك والله نبي مرسل، نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه. ثم دخل فالتقى ثياباً عليه سوداً ولبس ثياباً بيضاء، ثم أخذ عصاه فخرج على الروم وهم في الكنيسة، فقال: يا معشر الروم انه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا الى الله عزّ وجلّ، وانّي أشهد أن لا إله إلا الله وانّ أحمد عبده ورسوله. قال: فوثبوا عليه وثبة رجل واحد، فضربوه حتى قتلوه، فلما رجع دحية الى هرقل فأخبره

الخبر قال: قد قلت لك أنا نخافهم على أنفسنا، فضغاطر والله كان أعظم عندهم وأجوز قولاً مني... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): وقال قيصر للروم: هلموا نعطيهِ الجزية، فأبوا فقال: نعطيهِ أرض سورية الشام ونصالحه، فأبوا واستدعا هرقل أباسفیان وكان تاجراً الى الشام في الهدنة... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): قالوا وبعث رسول الله (ص) دحية بن خليفة الكلبي - وهو أحد الستة - الى قيصر يدعوهُ الى الإسلام، وكتب معه كتاباً وأمره أن يدفعه الى عظيم بصرى ليدفعه الى قيصر، فدفعه عظيم بصرى وهو بجمص وقيصر يومئذ ماش في نذر كان عليه إن ظهرت الروم على فارس أن يمشي حافياً من قسطنطينية الى ايلياء، فقرأ الكتاب وأذن لعظماء الروم في دسكرة له بجمص، فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم؟ قالت الروم: وما ذاك أيها الملك. قال: تتبعون هذا النبي العربي. فحاصوا حَيضة حُمُر الوحش وتناخروا ورفعوا الصليب، فلما رأى هرقل ذلك منهم يشس من إسلامهم وخافهم على نفسه وملكه، فسكنهم ثم قال: إنما قلت لكم ما قلت اختبركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحب. فسجدوا له، انتهى.

قال الطبري^(٣): قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله (ص) شجاع بن وهب أخا بني أسد وابن خزيمية الى المنذر بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق. وقال محمد بن عمر الواقدي: وكتب إليه معه «سلام على من اتبع الهدى وآمن به، اني أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك مُلكك» فقدم به شجاع بن وهب فقرأه عليهم، فقال: مَنْ ينزع مني مُلكي أنا سائر إليه. قال النبي (ص): باد ملكه، انتهى.

(١) الكامل ٢ / ٢١١.

(٢) الطبقات الكبرى ١ / ٢٥٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٦٥٢.

وقال ابن الأثير^(١): وأما الحارث بن أبي شمر الغساني فأتاه كتاب رسول الله مع شجاع بن وهب، فلما قرأه عليهم. قال: مَنْ يَنْزِعُ مِنِّي مُلْكِي ... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): قالوا بعث رسول الله (ص) شجاع بن وهب الأسدي - وهو أحد الستة - إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوهُ إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً. قال شجاع: فأتيت إليه وهو بغوطة دمشق، وهو مشغول بتهيئة الأنزال والالطاف لقيصر، وهو جاء من حمص إلى إيليا، فأقمت على بابهِ يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: انِّي رسول رسول الله إليه. فقال: لا تصل إليه حتَّى يخرج يوم كذا وكذا، وجعل حاجبه وكان روميّاً اسمه (مُرى) يسألني عن رسول الله (ص)، فكنت أحدثه عن صفة رسول الله وما يدعو إليه فيرقّ حتَّى يغلبه البكاء وقال: انِّي قد قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه، فأنا أومن به وأصدقه وأخاف من الحارث أن يقتلني، وكان يكرمني ويحسن ضيافتي، وخرج الحارث يوماً فجلس ووضع التاج على رأسه، فأذن لي عليه، فدفعت كتاب رسول الله (ص) فقرأه ثم رمى به وقال: مَنْ يَنْزِعُ مِنِّي مُلْكِي، أنا سائر إليه ولو كان باليمن جثته، عليّ بالناس. فلم يزل يفرض حتَّى قام وأمر بالخيل تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك ما ترى. وكتب إلى قيصر يخبره بخبري وما عزم عليه، فكتب إليه قيصر: ألا تسير إليه واله عنه ووافني بإيلياء، فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ فقلت: غداً، فأمر لي بمائة مثقال ذهب ووصلني مُرى وأمر لي بنفقة وكسوة وقال: اقرء على رسول الله منِّي السلام، فقدمت على النبي (ص) فأخبرته فقال: باد مُلكه (أي هلك) وأقرأته من مُرى السلام وأخبرته بما قال، فقال رسول الله: صدق ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح.

قالوا: وكان فروة بن عمرو الجذامي عاملاً لقيصر على عمان من أرض البلقاء، فلم يكتب إليه رسول الله (ص) فأسلم فروة وكتب إلى رسول الله بإسلامه وأهدى له، وبعث رسولاً من قومه يقال له مسعود بن سعد، فقرأ رسول الله (ص) كتابه وقبل هديته وكتب إليه جواب

(١) الكامل ٢/٢١٣.

(٢) الطبقات الكبرى ١/٢٦١.

كتابه وأجاز مسعوداً باثنتي عشرة أوقية ونش يعني النصف (وذلك خمسمائة درهم)، انتهى.
قال الطبري^(١): حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، قال حدثنا ابن إسحاق، قال: بعث رسول الله (ص) عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله الى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلم (أي أنت سالم) أنت فاني أحمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيم، وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحضية فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، واني أدعوك الى الله لا شريك له والموالة على طاعته، وأن تتبني وتؤمن بالذي جاني فاني رسول الله، وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرًا ونفراً معه من المسلمين، فاذا جاءك فاقرهم ودع التجبر، فاني أدعوك وجنودك الى الله، فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى» فكتب النجاشي الى رسول الله «بسم الله الرحمن الرحيم. الى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم ابن أبحر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني الى الإسلام. أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرت تُفروقاً أنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به الينا، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مُصدقاً، وقد بايعتك وبايعتُ ابن عمك وأسلمتُ على يديه الله رب العالمين، وقد بعثت اليك بابني فاني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت آتيك فعلت يا رسول الله، فاني أشهد ان ما تقول حق. والسلام عليك يا رسول الله»... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): وأما النجاشي فإنه لما جاء كتاب النبي (ص) آمن به واتبعه وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب وأرسل إليه ابنه في ستين من الحبشة ففرقوا في البحر، وأرسل إليه رسول الله (ص) ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرةً بالحبشة مع زوجها

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٥٢.

(٢) الكامل ٢/٢١٣.

عبيد الله بن جحش فتنصر وتوفي بالحبشة، فخطبها النجاشي الى رسول الله فأجابت وزوجها وأصدقها النجاشي أربعمئة دينار، فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله أم حبيبة قال: ذاك الفحل لا يقدح أنفه (هذه كناية بمعنى أنه (ص) كفو كريم)، انتهى.

وقال محمد بن سعد^(١): فكان أول رسول بعثه رسول الله (ص) عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي، وكتب إليه كتابين يدعو في أحدهما الى الإسلام ويتلو عليه القرآن، فأخذ كتاب رسول الله فوضعه على عينيه ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال: لو كنت أستطيع أن آتية لأتيته، وكتب الى رسول الله (ص) باجابته وتصديقه وإسلامه لله رب العالمين على يدي جعفر بن أبي طالب. وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت قد هاجرت الى أرض الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي فتنصر هناك ومات وأمره رسول الله (ص) في الكتاب أن يبعث إليه بمن قبله من أصحابه ويحملهم، ففعل فزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وأصدق عنه أربعمئة دينار وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري، ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله (ص) وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها، انتهى.

وقال الطبري^(٢): حدثنا ابن حميد، قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد ابن حبيب قال: وبعث (ص) عبدالله بن حذافة بن قيس الى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب معه «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس» فلما قرأه مزقه وقال: يكتب اليّ هذا وهو عبدي.

(١) الطبقات الكبرى ١ / ٢٥٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٦٥٤.

الى أن قال: ثم كتب كسرى الى باذان وهو على اليمن أن ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدتين فليأتياي به، فبعث باذان قهرمانه وهو بابويه وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخرسة، وكتب معهما الى رسول الله يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى، وقال لبابويه: ائت بلد هذا الرجل وكلمه وأتني بخبره. فخرجا حتى قدما الطائف، فوجدا رجلاً من قريش فسألاهم عنه فقالوا: هو بالمدينة، واستبشروا بهما وفرحوا، وقال بعضهم لبعض: ابشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل. فخرجا حتى قدما على رسول الله (ص) فكلّمه بابويه فقال: انّ شاهانشاه ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك، وقد بعثني اليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتب فيك الى ملك الملوك ينفعك ويكفّ عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرّب بلادك. ودخلا على رسول الله (ص) وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما، ثم أقبل عليهما فقال: ويلكّما من أمركما بهذا. قالوا: أمرنا بهذا ربنا يعنينا كسرى. فقال رسول الله: لكن ربّي قد أمرني بإعفاء لحيتي وقص شواربي. ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتياني غداً، وأتى رسول الله (ص) الخبر من السماء انّ الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا.

ثم قال: قال الواقدي: قتل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة سبع لستّ ساعات مضت منها.

وقال ابن الأثير^(١): وأمّا كسرى فجاءه كتاب رسول الله (ص) مع عبدالله بن حذافة، فزق الكتاب، فقال رسول الله (ص): مزّق ملكه، وكان كتابه «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتّبع الهدى... الخ.

ثم قال: فلما قرأه شقّه قال: يكتب إليّ بهذا وهو عبدي، ثم كتب الى باذان وهو باليمن. الى أن قال: فخرجا حتى قدما على رسول الله (ص) وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره

النظر إليهما وقال: ويلكُما من أمركما بهذا. قالوا: ربنا - يعنيان الملك - فقال: لكن ربّي أمرني أن أعفي عن لحيّتي وأقصّ شاربي، فأعلماه بما قدما له. إلى أن قال: فقال لهما رسول الله (ص): ارجعا حتّى تأتياي غداً، وأتى رسول الله الخبر من السماء أن الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وليلة كذا، فدعاها رسول الله وأخبرهما بقتل كسرى وقال لهما: قولاً له أن ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى وينتهي منتهى الخفّ والحافر، وأمرهما أن يقولوا لبازان أسلم، فإن أسلم أقرّه على ما تحت يده وأملكه على قومه، ثم أعطى خرخرسة منطقة ذهب وفضّة أهداها له بعض الملوك، وخرجا فقدا على باذان وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا كلام ملك، واتي لأراه نبياً، ولننظرنّ فإن كان ما قال حقاً فإنه لنبيّ مرسل، وإن لم يكن فمريّ فيه رأينا. فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى وأنه قتله غضباً للفرس لما استحلّ من قتل أشرافهم، ويأمره بأخذ الطاعة له باليمنى وبالکفّ عن النبي. فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه أبناء من فارس، وكانت حمير تسمى خرخرسة صاحب المعجزة والمعجزة بلغة حمير المنطقة، انتهى.

وقال محمد بن سعد^(١): قالوا وبعث رسول الله (ص) عبدالله بن حذافة السهمي وهو أحد الستّة إلى كسرى يدعوّه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً. قال عبدالله: فدفعته إليه كتاب رسول الله، فقرأه عليه ثم أخذه فمزّقه، فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك قال: مُزّق ملكه. وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن: أن ابعث من عندك رجلين جَلّدين إلى هذا الرجل فليأتياي بخبره، فبعث باذان قهرمانه ورجلاً آخر، وكتب معها كتاباً، فقدا المدينة فدفعها كتاب باذان إلى النبي (ص) فتبسّم رسول الله ودعاها إلى الإسلام وفرائصها تُرعد وقال: ارجعا عني يومكما هذا حتّى تأتياي الغد فأخبركما بما أريد. فجاءاه من الغد فقال لهما: أبلغا صاحبكما أن ربّي قد قتل ربّه كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع... الخ.

وقال ابن كثير^(١): وروى البخاري من حديث الليث عن يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس: ان رسول الله (ص) بعث بكتابه مع رجل الى كسرى وأمره أن يدفعه الى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين الى كسرى، فلما قرأه كسرى مزقه. قال: فحسبت ان ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله (ص) أن يُمزقوا كل ممزق... الخ. وقال الزيني دحلان^(٢): وفي رواية مزق الله ملكه، وفي رواية: اللهم مزق ملكه كل ممزق... الخ.

وقال الحلبي والزيبي دحلان^(٣): والعبارة له في السيرة النبوية: وكتب كسرى الى أمير له باليمن يقال له باذان: أنه بلغني ان رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي، فسر إليه فاستتبه فإن تاب والآ فابعث إلي برأسه، يكتب إلي بهذا الكتاب - أي الذي بدأ فيه بنفسه وهو عبدي. الى أن قال: وكانا على زي الفرس من حلق لحاهم وإعفاء شواربهم، فكره (ص) النظر إليهما ثم قال لهما: ويلكما من أمركما بهذا؟ قالا: أمرنا ربنا... الخ.

وروى ابن كثير^(٤) باسناده عن عبدالرحمن بن عبدالله القاري: ان رسول الله (ص) قام ذات يوم على المنبر خطيباً، فحمد الله وأثنى وتشهد، ثم قال: أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم الى ملوك الأعاجم، فلا تختلفوا عليّ كما اختلف بنو اسرائيل على عيسى بن مريم. فقال المهاجرون: يا رسول الله انا لا نختلف عليك في شيء أبداً فرنا وابعثنا، فبعث شجاع بن وهب الى كسرى، فأمر كسرى بإيوانه أن يُزَيّن، ثم أذن لعظماء فارس، ثم أذن لشجاع بن وهب، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله (ص) أن يقبض منه، فقال شجاع بن وهب: لا. حتى ادفعه أنا اليك كما أمرني رسول الله. فقال كسرى: أدنه، فدنا فناوله الكتاب، ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فاذا فيه «من محمد بن عبدالله ورسوله الى كسرى عظيم

(١) السيرة لابن كثير ٣/٥٠٧.

(٢) السيرة لدحلان ٢/١٧١.

(٣) السيرة الحلبية ٣/٢٤٧.

(٤) السيرة لابن كثير ٢/٥٠٧.

فارس». قال: فأغضبه حين بدأ رسول الله بنفسه، وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، وأمر بشجاع بن وهب فأخرج، فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار، ثم قال: والله ما أبالي على أي الطريقين أكون إذا أدّيت كتاب رسول الله. قال: ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث الى شجاع ليدخل عليه فالتمس فلم يُوجد، فطلب الى الحيرة فسبق، فلما قدم شجاع على رسول الله (ص) أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله، فقال رسول الله (ص): مزق كسرى ملكه.

ثم قال: وقال ابن جرير - يعني الطبري - ثم نقل ما رواه الطبري كما تقدّم، انتهى.
وقال الحلبي^(١): والزيني دحلان^(٢): والعبارة له في السيرة النبوية: وعن جابر بن سمرة أنه (ص) قال: لتفتحنّ عصابة من المسلمين أو من المؤمنين أو رهط من أمّتي كنوز كسرى التي في القصر الأبيض، فكنت أنا وأبي فيهم، وأصبنا من ذلك ألف درهم، وقدم على باذان كتاب شيرويه فيه «أمّا بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتل إلا غضباً لفارس فإنه قتل أشرافهم فتفرق الناس، فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممّن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعه حتى يأتيك أمري فيه» فبعث باذان بإسلامه وإسلام من معه الى رسول الله (ص)، ثم ملك الله المسلمين ملك كسرى وخزائنهم وأموالهم في خلافة عمر، ومزقهم الله كل ممزق تحقيقاً لدعوته، انتهى.

وروى الحلبي^(٣): وابن كثير^(٤): والعبارة له في التاريخ: وقيل له - يعني النبي - أنه قد استخلف ابنته يعني كسرى، فقال (ص) لا يفلح قوم تملكهم امرأة.

ثم قال ابن كثير: قال البيهقي: وروى في حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله (ص) رُسل كسرى، وذلك ان كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء

(١) السيرة الحلبية ٣/٢٤٧.

(٢) السيرة لدحلان ٢/١٧٢.

(٣) السيرة الحلبية ٣/٢٤٨.

(٤) السيرة لابن كثير ٣/٥١١.

ويقول له: ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني الى دينه لتكفينته أو لأفعلن بك... الخ.

ثم قال ابن كثير: قال الشافعي: ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله (ص) مزقه، فقال رسول الله: يمزق ملكه، وحفظنا ان قيصر أكرم كتاب رسول الله (ص) ووضعه في مسك، فقال رسول الله: ثبت ملكه، انتهى.

قال ابن الأثير^(١): وأما هوزة بن علي فكان ملك اليمامة، فلما أتاه سليط بن عمرو يدعوه الى الإسلام وكان نصرانياً، أرسل الى النبي (ص) وفداً فيهم مجاعة بن مرارة والرجال بن عنقوة يقول له: إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره، والآ قصد حربيه. فقال رسول الله (ص): لا ولا كرامة، اللهم اكفنيه. فمات عن قليل. انتهى.

وقال محمد بن سعد^(٢): قالوا بعث رسول الله (ص) سليط بن عمرو العامري وهو أحد الستة الى هوزة بن علي الحنفي يدعوه الى الإسلام، وكتب معه كتاباً، فقدم عليه وأنزله وحيّاه وقرأ كتاب النبي (ص) وردّ رداً دون ردّ، وكتب الى النبي: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك. وأجاز سليط ابن عمر بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبي (ص) وأخبره عنه بما قال وقرأ كتابه وقال: لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه، فلما انصرف من عام الفتح جاء جبرئيل فأخبره أنه مات، انتهى.

وقال الحلبي^(٣): وكان هوزة بن علي يختلف الى اليمامة، وبعث معه كتاباً فيه «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله الى هوزة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر - أي حيث تقطع الإبل والخيل - فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك». فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله محتوماً أنزله وحيّاه. الى أن قال:

(١) الكامل ٢/ ٢١٥.

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٦٢.

(٣) السيرة الحلبية ٣/ ٢٥٤.

وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هَجَرَ، فقدم بذلك كله على النبي (ص) فأخبره خبره، وقرأ النبي كتابه وقال: لو سألتني سيابة - أي قطعة من الأرض - ما فعلت باد وباد ما في يديه. إلى أن قال: وكان سنّ هودّة مائة وخمسين سنة، ويُذكر أنّ هودّة كان عنده عظيم من عظماء النصارى حين قال للنبي (ص) ما قال، فقال له: لم لا تجيبه. قال: أنا ملك قومي ولئن أتبعه لم أملك، فقال: بلى والله لئن أتبعته ليملكنك، وإنّ الخيرة لك في اتّباعه، وإنّ النبي العربي الذي بشر به عيسى بن مريم، وإنّ لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله.

ثم قال: وذكر السهيلي أنّ سليطاً قال له: يا هودّة إنّ سؤدتك أعظم حائلة (أي بالية) وأرواح في النار يعني كسرى، لأنّه الذي كان توجّه، وأنّما السيّد من متّع بالإيمان ثم تزوّد بالتقوى، وإنّ قوماً سعدوا برأيك فلا يشقون به، وأنا أمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شرّ منهيّ عنه، أمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان، فإنّ في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار، فإن قبلت نلت ما رجوت وآمنت ما خفت، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهو المطلع. فقال هودّة: يا سليط سؤدني من لو سؤدك تشرفت به، وقد كان لي رأيّ اخترت به الأمور فقُدته، فاجعل لي فسحة أرجع إلى رأيّ فأجيبك به انشاء الله تعالى، انتهى.

وقال ابن الأثير^(١): وأمّا المنذر بن ساوي والي البحرين فلما أتاه العلاء بن الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية، وكانت ولاية البحرين للفرس، فأسلم المنذر بن ساوي وأسلم جميع العرب بالبحرين، فأما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فأنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كل حالم - يعني بالغ - دينار، ولم يكن بالبحرين قتال، أمّا بعضهم أسلم وبعضهم صالح... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): قالوا وبعث رسول الله (ص) منصرفه من الجعرانة العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي وهو بالبحرين يدعوه إلى الإسلام، وكتب إليه كتاباً، فكتب إلى رسول الله (ص) بإسلامه وتصديقه وقال: أتيت قرأت كتابك على أهل هَجَرَ، فمنهم

(١) الكامل ٢/٢١٥.

(٢) الطبقات الكبرى ١/٢٦٢.

من أحبّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إليّ في ذلك أمرك. فكتب إليه رسول الله (ص): أنك مهما تصلح فلن نزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية. وكتب رسول الله (ص) الى مجوس هَجَرَ يعرض عليهم الإسلام، فإن أبوا أخذت منهم الجزية، وبأن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم. وكان رسول الله (ص) بعث أبا هريرة مع العلاء بن الحضرمي وأوصاه به خيراً، وكتب رسول الله للعلاء فرائض الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال، فقرأ العلاء كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم، انتهى.

قال محمد بن سعد: قالوا وبعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان الى جيفر وعبدِ ابني الجلندي وهما من الأزدي والملك منها جيفر يدعوها الى الإسلام، وكتب معه إليهما كتاباً وختم الكتاب... الخ.

وقال الحلبي^(١): وبعث معه كتاباً فيه «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله الى جيفر وعبدِ ابني الجلندي، سلام على من أتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما، إني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين، وانكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرّا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحلّ - أي تنزل - بساحتكما وتظهر نبوّتي على ملككما» وختم رسول الله الكتاب. قال عمرو: ثم خرجت حتى انتهيت الى عُمان - بضمّ العين المهملة وتخفيف الميم بلدة من بلاد اليمن - فعمدت الى عبدِ وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقاً، فقلت: إني رسول رسول الله (ص) اليك والى أخيك فقال: أخي المقدم عليّ بالسن والملك وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك. ثم قال: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعوك الى الله وحده وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: يا عمرو أنك ابن سيّد قومك فكيف صنع أبوك - يعني العاص بن وائل - فإن لنا فيه قُدوةً. قلت: مات ولم يؤمن بمحمد وودت له لو كان آمن وصدّق به، وقد كنت قبل على

(١) السيرة الحلبيّة ٣ / ٢٥٢.

رأيه حتى هداني الله للإسلام. قال: فمتى تبعته. قلت: قريباً، فسألني أين كان إسلامي. فقلت: عند النجاشي، وأخبرته انّ النجاشي قد أسلم. قال: فكيف صنع قومه بملكه. قلت: أقرّوه واتّبعوه. قال: والأساقفة أي رؤساء النصرانية والرهبان. قلت: نعم. قال: انظر يا عمرو ما تقول، انه ليس خصلة في رجل أفضح له - أي أكثر فضيحة - من كذب. قلت: وما كذبت وما نستحلّه في ديننا. ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي. قلت له: بلى. قال: بأي شيء علمت يا عمرو. قلت: كنت عند النجاشي قال يخرج له خراجاً. قلت: لا، فلما أسلم النجاشي وصدّق بمحمد قال: لا والله ولو سألتني درهم واحد ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله فقال له أخوه: أتدعُ عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً. فقال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الضنّ بملكي لصنعت كما صنع. قال: أنظر ما تقول يا عمرو. قلت: والله صدقتك. قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه. قلت: يأمر بطاعة الله عزّ وجلّ وينهى عن معصيته، ويأمر بالبرّ وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدّق به، ولكن أخي أضنّ بملكه من أن يدعّه ويصير ذنباً - أي تابعاً. قلت: انه إن أسلم ملكه رسول الله على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردّها على فقيرهم. قال: هذا الخلق حسن، وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله من الصدقات في الأموال، ولما ذكرت المواشي قال: يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه. فقلت: نعم. فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا. قال عمرو: فكثت أياماً بباب جَيْفَرٍ وقد أوصل إليه أخوه خبري، ثم انه دعاني فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعي أي عضدي، قال: دعوه. فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظر إليّ فقال: تكلم بحاجتك، فدفعت إليه كتاباً مختوماً، ففضّ خاتمه فقرأه حتى انتهى الى آخره، ثم دفعه الى أخيه فقرأه، ثم قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت. فقلت: تبعوه إمّا راغب في الدين وإمّا راهب مقهور بالسيف. قال: ومن معه. قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاره على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله

إياهم أنهم كانوا في ضلال مبين، فما أعلم أحد بقي غيرك في هذه المخرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراؤك - أي جماعتك - فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال. قال: دعني يومي هذا وارجع إليّ غداً، فلما كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي، فرجعت الى أخيه فأخبرته أنني لم أصل إليه، فأوصلني إليه فقال: إنني فكرت فيما دعوتني إليه فاذا أنا أضعف العرب أن ملكت رجلاً ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ها هنا، وإن بلغت ألفت - أي وجدت - قتالاً ليس كقتال من لاقي. قلت: وأنا خارج غداً. فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فأصبح فأرسل إليّ فدخلت فأجاب الى الإسلام هو وأخوه جميعاً وصدقا وخلياً بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني، فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم، فلم أزل مقياً فيهم حتى بلغنا وفاة رسول الله (ص)، انتهى.

وروى محمد بن سعد^(١): باسناده عن النبي (ص) أنه قال لأصحابه: وافوني بأجمعكم بالغداة، وكان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه قليلاً يُسَبِّح ويدعو، ثم التفت إليهم فبعث عدّة الى عدّة، فقال (ص): انصحو الله في عبادته، فإنه من استرعى شيئاً من أمور الناس ثم لم ينصح لهم حرّم الله عليه الجنة، انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رُسُل عيسى بن مريم، فإنهم آتوا القريب وتركوا البعيد.

ثم قال محمد بن سعد: فأصبحوا - يعني الرُسُل - كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين أرسل إليهم، فذكر ذلك للنبي (ص) فقال: هذا ما كان من حقّ الله عليهم في أمر عبادته. ثم قال: وكتب رسول الله (ص) الى أهل اليمن كتاباً يخبرهم فيه بشرائع الإسلام وفرائض الصدقة في المواشي والأموال ويوصيهم بأصحابه ورُسُله خيراً، وكان رسوله إليهم معاذ بن جبل ومالك ابن مرارة، ويخبرهم بوصول رُسُلهم إليه وما بلغ عنهم.

(١) الطبقات الكبرى ١ / ٢٦٤ - ٢٩١.

كتب رسول الله (ص) لناس من العرب وغيرهم

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) الى عدة من أهل اليمن سمّاهم منهم الحارث بن عبدكلال وشريح بن عبدكلال ونعيم بن عبدكلال ونعمان بن قَيْل ذي يزن ومعاقر وهمدان وزرعة ذي رعين وكان قد أسلم من أول حمير، وأمرهم أن يجمعوا الصدقة والجزية فيدفعوها الى معاذ بن جبل ومالك بن مرارة، وأمرهم بهما خيراً، وكان مالك بن مرارة رسول أهل اليمن الى النبي (ص) بإسلامهم وطاعتهم، فكتب إليهم رسول الله: انّ مالك بن مرارة قد بلغ الخبر وحفظ الغيب.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) الى بني معاوية بمثل ذلك. ثم قال أيضاً: قالوا وكتب رسول الله (ص) الى بني عمرو من حمير يدعوهم الى الإسلام... الخ.

قال محمد بن سعد: قالوا وكتب رسول الله (ص) الى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوهم الى الإسلام، فأسلم وكتب بإسلامه الى رسول الله (ص) وأهدى له هديّة، ولم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر بن الخطاب، فبينما هو في سوق دمشق إذ وطىء رجلاً من مزينة، فوثب المزني فلطمه، فأخذ وانطلق به الى أبي عبيدة بن الجراح فقال: هذا لطم جبلة. قال: فليلطمه. قالوا: وما يقتل. قال: لا. قالوا: فما تقطع يده. قال: لا إنّما أمر الله تبارك وتعالى بالقود. قال جبلة: أوترون أنّي جاعل وجهي ندياً لوجه جدي جاء من عمق، بشس الدين هذا. ثم ارتدّ نصرانياً وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم، فبلغ ذلك عمر فشقّ عليه، وقال لحسان بن ثابت: أما علمت أنّ صديقك ارتدّ نصرانياً. قال: أنا لله وأنا إليه راجعون ولم. قال: لطمه رجل من مزينة. قال: وحقّ له. فقام إليه عمر بالدرّة فضربه بها، انتهى.

ثم قال: قالوا وبعث رسول الله (ص) جرير بن عبدالله البجلي الى ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تَبَع والى ذي عمرو يدعوهما الى الإسلام، فأسلما وأسلمت ضريبة بنت أبرهة بن الصباح امرأة ذي الكلاع، وتوفي رسول الله (ص) وجرير عندهم، فأخبره ذو عمرو بوفاته، فخرج جرير الى المدينة، انتهى.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لمعدي كرب بن ابرهة ان له ما أسلم عليه من أرض خولان، انتهى.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لأسقف بني الحارث بن كعب وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم ان لهم على ما تحت أيديهم من قليل وكثير من بيعهم وصلواتهم ورهبانيتهم وجوار الله ورسوله لا يُغيّر أسقف عن أسقفيته ولا راهب عن رهبانيته ولا كاهن عن كهانته ولا يُغيّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا شيء مما كانوا عليه ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم غير مُثقلين بظلم ولا ظالمين. وكتب المغيرة، انتهى.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لربيعة بن ذي مرحب الحضرمي واخوته وأعمامه ان لهم أموالهم ونخلهم ورقيقهم وآبارهم وشجرهم ومياههم وسواقيهم ونبتهم وشراجمهم بحضرموت وكل مال لآل ذي مرحب، وان كل رهن بأرضهم يحسب ثمره وسدره وقضبه من رهنه الذي هو فيه، وان كل رهن بأرضهم يُحسب من خير، فانه لا يسأله أحد عنه وان الله ورسوله بُراء منه، وان نصر آل ذي مرحب على جماعة المسلمين، وان أرضهم بريئة من الجور، وان أموالهم وأنفسهم وزافر حائط الملك الذي كان يسيل الى آل قيس، وان الله ورسوله جار على ذلك. وكتب معاوية، انتهى.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لمن أسلم من حدس من لحم وأقام الصلاة (لعل الصحيح ومن أقام الصلاة فسقط من قلم الناسخ) وآتى الزكاة وأعطى حظ الله وحظ رسوله وفارق المشركين، فانه آمن بدمته وذمة رسوله محمد (ص)، ومن رجع عن دينه فان ذمة الله وذمة محمد رسوله منه بريئة، ومن شهد له مسلم بإسلامه فانه آمن بدمته محمد وانه من المسلمين. وكتب عبدالله بن زيد.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لخالد بن ضماد الأزدي ان له ما أسلم عليه من أرضه على أن يؤمن بالله لا يشرك به شيئاً ويشهد ان محمداً عبده ورسوله، وعلى أن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم شهر رمضان، وأن يحج البيت ولا يأوى مُحدثاً ولا يرتاب، وعلى أن ينصح لله ورسوله، وعلى أن يُحبّ أحبّاء الله ويبغض أعداء الله، وعلى محمد النبي أن يمنعه مما

ينع منه نفسه وماله وأهله، وإنّ لخالد الأزدي ذمّة الله وذمّة محمد النبي (ص) إن وفي بهذا. وكتب أبيّ.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لعمر بن حزم حيث بعثه الى اليمن عهداً يعلمه فيه شرائع الإسلام وفرائضه وحدوده. وكتب أبيّ.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لنعيم بن أوس أخي تميم الداري انّ له حبري وعينون بالشام قريتها كلّها سهلها وجبلها وماءها وحرثها وأنباطها وبقرها ولعقبه من بعده، لا يحاّقه فيها أحد ولا يلجه عليهم بظلم، ومن ظلمهم وأخذ منهم شيئاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وكتب عليّ.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) للحصين بن أوس الأسلمي انه أعطاه الفرغين وذات أعشاش لا يحاّقه فيها أحد. وكتب عليّ.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني قرّة بن عبد الله بن أبي نجيح النهانيتين انه أعطاهم المظلة كلّها أرضها وماءها وسهلها وجبلها حمى يرعون فيه مواشيهم. وكتب معاوية.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني الضّبّاب من بني الحارث بن كعب انّ لهم ساربه ورافعها لا يحاّقهم فيها أحد ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وفارقوا المشركين. وكتب المغيرة.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) ليزيد بن الطفيل الحارثي انّ له المضّة كلّها لا يحاّقه فيها أحد ما أقام الصلاة وآتى الزكاة وحارب المشركين. وكتب جهم بن الصلت.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني قنان بن ثعلبة من بني الحارث انّ لهم محبساً وانّهم آمنون على أموالهم وأنفسهم. وكتب المغيرة.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لعبد يغوث بن وعله الحارثي انّ له ما أسلم عليه من أرضها وأشياءها - يعني نخلها - ما أقام الصلاة وآتى الزكاة وأعطى خمس المغانم في الغزو (ولا عشر ولا حشر) ومن تبعه من قومه. وكتب الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي.

ثم قال: قالوا كتب رسول الله (ص) لزيد بن المحجل الحارثي انّ لهم نمره ومساقيها ووادي

الرحمن من بين غابتها، وأنه على قومه من بني مالك وعقبه لا يغزون ولا يحشرون. وكتب المغيرة بن شعبة.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لقيس بن الحصين ذي الغصّة أمانة لبني أبيه بني الحارث ولبني نهدان لهم ذمّة الله وذمّة رسوله لا يحشرون ولا يعشرون ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وفارقوا المشركين وأشهدوا على إسلامهم وإنّ في أموالهم حقاً للمسلمين. قال: وكان بنو نهد حلفاء بني الحارث.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني قنان بن يزيد الحارثيين إنّ لهم مذوداً وسواقيه ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وفارقوا المشركين وأمنوا السبيل وأشهدوا على إسلامهم.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لعاصم بن الحارث الحارثي إنّ له نجمة من راس لا يحاqqه فيها أحد. وكتب الأرقم.

ثم قالوا: وكتب رسول الله (ص) لبني معاوية بن جرّول الطائيين لمن أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغانم خمس الله وسهم النبي (ص) وفارق المشركين وأشهد على إسلامه، أنّه آمن بأمان الله ورسوله وإنّ لهم ما أسلموا عليه والغنم مبيّنة. وكتب الزبير بن العوام.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لعامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي إنّ له ولقومه طيء ما أسلموا عليه من بلادهم ومياهم ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وفارقوا المشركين. وكتب المغيرة.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني جوين الطائيين لمن آمن منهم بالله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وفارق المشركين وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغانم خمس الله وسهم النبي (ص) وأشهد على إسلامه، فإنّ له أمان الله ومحمد بن عبد الله وإنّ لهم أرضهم ومياهم وما أسلموا عليه وغدوة الغنم من ورائها مبيّنة. وكتب المغيرة يعني بغدوة الغنم قال تغدوا الغنم بالغداة فتمشى الى الليل فما خلفت من الأرض ورائها فهو لهم، وقوله مبيّنة يقول حيث باتت.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني موعن الطائيين إنّ لهم ما أسلموا عليه من بلادهم

ومياهم وغدوة الغنم من ورائها مبيتة ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وفارقوا المشركين وأشهدوا على إسلامهم وأمنوا السبيل . وكتب العلاء وشهد .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي الى بني أسد ، سلام عليكم ، فإني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فلا تقرُّبنَّ مياه طيء وأرضهم ، فإنه لا تحلّ لكم مياهمهم ، ولا يلجنّ أرضهم إلا من أولجوا ، وذمّة محمد بريئة ممن عصاه ، وليقم قضاعي بن عمر » . وكتب خالد بن سعيد .

قال : وقضاعيّ بن عمرو من بني عذرة ، وكان عاملاً عليهم .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) كتاباً لجنادة الأزدي وقومه ومن تبعه ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا من المغنم خمس الله وسهم النبي وفارقوا المشركين ، فإنّ لهم ذمّة الله وذمّة محمد بن عبدالله . وكتب أبيّ .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) الى سعد هذيم من قضاة والى جذام كتاباً واحداً يعلمهم فيه فرائض الصدقة ، وأمرهم أن يدفعوا الصدقة والخمس الى رسوله أبيّ وعنبسة أو من أرسلاه . قال : ولم ينسبا لنا .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني زرعة وبني الربعة من جُهينة أنّهم آمنون على أنفسهم وأموالهم ، وإنّ النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا في الدين والأهل ، ولأهل باديتهم من برّ منهم واتقى ما لحاضرهم . والله المستعان .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني جُعيل من بلّى أنّهم رهط من قريش ثم من بني عبدمناف ، لهم مثل الذي لهم وعليهم مثل الذي عليهم ، وأنّهم لا يحشرون ولا يعشرون ، وإنّ لهم ما أسلموا عليه من أموالهم ، وإنّ لهم سعاية نصر وسعد بن بكر وثمانة وهذيل . وبإيعاز رسول الله (ص) على ذلك عاصم بن أبي صيفي وعمرو بن أبي صيفي والأعجم بن سفيان وعلي ابن سعد ، وشهد على ذلك العباس بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وأبو سفيان بن حرب .

قال : وأنما جعل الشهود من بني عبدمناف لهذا الحديث لأنّهم حلفاء بني عبدمناف ، ويعني

لا يحشرون من ماء الى ماء في الصدقة، ولا يعشرون يقول في السنة إلا مرة. وقوله «انّ وهم سعاية» يعني الصدقة.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لأسلم من خزاعة لمن آمن منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وناصح في دين الله انّ لهم النصر على من دهمهم بظلم وعليهم نصر النبي (ص) إذا دعاهم ولأهل باديتهم ما لأهل حاضرهم، وأنهم مهاجرون حيث كانوا. وكتب العلاء بن الحضرمي وشهد.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لعوسجة بن حرملة الجهني «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى الرسول عوسجة بن حرملة الجهني من ذي المروة، أعطاه ما بين بلكثة الى المصنعة الى الجفلات الى الجدّ جبل القبلة، لا يحاقه أحد ومن حاقه فلا حق له وحقه حق» وكتب عقبه وشهد.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني شنخ من جهينة «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى محمد النبي بني شنخ من جهينة، أعطاهم ما خطوا من صفيينة وما حرثوا ومن حاقهم فلا حق له وحقهم حق» كتب العلاء بن عقبه وشهد.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني الجرّمز بن ربيعة وهم من جهينة انهم آمنون ببلادهم وهم ما أسلموا عليه. وكتب المغيرة.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لعمر بن معبد الجهني وبني الحرقة من جهينة وبني الجرّمز من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من الغنائم الخمس وسهم النبي الصفي، ومن أشهد على إسلامه وفارق المشركين فأنه آمن بأمان الله وأمان محمد، وما كان من الدين مدونة لأحد من المسلمين قضى عليه برأس المال وبطل الربا في الرهن، وانّ الصدقة في الثمار العشر ومن لحق بهم فانّ له مثل ما لهم.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبلال بن الحارث المزني انّ له النخل وجزعة شطره ذا المزارع والنخل، وانّ له ما أصلح به الزرع من قدس، وانّ له المضّة والجزع والغيلة إن كان صادراً. وكتب معاوية. وأمّا قوله جزعة فأنه يعني قرية، وأمّا شطره فأنه يعني تجاهه، وهو في

كتاب الله عزّ وجلّ ﴿ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ يعني تجاه المسجد الحرام . وأما قوله « من قدس » فالقدس الخرج وما أشبهه من آلة السفر ، وأما المضة فاسم الأرض .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) الى بُدَيْلِ وَبُسْرٍ وَسَرَوَاتِ بَنِي عَمْرٍو « أَمَا بَعْدَ فَاتِيٍّ لَمْ آتَمْ مَالَكُمْ وَلَمْ أَضِعْ فِي جَنْبِكُمْ ، وَإِنَّ أَكْرَمَ أَهْلِ تَهَامَةَ عَلِيٍّ وَأَقْرَبَهُمْ رَحْمًا مِنِّي أَنْتُمْ وَمَنْ تَبِعَكُمْ مِنَ الْمُطَيِّبِينَ ، أَمَا بَعْدَ فَاتِيٍّ قَدْ أَخَذْتَ لِمَنْ هَاجَرَ مِنْكُمْ مِثْلَ مَا أَخَذْتَ لِنَفْسِي ، وَلَوْ هَاجَرَ بِأَرْضِهِ إِلَّا سَاكِنَ مَكَّةَ إِلَّا مَعْتَمِرًا أَوْ حَاجًّا ، فَاتِيٍّ لَمْ أَضِعْ فِيكُمْ مِنْذُ سَأَلْتُمْ ، وَأَنْتُمْ غَيْرُ خَائِفِينَ مِنْ قِبَلِي وَلَا مُحْصَرِينَ ، أَمَا بَعْدَ فَانَّهُ قَدْ أَسْلَمَ عُلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ وَأَبْنَاؤُهُ هُوذَةُ وَهَاجِرًا وَبَايَعَا عَلِيٌّ مِنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَكْرَمَةَ ، وَإِنَّ بَعْضَنَا مِنْ بَعْضٍ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُكُمْ وَلِيُحِبِّتَكُمْ رَبِّكُمْ . قَالَ : وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا السَّلَامَ لِأَنَّهُ كَتَبَ بِهَا إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وأما علقمة بن عُلاثة فهو علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وابنا هُوذَةَ الْعَدَاءِ وَعَمْرٍو ابنا خَالِدِ بْنِ هُوذَةَ مِنْ بَنِي عَمْرٍو وَبَنِي رَيْبَعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَكْرَمَةَ ، فَانَّهُ عَكْرَمَةُ بْنُ حَضَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ وَمَنْ تَبِعَكُمْ مِنَ الْمُطَيِّبِينَ فَهَمُّ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو زَهْرَةَ وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ فِهْرِ وَتَيْمِ بْنِ مُرَّةٍ وَأَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) للعداء بن خالد بن هُوذَةَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ عَامِرِ بْنِ عَكْرَمَةَ أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ مَا بَيْنَ الْمَصْبَاعَةِ إِلَى الزَّحِّ وَلِوَابَةِ ، يَعْنِي لَوَابَةَ الْحِزَارِ . وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) الى مسيلمة الكذاب لعنه الله يدعو به الى الإسلام ، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري ، فكتب إليه مسيلمة جواب كتابه ويذكر فيه أنه نبي مثله ويسأله أن يقاسمه الأرض ، ويذكر ان قريشاً قوم لا يعدلون . فكتب إليه رسول الله (ص) وقال : الْعَنُوهُ لَعْنَةُ اللَّهِ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ : بَلَّغْنِي كِتَابَكَ الْكُذْبِ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . قَالَ : وَبَعَثَ بِهِ مَعَ السَّائِبِ بْنِ الْعَوَّامِ أَخِي الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَّامِ .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) لسلمة بن مالك بن أبي عامر السلمية من بني حارثة

أنه أعطاه مدفواً لا يحاقه فيه أحد، ومن حاقه فلا حق له وحقه حق.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) للعباس بن مرداس السلمي أنه أعطاه مدفواً فن حاقه فلا حق له. وكتب العلاء بن عقبة وشهد.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لهوذة بن نبيشة السلمي ثم من بني عَصِيَّة أنه أعطاه ما حوى الجفر كله.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) للاجب رجل من بني سليم أنه أعطاه فالساً. وكتب الأرقم.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لراشد بن عبد السلمي أنه أعطاه غلوتين بسهم وغلوةً بجبر برهاط لا يحاقه فيها أحد ومن حاقه فلا حق له وحقه حق. وكتب خالد بن سعيد.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله الحرام بن عبد عوف من بني سليم أنه أعطاه اذاماً وما كان له من شواق، لا يحل لأحد أن يظلمهم ولا يظلمون أحداً. وكتب خالد بن سعيد.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما حالف عليه نعيم بن مسعود ابن رُخيلة الأشجعي، حالفه على النصر والنصيحة ما كان أحد مكانه ما بل بحر صوفه» وكتب علي.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله للزبير بن العوام، أني أعطيته شواق أعلاه وأسفله لا يحاقه فيه أحد». وكتب علي.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لجميل بن رازم العدوي أنه أعطاه الرمضاء لا يحاقه فيها أحد. وكتب علي.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لحُصَيْن بن نضلة الأسيدي أن له أراماً وكسّة لا يحاقه فيها أحد. وكتب المغيرة بن شعبة.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني غفار أنهم من المسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وإن النبي عقد لهم ذمّة الله وذمّة رسوله على أموالهم وأنفسهم، وهم

النصر على مَنْ بَدَأَ بِالظلم، وانّ النبي إذا دعاهم لينصروه أجاوبه وعليهم نصره إلا من حارب في الدين ما بلّ بجر صوفه، وانّ هذا الكتاب لا يحول دون إثم».

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني ضمرة بن بكر بن عبدمناة بن كنانة انهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وانّ لهم النصر على من دهمهم بظلم وعليهم نصر النبي ما بلّ بجر صوفه إلا أن يحاربوا في دين الله، وانّ النبي إذا دعاهم أجاوبه، عليهم بذلك ذمّة الله ورسوله، ولهم النصر على من برّ منهم واتقى.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) الى الهلال صاحب البحرين «سيلم أنت» فاتي أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو لا شريك له وأدعوك الى الله وحده تؤمن بالله وتطيع وتدخل في الجماعة فانه خير لك، والسلام على من اتبع الهدى».

ثم قال: قالوا فكتب رسول الله (ص) الى أسبيخت بن عبدالله صاحب هجر، انه قد جائي الأقرع بكتابك وشفاعتك لقومك واتي قد شفعتك وصدقت رسولك الأقرع في قومك، فابشر فيما سائلني وطلبتني بالذي تحب، ولكني نظرت أن أعلمه وتلقاني، فإن تجيئنا أكرمك وإن تقعد أكرمك، أما بعد فاتي لا أستهدي أحداً وإن تهدي إليّ أقبل هديتك، وقد حمد عُمالي مكانك، وأوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة والزكاة وقراية المؤمنين، واتي قد سميت قومك بني عبدالله، فرهم بالصلاة وبأحسن العمل وأبشر، والسلام عليك وعلى قومك المؤمنين».

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) الى أهل هجر «أما بعد فاتي أوصيكم بالله وبأنفسكم ألا تضلوا بعد أن هديتم ولا تغفوا بعد أن رشدتم، أما بعد فانه قد جائي وفدكم فلم آت إليهم إلا ما سرهم، ولو اتني اجتهدت فيكم جهدي كله أخرجتكم من هجر فشفعت غائبكم وأفضلت على شاهدكم، فاذكروا نعمة الله عليكم، أما بعد فانه قد آتاني الذي صنعتم، وانه من يحسن منكم لا أحمل عليه ذنب المسيء، فاذا جائكم أمراي فأطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفي سبيله، وانه من يعمل منكم صالحه فلن تضلّ عند الله ولا عندي».

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) الى المنذر بن ساوي «أما بعد فان رسلني قد حمدوك، وانك مهما تصلح أصلح اليك وأثبتك على عملك وتنصح لله ولرسوله، والسلام عليك».

بها مع العلاء بن الحضرمي .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) الى المنذر بن ساوي كتاباً آخر «أما بعد فإني قد بعثت اليك قدامّة وأبا هريرة، فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك . والسلام» وكتب أبي .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) الى العلاء بن الحضرمي «أما بعد فإني قد بعثت الى المنذر بن ساوي من يقبض ما اجتمع عنده من الجزية فعجله بها وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعُشور . والسلام» وكتب أبي .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) الى ضفاطر الأسقف «سلام على من آمن، أما على أثر ذلك فإن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم الزكيّة، وإني أومن بالله وما أنزل الينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، والسلام على من اتّبع الهدى» . قال : وبعث مع دحية ابن خليفة الكلبي .

ثم قال : قالوا وكتب رسول الله (ص) الى بني جنبه وهم يهود بمقنا والى أهل مقنا قريب من أيلة «أما بعد فقد نزل عليّ آيتكم راجعين الى قريبتكم، فاذا جاءكم كتابي هذا فانكم آمنون، لكم ذمة الله وذمة رسوله، لا ظلم عليكم ولا عدوى، وإن رسول الله جاركم ممّا يمنع منه نفسه، فإنّ لرسول الله بزّكم وكل رقيق فيكم والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله، وإنّ عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخلكم وربع ما صادت عروككم وربع ما أغزل نساؤكم وأنتم برثتم بعد من كل جزية أو سخرة، فإن سمعتم وأطعتم فإنّ على رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم، أما بعد فإلى المؤمنين والمسلمين من اطّلع أهل مقنا بخير فهو خير له ومن أطلعهم بشرّ فهو شرّ له، وإن ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل رسول الله . والسلام» . وأما قوله آيتكم يعني رسلهم، ولرسول الله بزّكم يعني بزّهم الذي يصالحون عليها في صلحهم ورقيقهم، والحلقة ما جمعت الدار من سلاح أو مال، وأما عروككم فالعروك خشب تلقى في البحر يركبون عليها فيلقون شباكهم يصيدون السمك .

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) الى يُحَنَّة بن روية وسَرَوَة أهل أيلة «سلم أنتم، فاني أحمد إليكم الذي لا إله إلا هو، فاني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب إليكم فأسلم أو اعط الجزية وأطع الله ورسوله ورُسل رسوله وأكرمهم واكسبهم كسوة حسنة غير كسوة الغزاة واكسب زيدا كسوة حسنة، فهما رضيت رُسلي فاني قد رضيت، وقد علم الجزية فإن أردتم أن يأمن البرّ والبحر فأطع الله ورسوله ويمنع عنكم كل حقّ كان للعرب والعجم إلا حق الله وحق رسوله، وإنك إن رددتهم ولم ترضهم لا آخذ منكم شيئاً حتى أقاتلكم فأسبي الصغير وأقتل الكبير، فاني رسول الله بالحقّ أو من بالله وكتبه ورُسله وبالمسيح بن مريم أنه كلمة الله، وإني أو من به أنه رسول الله وآت قبل أن يمسك الشر، فاني قد أوصيت رُسلي بكم، وأعط حرملة ثلاثة أوسق شعير، وإن حرملة شفّع لكم، واني لولا الله وذلك لم أرسلكم شيئاً حتى ترى الجيش، وإنكم إن أطعتم رُسلي فإنّ الله لكم جار ومحمد ومن يكون منه، وإن رُسلي شرحبيل وأبيّ وحرملة وحُرَيْث بن زيد الطائي، فأنهم مها قاضوك عليه فقد رضيت، وإن لكم ذمّة الله وذمّة محمد رسول الله، والسلام عليكم إن أطعتم، وجهّزوا أهل مقنا الى أرضهم».

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لَجِبَاع كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة من كنانة ومزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد، فلما ظهر رسول الله (ص) وفدّ منهم وفدّ على النبي، فكتب لهم رسول الله «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لعباد الله العتقاء. إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فعبدهم حرّ ومولاهم محمد، ومن كان منهم من قبيلة لم يُرد إليها، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه فهو لهم، وما كان لهم من دين في الناس رُدّ إليهم، ولا ظلم عليهم ولا عدوان، وإنّ لهم على ذلك ذمّة الله وذمّة محمد، والسلام عليكم» وكتب أبيّ.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لبني غاديان وهم قوم من اليهود، إنّ لهم الذمّة وعليهم الجزية، ولا عداء ولا جلاء الليل مدّ والنهار شدّ» وكتب خالد بن سعيد. قوله مدّ يقول يمده الليل ويشده النهار لا ينقضه شيء.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله

لبنى عريض طعمة من رسول الله عشرة أوسقٍ قحٍ وعشرة أوسقٍ شعير في كل حصاد وخمسين وسقاً تمر يُوفون في كل عام لحينه، لا يظلمون شيئاً» وبني عريض قوم من يهود. وكتب خالد بن سعيد.

ثم روى محمد بن سعد باسناده عن أبي العلاء قال: كنت مع مطرف في سوق الإبل ف جاء أعرابي بقطعة أديم أو جراب، فقال: من يقرأ أو قال: أفيكم من يقرأ. فقلت: نعم. فقال: دونك هذا، فإن رسول الله كتبه لي، فاذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم». من محمد النبي لبني زهير بن أقيش حيٍّ من عكل، أنهم إن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وفارقوا المشركين وأقرّوا بالخمس في غنائم وسهم النبي وصفته فأنهم آمنون بأمان الله ورسوله». فقال له القوم أو بعضهم: أسمعت من رسول الله شيئاً تحدّثناه. قال: نعم. قالوا: فحدّثنا رحمك الله. قال: سمعته يقول: من سرّه أن يذهب كثير من وحرّ الصدر فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر. فقال له القوم أو بعضهم: أسمعت هذا من رسول الله؟ قال: أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله، والله لا أحدّثكم حديثاً اليوم.

ثم روى محمد بن سعد باسناده عن لوط بن يحيى الأزدي قال: كتب النبي (ص) الى أبي ظبيان الأزدي من غامد يدعو ويدعو قومه الى الإسلام، فأجابه في نفر من قومه بمكة منهم مخنف وعبدالله وزهير بنو سليم وعبدشمس بن عفيف بن زهير هؤلاء بمكة، وقدم عليه بالمدينة الحجن بن المرقع وجندب بن زهير وجندب بن كعب، ثم قدم بعد مع الأربعين الحكم ابن مغفل، فأتاه بمكة أربعون رجلاً، وكتب النبي لأبي ظبيان كتاباً وكانت له صحبة وأدرك عمر بن الخطاب.

وروى أيضاً باسناده عن جميل بن مرثد أنه قال: كتب النبي (ص) لحبيب بن عمرو كتاباً «هذا كتاب من محمد رسول الله لحبيب بن عمرو أخي بني أجااء ولين أسلم من قومه وأقام الصلاة وآتى الزكاة، انّ له ما له وعليه ما عليه حاضره وبأديه على ذلك عهد الله وذمة رسوله».

ثم روى باسناده عن جماعة أنهم قالوا: كتب رسول الله الى سمعان بن عمرو بن قريظ بن

عبيد بن أبي بكر بن كلاب مع عبدالله بن عوسجة العُرنِي، فرقع بكتابه دلوه، فقبل لهم بنو الراقع ثم أسلم سمعان، وقدم على رسول الله (ص) وقال:

أقلني أقلني كما أمّنت ورداً ولم أكن بأسوأ ذنباً إذ أتيتك من ورد

ثم روى باسناده أيضاً عن أبي إسحاق الهمداني أنّ العُرنِي أتاه كتاب رسول الله فرقع به دلوه، فقالت له ابنته: ما أراك إلاّ ستصيبك قارعة أتاك كتاب رسول الله فرقعت به دلوك، فرّ جيش لرسول الله (ص) فاستباحوا كل شيء له، فأسلم وأتى النبي فأخبره، فقال له رسول الله: ما أصبت من مال قبل أن تقسمه المسلمون فأنت أحق به.

ثم روى باسناده عن زامل بن عمرو الجذامي قال: كان فروة بن عمرو الجذامي عاملاً للروم على عمّان من أرض البلقاء أو على مُعان، فأسلم وكتب إلى رسول الله (ص) بإسلامه، وبعث به مع رجل من قومه يقال له مسعود بن سعد، وبعث إليه ببغلة بيضاء وفرس وحمار وأثواب لين وقباء سُندس مخوّص بالذهب، فكتب إليه رسول الله «من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو، أمّا بعد فقد قدم علينا رسولك وبلغ ما أرسلت فخبّر عمّا قبلكم، وأتانا بإسلامك وإنّ الله هداك بهداه، إن أصلحت وأطعت الله ورسوله وأقمت الصلاة وآتيت الزكاة». وأمر بلالاً فأعطى رسوله مسعود بن سعد اثنتي عشرة أوقية ونشأ أي نصفاً.

قال: وبلغ ملك الروم إسلام فروة، فدعاه فقال له: ارجع عن دينك غلّكك.

قال: لا أفارق دين محمد، وإنّك تعلم أنّ عيسى قد بشر به، ولكنك تظنّ بملكك، فحبسه ثم أخرجته فقتله وصلبه.

ثم روى باسناده عن قتادة عن رجل من بني سدوس قال: كتب رسول الله (ص) إلى بكر ابن وائل «أمّا بعد فأسلموا تسلموا». قال قتادة: فما وجدوا رجلاً يقرؤه جائهم رجل من بني ضبيعة بن ربيعة فقرأه فهم يُسمّون بني الكاتب، وكان الذي أتاهم بكتاب رسول الله ظبيان بن مرثد السدوسي.

ثم روى باسناده عن عبدالله بن يحيى بن سليمان قال: أراني ابنُ لسعير بن عدّاء كتاباً من رسول الله «من محمد رسول الله إلى السّعير بن عدّاء، أنّي قد أخفرتك الرحيح وجعلت لك

فضل بني السبيل».

ثم روى بإسناده عن الزهري قال: كتب رسول الله (ص) الى الحارث ومسروح ونعيم بن عبدكلال من حمير «سلم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله، وإن الله وحده لا شريك له، بعث موسى بآياته وخلق عيسى بكلماته، قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى الله ثالث ثلاثة عيسى ابن الله».

قال: وبعث بالكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي وقال: إذا جئت أرضهم فلا تدخلن ليلاً حتى تصبح ثم تطهر فأحسن طهورك وصل ركعتين وسَلِ الله النجاح والقبول، واستعد بالله وخذ كتابي بيمينك وادفعه بيمينك في أيانهم فاتهم قابلون، وقرأ عليهم ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ فإذا فرغت منها فقل آمن محمد وأنا أول المؤمنين، فلن تأتيك حجة إلا دحضت ولا كتاب زُخِرَ إلا ذهب نوره، وهُم قارئون عليك فإذا رَطَنُوا فقل ترجموا وقل ﴿حسبي الله آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾، فإذا أسلموا فسَلُّهُم قُضْبُهُم الثلاثة التي إذا حضروا بها سجدوا وهي من الأثل: قضيب مُلَمَّعٌ ببياض وصفرة، وقضيب ذُو عَجَرٍ كأنه خيزران، والأسود البهيم كأنه من سالم. ثم أخرجها فحرَّقا بسوقهم.

قال عياش: فخرجت أفعل ما أمرني رسول الله (ص) حتى إذا دخلت إذا الناس قد لبسوا زينتهم. قال: فمررت لأنظر إليهم حتى انتهيت الى ستور عظام على أبواب دور ثلاثة، فكشفت الستر ودخلت الباب الأوسط فأنتهيت الى قوم في قاعة الدار، فقلت: أنا رسول رسول الله وفعلت ما أمرني، فقبلوا وكان كما قال (ص).

ثم قال محمد بن سعد: قالوا بالإسناد الأول: وكتب رسول الله (ص) الى عبدالقيس «من محمد رسول الله الى الأكبر بن عبدالقيس، انهم آمنون بأمان الله وأمان رسوله على ما أحدثوا في الجاهلية من القَحَم، وعليهم الوفاء بما عاهدوا، وهم أن لا يحبسوا عن طريق الميرة ولا ينعوا صوب القطر ولا يُحَرِّموا حريم الثمار عند بلوغه، والعلاء بن الحضرمي أمين رسول

الله على برّها وبحرها وحاضرها وسراياها وما خرج منها، وأهل البحرين خفراؤه من الضيم وأعوانه على الظالم وأنصاره في الملاحم، عليهم بذلك عهدُ الله وميثاقه لا يبدّلوا قولاً ولا يريدوا فرقةً، ولهم على جند المسلمين الشركة في الفياء والعدل في الحكم والقصد في السيرة، حكم لا تبديل له في الفريقين كليهما، والله ورسوله يشهد عليهم».

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله الى أقيال حضرموت وعُظمائهم، كتب الى زرعة وقَهْد والبسيّ والبُحَيْرى وعبدكُلال وربيعة وحجر، وقد مدح الشاعر بعض أقيالهم فقال:

ألا إنّ خير الناس كلّهم قَهْد
وعبدكُلال خير سائرهم بعد

وقال آخر يمدح زرعة:

ألا إنّ خير الناس بعد محمد
لزرعة إنّ كان البحيري أسلم

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) الى نُفَاشَة بن فروة الدثلي ملك السماوة.

ثم قال: قالوا وكتب الى عُذرة في عسيب، وبعث به مع رجل من بني عُذرة، فعدا عليه ورد ابن مرداس أحد بني سعد هُذيم فكسر العسيب وأسلم واستشهد مع زيد بن حارثة في غزوة وادي القرى أو غزوة القردة.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لمطرف بن الكاهن الباهلي «هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ولمن سكن ببيشة من باهلة، إنّ من أحياء أرضاً مواتاً بيضاء فيها مناخ الأنعام ومُراح فهي له، وعليهم في كل ثلاثين من البقر فارض، وفي كل أربعين من الغنم عتود، وفي كل خمسين من الإبل ثاغية مُسنّة، وليس للمصدّق أن يصدّقها إلا في مراعيها، وهم آمنون بأمان الله».

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لنهشل بن مالك الوائلي من باهلة «باسمك اللهم، هذا كتاب من محمد رسول الله لنهشل بن مالك ومن معه من بني وائل، لمن أسلم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغنم خمس الله وسهم النبي وأشهد على إسلامه وفارق المشركين، فإنّه آمن بأمان الله وبريء إليه محمد من الظلم كلّّه، وإنّ لهم أن لا يحشروا ولا يعشروا، وعاملهم من أنفسهم» وكتب عثمان بن عفان.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لثقيف كتاباً: انّ لهم ذمّة الله وذمّة محمد بن عبد الله على ما كتب لهم. وكتب خالد بن سعيد وشهد الحسن والحسين ودفع النبي الكتاب الى ثُمير بن خَرَشَةَ.

قالوا: وسأل وفد ثقيف رسول الله (ص) أن يُحَرِّمَ لهم وجّاً، فكتب لهم «هذا كتاب من محمد رسول الله الى المؤمنين، انّ عِضَاءَ وَجٍّ وَصَيْدَهُ لَا يُعْضَدُ، فمن وجد يفعل ذلك فانه يُؤْخَذُ فيبلغ النبي، وهذا أمر النبي محمد بن عبد الله رسول الله» وكتب خالد بن سعيد بأمر النبي محمد ابن عبد الله فلا يتعدّينه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لسعيد بن سفيان الرعلي «هذا ما أعطى رسول الله سعيد بن سفيان الرعلي، أعطاه نخل السُّوارِقيّة وقصرها، لا يحاقّه فيها أحد ومن حاقّه فلا حق له وحقّه حق» وكتب خالد بن سعيد.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لعتبة بن فرقد «هذا ما أعطى النبي عتبة بن فرقد، أعطاه موضع دار بمكة بينها ممّا يلي المروة، فلا يحاقّه فيها أحد ومن حاقّه فانه لا حق له وحقّه حق» وكتب معاوية.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله لسلمة بن مالك السُّلمي «هذا ما أعطى رسول الله سلّمة ابن مالك السُّلمي، أعطاه ما بين ذات الحناظي الى ذات الأسود، لا يحاقّه فيها أحد» شهد علي بن أبي طالب وحاطب بن أبي بلتعة.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبني جناب وأحلافهم من كلب «هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لبني جناب وأحلافهم ومن ظاهرهم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والتمسك بالايان والوفاء بالعهد، وعليهم في الهاملة الراعية في كل خمس شاة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية والسقي الروأ والعذي من الأرض يُقيمه الأمين وظيفة لا يُراد عليهم. شهد سعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس ودحية بن خليفة الكلبي.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص): هذا كتاب من محمد رسول الله لمهريّ بن الأبيض على من آمن من مهرة انهم لا يُؤكلون ولا يُغار عليهم ولا يعركون، وعليهم إقامة شرائع

الإسلام، فمن بدّل فقد حارب الله، ومن آمن به فله ذمّة الله وذمّة رسوله اللقطة مؤدّاة والسارحة مُندّاة والتفت السيئة والرفث الفسوق. وكتب محمد بن مسلمة الأنصاري.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله لختعم: هذا كتاب من محمد رسول الله لختعم من حاضر ببيشة وباديتهما، ان كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خِبارٍ (خبار سهل لين) وعزاز (وعزاز ما صلب من الأرض) تسقيه السماء أو يرويه اللثى فزكا عمارة في غير أزمّة ولا حطمة فله نشره وأكله، وعليهم في كل سيح العُشر وفي كل غرب (غرب الدلو العظيمة كناية عن بعد الماء) نصف العشر شهد جرير بن عبدالله.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله لوفد ثُمالة والحُدّان «هذا كتاب من محمد رسول الله لبادية الأسياف ونازلة الأجواف ممّا حاذت صُحار، ليس عليهم في النخل خِراض ولا مكيال مُطبّق حتى يوضع في الفداء، وعليهم في كل عشرة أوساقٍ وسقٍ» وكاتب الصحيفة ثابت بن قيس ابن شماس، شهد سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لبارق من الأزد «هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق أن لا تجذّ ثمارهم، وأن لا ترعى بلادهم في مَرَبِعٍ ولا مصيفٍ إلا بمسألة من بارق، ومن مرّ بهم من المسلمين في عركٍ أو جدبٍ فله ضيافة ثلاثة أيام، فاذا أينعت ثمارهم فلا ين السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير أن يقتلهم» شهد أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان وكتب أبي ابن كعب.

ثم قال محمد بن سعد قال: الجذب أن لا يكون مَرعى، والعرك أن تخلي إبلك في الحمض خاصة فتأكل منه حاجتها، ويقتلهم يحمل معه.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لوائل بن حُجر لما أراد الشخوص الى بلاده قال: يا رسول الله اكتب لي الى قومي كتاباً، فقال رسول الله (ص) اكتب له يا معاوية «الى الأقبال العباهلة ليقموا الصلاة ويؤتوا الزكاة والصدقة على التبعة الصائمه لصاحبها التيمة لا خِلاط ولا وِراط ولا شغار ولا جَلَب ولا جَنَب ولا سِناق، وعليهم العون لسرايا المسلمين، وعلى

كل عشرة ما تحمل العراب، من أجباً فقد أربي.».

لا خلّاط من المخالطة، والمراد به أن يخلط الرجل إبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حق الله، ولا وراط الوراط أن تجعل الغنم في وهدة من الأرض لتخفي على المصدّق، ولا شغار نكاح معروف في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل شاغري أي زوجني من تلي أمرها حتى أزوّجك من ألي أمرها ولا يكون بينهما مهر وتكون كل واحدة منهما في مقابلة الأخرى، ولعل المراد هنا، تبديل المالك ماله من الغنم والإبل والبقر بما لمالك الآخر. ولا جَلَب هو أن يقدم المصدّق على أهل الزكاة فينزل موضعاً ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها، فنهى عن ذلك وأمر أن تأخذ صدقاتهم على مياههم وأماكنهم. ولا جَنَب وهو أن ينزل العامل بأقصى مواضع أصحاب الصدقة ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه أي تحضر، ولا شناق وهو ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة، وهو ما زاد على الإبل من الخمس إلى التسع وما زاد منها على العشر إلى أربعة عشرة. والعراب عربيّة منسوبة إلى العرب، فرقوا بين الخيل والناس فقالوا في الناس عرب وأعراب وفي الخيل عراب. أجباً من الأجباء. وهو بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه.

ثم قال محمد بن سعد: وقال وائل: يا رسول الله اكتب لي بأرض التي كنت في الجاهلية وشهد له أقبال حمير وأقبال حضرموت، فكتب له «هذا كتاب من محمد النبي لوائل بن حُجر قيل حضرموت، وذلك أنك أسلمت وجعلت لك ما في يدك من الأرضين والحصون، وأنه يؤخذ منك من كل عشرة واحد ينظر في ذلك ذوا عدل، وجعلت لك أن لا تظلم فيها ما قام الدين والنبي والمؤمنون عليه أنصار.».

ثم قال: قالوا وكان الأشعث وغيره من كندة نازعوا وائل بن حُجر في واد بحضرموت فادّعوه عند رسول الله (ص)، فكتب به رسول الله لوائل بن حُجر.

ثم قال: قالوا وكتب رسول الله (ص) لأهل نجران «هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل نجران، أنه كان له عليهم حكمه في كل ثمرة صفراء أو بيضاء أو سوداء أو رقيق، فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفي حُلّة حُلل الأواقي في كل رجب ألف حُلّة وفي كل صفر ألف

حُلَّة، كل حَلَّة أوقية، فما زادت حُلُّ الخراج أو نقصت على الأواقي فبالحساب، وما قبضوا من دروع أو خيلٍ أو ركابٍ أو عَرَضٍ أخذ منهم فبالحساب، وعلى نجران مِثْوَاة رُسُلِي عشرين يوماً فدون ذلك، ولا تُحْبَس رُسُلِي فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إذا كان باليمن كيداً، وما هلك مما أعاروا رُسُلِي من دروعٍ أو خيلٍ أو ركابٍ فهو ضمانٌ على رُسُلِي حتَّى يؤدَّوه إليهم، ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وغائبهم وشاهدتهم وبيعهم وصلواتهم، لا يغيروا وأسقفاً عن أسقفيتته ولا راهباً عن رهبانيتته ولا واقفاً عن وقفانيتته، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس رباً ولا دم جاهلية، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين لنجران، ومن أكلَ ربا من ذي قَبَلٍ فذمتي منه بريئة، ولا يؤاخذ أحد منهم بظلم آخرون، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبي أبداً حتَّى يأتي الله بأمره إن نَصَحُوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم» شهد أبو سفيان بن حرب وغلان بن عمرو ومالك بن عوف النصري والأقرع بن حابس والمستورد بن عمرو وأخو بليّ والمغيرة بن شعبة وعامر مولى أبي بكر.

ثم قال: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي، قال حدثني شيخ من أهل دومة: إن رسول الله (ص) كتب لأكيدر هذا الكتاب وجاءني بالكتاب فقرأته وأخذت منه نسخته «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام في دومة الجندل وأكنافها، إن له الضاحية من الضحل والبور والمعافي وإغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن، ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور، وبعد الخمس لا تُعدّل سارحتكم ولا تعدّ فاردتكم ولا يُحظر عليكم النبات ولا يؤخذ منكم إلا عُشر الثبات، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها، عليكم بذاك العهد والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء. شهد الله ومن حضر من المسلمين.

ثم قال محمد بن سعد: قال محمد بن عمر: الضحل الماء القليل، والمعامي الاعلام من الأرض ما لا حدّ له، والضامنة ما تحمل من النخل، وقوله لا تعدل سارحتكم يقول تنحى عن الرعي، والفاردة ما لا تجب فيه الصدقة، والاغفال ما لا يقال على حدّه من الأرض، والمعين

الماء الجاري، والثبات النخل القديم الذي قد ضربَ عروقه في الأرض وثبت.
 قال: وكان دومة وأيلة وتيها قد خافوا النبي (ص) لما رأوا العرب قد أسلمت. قال: وقدّم
 يُحَنَّة بن رُوْبَة على النبي (ص) وكان ملك أيلة وأشفق أن يبعث إليه رسول الله كما بعث إلى
 أكيدر، وأقبل معه أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ومن جرباء وأذرج، فأتوه فصالحهم
 وقطع عليهم جزية معلومة وكتب لهم كتاباً «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا أمانة من الله ومحمد
 النبي رسول الله ليُحَنَّة بن رُوْبَة وأهل أيلة لسُفْنهم وسيارتهم في البرّ والبحر، لهم ذمّة الله وذمّة
 محمد رسول الله ولمن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، ومن أحدث حدثاً فأنه
 لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيّبة لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحلّ أن يُمنَعوا ماءً يردونه
 ولا طريقاً يريدونه من برّ وبحر. هذا كتاب جُهم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول
 الله»

ثم روى محمد بن سعد باسناده عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه. قال: رأيت على يُحَنَّة بن
 رُوْبَة يوم أتى النبي (ص) صليلاً من ذهب وهو معقود الناصية، فلما رأى رسول الله كَفَّر وأوماً
 برأسه، فأوماً إليه رسول الله (ص) أن إرفع رأسك، وصالحه يومئذ وكساه رسول الله بُردينة
 وأمر بإنزاله عند بلال. قال: ورأيت أكيدر حين قدم به خالد وعليه صليب من ذهب وعليه
 الديباج ظاهراً.

قال: ثم رجع الحديث إلى الأول، قال محمد بن عمرو نسخت كتاب أهل أذرجَ فاذا فيه
 «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرجَ، انهم آمنون بأمان الله ومحمد،
 وإنّ عليهم مائة دينار في كل رجب وافيةً طيّبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان
 للمسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتغريز إذا خشوا على المسلمين، وهم
 آمنون حتّى يُحدّث إليهم محمد قبل خروجه (يعني إذا أراد الخروج). قال: ووضع رسول الله
 الجزية على أهل أيلة ثلاثمائة دينار كل سنة، وكانوا ثلاثمائة رجل.

ثم قال: وكتب رسول الله (ص) لأهل جرباء وأذرجَ «هذا كتاب من محمد النبي لأهل جرباء
 وأذرجَ، انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وإنّ عليهم مائة دينار في كل رجب وافيةً طيّبة،

والله كفيل عليهم».

ثم قال: وكتب رسول الله (ص) لأهل مقنا «أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وإنّ عليهم رُبْعَ غزولهم ورُبْعَ ثمارهم».

ثم قال: أخبرنا محمد بن عمر، أنبأنا ابن أبي ذئب، أنبأنا صالح مولى التوءمة: إن رسول الله (ص) صالح أهل مقنا على أخذ ربع ثمارهم وربع غزولهم.

قال محمد بن عمر: أهل مقنا يهود على ساحل البحر، وأهل جربا وأذرح يهود أيضاً. وقوله طيبةً يعني من الخلاص أي ذهب خالص. انتهى ما نقله محمد بن سعد من الكتب التي كتبها رسول الله (ص) إلى القبائل والملوك وغيرها.

غزوة خيبر

قال ابن الأثير^(١): لما عاد رسول الله (ص) من الحُدَيْبِيَّةِ أقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم، وسار إلى خيبر في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتا فرس، وكان مسيره إلى خيبر في المحرم سنة سبع، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري... الخ.

وقال الطبري^(٢): ولما رجع رسول الله (ص) من غزوة الحُدَيْبِيَّةِ إلى المدينة أقام بها ذا الحجة وبعض المحرم، فيما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: وولى الحج في تلك السنة المشركون... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٣): ثم غزوة رسول الله (ص) خيبر في جمادى الأولى سنة سبع من مهاجره (ص)، وهي على ثمانية بُرْدٍ من المدينة. قالوا: أمر رسول الله (ص) أصحابه بالتهيؤ لغزوة خيبر ويُجَلَّبُ مَنْ حوله يَغْزُونَ معه، فقال لا يَخْرُجَنَّ معنا إلا راغب في الجهاد، وشق ذلك على من بقي بالمدينة من اليهود، فخرج واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري

(١) الكامل ٢/٢١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٥٧.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/١٠٦.

وأخرج معه أم سلمة زوجته، فلما نزل بساحتهم لم يتحرّكوا تلك الليلة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس وأصبحوا وأفئدتهم تخفق، وفتحوا حصونهم وغدوا الى أعمالهم معهم المساحي (جمع مسحاة) والكرازين (جمع كرزن وهي الفاس) والمكاتل (جمع مكاتل وهو الزنبيل)، فلما نظروا الى رسول الله (ص) قالوا: محمد والخميس، يعنون بالخميس الجيش، فولّوا هارين الى حصونهم، وجعل رسول الله (ص) يقول: الله أكبر خربت خيبر، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. ووعظ رسول الله الناس وفرق بينهم الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر إنما كانت الأولوية، فكانت راية النبي (ص) السوداء من بُرد لعائشة تُدعى العقاب، ولواؤه أبيض ودفعه الى علي بن أبي طالب، وراية الى الحباب بن المنذر وراية الى سعد بن عبادة وكان شعارهم يا منصور أمت ... الخ.

وقال ابن هشام^(١): واستعمل على المدينة ثُميلة بن عبدالله الليثي ودفع الراية الى علي بن أبي طالب (ع). وكانت بيضاء ... الخ.

وقال الحلبي^(٢): وجاء أنه (ص) لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير «الله أكبر لا إله إلا الله»، فقال رسول الله: أربعوا على أنفسكم - أي ارفقوا بأنفسكم - لا تبالغوا في رفع أصواتكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، أنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم.

قال عبدالله بن قيس: كنت خلف دابته (ص) فسمعتني أقول «لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم»، فقال: يا عبدالله بن قيس. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة. قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي. قال «لا حول ولا قوّة إلا بالله» ... الخ. وقال الواقدي: ثم قدم رسول الله (ص) المدينة، فأقام بها خمسة عشر ليلة فأمر الناس بالتجهيز الى خيبر ولا يغزوا معه إلا من شهد الحُدبية إلا أن يغزو غازياً مُتطوّعاً ليس له في الغنيمة شيء، فتجهز الناس واثقين بالله أن يُفتح لهم خيبر، وعلموا أنّ مَوعِدَ الله لا خلف له،

(١) السيرة النبوية ٣/٢٤٢.

(٢) السيرة الحلبية ٣/٢٣.

وبلغ أهل خيبر أن رسول الله (ص) والمؤمنون تجهّزوا قبلهم، فبعثوا إلى حلفائهم أسد وغطفان فأتوهم، ففهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري وهو على غطفان وطليحة ابن خويلد الأسدي على بني أسد، فدخلوا أحد حصنهم، فقدم رسول الله (ص) خيبر، فأرسل إلى أسد وغطفان أن خلّوا بيني وبين القوم فإن الله قد وعدني أن يفتحها لي، فإن فعلتم وأسلمتم فهي لكم. فأبوا عليه وجاهدوا نبي الله، ثم قذف الله في قلوبهم الرعب فتسلّلوا عنهم وخلا القتال على أهل خيبر شهراً آخر، فكان حصار رسول الله (ص) أهل خيبر شهرين، ونفد الذي كان مع أصحاب رسول الله من الزاد، فأصابوا أحمرة لأهل خيبر خارجة من الحصن، فانتحروها ولم يكن لهم طعام إلا التمر، فاستفتوا نبي الله فقالوا: يا رسول الله أصبنا أحمرة لأهل خيبر فانتحروها وليس لنا طعام إلا التمر، فما ترى في أكلها يا رسول الله؟ فنهاهم فكفّوا قدورهم واليهود يقاتلونهم كل يوم... الخ.

قال ابن كثير^(١): وقال ابن إسحاق: وكان رسول الله (ص) حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر وبني له مسجداً ثم على الصبَاء، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بوادٍ يقال له الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله (ص) فبلغني أن غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه، حتى إذا صاروا منقلة سمعوا خلفهم في أمواهم وأهليهم حسّاً ظنّوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أمواهم وأهليهم وخلّوا بين رسول الله وبين خيبر.

إلى أن قال: قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم من عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن أبي معتب بن عمرو أن رسول الله (ص) لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم: قفوا، ثم قال: اللهم ربّ السموات وما أظللن وربّ الأرضين وما أقللن وربّ الشياطين وما أضللن وربّ الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها،

ونعوذ بك من شرّها وشر أهلها وشرّ ما فيها، أقدموا بسم الله، وقال الحلبي وكان (ص) يقوها لكل قرية دخلها.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله (ص) إذا غزا قوماً لم يُغر عليهم حتّى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار، فنزلنا خيبر ليلاً فبات رسول الله (ص) حتّى أصبح لم يسمع أذاناً، فركب وركبنا معه وركبت خلف أبي طلحة وإنّ قدمي لتمسّ قدم رسول الله، واستقبلنا عمّال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا رسول الله (ص) والجيش قالوا: محمد والخميس معه، فأدبروا هراباً... الخ.

وقال ابن هشام^(١): قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي نجيح عن مكحول أنّ رسول الله (ص) نهاهم يومئذ عن أربع: عن إتيان الحبالي من السبايا، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتّى تُقسم.

وروى أيضاً باسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري: أنّ رسول الله (ص) حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في أكل لحوم الخيل.

ثم روى أيضاً باسناده عن خشن الصنعاني قال: غزونا مع زُوَيْفَعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ الْمَرْبِيِّ، فَافْتَتَحَ قَرْيَةَ مِنْ قَرْيِ الْمَرْبِ يُقَالُ لَهَا جَرِبَةٌ، فَقَامَ فِينَا خَطِيباً فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَا أَقُولُ فِيكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) يَقُولُهُ فِينَا يَوْمَ خَيْبَرَ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءً زَرَعَ غَيْرَهُ - يَعْنِي إِتْيَانَ الْحُبَالِيِّ مِنَ السَّبَايَا - حَتَّى يَسْتَبْرئَهَا، وَلَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَصِيبَ امْرَأَةً مِنَ السَّبْيِ حَتَّى يَسْتَبْرئَهَا، وَلَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَبِيعَ مَغْنَمًا حَتَّى يَقْسَمَ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَرْكَبَ دَابَّةً مِنْ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَعْجَفَهَا رَدَّهَا فِيهِ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَلْبَسَ ثَوْبًا مِنْ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَخْلَقَهُ

ردّه فيه .

ثم قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط أنه حدث عن عبادة بن الصامت قال: نهانا رسول الله (ص) يوم خيبر أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين وتبر الفضة بالورق العين، وقال (ص): ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين وتبر الفضة بالذهب العين .

ثم قال: قال ابن إسحاق: ثم جعل رسول الله (ص) يتدنى الحصون والأموال، فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم: أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله (ص) فقالوا: والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء، فلم يجدوا عند رسول الله شيئاً يُعطيهم إياه، فقال: اللهم أنك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة وان ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناءً وأكثرها طعاماً وودكاً، ففدا الناس ففتح الله عز وجل عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه ... الخ .

وقال العلامة محمد رضا: وهي يعني خيبر ذات حصون ومزارع ونخل كثير، وكان سكانها غير مجتمعين في صعيد واحد، بل كانوا متفرقين في الوديان المجاورة ويقطنون بيوتاً حصينة وسط النخيل وحقول القمح، وكانت خيبر مركزاً لدسائس اليهود الذين هاجروا إليها، وتشتمل على سبعة حصون مبنية بالحجارة، وهي: حصن ناعم القموص، حصن أبي الحقيق، حصن الشق، حصن النطاة، حصن السلام، حصن الوطيع، حصن الكتيبة .

ثم قال: قال القزويني: وخيبر موصوفة بكثرة الحمى، لا تفارق الحمى أهلها، وكان أهلها يهود موصوفين بالمكر والخبث، ومنها كان السموأل بن عادياء المشهور بالوفاء. الى أن قال: وكان يهود خيبر أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصن الكتيبة وجمعوا المقاتلة في حصن النطاة، وكان النبي (ص) نزل قريباً من حصن النطاة، فأشار عليه الحباب بن المنذر بالتحول قائلاً إن أهل النطاة لي بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية منه، وهم مرتفعون علينا، وهو أسرع لانحطاط نبلهم، ولا نأمن من بياتهم يدخلون في خمير النخل فتحول رسول الله (ص) وتحول الناس الى موضع حائل بين أهل خيبر وغطقان، وابتنى هنالك مسجداً صلى

به طول مقامه بخيبر، وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة، فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمئة نخلة، ثم نهاهم عن القطع، وقاتل يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر، وهو على فرس يقال له الظرب، في يده قناة وترس. وفي ذلك اليوم قُتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة برحى ألقى عليه من حصن ناعم، ألقاها عليه مرحب اليهودي، وكان الحرّ في ذلك اليوم شديداً، ومكث سبعة أيام يقاتل أهل حصن النطاة... الخ.

وقال الحلبي^(١): «ورسول الله (ص) على فرس يقال له الظرب، وعليه درعان. إلى أن قال: وقد دفع (ص) لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً، فدفعه إلى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً، وخرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله (ص) في موقفه، فاشتد ذلك على رسول الله وأمسى مهموماً... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): «وقال (ص) في مسيره لعامر بن الأكوع عمّ سلمة بن عمرو بن الأكوع: اجد لنا، فنزل وحدهم يقول:

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبتت الأقدام إن لاقينا

فقال له رسول الله (ص): «رحمك الله. فقال عمر: هلاً أمتعتنا به يا رسول الله (ص)، وكان إذا قالها لرجل قتل، فلما نازلوا خيبر بارز عامر فعاد عليه سيفه فجرحه جرحاً شديداً فأت منه، فقال الناس، أنه قتل نفسه. فقال سلمة ابن أخيه للنبي (ص) ما قالوا، فقال: كذبوا بل له أجره مرتين... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٣): «وعند إنشاده الأبيات المذكورة قال له رسول الله (ص) يرحمك ربك، وفي رواية غفر لك ربك، وما قال (ص) ذلك لأحد في مثل هذا الموطن إلا استشهد. فقال عمر: هلاً أمتعتنا به، أي هلاً أخرت الدعاء إلى وقت آخر، فاستشهد رضي الله عنه في

(١) السيرة الحلبية ٣/٣٤.

(٢) الكامل ٢/٢١٦.

(٣) السيرة لدحلان ٢/٥٢.

هذه الغزوة رجع إليه سيفه فقتله، فإنه أراد أن يضرب به ساق يهودي فجاءت ذابته في ركبته فمات من ذلك: فقال الناس، قتله سلاحه، وفي رواية قتل نفسه أي فليس بشهيد، فقال رسول الله (ص) أنه لشهيد... الخ.

وقال الطبري^(١): فكان أول حصونهم أفتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، أقيت عليه رحاً منه فقتله، ثم القموص حصن أبي الحقيق، وأصاب رسول الله منهم سبايا، منها صفية بنت حيي بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع، وابنتي عمها، فاصطفى رسول الله صفية لنفسه. وكان دحية الكلبي سأل رسول الله (ص)، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): حدثنا عبدالله بن مسلمة، حدثنا حاتم، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي بن أبي طالب تخلف عن رسول الله (ص) في خيبر وكان رمداً، فقال: أنا أتخلف عن النبي (ص)؟ فلحق به، فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال: لأعطين غداً الراية أو ليأخذن الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله يفتح عليه، فنحن نرجوها، فقيل: هذا علي، فأعطاه ففتح عليه.

وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن حاتم به، ثم قال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن، عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد: أن رسول الله (ص) قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على النبي (ص) كلهم يرجو أن يعطاها، فقال أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسل إليه فأتي فبصق رسول الله (ص) في عينيه ودعاه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال (ص): انفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم الى الإسلام وأخبرهم بما يجب

(١) تاريخ الطبري ٩/٣.

(٢) السيرة النبوية ٣/٣٥١-٣٥٧.

عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم. وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة به.

وهكذا رواه صاحب المشكاة الشيخ عبدالحق الدهلوي في كتاب مشكاة المصابيح في ص ٥٦٢ ثم أنه بعد نقل الحديث قال: أنه متفق عليه.

وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سُهَيْل بن أَبِي صالح عن أبيه عن أَبِي هريرة قال: قال رسول الله (ص) لَأُعْطِينَ الرَايَةَ غداً رجلاً يَحِبُّ اللهَ ورسوله وَيُحِبُّه اللهَ ورسوله يفتح الله عليه. قال عمر: فما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فدعا علياً فبعثه ثم قال: اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت. قال علي على ما أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد مُنِعُوا منّا دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله.

ثم قال ابن كثير: وقال الإمام أحمد: حدثنا مصعب بن المقدم وجحش بن المثنى، قالوا حدثنا إسرائيل، حدثنا عبد الله بن عصمة العجلي، سمعت أبا سعيد الخدري يقول: إن رسول الله أخذ الراية فهزّها، ثم قال: من يأخذها بحقها، فجاء فلان فقال أنا، قال امض، ثم جاء رجل آخر فقال امض، ثم قال النبي (ص): والذي كَرَّمَ وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفرّ. فقال: هاك يا علي، فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها... الخ.

ثم قال ابن كثير: وقال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال: بعث النبي (ص) أبا بكر إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث عمر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح، فقال رسول الله (ص): لَأُعْطِينَ الرَايَةَ غداً رجلاً يَحِبُّه اللهَ ورسوله وَيُحِبُّه اللهَ ورسوله يفتح الله على يديه وليس بفرّار. قال سلمة: فدعا رسول الله علي بن أبي طالب وهو يومئذ أرمَد، فتنفل في عينيه ثم قال: خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك. فخرج بها والله يَصُولُ يَهْرُولَ هرولة وأنا لخلفه تتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع يهوديٌّ من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال علي: أنا علي بن أبي طالب. فقال

اليهودي: غلبتم وما أنزل على موسى، فما رجع حتى فتح الله على يديه.

وقال البيهقي: أنبأنا المحاكم، أنبأنا الأصم، أنبأنا العطاردي، عن يونس بن بكير، عن الحسين بن واقد، عن عبدالله بن بريدة، أخبرني أبي قال: لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له، وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس، فقال رسول الله (ص): لأدفعنّ لوائي غداً الى رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح الله له. فبتنا طيبة نفوسنا انّ الفتح غداً، فصلّى رسول الله (ص) صلاة الغداة ثم دعا باللواء وقام قائماً، فما منا من رجل له منزلة من رسول الله إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل، حتى تناولت أنا لها ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه، فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي عينيه، قال: فسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح له ... الخ.

ثم قال ابن كثير: ثم روى البيهقي عن يونس بن بكير عن المسيّب بن مسلمة الأزدي حدّثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله (ص) ربما أخذته الشقيقة فلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس، وانّ أبا بكر أخذ راية رسول الله ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً وهو أشدّ من القتال الأول ثم رجع، فأخبر بذلك رسول الله (ص) فقال: لأعطينها غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله يأخذها عنوة، وليس ثمّ علي، فتناولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك، فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى إذا أناخ قريباً وهو أرمد وقد عصب عينيه بشقّة برد قطري، فقال رسول الله: مالك؟ قال: قال رمدت بعدك. قال (ص): ادن منّي، فتفل في عينيه فما وجعها حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبّة أرجوان حمراء قد أخرج خملها، فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر اتي مرحب
شاك سلاحي بطل مجرب
إذا الليوث أقبلت تلهب
وأحجمت عن صولة المغلّب

فقال علي:

أنا الذي سَمَّيْتُني أُمِّي حَـيْدَرَةَ كَلَيْثَ غَابَاتِ شَدِيدِ الْقَسُورَةِ

أَكِيلِكُمْ بِالصَّاعِ كَيْلِ السَّنْدَرَةِ

قال: فاختلفا ضربتين، فَبَدَّرَهُ عَلِيٌّ بِضَرْبَةِ فَقْدِ الْحَجَرِ وَالْمَغْفَرِ وَرَأْسَهُ وَوَقَعَ فِي الْأَضْرَاسِ وَأَخَذَ الْمَدِيَةَ.

وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب، عن عبدالله بن بكر، عن حكيم بن جبير، عن ابن عباس قصة بعث أبي بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث علي فكان الفتح على يديه، ثم قال: وقد روى مسلم والبيهقي واللفظ له من طريق عكرمة بن عمار عن اياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه.

أقول: ثم ذكر قصة عامر وشهادته التي قد سبقت قبل ذلك، الى أن قال: قال أرسل رسول الله (ص) الى علي يدعوه وهو أرمد، وقال لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله. قال: فجئت به أقوده. قال: فبصق في عينيه فبرأ، فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول الى أن قال: فبرز له علي وهو يقول، ثم قال: فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله وكان الفتح.

ثم قال ابن كثير: وقال أحمد: حدثنا حسين بن حسن الأشقر، حدثني قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن جده، عن علي قال: لما قتلت مرحباً جئت برأسه الى رسول الله. ثم نقل ابن كثير القول الآخر في قاتل مرحب اليهودي، انتهى.

وقال ابن الأثير^(١): قال بريدة الأسلمي: كان رسول الله (ص) ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزلت خيبر أخذته. الى أن قال: فقال (ص): أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة، وليس ثم علي كان قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه، فلما قال رسول الله (ص) مقالته هذه تطاولت لها قريش ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك، فأصبح فجاء علي على بعير... الخ.

وفي منتخب كنز العمال بهامش المسند (ج ٥ ص ٤٤) عن أبي ليلى قال إن رسول الله (ص) بعث أبا بكر فسار بالناس فانهزم حتى رجع عليه وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه فقال رسول الله (ص) لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله له ليس بفرار ورواه بإسناده عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله (ص) لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله كزار غير فرار يفتح الله على يديه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره... الخ.

وفي تاريخ البخاري (ج ١ قسم ٢ ص ١١٥) بإسناده عن عامر بن سعد سمعت النبي (ص) يوم خيبر يقول (ص) لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتناولنا فقال (ص) ادعوا علياً. وفي تاريخ بغداد (ج ٨ ص ٥) ذكر حديث الراية.

وروى الطبري^(١) بإسناده عن بُريدة الأسلمي قال: لما كان حين نزل رسول الله (ص) بحصن أهل خيبر أعطى رسول الله (ص) اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يمجّبته أصحابه ويحبّبتهم. هكذا رواه ابن حجر في مجمع الزوائد في الجزء التاسع ص ١٢٣.

فقال رسول الله: لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فلما كان من الغد تناولها أبو بكر وعمر، فدعا علياً وهو أرمد، فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض معه من الناس من نهض. قال: فلقني أهل خيبر فاذا مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تلهّب

فاختلف هو وعلي ضربتين، فضربه علي على هامته حتى عضّ السيف منها بأضراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته، فما تتامّ آخر الناس مع علي ﷺ حتى فتح الله له ولهم. ثم روى الطبري ما رواه ابن كثير وابن الأثير عن بُريدة الأسلمي، انتهى.

قال محمد بن سعد^(٢): أخبرنا عفان بن مسلم، قال حدّثنا وهيب، قال حدّثنا سهيل، عن

(١) تاريخ الطبري ١١/٣.

(٢) الطبقات الكبرى ١١٠/٢.

أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله يوم خيبر: لأدفعن الراية الى رجل يُحِبُّ الله ورسوله ويُحِبُّه الله ورسوله ويفتح عليه. قال عمر: فما أحببت الامارة قبل يومئذ، فتطاولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إليّ، فلما كان الغد دعا علياً فدفعها إليه فقال: قاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك. فسار قريباً ثم نادى: يا رسول الله علام أقاتل؟ قال (ص): حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله.

ثم روى قصة عامر وشهادته الى أن قال: قال سلمة: انّ نبي الله (ص) أرسلني الى علي بن أبي طالب فقال: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويُحِبُّه الله ورسوله. قال: فجئت به أقوده أرمداً، فبصق رسول الله (ص) في عينيه ثم أعطاه الراية، فخرج مرحباً يخطر بسيفه فقال: قد علمت خيبر... الخ. فقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وبركاته: أنا الذي سمّيتني أمي حيدرّة... الخ، ففلق رأس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه، انتهى.

وروى الإمام أحمد^(١): باسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن علي أنه قال قال (ص): لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ليس بفرار فتشرف لها أصحاب النبي (ص) فأعطانيها رواه في المسند في الجزء الأول ص ٩٩. ورواه أيضاً باسناده عن ابن عباس في ص ٣٣١ قال قال النبي (ص): لأبعثن رجلاً لا يُخزّيه الله أبداً يُحِبُّ الله ورسوله... الخ.

ورواه في ص ١٨٥ باسناده عن سعد بن أبي وقاص قال سمعته يقول لأعطين الراية الحديث.

وقال ابن هشام^(٢): قال ابن إسحاق: وحدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه سفيان بن فروة، عن سلمة بن عمرو ابن الأكوع قال: بعث رسول الله (ص) أبا بكر برايته وكانت بيضاء الى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث الغد عمر

(١) مسند الإمام أحمد ١ / ٩٩.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٣٤٩.

ابن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد، فقال رسول الله (ص): لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرّار. قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله (ص) علياً وهو أرمد، فتفل في عينيه ثم قال: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك. قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأخ ويهرول هرولة وأنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: يقول اليهودي: علوثم وما أنزل على موسى أو كما قال، فما رجع حتى فتح الله على يديه، انتهى.

وقال الواقدي: فقال رسول الله (ص) بعدما صلى المغرب من يوم لقي أصحابه ما لقوا من اليهود: اني معطي رايتي رجلاً لا يرجع حتى يفتح الله عليه خبير، فرجع أصحاب رسول الله (ص) الى رحالمهم مستبشرين ببشارة رسول الله، فباتوا طيبة أنفسهم مستيقنين ان الله فاتح عليهم غداً، ثم جلسوا على مصافهم وأخذوا راياتهم، وليس من أصحاب رسول الله رجل ذو شرف أو منزلة من النبي (ص) إلا وهو يرجو أن يكون هو صاحب الفتح الذي ذكر رسول الله، فلما أخذ القوم راياتهم أخذ رسول الله (ص) رايته فهزها ودعا ربّه ثم أعطاها علي بن أبي طالب، فمضى ومضى الناس... الخ.

وقال الكازروني اليماني: قالت الرواة: ثم ان الله قد فتحها علينا - يعني خبير - وذلك ان النبي (ص) أعطى الراية عمر بن الخطاب فنهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خبير فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا الى رسول الله وكان (ص) قد أخذته الشقيقة. ثم نقل الحديث كما مر سابقاً الى أن قال: فقال (ص): أنا والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة. قال الراوي: وليس ثمّ علي، فلما كان من الغد تناولها أبو بكر وعمر وقريش يرجو كل واحد أن يكون هو صاحب ذلك، فأرسل رسول الله (ص) سلمة بن الأكوع الى علي، فجاءه وهو أرمد قد عصب عينيه بشقة برد قطري، فتفل في عينيه لما وجعها بعد حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية فقاتل حتى فتح مدينة خبير، انتهى.

وفي كتاب الأنس الجليل ص ١٧٩ للشيخ القاضي عبدالرحمن مجير الدين الحنبلي

المقدسي قال وكان علي (ع) قد تخلف في المدينة لرمد لحقه فلما أصبحوا جاء علي (ع) فتفل النبي (ص) في عينيه فما اشتكى رمداً بعدها وأعطاه الراية فنهض بها وأتى خيبر فأشرف عليه رجل من يهود خيبر وقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي: غلبتم يا معشر يهود فخرج مرحب من الحصن وعليه مغفر يمني وعلى رأسه بيضة عادية وهو يقول الأبيات فخرج إليه علي (ع) وهو يقول الأبيات فاختلف بينهما ضربتان فسبقه علي (ع) فقدّ البيضة والمغفر ورأسه فسقط عدو الله ميتاً وكان فتح خيبر في صفر على يد علي (ع).

وقال الزيني دحلان^(١): وكان (ص) تأخذه الشقيقة في بعض تلك الأيام، فبعث أناساً من أصحابه فلم يكن فتح، ثم قال (ص) لمحمد بن مسلمة: لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يؤلى الدبر يفتح الله عزّ وجلّ على يديه فيمكنه الله من قاتل أخيك، وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة له منزلة عند النبي (ص) إلا ورجا أن يُعطاه، وفي رواية فبات الناس يَحْضُونَ ليلتهم أيهم يُعطاه، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله كلهم يرجوا أن يُعطاه، وعن عمر بن الخطاب أنه قال: ما أحببت الامارة إلا ذلك اليوم، ويروى أن علياً لما بلغه مقالته (ص) قال: اللهم لا مُعْطِي لما منعت ولا مانع لما أعطيت، فبعث رسول الله (ص) إلى علي وكان أرمداً شديد الرمد، وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم، فقيل للنبي (ص) أنه يشتكي عينيه. فقال: من يأتيني به، فذهب إليه سلمة ابن الأكوع وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي وقد عصب عينيه، فعقد له لواءه الأبيض.

وفي شرح مواقف العضدي في الجزء الثاني ص ٤٧٥ ذكر حديث الراية وانهمزام أبو بكر وعمر في تلك الغزوة.

إلى أن قال: قال علي: يا رسول الله أتني أرمداً كما ترى لا أبصر موضع قدمي، فوضع رأسه في حجره ثم بصق في عينيه، وفي رواية فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع، وقال علي: فما رمدت بعد يومئذ، وفي رواية فما رمدت ولا صدعت، وفي لفظ

(١) السيرة لدحلان ٢ / ٥٤.

فما اشتكيتها حتى الساعة. وفي هذه السياق لطيفة، وهو انّ من طلب شيئاً أو تعرّض لطلبه يجرمه غالباً، وانّ من لم يطلب الشيء ولا يتعرّض لطلبه ربما وصل إليه.

الى أن قال: ثم دعا النبي (ص) لعلي: اللهم اكفه الحر والبرد. قال علي: فما وجدت بعد ذلك لا حرّاً ولا برداً، فكان يلبس في الحرّ الشديد القباء المحشو الثخين، ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين، وفي لفظ الثوب الخفيف فلا يبالي بالبرد، وكان يفعل ذلك اظهاراً لهذه المعجزة وتحقيقاً لها.

وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال: دخل رجل على علي وهو يرعد تحت سمل قطيفة أي قطيفة خلقة، فقال: يا أمير المؤمنين انّ الله جعل لك في هذا المال نصيباً وأنت تصنع بنفسك هكذا. فقال: والله لا أزروكم من مالكم، فانها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة. وقد يقال: لا مخالفة، لجواز أن تكون رعدته تلك الحمى أصابته في ذلك الوقت لا لشدة البرد كما ظنه السائل.

ثم قال: ثم انّ النبي (ص) أعطى علياً الراية ليذهب للقتال، فقال علي: وأقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الإسلام، أي أخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله في الإسلام، فإن لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم. وفي رواية قال علي: علام أقاتلهم؟ قال: على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم.

وفي رواية: لما اعطاه الراية قال (ص): امش فلا تلتفت، فسار شيئاً ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله علام أقاتلهم؟ قال (ص): قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وانّ محمداً رسول الله، فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله. وعن حذيفة قال: لما تهيأ علي يوم خيبر للحملة قال رسول الله: يا علي والذي نفسي بيده انّ معك من لا يخذلك، هذا جبريل عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها، فابشر بالرضوان والجنة يا علي، انك سيّد العرب وأنا سيّد ولد آدم.

وفي رواية انه (ص) كان يُعطي الراية كل يوم واحداً من أصحابه ويبيعه، فبعث أبا بكر

فقاتل ورجع. الى أن قال: فقال (ص): لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كزار غير فرار، فدعا علياً.

الى أن قال: وفي رواية ألبسه درعه الحديد، وشدّ ذا الفقار الذي هو سيفه في وسطه، وأعطاه الراية، ووجّهه الى الحصن. فخرج علي يهرول حتّى ركزها تحت الحصن، ثم قال: ثم خرج إليه أهل الحصن، وكان أول من خرج إليه الحرث أخو مرحب، وكان معروفاً بالشجاعة، فانكشف المسلمون، وثب علي فتضاربا وتقاتلا، فقتله علي وانهمز اليهود الى الحصن، ثم خرج إليه مرحب.

وفي رواية: أنّ مرحباً لما علم أنّ أخاه قد قُتل خرج سريعاً من الحصن، وقد لبس درعين وتقلّد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفراً وحجراً قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان، وهو يرتجز. ثم قال: ثم حمل مرحب على علي وضربه فطرح ترسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتّى فتح الله عليه الحصن، ثم ألقاه من يده وراء ظهره، وكان طول الباب ثمانين شبراً، ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلاً إلا بعد جهد. ففيه دلالة على فرط قوّة علي وكهال شجاعته.

وعن أبي رافع قال: لقد رأيتني في سبعة نجهد على أن نقلّب ذلك الباب فلم نقدر. رواه ابن إسحاق والبيهقي والحاكم.

وعن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن جابر: أنّ علياً حمل الباب يوم خيبر، وأنّه جرّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً. رواه البيهقي.

وفي رواية للبيهقي: أنّ علياً لما انتهى الى الحصن المسمّى بالقموص اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض، فاجتمع عليه بعده منّا سبعون رجلاً، فكان جُهدهم أن أعادوا الباب مكانه. وهذا لا يعارض رواية الأربعين، لأنهم عاجوا فما قدروا فتكاملوا سبعين. وأمّا الرواية السابقة التي فيها لقد رأيتني في سبعة فقد قال الحافظ ابن حجر: الجمع بينها وبين رواية الأربعين أنّ السبعة عاجوا قلبه والأربعين عاجوا حمله، والفرق بين الأمرين ظاهر.

ثم قال: ثم أنّ علياً ضرب مرحباً فترس، فوقع السيف على الترس، فقده وشقّ المغفر

والحجر الذي تحته والعامتين، وفلق هامته حتى أخذ السيف في الأضراس. وإلى ذلك أشار بعضهم وقد أجاد بقوله:

وشاذن أبصرته مقبلاً فقلت من وجدي به مرحباً
قد فؤادي في الهوى قدة قد علي في الوغى مرحباً

ثم قال: وما ذكر من قتل علي لمرحب هو الصحيح المروي في صحيح مسلم وغيره، وقد ذكر بعض أهل السير أن الذي قتل مرحباً محمد بن مسلمة، فقال: إن مرحباً طلب المبارزة، فقال رسول الله (ص): من لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا يا رسول الله، فإن أخي قُتل بالأمس ولم يأخذ أحد بثاره، وكان الذي قتله مرحب، فقال: قم إليه، اللهم أعنه عليه. فقام إليه وبارزه، فضربه مرحب فأتقى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته، فوقع سيف مرحب فيها فعضت عليه وأمسكته، فضربه محمد بن مسلمة فقتله. وفي رواية: فضربه في ساقه.

ثم قال: فيحتمل أنه بارزه وضربه في ساقه وعلي هو الذي قتله، وقيل: إن الذي قتله محمد ابن مسلمة إنما هو الحرث أخو مرحب فاشتبه على بعض الرواة. وكان مكتوباً على سيف مرحب: هذا سيف مرحب من يصبه يعطب.

وقول علي: أنا الذي سمتني أمي حيدرة، أراد بذلك اعلام مرحب برؤية رآها علمها علي مكاشفة، وذلك إن مرحباً رأى تلك الليلة مناماً أن أسداً افترسه، فأشار بقوله «حيدرة» وهو من أسماء الأسد إلى أنه الأسد الذي يفترسه، فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه. وهذا الاسم سميت علياً به أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، أرادت أن يكون اسم ابنها كاسم أبيها، وكان أبو طالب غائباً، فلما قدم كره ذلك وسماه علياً. انتهى ما نقله الزيني دحلان ملخصاً.

وقال الملا معين في المعارج في الركن الرابع ص ٢٢٦ وعبدالحق الدهلوي في المدارج ص ٣٢٦ ولما بلغ النبي (ص) خبر فتح خيبر سرّ بذلك غاية السرور فاستقبل علياً (ع) واعتنقه وقبّل عينيه وقال (ص): قد بلغني نبأك المشكور وصنعك رضي الله عنك ورضيت أنا عنك. وفيها قبل ذلك: إن علياً لما قلع باب الحصن تزلزت الحيطان وسقطت صفة عن سريرها على الأرض وشجّت وجهها.

وفي المناقب المرتضوية ص ٤٠٠ انّ أبا بكر وعمر قبلاً رأسه وانّ عبدالله بن مسعود قرأ هذه الآية وكفى الله المؤمنين القتال بعلي. و ص ٤٠٧ قال فلماً بلغ النبي (ص) خبر فتح خيبر سرّه ذلك غاية السرور ... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): وقيل انّ الذي قتل مرحباً وأخذ الحصن علي بن أبي طالب، وهو الأشهر والأصح ... الخ.

وقال العلامة محمد رضا: وقيل انّ محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحباً انتقاماً لأخيه محمود، والصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث انّ علي بن أبي طالب هو الذي قتل مرحباً ... الخ.

وقال الحلبي^(٢): وقيل القاتل له علي، وبه جزم مسلم في صحيحه، قال بعضهم: والأخبار متواترة به.

ثم قال: وقال ابن الأثير: الصحيح الذي عليه أهل السير والحديث انّ علياً قاتله، وفي الاستيعاب: والصحيح الذي عليه أهل السير والحديث انّ علياً قاتله، انتهى.

ورواه في مجمع الزوائد^(٣): عن ابن عمر قال جاء رجل من الأنصار الى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله انّ اليهود قتلوا أخي قال (ص) لأدفعنّ الراية الى رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله يفتح الله على يديه فيمكنك من قاتل أخيك فاستشرف لذلك أصحاب رسول الله (ص) فبعث الى علي (ع) فعقد له اللواء فقال يا رسول الله (ص) انّي أرمد كما ترى وهو يومئذ أرمد فتقل في عينيه فما رمدت بعد يومه فضئ ... الخ.

وقال سبط ابن الجوزي^(٤): وذكر أحمد في الفضائل أيضاً أنّهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم، وقائل يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

(١) الكامل ٢/ ٢١٩.

(٢) السيرة الحلبية ٣/ ٣٨.

(٣) مجمع الزائد ٩/ ١٢٣.

(٤) تذكرة الخواص ص ٣٣.

ثم قال: فإن قيل: قد ضعفوا لفظه لا سيف إلا ذو الفقار. قلنا إن الذي ذكروه إن الواقعة كانت في يوم أحد، ونحن نقول أنها كانت في يوم خيبر، وكذا ذكره أحمد بن حنبل في الفضائل، ولا كلام في يوم أحد، فإن ابن عباس قال: لما قتل علي طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين صاح صائح من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار. قالوا: في اسناد هذه الرواية عيسى ابن مهران، تكلم فيه وقالوا كان شيعياً. أما يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد من العلماء. وقيل: إن ذلك كان يوم بدر، والأول أصح. وقال جابر بن عبد الله: حمل علي باب خيبر وحده فدحاه ناحية، ثم جاء بعده الناس يحملونه فلم يحمله إلا أربعون رجلاً... الخ.

وقال ابن كثير^(١): روى البيهقي والحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر الباقر عن جابر: إن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها، وأنه جُرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً... الخ.

وقال ابن صباغ المالكي^(٢): وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح إن النبي (ص) قال: لأعطين الراية... الخ.

ثم قال: وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت في مدحه (ع):

وكان علي أرمدا العين يبتغي	دواءً فلما لم يحسّ مُداوياً
شفاه رسول الله منه بتفلة	فَبورك مرقياً وبُورك راقياً
وقال سأعطى راية القوم فارساً	كَمِيناً شُجاعاً في الحروب محارباً
يجب إلهياً والإله محبته	به يفتح الله الحصون الأوابياً
فخص لها دون البرية كلهم	عليّاً وسمّاه الوليّ مواخياً

ثم قال: وفي صحيح مسلم: قال عمر بن الخطاب فما أحببت الامارة إلا يومئذ فتساورت لها... الخ.

(١) السيرة النبوية ٣/٣٥٩.

(٢) الفصول المهمة ٣٧.

وقال الحلبي^(١): ثم قال (ص) لمحمد بن مسلمة: لأعطين الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبّ الله، وفي لفظ: لأدفعن الراية الى رجل يحبّ الله ورسوله لا يؤلّي الدبر يفتح الله عزّ وجلّ على يده فيمكنه الله من قاتل أخيك، وعند ذلك لم يكن من الصحابة أحد له منزلة عند النبي (ص) إلا يرجو أن يُعطاها، وعن عمر بن الخطاب أنّه قال: ما أحببت الامارة إلا ذلك اليوم، ولعل ذلك لا ينافي ما جاء انّ وفد ثقيف جاؤه (ص) قال لهم: لتسلمنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً منّي - وفي رواية مثل نفسي - فليضربنّ أعناقكم وليسبنّ ذراريكم وليأخذنّ أموالكم، قال عمر: فوالله ما تمنّيت الامارة إلا يومئذ وجعلت أنصب صدري له (ص) رجاء أن يقول هو هذا، فالتفت (ص) الى علي فأخذ بيده وقال: هو هذا هو هذا.

وقد يقال: لا يلزم من محبة الشيء تمنّيه بخلاف العكس، ففي هذه الغزوة أحبّ الامارة وما تمنّاها، وفي وفد ثقيف المتأخّر عن هذه الغزوة تمنّاها، لأنّ الوصف في ذلك أبلغ من الوصف هنا. ثم قال: فليتمّمل.

الى أن قال: وعن حذيفة لما تهيأ علي يوم خيبر للحملة قال له رسول الله (ص): يا علي والذي نفسي بيده انّ معك من لا يخذلك، هذا جبريل عن يمينك بيده سيف لو ضرب الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضوان والجنة يا علي، انّك سيّد العرب وأنا سيّد ولد آدم... الخ.

وقال ابن ماجة^(٢): حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا وكيع، ثنا ابن أبي ليلى، ثنا الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان أبو ليلى يسمّر مع علي، فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف، فقلنا: لو سألته، فقال: انّ رسول الله (ص) بعث إليّ وأنا أرمد العين، يوم خيبر، قلت: يا رسول الله انّي أرمد العين فتفل في عيني ثم قال: اللهم أذهب عنه الحرّ والبرد. قال: فما وجدت حرّاً ولا برداً بعد يومئذ. وقال (ص) لأبعثنّ رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله ليس بفرّار، فتشرف له الناس، فبعث الى علي فأعطاها إيّاه.

(١) السيرة الحلبيّة ٣ / ٣٥.

(٢) سنن ابن ماجة ١ / ٤٣.

وروى مسلم^(١): باسناده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا التراب؟ قال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله (ص) فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حُمُر النّعم، سمعت رسول الله (ص) يقول له خَلّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خَلّفني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوة بعدي، وسمعتُه يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. قال: فتناولناها. فقال (ص): ادعوا لي عليّاً، فأتى به أرمداً، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم﴾ دعا رسول الله (ص) عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

ثم روى مسلم حديث الراية باسناده عن أبي هريرة وسهل بن سعد وسلمة الأكوخ، وقد نقلناه عنه قبلاً عن بعض أهل السير والتواريخ.
أقول: فقد ظهر من مجموع ما تلوناه على القارىء أمور:

نكات هامّة

الأول - إنّ حديث الراية يمكن عدّه من المتواترات لكثرة رواته عن النبي (ص)، وقد نقله جماعة من الصحابة، وهم سهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبُرَيْدة وأبو هريرة وسلمة ابن الأكوخ ومصعب بن سعد وسعد بن أبي وقاص وابن عباس وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب والمحسن بن علي، وقد نُقل عن جماعة منهم بطرق متعدّدة كما أشرنا إليها قبلاً، وأيضاً قد أخرج أصحاب الصحاح والسنن وغيرهما كمسلم والبخاري والنسائي وأبي داود وابن ماجه والبيهقي وأحمد بن حنبل وغيرهم. وقد اعترف الشيخ عبدالحق الدهلوي في مشكاة المصابيح في ص ٥٦٣ بأنّه متفق عليه، ومع هذا كلّه فقد أغمض عن ذكره العلامة محمد

حسين هيكل في حياة محمد، فيما بأيدينا من الطبعة الثالثة.

والثاني - انّ الفتح في هذه الغزوة كان بيد علي، وهو المسلمّ عند القوم كما يظهر مما تقدّم.

والثالث - انّ علياً قتل مرحباً، وهو المسلمّ أيضاً عند الأكثر، بل ادّعى بعضهم تواتر

ذلك على ما حكاه عنه الحلبي. لكن العلامة المذكور أعرض عن ذكره ونقل ما رواه بعض أهل

السير والتواريخ من قتله بيد محمد بن مسلمة، مع انّ الراوي في ذلك عن النبي واحد، وهو

جابر مع اختلاف النقل، وانّ من قتله محمد بن مسلمة كان أخا مرحب، أو أنّه ضربه بسيفه

فقتله علي. الى غير ذلك، مضافاً الى أنّه معارض بما رواه الزيني دحلان^(١): والحلبي^(٢):

وغيرهما عن النبي (ص) أنّه قال لمحمد بن مسلمة: لأعطينّ الراية الى رجل يحبّ الله ورسوله

- الى أن قال (ص) - لا يُؤلّي الدبر يفتح الله على يده فيمكنه الله من قاتل أخيك... الخ. فقد

ظهر بما ذكرناه عدم الاعتماد على ما روى عن جابر، مضافاً الى ما نقله الزيني دحلان^(٣): عن

بعض من انّ محمد بن مسلمة قتل أخا مرحب وهو الحرث، فاشتبه على بعض الرواة.

فالعجب من العلامة المذكور كيف لم يتعرض لما هو الأشهر والأصح وتعرض لما هو المعرض

عنه عند كثير من أهل التاريخ والسير كالكازروني اليماني ومحمد بن سعد وغيرهما.

الأمر الرابع - انّ علياً هو المؤيد بروح الأمين على ما رواه الزيني دحلان^(٤):

والحلبي^(٥): عن حذيفة من انّ النبي (ص) قال لعلي بن أبي طالب حين تهباً للحملة: يا علي

والذي نفسي بيده انّ معك من لا يخذلك، هذا جبريل عن يمينك... الخ.

ويعضده ما رواه جماعة في ليلة المبيت من انّ الله تعالى أوحى الى جبريل وميكائيل: أن

اهبطا الى الأرض فاحفظاه عن عدوّه، فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند

(١) السيرة لدحلان ٢ / ٥٤.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ٣٥.

(٣) السيرة لدحلان ٢ / ٥٦.

(٤) السيرة لدحلان ٢ / ٥٥.

(٥) السيرة الحلبية ٣ / ٣٧.

رجليه ... الخ. رواه الزيني دحلان والحلي والكايزوني اليماني وغيرهم.
 ويعضده أيضاً ما رواه جماعة عن الحسن بن علي حين قُتل علي بن أبي طالب قال: لقد
 فارقكم رجل ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، كان رسول الله (ص) يبعثه بالسرية
 جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح الله عليه. رواه أحمد بن عبد الله
 الطبري^(١): وسليمان بن إبراهيم الحنفي.

وروى النسائي في خصائصه^(٢): باسناده عن هُبيرة أنه قال: جمع الناس الحسن بن
 علي (ع) وعليه عمامة سوداء لما قُتل أبوه، فقال: لقد كان قتلتهم بالأمس رجلاً ما سبقه
 الأولون ولا يدركه الآخرون، وإن رسول الله (ص) قال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله
 ورسوله ويحبه الله ورسوله، ويقا تل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ثم لا ترد رايته
 حتى يفتح الله عليه ... الخ.

وقد روى النسائي^(٣) عن جماعة من الصحابة حديث الراية، منهم بُريدة حيث أورد ما
 رواه. الى أن قال: فاختلف هو وعلي ضربتين، فضربه علي على هامته حتى مضى السيف منها
 منتهى رأسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته، فما تتام آخر الناس مع علي حتى فتح لأولهم،
 انتهى.

الأمر الخامس - ما رواه سبط ابن الجوزي^(٤): عن أحمد بن حنبل في الفضائل أنهم
 سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم، وقائل يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

ثم قال: فإن قيل: قد ضعّفوا لفظ لا سيف إلا ذو الفقار. قلنا: الذي ذكروه أنّ الواقعة كانت
 في يوم أحد، ونحن نقول: أنّها كانت في يوم خيبر الى أن قال: أمّا يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد

(١) ذخائر العقبين ص ١٣٨.

(٢) خصائص أمير المؤمنين ص ٤٦.

(٣) خصائص أمير المؤمنين ص ٤١.

(٤) تذكرة الخواص ص ٣٣.

من العلماء ... الخ.

ويعضده ما رواه محمد بن يوسف الشافعي^(١) وأحمد بن عبدالله الطبري^(٢) من أن هذا النداء كان في يوم بدر، والمشهور كما اعترف به سبط ابن الجوزي^(٣): أنه كان في يوم أحد. ولا مانع من تكرّر ذلك، وإنّ الملك قد نادى به في بدر وأحد وخيبر.

الأمر السادس - قال سبط ابن الجوزي: معنى 'يَدُوكُونَ أي يختلطون، والدوك الاختلاط، وأتَمَّا مَثَلُ بِحُمُرِ النَّعَمِ لَانْهَآ مِنْ أَعَزِّ أَمْوَآلِ الْعَرَبِ. وقول عمر «تساورت» أي تطلّعت، وأتَمَّا لم يلتفت علي امتثالاً لأمر رسول الله (ص) واستعمالاً للأدب، ولئلا يرجع في حاجة بعثه فيها رسول الله.

الأمر السابع - إنّ قول عمر بن الخطاب لرسول الله (ص) حين دعا لعامر وهو لولا متعتنا بعامر، اعتراض على رسول الله (ص)، وكَم كَانَ لَهُ مِنْ نَظِيرٍ، وقد تقدّم ما نقله أهل التاريخ والسير في الحديبية وأنّه اعترض على رسول الله كراراً، مع أنّه (ص) لا ينطق عن الهوى ولا يفعل ما يفعله من عند نفسه.

تتمة غزوة خيبر

قال ابن كثير^(٤): وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الإيمان والشهادة في ساعة واحدة، وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال: وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيّده، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنّه نبي، فوقع في نفسه ذكر النبي (ص)، فأقبل بغنمه حتّى عمد لرسول الله فقال: الى ما تدعو؟ قال (ص): أدعوك

(١) كفاية الطالب ص ٢٧٧ و ٢٨٠.

(٢) ذخائر العقبين ص ٧٤.

(٣) تذكرة الخواص ص ٣٣.

(٤) السيرة النبوية ٣ / ٣٦١.

الى الإسلام والى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . قال : فقال العبد : فماذا يكون لي إن شهدت بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله : الجنة إن متّ على ذلك . فأسلم العبد فقال : يا نبي الله انّ هذه الغنم عندي أمانة . فقال رسول الله أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا فانّ الله سيؤدي عنك أمانتك ، ففعل فرجعت الغنم الى سيدها ، فعرف اليهودي انّ غلامه قد أسلم ، فقام رسول الله (ص) فوعظ الناس . فذكر الحديث في إعطائه الراية عليّاً ودنوّه من حصن اليهود وقتله مرحباً ، وقُتل مع علي ذلك العبد الأسود ، فاحتمله المسلمون الى عسكرهم ، فأدخل في الفسطاط ، فزعموا انّ رسول الله (ص) اطلع في الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال : لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير ، قد كان الإسلام في قلبه حقاً ، وقد رأيت عند رأسه اثنين من الحور العين ... الخ .

أقول : وهذا أيضاً ممّا يدلّ على انّ قاتل مرحب كان علي بن أبي طالب . وهذا النقل أيضاً يعارض ما نقل عن الزهري من انّ قاتل مرحب كان محمد بن مسلمة كما لا يخفى . ثم قال ابن كثير : ثم قال البيهقي : حدّثنا محمد بن محمد بن محمد بن محمد الفقيه - الى أن قال - حدّثنا ثابت عن أنس : انّ رجلاً أتى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله انى رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لي ، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة ؟ قال : نعم ، فتقدّم فقاتل حتى قُتل ، فأتى عليه رسول الله وهو مقتول ، فقال (ص) : لقد حسّن الله وجهك وطيب ريحك وكثّر مالك ، وقال (ص) : لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبةً عليه يدخلان فيما بين جلده وجبته ، انتهى .

وقال العلامة محمد رضا : وكان أول حصن فتّحه المسلمون هو حصن الناعم من حصون النظاة على يد علي ، ثم القموص ، ولم يزل القتال ناشباً بين المسلمين واليهود والمسلمون يفتحون حصونهم حصناً بعد حصن حتى أتموها ... الخ .

وقال محمد بن سعد^(١) : فقاتل رسول الله (ص) المشركين وقاتلوه أشدّ القتال ، وقتلوا من

أصحابه (ص) عدّة، وقُتل منهم جماعة كثيرة، وفتحها حصناً حصناً، وهي حصون ذوات عدد. الى أن قال: منها القموص، والوطيح، وسُلام وهو حصن بني أبي الحقيق وأخذ كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك الجمل وكانوا قد غيّبوه في خربة فدّل الله رسوله (ص) عليه فاستخرجه ... الخ.

وقال ابن هشام^(١): قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله (ص) من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا الى حصنهم الوطيح والسلام، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله (ص) بضع عشرة ليلة. الى أن قال: فأتى رسول الله (ص) بكنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بني النضير، فسأله عنه فوجد أن يكون يعرف مكانه، فأتى رسول الله (ص) برجل من يهود فقال لرسول الله: أتيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة. فقال رسول الله (ص) لكنانة: أرايت إن وجدناه عندك أقتلك؟ قال: نعم، فأمر رسول الله (ص) بالخرربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقي فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول الله الزبير بن العوام فقال: عدّبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقده بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله (ص) الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة، وحاصر رسول الله (ص) أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسلام حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يُسيرهم وأن يحقن دماءهم ففعل، وكان رسول الله (ص) قد حاز الأموال كلّها الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من دينك الحصين ... الخ.

وقال العلامة محمد رضا: وأخذ رسول الله (ص) كنز آل أبي الحقيق، وكان من بني النضير الذي حمله حيي بن أخطب لما أجلى عن المدينة، وأمر رسول الله (ص) بقتل كنانة وأخيه الربيع، لأنها أخفوا مال حيي، وقد علم رسول الله بمكان المال وأتى به وقوم بعشرة آلاف دينار.

الى أن قال: فقد مكث المسلمون على حصارهم أربعة عشر يوماً، فلم يخرج أحد منهم، فهم رسول الله (ص) أن يحمل عليهم وأن ينصب عليهم المنجنيق، فلما أيقنوا بالهلكة سألو رسول الله (ص) الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية والخروج من خير وأرضها بذرايرهم وآلآ يصحب أحداً منهم إلا ثوب واحد، فصالحهم على ذلك وعلى ان ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم إن كتموه شيئاً، فتركوا ما لهم من أرض ومال وصفراء وبيضاء والكرع والحلقة والبز إلا ثوباً واحداً، ووجد المسلمون في الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها، ووجدوا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة، فجاءت يهود تطلبها، فأمر رسول الله (ص) بدفعها إليهم... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): فصالحهم على أن يحقن دماءهم ولهم ما حملت ركابهم وللنبي (ص) الصفراء والبيضاء والحلقة وهو السلاح ويخرجهم، وشرطوا للنبي (ص) أن لا يكتموه شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فلما وجدوا المال الذي غيبوه في مسك الجمل سبا نساءهم وغلب على الأرض والنخل ودفعها إليهم على الشطر، وكان ابن رواحة يُخترصها عليهم ويضمنهم الشطر... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢) أيضاً: وقتل من اليهود ثلاثة وتسعين رجلاً، واستشهد من أصحاب النبي (ص) بخيبر خمسة عشر رجلاً. الى أن قال: وأمر رسول الله (ص) بالغنائم فجمعت، واستعمل عليها فروة بن عمرو البياضي، ثم أمر بذلك فجزى خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لله وسائر السهان اغفال، وكان أول ما خرج سهم النبي (ص) لم يتخير في الأخماس، فأمر ببيع الأربعة الأخماس فيمن يزيد، فباعها فروة وقسم ذلك بين أصحابه، وكان الذي ولي إحصاء الناس زيد بن ثابت، فأحصاهم ألفاً وأربعمائة الخيل مائتي فرس، وكانت السهان على ثمانية عشر سهماً لكل مائة رأس وللخيل أربعمائة سهم وكان الخمس الذي صار الى رسول الله يُعطى منه على ما أراه الله من السلاح والكسوة، وأعطى منه أهل بيته

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١١٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٠٧ و ١١٤.

ورجالاً من بني عبدالمطلب ونساءً واليتيم والسائل وأطعم من الكتيبة وبني عبدالمطلب وغيرهم، وقدم الدوستيون فيهم أبو هريرة، وقدم الطفيل بن عمرو، وقدم الأشعريون ورسول الله (ص) بخيبر فلحقوه بها، فكلّم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا. إلى أن قال: لما افتتح النبي (ص) خيبر أخذها عنوة فقسمها على ستة وثلاثين سهماً، فأخذ لنفسه ثمانية عشر سهماً، وقسم بين المسلمين ثمانية عشر سهماً، وشهدا مائة فرس وجعل للفرس سهمين ... الخ.

مصالحة أهل فدك مع النبي (ص)

قال ابن هشام^(١): قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله (ص) من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر، فبعثوا إلى رسول الله (ص) يصالحونه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعدما قدم المدينة، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله (ص) خالصاً لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. وقال ابن كثير^(٢): فلما سمع أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا - يعني أهل خيبر - بعثوا إلى رسول الله (ص) أن يسيرهم ويحقن دمائهم ويخلوا له الأموال، ففعل، وكان ممن مشى بين رسول الله (ص) وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أخو بني حارثة، فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله (ص) أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأمرها، فصالحهم رسول الله (ص) على النصف على أن إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، وعامل أهل فدك بمثل ذلك.

(١) السيرة النبوية ٣/٣٦٨.

(٢) السيرة النبوية ٣/٣٧٥.

قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة

قال ابن هشام^(١): وذكر سفيان ابن عيينة عن الأجلج عن الشعبي ان جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله (ص) يوم فتح خيبر، فقبل رسول الله بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وكان ممن أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله (ص) حتى بعث فيهم رسول الله الى النجاشي عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية.

وقال محمد بن سعد^(٢): وقدم جعفر بن أبي طالب وأهل السفينتين من عند النجاشي بعد أن فتحت خيبر، فقال رسول الله (ص) ما أدري بأيهما أنا أسرّ بقدوم جعفر أو بفتح خيبر... الخ.

وروى البيهقي في السنن الكبرى ج ٧ ص ١٠١ عن النبي (ص) قال ما أدري بأيهما أشدّ فرحاً فتح خيبر أو قدوم جعفر.

وقال الحلبي^(٣): ولما أقبل عليه (ص) جعفر قام الى جعفر وقبل بين عينيه، وفي رواية قبل جبهته. وعن ابن عباس لما قدم جعفر من أرض الحبشة اعتنقه النبي (ص). الى أن قال: وكان رسول الله (ص) يقول له: أشبهت خلقي وخلقي، وفي لفظ: جعفر أشبه الناس بي خلقاً. وكان (ص) يُسميه أبا المساكين، لانه كان يحبّ المساكين ويجلس إليهم ويُحدّثهم ويحدّثونه... الخ.

(١) السيرة النبوية ٤ / ٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٠٨.

(٣) السيرة الحلبية ٣ / ٤٨.

وروى ابن كثير^(١): باسناده عن جابر أنه قال: لما قدم رسول الله (ص) من خيبر قدم جعفر من الحبشة، فتلّقاه وقبّل جبهته وقال: والله ما أدري بأيّهما أفرح بفتح خيبر أم بقدم جعفر.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وكان الذين تأخّروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلاً، وسرد أسماءهم وأسماء نسايتهم، وهم جعفر بن أبي طالب الهاشمي وامراته أسماء بنت عميس وابنه عبدالله وُلد بالحبشة وخالد بن سعيد بن العاص وامراته أمينة... الخ.

محاولة سمّ النبي (ص)

قال الطبري^(٢): فلما اطمان رسول الله (ص) أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاةً مصلية وقد سألت أي عضو من الشاة أحبّ إلى رسول الله (ص)؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السمّ فسَمّت سائر الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله (ص) تناول الذراع، فأخذها فلاك منها مضغة فلم يُسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله (ص)، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم. ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك. فقلت: إن كان نبيّاً فسيُخبر وإن كان ملكاً استرحت منه. فتجاوز عنها النبي (ص) ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل.

ثم روى باسناده عن مروان بن عثمان بن سعيد المعلى قال: وقد كان رسول الله (ص) قال في مرضه الذي توفّي فيه ودخلت عليه أم بشر بن البراء تَعوده: يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع ابنك بخيبر. قال: وكان المسلمون يرون أنّ رسول الله (ص) قد مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة، انتهى.

(١) السيرة النبوية ٣ / ٣٩١.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ١٥.

وروى محمد بن سعد^(١) بإسناده عن أبي هريرة أنه قال: لما فُتحت خيبر أُهديت لرسول الله (ص) شاة فيها سم، فقال النبي: اجمعوا من كان ههنا من اليهود، فجمعوا إليه فقال رسول الله: اني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله: كذبتكم أبوكم فلان. قالوا: صدقت وبررت. فقال (ص): هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، فإن كذبتناك عرفت كذبتنا كما عرفت أينا، فقال لهم رسول الله (ص): من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها. فقال رسول الله: اخسثوا فيها ولا تخلفكم فيها أبداً.

وروى ابن كثير^(٢): هكذا والله لا تخلفكم فيها أبداً.

ثم قال محمد بن سعد^(٣): ثم قال لهم: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟ قالوا: نعم. قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذباً استرحنا منك، وإن كنت نبياً لم يضررك، انتهى.

وروى العلامة محمد رضا عن البخاري عن أبي هريرة أنه قال: لما فُتحت خيبر واطمان (ص) بعد فتحها أُهديت للنبي شاة فيها سم، فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظم أنها مسمومة، وازدرد بشر بن البراء لقمته، فقال (ص): ارفعوا أيديكم، وأرسل الى اليهودية فقال: هل سممت هذه الشاة. فقالت: من أخبرك. قال (ص): أخبرتني هذه التي في يدي، مشيراً للذراع. قالت: نعم. قال لها: ما حملك على ذلك؟ قالت: إن كنت نبياً يطلعك الله، وإن كنت كاذباً فأريح الناس منك، وقد استبان لي أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضرك اني على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فعفا عنها ولم يعاقبها. وتوفي من أصحابه الذين أكلوا معه بشر بن البراء، واحتجم رسول الله (ص) على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة، انتهى.

(١) الطبقات الكبرى ١١٥ / ٢.

(٢) السيرة النبوية ٣٩٥ / ٣.

(٣) الطبقات الكبرى ١١٦ / ٢.

أحداث بعد غزوة خيبر

ثم قال وقد قسم رسول الله (ص) غنائم خيبر، فأعطى الرجل سهماً والفرس ثلاثة أسهم بعد أن ختمها خمسة أجزاء، ثم دفع لأهل خيبر الأرض ليعملوا فيها بشرط ما يخرج منها من ثمرٍ أو زرع، وقال لهم: أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. ثم استمرّوا على ذلك الى خلافة عمر، الى أن وقعت منهم خيانتة وغدر لبعض المسلمين، فأجلاهم الى الشام بعد أن استشار في ذلك الصحابة.

ثم قال: ولما انصرف رسول الله (ص) من خيبر فكان ببعض الطريق، فلما كان آخر الليل قال: من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام. قال بلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك، فنزل رسول الله (ص) ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي، فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم استند الى بغيره واستقبل الفجر يرمقه فغلبته عينه فنام فلم يوقظهم إلا مس الشمس، وكان رسول الله (ص) أول أصحابه هباً (أي استيقاظاً)، فقال: ماذا صنعت يا بلال؟ قال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك. قال: صدقت. ثم اقتاد رسول الله (ص) بغيره غير كثير، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى رسول الله بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: إذا نسيتم الصلاة فصلّوها إذا ذكروها، فإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿أقم الصلاة لذكري﴾ ثم قال: وكان فتح خيبر في صفر، انتهى.

أقول: وهكذا رواه ابن كثير^(١): عن الزهري عن سعيد بن المسيّب، وأنهم ناموا عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر، وإن رسول الله (ص) كان أولهم استيقاظاً. ثم نقل أقوالاً آخر، وإن ابن مسعود قال: كان ذلك مرجعهم من الحديبية. ثم نقل عن البيهقي أنه قال: فيحتمل أن ذلك كان مرتين، ونقل أيضاً عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك... الخ. ومع ذلك كله لم يثبت نومه (ص) عن الصلاة وإن ذكره القوم بأسانيد متعدّدة.

(١) السيرة النبوية ٣/٤٠٣.

وقال الواقدي: ثم نُودي في الناس بالرحيل الى المدينة، فأمر رسول الله (ص) صفيّة أن تترك خلفه. الى أن قال: وأخذ رسول الله (ص) يصلح ملحفتها عليها وأصحابه ينظرون إليه، يقول بعضهم لبعض: انظروا الى نبي الله، فإن أمرها فغطت وجهها فهي من أمهات المؤمنين فلا تسايروه، وكان رسول الله شديد الغيرة، ثم قال: فأمرها رسول الله (ص) بعدما ركبت فغطت وجهها، ثم سار وسار الناس، فأقبل رجل من بني سُليم يقال له الحجاج بن غلاظ وكان قد شهد مع رسول الله فتح خيبر فاستأذنه الى مكة، فقال: يا رسول الله ان لي مالاً حسناً بمكة عند امرأتي وانها إن تعلم بإسلامي تذهب بمالي وتحتته يومئذ أم حجر بنت شيبه حاجب الكعبة وكان رجلاً غنياً وكان له المعدن الذي بنجران بأرض بني سُليم، فأذن له رسول الله (ص)، ثم قال: يا رسول الله جعلني الله فداك ائذن لي أن أنال منك وأنعك لأهل مكة لعلّي أغرهم بذلك قبل أن يعلموا بإسلامي، فأذن له، فانطلق الحجاج على نجيبه له فأسرع به السير لا يلوي على شيء حتى قدم مكة، وكان أهل مكة قبل أن يقدم عليهم الحجاج قد تبايعوا بموال عظام أجلها الى أن يقضي الله بين محمد وأهل خيبر، وقالوا: قد استورد محمد وأصحابه حراماً قطعياً أهل خيبر والحليفين أسد وغطفان، ثم القموص حصناً منيعاً ليس كنحو ما كان محمد يفوي من قبائل العرب، ولم يكونوا يرون أن ينقضي شأن نبي الله وأهل خيبر. فلما قدم عليهم الحجاج خرجوا يشتدون إليه حتى امتلأت الدار منهم، وقالوا: أخبرنا ما وراءك يا حجاج قال: عندي من الخبر الذي يسركم، شهدت قتال محمد وأهل خيبر، فاقتتلوا قتالاً شديداً فحال أصحاب محمد عنه فأخذته اليهود أخذاً، فقالوا: لن نقتله حتى نبلغه أهل مكة فينظروا إليه ثم نقتله بسيّدنا حيي بن أخطب. ففرح أهل مكة فرحاً شديداً لم يفرح الناس قط فخرج نساؤهم ورجالهم وعذارهم الى المسجد يغسلون لآهتهم الخبيثة شامتين بالذي لقي محمد وأصحابه من اليهود، ولا يشكون ان ذلك حق، وانقبع كل مؤمن ومؤمنة بمكة فدخلوا دورهم كأنما على رؤوسهم الطير، فبلغ ذلك العباس بن عبدالمطلب فأراد القيام فلم تحمله رجلاه وألقى بالأرض، فعرف العباس أنه سيؤتى في داره من بين شاميتٍ ومسلمٍ مكروب يرجو أن يكون عند عباس خبر هو خير من الذي بلغهم. فأمر

عباس بياب داره ففتح، ثم أمر بابين له صغير يقال له قثم جعله على صدره، ثم جعل يرتجز ويقول:

يابني قثم شيبية ذي الكرم
 ذي الأنف الأشم تردى بالنعم
 يزعم من زعم

فجعل لا يدخل دار العباس أحدًا إلا سمع قول العباس لابنه، فخرجوا وقالوا: لو كان في هذا الخبر شيء لكان للعباس حال سوى الذي نراه عليه، فلما خلت دار العباس من الناس وانتصف النهار دعا العباس غلاماً له يقال له أبو زبيبة فقال يا أبا زبيبة إئت الحجاج بن غلاظ فقل له: إن العباس يقرأ عليك السلام ويقول: الله أجل وأكرم من أن يكون الذي حدثت عن نبيّه حقاً. فانطلق أبو زبيبة فأتى الحجاج وهو في داره وعنده ناس كثير من أهل مكة، فبلغه رسالة العباس، فقام له الحجاج وخلا به وقال: يا أبا زبيبة اقرأ على أبي الفضل السلام ومُرّه فليخل بعض بيوته ظهراً حتى آتية حين لا يراني أحد فإن عندي من الخبر الذي يسره. فانطلق أبو زبيبة فرحاً يسعى حتى انتهى إلى باب العباس، فجعل قبل أن يدخل الدار ناداه وهو على الباب: أن ابشر يا أبا الفضل فإن الحجاج يأتيك الآن وعنده من الخبر الذي يسرك. فقام العباس كأنه لم ير شيئاً ولم يسمعه، فاعتنق أبا زبيبة فقبل رأسه، ثم اعتقه قبل أن يقعد، وخلا في بعض بيوته حتى أتاه الحجاج ظهراً، فقال له العباس: ويلك يا حجاج ما هذا الخبر الذي أخبرت؟ فقال: عندي من الخبر الذي يسرك إن كتمت عليّ. قال له العباس: فلك عليّ الكتمان. فأخذ الحجاج الموائيق عليه ليكتم خبره الذي يخبره يومه ذاك حتى يصبح، فأعطاه العباس الموائيق، فقال له الحجاج: يا عباس إن أول ما أخبرك به أنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمداً عبده ورسوله ثم أنني أخبرك أنني شهدت مع رسول الله فتح خيبر، وتركت رسول الله عروساً بصفية بنت حبيّ بن أخطب، وقتل رسول الله (ص) ابني أبي الحقيق صبراً، وقسم رسول الله أموال أهل خيبر وأرضهم بين المهاجرين والأنصار، وأني استأذنت رسول الله في هذا الخبر فأذن لي إرادة أن أحرز مالي الذي عند امرأتي مخافة أن تعلم

باسلامي وتذهب بمالي، فاني أريد أن أدلج الليلة إن شاء الله إن أخذت مالي .

فخرج الحجاج فلحق بداره، فكث العباس بداره حتى أمسى وقريش حول الكعبة يصلون لآلهتهم ويدعونها شامتين بمحمد وأصحابه، فجعل العباس يجول في داره لا يرقد مما يرى في قريش من الشماتة وقرّة العين في أنفسهم، حتى أصبح وطلعت الشمس، وانطلق الحجاج حين أمسى الى امرأته فقال لها: لا تطلعي أحد على ما أحدثك، فاني تركت محمداً ينوعاً هيناً مما غنم أهل خيبر من محمد، وأريد أن أدلج الليلة مخافة أن تسبقني التجار. فأعطته المال، فلما اتمّ أدلج فأصبح وقد خلف مكة أرضاً نائية، وأصبح العباس فلبس بُردته ثم عمد الى امرأة الحجاج فدعاها إليه، فسألها عن الحجاج فحدثته وهي كهيئة الحزينة بحزن العباس، قالت: أدلج الليلة ليشتري مما غنم أهل خيبر من محمد وأصحابه. وقال لها العباس: أيتها المرأة المغرورة الحمقاء إن كان لك في زوجك حاجة فادركيه فإنه والله قد أسلم وهاجر ولحق بمحمد ولكنه قال الذي قال ليحرز ماله مخافة منك ومن أهلك. قالت: يا ابن عم والله ما أراك إلا صادقاً، فمن أخبرك هذا؟ قال: الحجاج أخبرني. فانطلقت الى أهلها تلطم وجهها وتدعو بالويل وتعثر مرّة وتقوم أخرى، وانطلق حين دخل المسجد والمشركون حول الكعبة، فلما أبصروا العباس تغامزوا به ووقعوا حينئذ في رسول الله (ص) وأصحابه يعيرونهم بالسحر والكذب، فلما انتهى إليهم العباس قال: هل أتاكم الخبر؟ قالوا: نعم قد أتانا الخبر الذي أتاك، لا يشك فيه أحد من الناس. قال: لعمر الله ما في الخبر من شك فاقصدوا في القول، فاني أشهد أن قد جرت سهام الله ورسوله والمؤمنين في أموال أهل خيبر وأراضيهم، وضرب رسول الله (ص) أعناق ابني أبي الحقيق صبراً، وترك رسول الله عروساً بصفية بنت حبي بن أخطب. قالوا: فنحن نشهد أنك كاذب، فن الذي أخبرك بالخبر أخذت من خبر الحجاج. قال: الحجاج أخبرني الخبر وقد أسلم وهاجر ولحق بمحمد، وقد أخبر امرأته خبره، فخرج رهط من المشركين الى امرأة الحجاج فعلموها خبر العباس فوجدوا امرأة الحجاج حزينة تبكي. فسألوها عن زوجها فأخبرتهم أنه قد أسلم وهاجر ولحق بمحمد، فرجعوا إلى أصحابهم فأخبروهم بالذي أخبرتهم امرأة الحجاج وبالذي رأوا في وجهها من الحزن، فردّ الله الكرب

والحزن الذي كان بالمؤمنين على المشركين.

مطالبة فاطمة عليها السلام بفدك

روى البخاري^(١): بإسناده عن عروة عن عائشة أنّ فاطمة بنت النبي (ص) أرسلت الى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي (ص) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر. فقال أبو بكر: إنّ رسول الله (ص) قال: لا نورث ما تركنا فهو صدقة، إنّما يأكل آل محمد من هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله. فأبى أبو بكر أن يدفع الى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله (ص) ستة أشهر. فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر وصلى عليها، وكان لعلي وجه في حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبائع تلك الأشهر... الخ.

وهكذا رواه مسلم^(٢) في صحيحه عن عروة عن عائشة.

وهكذا رواه أحمد بن حنبل^(٣) في الجزء الأول من المسند عن أبي بكر بسنتين.

والبيهقي في السنن الكبرى^(٤) بثلاث طرق.

فالمستفاد منه بضميمة ما رواه البخاري^(٥) عن النبي (ص) أنّه قال: فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني، إنّ النبي كان غضباناً على أبي بكر لانه أغضبها ومن أغضبها فقد أغضب رسول الله.

(١) صحيح البخاري ٢٥/٥.

(٢) صحيح مسلم ١٣٨٠/٣.

(٣) مسند لأحمد ٦/١ و٩ و١٠.

(٤) السنن الكبرى ٦/٣٠٠.

(٥) صحيح البخاري ٢٦/٥ و٣٦.

كما انّ المستفاد منه أيضاً عدم صحة أحد الدعويين، وهو ما ادّعاه أبو بكر من قوله (ص) «لا نورث» وما ادّعته فاطمة من ميراث أبيها، فالقول بعدم صحة دعواها مخالف للكتاب والسنة، أمّا الكتاب فأية المباهلة والتطهير، وأمّا السنة فقوله (ص): هؤلاء أهل بيتي، أو قوله: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة، وقوله: فاطمة بضعة مني. فالالتزام بعدم صحة دعواها تكذيب لرسول الله (ص)، لأنّها كانت من أهل البيت مسلماً وأهل البيت أدري بما في البيت. مضافاً الى ما رواه القوم عن عائشة أنّها قالت: ما رأيت أصدق من فاطمة إلا أبوها أو إلاّ الذي ولّدها، أو قوله لرسول الله (ص) سلها فانّها لا تكذب. ومما يدل على ما اخترناه انّ جماعة من الخلفاء قد ردّوه الى أهله، كعمر بن عبدالعزيز ومأمون الرشيد وغيرهما، وقد أشار الى ذلك ابن الأثير في الكامل بالنسبة الى عمر بن عبدالعزيز ومأمون الرشيد.

ومما يكذب دعوى أبي بكر ويبطله نص الكتاب في آيات الإرث، منها قوله تعالى ﴿وورث سليمان داود﴾ لأنّ المراد من الآية ميراث المال على ما صرح به هشام بن السائب الكلبي النسابة في كتابه «نسب الخيل ص ٤» في الجاهلية والإسلام طبع بديل في مدينة ليدن، قال: وكان داود نبي الله يحب الخيل حباً شديداً، فلم يكن يسمع بفرس يذكر بعرق أو عتق أو جري إلاّ بعث إليه حتّى جمع ألف فرس ولم يكن في الأرض يومئذ غيرها، فلما قبض الله داود وورث سليمان ملكه وميراثه وجلس في مقعد أبيه فقال: ما ورثني داود مالا أحبّ إليّ من هذا الخيل... الخ.

ولا يخفى انّ دعواها الإرث بعد تكذيبها في دعواها النحلة وردّ الشهود، وقد صرح جماعة من القوم بانّ فدك كان نحلة وانّ النبي (ص) وهبه لها قبل وفاته بسنتين. ومن أراد الاطلاع على ذلك فعليه المراجعة بما كتبه تعليقه على إحقاق الحق سيد مشايخنا العلامة الأكبر الآية العظمى السيد شهاب الدين النجفي المرعشي وقد صرح بعض القوم بانّ المانع من إعطائه لها كان عمر بن الخطاب، بل أنّه خرق ما كتبه أبو بكر لفاطمة من ردّ فدك.

بعض حوادث السنة السابعة من الهجرة

قال ابن الأثير^(١): وفي هذه السنة - يعني السنة السابعة - ردّ رسول الله (ص) ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع زوجها في المحرم.

وفيهما قدم حاطب من عند المقوقس بمارية أم إبراهيم ابن رسول الله (ص) وأختها سيرين وبغلته دلدل وحمارة يعفور وكسوة، فأسلمت مارية وأختها سيرين قبل قدومهما على رسول الله (ص)، فأخذ مارية لنفسه ووهب سيرين حسان بن ثابت الأنصاري، فهي أم ابنه عبدالرحمن، فهو وإبراهيم ابنا خالة.

وفيهما اتخذ منبره الذي كان يخطب الناس عليه واتخذ درجتين ومقعده، وقيل أنه عمل سنة ثمان، وهو الثبت عندنا.

وفيهما بعث رسول الله (ص) عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً الى عجز هوازن بقرية فهربوا منه، ولم يلق كيداً ورجع.

وفيهما كانت سرية بشير بن سعد والد النعمان بن بشير الأنصاري الى بني مرة بفدك في شعبان في ثلاثين رجلاً، أصيب أصحابه وارتث في القتلى، ثم رجع الى المدينة.

وفيهما كانت سرية غالب بن عبدالله الليثي الى أرض بني مرة، فأصاب مرداس بن نُهيك حليفاً لهم من جهينة، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار. قال أسامة: لما غشيناه قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فلم نزرع عنه حتى قتلناه، فلما قدمنا على النبي (ص) أخبرناه الخبر فقال: يا أسامة كيف تصنع بلا إله إلا الله.

وفيهما كانت سرية غالب بن عبدالله أيضاً في مائة وثلاثين راكباً الى بني عبد بن ثعلبة، فأغار عليهم واستاق النعم والشاء وحذروها الى المدينة.

وفيهما كانت سرية بشير بن سعد الى اليمن والجناب في شوال من سنة سبع، وكان سببها أن

جبيل بن نويرة الأشجعي كان دليل رسول الله (ص) الى خيبر، قدم على النبي فأخبره انّ جمعاً من غطفان بالجناد قد أمدهم عُيينة بن حصن وأمرهم بالمسير الى المدينة، فبعث النبي (ص) بشير بن سعد فأصابوا نعماً وقتلوا مولىً لعُيينة، ثم لقوا جمع عُيينة فهزمهم المسلمون وانهمز عُيينة، فلقية الحرث بن عوف منهزماً فقال له: قد آن لك أن تقصر عما مضى، انتهى.

وقال محمد بن سعد^(١): ثم سرية أبي بكر الى بني كلاب بنجد ناحية ضريبة في شعبان سنة سبع من مهاجره (ص).

ثم روى باسناده عن أياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: غزوت مع أبي بكر، إذ بعثه النبي (ص) علينا فسبنا ناساً من المشركين فقتلناهم، فكان شعارنا «أمت أمت». قال: فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين... الخ.

أقول: وهذه السرية ذكرها محمد بن سعد بعد سرية عمر بن الخطاب الى تربة.

اعتار النبي (ص) عمرة القضاء

قال ابن الأثير^(٢): لما عاد رسول الله (ص) من خيبر أقام بالمدينة جمادين ورجب وشعبان ورمضان وشوالاً يبعث سرايا، ثم خرج في ذي الحجة معتمراً عمرة القضاء، وساق معه سبعين بدنة، وخرج معه المسلمون ممن كان معه في عمرته الأولى، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش بينها انّ النبي (ص) وأصحابه في عسر وجهد وحاجة، فاصطفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه ولأصحابه معه، فلما دخلها اضطبع بردائه فأخرج عضده اليمنى ثم قال: رحم الله إمرءاً أراهم اليوم من نفسه قوّة، ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه.

(١) الطبقات الكبرى ١١٧/٢.

(٢) الكامل ٢٢٧/٢.

وقال محمد بن سعد^(١): ثم عمرة رسول الله (ص) القضية في ذي القعدة سنة سبع من مهاجرة. قالوا: لما دخل هلال ذي القعدة أمر رسول الله (ص) أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدّهم المشركون عنها بالحديبية، وأن لا يتخلف منهم أحد إلا رجال استشهدوا منهم بخيبر ورجال ماتوا، وخرج مع رسول الله (ص) قوم من المسلمين عُماراً، فكانوا في عمرة القضية ألفين، واستخلف على المدينة أبانهم الغفاري، وساق رسول الله (ص) ستين بدنةً، وجعل على هديه ناجية بن جندب الأسلمي، وحمل رسول الله السلاح البيض والدروع والرماح وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدّم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة وقدّم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعيد، وأحرم رسول الله (ص) من باب المسجد ولبيّ والمسلمون معه يُلبّون، ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مرّ الظهران فوجد بها نفرًا من قريش، فسألوه فقال: هذا رسول الله يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله. فأتوا قريشاً فأخبروهم، ففزعوا ونزل رسول الله (ص) بمِرّ الظهران، وقدم السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى انصباب الحرم، وخلف عليه أوس بن خولي الأنصاري في مائتي رجل، وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال وخلّوا مكة، فقدم رسول الله (ص) الهدى أمامه فحبس بذي طوى، وخرج رسول الله على راحلته القصوى والمسلمون متوشحون السيوف مُحَدّقون برسول الله يُلبّون، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحُجون وعبدالله بن رواحة أخذ بزمام راحلته، فلم يزل رسول الله (ص) يُلبّي حتى استلم الركن بحجبة مُضطرباً بثوبه، وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه قد اضطبعوا بثيابهم، وعبدالله بن رواحة يقول:

خلّوا بني الكفار عن سبيله	خلّوا فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله	كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله

يا رب أني مؤمن بقبيله

فقال عمر: يا ابن رواحة أيمن. فقال رسول الله: يا عمر اتّي أسمع فأسكت عمر وقال رسول الله أيمن يا ابن رواحة، قال: قل «لا إله إلا الله وحده ونصر عبده وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده». قال: فقاها ابن رواحة فقاها الناس كما قال.

قال: ثم طاف رسول الله بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة قال (ص): هذا المنحر، وكل فجاج مكة منحر. فنحر عند المروة وحلق هناك، وكذلك فعل المسلمون.

فأمر رسول الله (ص) ناساً منهم أن يذهبوا الى أصحابهم ببطن يأجج فيقيموا على السلاح ويأتي الآخرون فيقضوا نُسكهم، ففعلوا. ثم دخل رسول الله (ص) الكعبة فلم يزل فيها الى الظهر، ثم أمر بلالاً فأذن على ظهر الكعبة وأقام رسول الله (ص) بمكة ثلاثاً، وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية. فلما كان عند الظهر من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبدالعزيز فقالا: قد انقضى أجلك فاخرج عنا. وكان رسول الله (ص) لم ينزل بيتاً بل ضربت له قبة من آدم بالأبطح. فكان هناك حتى خرج منها، وأمر أبارافع فنادى بالرحيل وقال: لا يُيسين بها أحد من المسلمين. وأخرج عمارة بنت حمزة بن عبدالمطلب من مكة، وأم عمارة سلمى بنت عُميس، وهي أم عبدالله بن شدّاد بن الهاد، فاخصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة أيهم تكون عنده، ففضى بها رسول الله (ص) لجعفر من أجل أنّ خالتها عنده وهي أسماء بنت عُميس.

وركب رسول الله (ص) حتى نزل سرف، وتنام الناس إليه، وأقام أبو رافع بمكة حتى أمسى فحمل إليه ميمونة بنت الحارث فبنى عليها رسول الله بسرف، ثم أدلج فسار حتى قدم المدينة، انتهى.

وقال ابن هشام^(١): قال ابن إسحاق: باسناده عن ابن عباس أنّ رسول الله (ص) تزوج ميمونة بنت الحرث في سفره ذلك وهو حرام - يعني مُحْرِم. وكان الذي زوجته إياها العباس بن

عبدالمطلب .

ثم قال ابن هشام: وكانت جعلت أمرها الى أختها أم الفضل، وكانت أم الفضل تحت العباس، فجعلت أم الفضل أمرها الى العباس، فزوَّجها رسول الله (ص) بمكة وأصدقها عن رسول الله أربعائة درهم.

ثم قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله (ص) بمكة ثلاثاً، فأتاه حُوَيْطِب بن عبدالعزى في نفر من قريش في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله (ص) من مكة، فقالوا: أنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا. فقال النبي: وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه. قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا. فخرج رسول الله (ص) وخلف أبارافع مولاه على ميمونة حتى أتاه بها بسرف، فبنى بها رسول الله هنالك. ثم انصرف رسول الله (ص) الى المدينة في ذي الحجة.

ثم قال ابن هشام: فأنزل الله فيما حدَّثني أبو عبيدة ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مُحَلَّقِينَ رُؤُوسِكُمْ ومُقَصَّرِينَ لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ يعني خيبر، انتهى.

وقال الحلبي^(١): عمرة القضاء ويقال لها عمرة القضية، لأن رسول الله (ص) قاضى قريشاً عليها، أي صالحهم عليها ومن ثم قيل لها عمرة الصلح، ويقال لها العمرة القصاص. قال السهيلي: وهذا الاسم أولى بها، لقوله تعالى ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾ قال المحافظ ابن حجر: فتحصل من أسمائها أربعة: القضاء، والقضية، والصلح، والقصاص أي لأنها كانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة، أي وهو الشهر الذي صدّه فيه المشركون عن البيت منها سنة ست، ليست قضاء عن العمرة التي صدّ عن البيت فيها، فأنها لم تكن فسدت بصدّهم عن البيت، بل كانت عمرة تامّة معدودة في عُمره (ص) التي اعتمرها بعد الهجرة، وهي أربعة: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة لما قسم

(١) السيرة الحلبية ٣/٦١ و٦٦.

غنائم حنين، والعمرة التي قرنهما مع حجة الوداع بناء على ما هو الراجح من أنه (ص) كان قارناً. الى أن قال: فلما انتهى الى ذي الحليفة قدّم الخيل أمامه، فقيل: يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاح إلا بسلاح المسافر والسيوف في القرب. فقال رسول الله: لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح، ولكن يكون قريباً منه، فإن هاجنا هيّج من القوم كان السلاح قريباً منا. فضئ بالخيل محمد بن مسلمة، فلما كان بمرّ الظهران وجد نفراً من قريش فسألوه فقال: هذا رسول الله يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله وقد رأوا سلاحاً كثيراً فخرجوا سراغاً حتى أتوا قريشاً فأخبروهم بالذي رأوا من الخيل والسلاح، ففزعت قريش وقالوا: ما أحدثنا حدثاً وأنا على كتابنا ومدتنا فقيم يغزونا محمد في أصحابه. ثم انّ قريشاً بعثت مكرز بن حفص في نفر من قريش إليه (ص)، فقالوا: والله يا محمد ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت عليهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر والسيوف في القرب. فقال: انّي لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز: هو الذي تعرف به البرّ والوفاء، ثم رجع الى مكة سريعاً وقال: انّ محمداً لا يدخل بسلاح وهو على الشرط الذي شرط لكم.

فلما اتّصل خروجه (ص) لقريش خرج كبراً وهم من مكة حتى لا يروه (ص) يطوف هو وأصحابه عداوةً وبغضاً وحسداً لرسول الله، فدخل رسول الله وأصحابه مكة راكباً ناقته القصواء. الى أن قال: وجعل (ص) السلاح في بطن يأجج، وهو موضع قريب من الحرم، وتخلّف عنده جمع من المسلمين نحو مائتين من أصحابه، عليهم أوس بن خولي.

الى أن قال: وكان (ص) تزوّج ميمونة بنت الحرث الهلاليّة، وكان اسمها برة فسماها رسول الله ميمونة، وهي أخت أم الفضل زوج العباس. وكان تزوّجه (ص) ميمونة قبل أن يحرم بالعمرة، وقيل بعد أن أحلّ منها، وقيل وهو محرم، وهو ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس، ورواه الدارقطني من طريق ضعيف عن أبي هريرة، ثم قال: ولا مانع من نكاحه وهو محرم، فإنّ من خصائصه حل عقد النكاح في الإحرام. وفي كلام السهيلي كان من شيوخنا من يتأوّل قول ابن عباس «وهو تزوّجها محرماً» أي في الشهر الحرام وفي البلد الحرام، ولم يرد

الإحرام بالحج.

ثم قال: قال ابن كثير: وفيه نظر، لأن الروايات عن ابن عباس متضاربة بخلاف ذلك التي منها تزوجها وهو محرم. هذا كلامه. وعن ابن المسيب: غلَطَ ابن عباس أو قال وَهَمَ ابن عباس، ما تزوجها النبي (ص) إلا وهو حلال، ومن ثم روى الدارقطني عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة وهو حلال. قال السهيلي: فهذه الرواية عن ابن عباس موافقة لرواية غيره، فقف عليها فإنها غريبة عن ابن عباس إلى أن قال: ولما خرج رسول الله (ص) من مكة تبعته عمارة، وقيل اسمها أم أبيها، وقيل أمامة، وقيل أمة الله. قال ابن عبد البر: والمثبت أمامة.

وفي لفظ: إن أبا رافع خرج بها فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك، فلما وصلوا المدينة اختصم فيها علي وأخوه جعفر وزيد بن حارثة، فقال زيد بن حارثة: أنا أحقّ به لأنها بنت أخي وأنا وصيّته لأنه (ص) أخي بين حمزة وزيد وجعل حمزة وصيّته، وقال علي: أنا أحقّ بها لأنها بنت عمي وجئت بها من مكة، وقال جعفر: أنا أحقّ بها لأنها بنت عمي وخالتها تحتي وهي أسماء بنت عميس، ففضي بها (ص) لجعفر وقال: الحالة بمنزلة الأم. إلى أن قال: وقال (ص) لعلّي في هذا الموطن: أنت أخي وصاحبي، وفي لفظ: أنت منّي وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي، وقد تقدّم منه (ص) ذلك له في خيبر. انتهى ما نقله الحلبي ملخصاً.

بعض السرايا في السنة السابعة والثامنة من الهجرة

قال محمد بن سعد^(١): ثم سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع من مهاجر رسول الله (ص)، قالوا: بعث رسول الله ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين رجلاً إلى بني سليم، فخرج إليهم وتقدمه عين لهم كان معه، فحذّروهم فجمّعوا، فأتاهم ابن أبي العوجاء

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٢٣.

وهم مُعدّون له ، فدعاهم الى الإسلام فقالوا: لا حاجة لنا الى ما دعوتنا ، فتراموا بالنبل ساعة وجعلت الامداد تأتي حتى أحدقوا بهم من ناحية ، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قُتل عامتهم وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى ، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله (ص) ، فقدموا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان ، انتهى .

ثم قال : ثم سرية غالب بن عبدالله الليثي الى بني الملوّح بالكديد في صفر سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص) .

ثم روى باسناده عن جُنْدب مَكِيث الجهنني قال : بعث رسول الله (ص) غالب بن عبدالله الليثي ثم أحد بني كلب بن عوف في سرية ، فكتب فيهم وأمرهم أن يشنّوا الغارة على بني الملوّح بالكديد ، وهم من بني ليث . قال : فخرجنا حتى إذا كنّا بقديد لقينا الحارث بن البرصاء الليثي فأخذناه ، فقال : أنّما جئت أريد الإسلام وأنّما خرجت الى رسول الله . قلنا : إن تكن مسلماً لم يضررك رباطنا يوماً وليلة ، وإن تكن على غير ذلك نستوثق منك . قال : فشددناه وثاقاً وخلفنا عليه رويجلاً منّا أسود ، فقلنا : إن نازعك فاجتز رأسه ، فسرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكنا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي ربيّة لهم (هو العين والطلية الذي نظر للقوم) ، فخرجت حتى أتيت تلاً مشرفاً على الحاضر يطلّعي عليهم ، حتى إذا أسندت عليهم فيه علوت على رأسه ثم اضطجعت عليه ، قال : فاني لأنظر إذا خرج رجل منهم من خباء له ، فقال لامرأته : اني أرى على هذا الجبل سواداً ما رأيت أول من يومي هذا ، فانظري الى أوعيتك لا تكون الكلاب جرّت منها شيئاً . قال : فنظرت فقالت : والله ما أفقد من أوعيتي شيئاً . قال : فناوليني قوسي ونبلي ، فناولته قوسه وسهمين معها ، فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ بين عيني . قال : فانزعته فوضعتة وثبتت مكاني ، ثم أرسل آخر فوضعه في منكبّي فانزعته وثبتت مكاني . فقال لامرأته : والله لو كانت طليعة تحركت بعد ، والله لقد خالطها سهماي لا أبالك ، فاذا أصبحت فانظريها لا تمضغها الكلاب .

قال : ثم دخل وراحت الماشية من إبلهم وأغنامهم ، فلما احتلبوا وعطنوا واطمأنوا فناموا شنّا عليهم الغارة .

وقال ابن الأثير^(١): قال: فأمهلناهم حتى راحت مواشيهم واحتلبوا وعطنوا شنتنا عليهم الغارة، فقتلنا منهم من قتلنا واستقنا منهم النعم ورجعنا سراعاً وأتى صريح القوم، فجاءنا ما لا قبل لنا به حتى إذالم يكن بيننا إلا بطن الوادي من قديد بعث الله عز وجل من حيث شاء سحاباً ما رأينا قبل ذلك مطراً مثله، فجاء الوادي بما لا يقدر أحد يجوزه، فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحد يتقدم، وقدمنا المدينة، وكان شعار المسلمين «أمت أمت»، وكان عدتهم بضعة عشر رجلاً.

ثم قال: وفيها - يعني سنة الثامنة من الهجرة - بعث رسول الله (ص) العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وبها المنذر بن ساوي، فصالح المنذر على أن على المجوس الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم. وقيل: أن إرساله كان سنة ست من الهجرة مع الرسل الذين أرسلهم رسول الله (ص) إلى الملوك، وقد تقدم ذلك.

ثم قال: وفيها كانت سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر في شهر ربيع الأول في أربعة عشر رجلاً، فشن الغارة عليهم فأصابوا نعباً، فكان سهم كل رجل منهم خمسة عشر بعيراً.

ثم قال: وفيها كانت سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات اطلاق، خرج في خمسة عشر رجلاً فوجد بها جمعاً كثيراً، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا أن يجيبوا، وقتلوا أصحاب كعب ونجا حتى قدم المدينة. وذات اطلاق من ناحية الشام، وكانوا من قضاة ورئيسهم رجل يقال له سدوس.

اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

ثم قال: وفي هذه السنة في صفر قدم عمرو بن العاص مسلماً على النبي (ص)، وقدم معه خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدي، وكان سبب إسلام عمرو أنه قال لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق قلت لأصحابي: أتى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وأتى قد

رأيت أن نلحق بالنجاشي، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، وإن ظهر قومنا على محمد فنحن من قد عرفوا. قال: إن هذا الرأي. قال: فجمعنا له أدمًا كثيرًا، وخرجنا إلى النجاشي حتى قدمنا عليه، فوالله أنا لعنده إذ وصل عمرو بن أمية الضمري رسولاً من النبي (ص) في أمر جعفر وأصحابه. قال: فدخلت على النجاشي وطلبت منه أن يسلم إلى عمرو بن أمية الضمري لأقتله تقريباً إلى قريش بمكة، فلما سمع كلامي غضب وضرب أنفي ظننت أنه قد كسره - يعني النجاشي - فخفته ثم قلت: والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله... الخ.

وقال الطبري^(١): ثم قلت له - يعني عمرو بن العاص - أيها الملك أتني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجلٍ عدوٌّ لنا فاعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا. قال: فغضب ثم مدَّ يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت الأرض لي لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت: والله أيها الملك لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجلٍ يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله. فقلت: أيها الملك أكذاك؟ قال: ويحك يا عمرو أتعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده. قال: قلت فتبايعني له على الإسلام. قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام.

ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامداً لرسول الله (ص) لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم، وإن الرجل لنبي، أذهب والله أسلم فحتي متى. فقلت: والله ماجئت إلا لأسلم. فقدمنا على رسول الله (ص) فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله أتني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠ و ٣١.

ذني، ولا أذكر ما تأخر. فقال رسول الله (ص): يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجبُّ ما قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما قبلها. فبايعته ثم انصرفت، انتهى.

وروى ابن كثير^(١) عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن راشد مولى حبيب ابن أوس الثقفي، عن حبيب بن أوس، عن عمرو بن العاص أنه قال: لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق. الى أن قال: فقلت يا رسول الله اني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدّم من ذني، ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسول الله (ص): يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجبُّ ما قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها... الخ.

غزوة ذات السلاسل

قال ابن الأثير^(٢): وفيها - يعني السنة الثامنة من الهجرة - أرسل رسول الله (ص) عمرو ابن العاص الى أرض بليّ وعذرة يدعو الناس الى الإسلام، وكانت أمّه من بليّ، فتألفهم رسول الله (ص) بذلك، فسار حتّى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل وبه سُمّيت تلك الغزوة ذات السلاسل، فلما كان به خاف فبعث الى النبي يستمدّه، فبعث إليه رسول الله (ص) أبا عبيدة الجراح في المهاجرين الأوّلين فيه أبو بكر وعمر.

وقال الطبري^(٣): فلما كان فيها - يعني في السنة الثامنة - من ذلك توجيه رسول الله (ص) عمرو بن العاص في جمادى الآخرة الى السلاسل من بلاد قضاة في ثلاثمائة، وذلك إن أم العاص بن وائل فيما ذكر كانت قضاة، فذكر إن رسول الله (ص) أراد أن يتألفهم بذلك، فوجهه في أهل الشرف من المهاجرين والأنصار، ثم استمدّ رسول الله فأمده بأبي عبيدة بن الجراح على المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر في مائتي، فكان جميعهم خمسمائة. الى أن قال: فلما كان عليه خاف فبعث الى رسول الله يستمدّه، فبعث إليه رسول الله أبا عبيدة بن

(١) السيرة النبوية ٣ / ٢٧٠.

(٢) الكامل ٢ / ٢٣٢.

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٣١ و ٣٢.

الجراح، وقال (ص) لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا. فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه، قال له عمرو بن العاص: أنما جئت مدداً لي. فقال له أبو عبيدة: يا عمرو ان رسول الله قد قال لي لا تختلفا وأنت إن عصيتني أطعتك. قال: فأنا أمير عليك وأنما أنت مدد لي. قال: فدونك. فصلّى عمرو بن العاص بالناس.

وقال محمد بن سعد^(١): قالوا بلغ رسول الله انّ جمعاً من قضاة تجمّعوا يريدون أن يدنوا الى أطراف رسول الله فدعا رسول الله عمرو بن العاص فعقد له لواءً أبيض وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً، وأمره أن يستعين بمن يمرّ به من بليّ وعذرة وبلقين، فسار الليل وكمن النهار، فلما قرب من القوم بلغه انّ لهم جمعاً كثيراً، فبعث أبا رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله (ص) يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواءً، وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونوا جميعاً ولا يختلفان، فلحق بعمرو، فأراد أبو عبيدة أن يؤمّ الناس، فقال عمرو: أنما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عبيدة، فكان عمرو يُصلّي بالناس، وسار حتى وطىء بلاد بليّ ودوخها حتى أتى الى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلقين، ولقي في آخر ذلك جمعاً فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا ثم قفل وبعث عوف بن مالك الأشجعي يريد إلى رسول الله (ص) فأخبره بقفولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم، انتهى.

قال ابن الأثير^(٢): وفيها - يعني في السنة الثامنة - كانت غزوة الخبط، وأميرهم أبو عبيدة ابن الجراح في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، وكانت في رجب، وزوّدهم رسول الله (ص) جراباً من تمر، فكان أبو عبيدة يقبض لهم قبضةً ثم ثمرةً ثمرةً، فكان أحدهم يلوكها ويشرب عليها الماء الى الليل، فنفذ ما في الجراب فأكلوا الخبط وجاعوا جوعاً شديداً، فنحر لهم قيس ابن سعد بن عبادة تسع جزائر فأكلوها، فنهاه أبو عبيدة فانتهى، ثم انّ البحر ألقى إليهم حوتاً

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٣١.

(٢) الكامل ٢ / ٢٣٢ و ٢٣٣.

ميتاً، فأكلوا منه حتى شبعوا، ونصب أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فيمر الراكب تحته، فلما قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبي (ص) فقال: كُلُوا رزقاً أخرج الله لكم، وأكل منه رسول الله (ص)، وذكروا ضيع قيس بن سعد فقال: إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت، انتهى.

وقال الزيني دحلان^(١): وزوّدهم رسول الله (ص) جراباً من التمر لم يجدوا غيره، وقيل كان معهم غيره، فلما فنى ما معهم أكلوا الخبث وهو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ورق السلم. قال جابر: كنّا نضرب بعصيتنا الخبث ونبلّهُ بالماء فنأكله، وفي رواية: كان الرجل منّا يأكل ثمرة تمرّة، فقالوا لجابر: كيف كنتم تصنعون؟ قال: نمصّها كما يمصّ الصبي الثدي ثم نشرب عليها الماء فيكفيننا يومنا الى الليل. ثم أكلوا الخبث بعد فناء التمر، وابتاع لهم قيس بن سعد بن عبادة جزراً ونحراً لهم.

وفي رواية أنّهم أصابهم جوع شديد، فقال قيس: من يشتري منّي تمراً بالمدينة بجزر تجزر هنا. فقال له رجل من جهينة: من أنت، فانتسب فعرفه الجهني فقال: عرفت نسبك، فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق وأشهد له نفرأ من الصحابة وامتنع عمر لكون قيس لا مال له، فقال الأعرابي: ما كان سعد ليقتصر بابنه وأرى وجهاً حسناً وفعلاً شريفاً، فأخذ قيس الجزر فنحّر لهم ثلاثة كل يوم جزوراً، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال: عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك. فقال قيس: يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ويحمل الكل ويطعم في المجاعة ولا يقضي عني تمراً لقوم مجاهدين في سبيل الله، فكاد أبو عبيدة يلين وجعل عمر يقول اعزم، فعزم عليه فبقيت جزوران فقدم بهما قيس المدينة ظهراً يتعاقبون عليهما، وبلغ سعداً مجاعة القوم فقال: إن يكن قيس كما أعرف فسينحرحهم، فلما لقيه قال: ما صنعت في مجاعة؟ قال: نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نُهيت. قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري. قال: ولم؟ قال: زعم أنّه لا مال لي وإنما المال لأبيك. فقال: لك أربع حوائط أدناها تجد

(١) السيرة النبوية ٢ / ٧٣ و ٧٤.

منه خمسين وسقاً، وقَدِمَ الجُهني مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه، فبلغ النبي (ص) فعل قيس فقال: إنَّ الجود من سميت أهل ذلك البيت.

وقيل: إنَّ قيساً نحر قبل الثلاث ستاً ممّا كان معه من الظهر، ثم ثلاثاً من التي اشتراها من الجُهني، وكان قيس من دُهات العرب، أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة، من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية حين ولّاه سيّدنا علي مصر بعد قتل عثمان لرأى العجب العجاب من وفور عقله، مع ذلك كان له من الكرم ما لا مزيد عليه.

الى أن قال: قال أهل السير: ثم أخرج الله لهم دابة من البحر تُسمّى العنبر، وهي سمكة كبيرة يُتخذ من جلدها الترسة، وقيل إنَّ العنبر المشموم رجيّعها، قال الأزهري: العنبر سمكة بالبحر الأعظم يبلغ طولها خمسين ذراعاً.

وفي رواية لجابر: فألقى لنا البحر حوتاً ميتاً لم نر مثله، فأكلنا منه نصف شهر، وفي رواية ثمانية عشر يوماً حتّى صحّت أجسامنا. الى أن قال: فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله (ص) فذكر له ذلك، فقال: هو رزق أخرج الله لكم، فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا. فكان معنا منه شيء فأرسلنا الى رسول الله فأكل.

ثم قال: ولم يذكر أحد من أهل السير أنّهم قاتلوا أحداً في هذه السريّة، بل أقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد ثم رجعوا ولم يلقوا كيداً، انتهى.

قال محمد بن سعد^(١): ثم سريّة غالب بن عبد الله الليثي أيضاً الى مصاب أصحاب بشير ابن سعد بفدك في صفر سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص).

ثم قال: أخبرنا محمد بن عمر، وقال حدّثني عبد الله بن الحارث بن الفضل، عن أبيه قال: هَيَأ رسول الله (ص) الزبير بن العوام وقال له: سير حتّى تنتهي الى مصاب أصحاب بشير بن سعد، فإن أظفرك الله بهم فلا تُبق فيهم وهَيَأ معه مائتي رجل، وعقد له لواءً، فقدم غالب بن عبد الله الليثي من الكديد من سريّة قد ظفّره الله عليهم، فقال رسول الله (ص) للزبير:

اجلس، وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل، وخرج أسامة بن زيد فيها حتى انتهى الى مصاب أصحاب بشير، وخرج معه علبه بن زيد فيها، فأصابوا نَعْمًا وقتلوا منهم قتلى... الخ. ثم قال: ثم سرية شجاع بن وهب الأسدي الى بني عامر بالسيي في شهر ربيع الأول سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص).

ثم قال: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عمر بن الحكم قال: بعث رسول الله (ص) شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً الى جمع من هوازن بالسيي ناحية ركة من وراء المعدن، وهي من المدينة على خمس ليال، وأمره أن يغير عليهم، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم وهم غارون، فأصابوا نَعْمًا كثيراً وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا واقتسموا الغنيمة، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً وعدلوا البعير بعشر من الغنم، وغابت السرية خمس عشرة ليلة، انتهى.

ثم قال: ثم سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاق، وهي من وراء وادي القرى في شهر ربيع الأول سنة ثمان من مهاجر رسول الله.

ثم روى بإسناده عن الزهري أنه قال: بعث رسول الله (ص) كعب بن عمير الغفاري في خمسة رجلاً حتى انتهوا الى ذات اطلاق من أرض الشام، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم الى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله (ص) قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا وأفلت منهم رجل جريح في القتلى، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله (ص) فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه وهم بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا الى موضع آخر فتركهم، انتهى.

غزوة مؤتة

ثم قال: ثم سرية مؤتة، وهي بأدنى البلقاء، والبلقاء دون دمشق في جمادى الأولى سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص).

قالوا: بعث رسول الله (ص) الحارث بن عُمير الأزدي أحد بني هب الى ملك بُصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شُرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله رسول غيره، فاشتد ذلك عليه (ص) وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجُرف وهم ثلاثة آلاف، فقال رسول الله (ص): أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتل فعبداً بن رواحة، فإن قُتل فليرتضي المسلمون منهم رجلاً فليجعلوه عليهم وعقد لهم رسول الله (ص) لواء أبيض ودفعه الى زيد بن حارثة، وأوصاهم رسول الله أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمير وأن يدعوا من هناك الى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم. وخرج مُشيئاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف وودَّعهم، فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): فلما ودَّع عبداً بن رواحة بكى عبداً، فقال له الناس: ما يبكيك؟ فقال: ما بي حُبُّ الدنيا ولا صباية بكم، ولكن سمعت رسول الله يقرأ آية وهي ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود. فقال المسلمون: صحبكم الله وردكم إلينا سالمين. فقال عبداً بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حرّان مُجِهزة	بجربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مرّوا على جدتي	يا أرشد الله من غاز وقد رشدنا

الى أن قال: ثم ساروا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغهم أن هرقل سار إليهم في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة من لحم وجذام وبلقين وبلي، عليهم رجل من بلي يقال له مالك بن رافلة، ونزلوا مشارف من أرض البلقاء، فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب الى رسول الله نخبره الخبر ومنتظر أمره، فشجّعهم عبداً بن رواحة على المضي وقال: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم إياها تطلبون الشهادة، وما نقاتل

(١) الكامل ٢ / ٢٣٤ و ٢٣٨.

الناس بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةَ وَلَا كَثْرَةَ، مَا نَقَاتْلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَاَنْطَلِقُوا فَمَا هِيَ إِلَّا إِحْدَى الْحَسَنِينَ، إِمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ. فَقَالَ النَّاسُ: صَدَقَ وَاللَّهِ، وَسَارُوا وَسَمِعَهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَكَانَ يَتِيماً فِي حَجْرِهِ وَقَدْ أُرْدِفَهُ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ عَلَى حَقِيْبَةٍ وَهُوَ يَقُولُ:

إِذَا أَدَيْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي	مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحَسَاءِ
فَشَأْنُكَ فَاَنْعَمِي وَخَلَاكَ ذَمٌّ	وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَاءِ
وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادِرُونِي	بِأَرْضِ الشَّامِ مَشْهُورِ الثَّوَاءِ
وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ	مِنَ الرَّحْمَنِ مَنْقَطِعِ الْإِخَاءِ
هَنَالِكَ لَا أَبَالِي طَلَعَ بَعْلٌ	وَلَا نَخْلُ أَسَافِلَهَا رَوَاءِ

فَلَمَّا سَمِعَهَا بَكَى، فَخَفِقَهُ بِالذَّرَّةِ وَقَالَ: مَا عَلَيْكَ يَا لَكْحَ، يَرْزُقُنِي اللَّهُ الشَّهَادَةَ وَتَرْجِعُ بَيْنَ شَعْبَتِي الرَّحْلِ. ثُمَّ سَارُوا، فَالتَقْتَهُمْ جَمُوعُ الرُّومِ وَالْعَرَبِ بَقْرِيَّةً مِنَ الْبُلُقَاءِ يُقَالُ لَهَا مُشَارِفٌ، ثُمَّ دَنَى الْعَدُوُّ وَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا مُؤْتَةٌ، فَالتَقَى النَّاسُ عِنْدَهَا وَتَعَبَوْا، وَكَانَ عَلَى مَيْمَنَةِ الْمُسْلِمِينَ قُطَيْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ الْغُدْرِي وَعَلَى مَيْسَرْتِهِمْ عَبَايَةَ بْنُ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِرَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) حَتَّى شَاطَ فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ.

ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ بِهَا وَهُوَ يَقُولُ:

يَا حَبِّذَا الْجَنَّةِ وَاقْتَرَابَهَا	طَيِّبَةَ وَبَارِدَ شَرَابِهَا
وَالرُّومِ رُومٍ قَدْ دَنَى عَذَابِهَا	كَافِرَةً بِعَيْدَةِ أَنْسَابِهَا

عَلِيٌّ إِذْ لَاقَيْتَهَا ضَرَابِهَا

فَلَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ اقْتَحَمَ عَن فَرَسٍ لَهُ شِقْرَاءُ فَعَقَرَهَا، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قَتَلَ، وَكَانَ جَعْفَرُ أَوَّلَ مَنْ عَقَرَ فَرَسَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَوَجَدُوا بِهِ بَعْضًا وَثْمَانِينَ بَيْنَ رَمِيَّةٍ وَضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ.

فَلَمَّا قُتِلَ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَتَرَدَّدَ بَعْضُ التَّرَدَّدِ، ثُمَّ قَالَ يُخَاطَبُ نَفْسَهُ:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لِتَنْزِلْتَهُ	طَائِعَةً أَوْ لَا لِتَكْرَهْتَهُ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدَّوْا الرِّنَةَ	مَا لِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ
قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً	هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شِنَّةٍ

وقال أيضاً:

يا نفس إن لم تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليتي
وما تمنيت فقد أعطيتي إن تفعلي فعلها هديتي

ثم نزل عن فرسه، وأتاه ابن عمّ له بعرق من لحم فقال: شدّ بهذا صلبك، فقد لقيت أيامك هذه ما لقيت، فأخذه فانتهمس منه نهسةً، ثم سمع الحطمة في ناحية العسكر، فقال لنفسه: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه وأخذ سيفه وتقدّم فقاتل حتى قُتل.

واشتدّ الأمر على المسلمين، وكتب عليهم العدو، وقد كان قطبة بن قتادة قتل قبل ذلك مالك بن رافلة قائد المستعربة.

ثم إنّ الخبر جاء من السماء في ساعته الى النبي (ص)، فصعد المنبر وأمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: ثار خبر ثلاثاً عن جيشكم هذا الغازي انهم لقوا العدو، فقتل زيد شهيداً فاستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر فشدّ على القوم حتى قُتل شهيداً فاستغفر له، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة، وصمت حتى تغيّرت وجوه الأنصار وظنّوا أنّه قد كان من عبدالله ما يكرهون، ثم قال رسول الله (ص) فقاتل القوم حتى قُتل شهيداً. ثم قال لقد رُفِعوا الى الجنة على سُرُرٍ من ذهب، فرأيت في سرير ابن رواحة ازوراراً عن سرير صاحبيه، فقلت: عمّ هذا؟ فقيل: مضيا وتردّد بعض التردّد ثم مضى... الخ.

وقال الطبري^(١): فأخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بلعجلان - يعني بعد أن استشهد ابن رواحة - أخذها ثابت بن أرقم فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلمّا أخذ الراية دافع القوم وخاس بهم، ثم انحاز وتخيّر عنه حتى انصرف بالناس... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء وانكشف الناس، فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون، فقتل من قُتل من المسلمين، ورفعت الأرض

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٢٩.

لرسول الله (ص) حتى نظر الى معترك القوم، فلما أخذ خالد بن الوليد اللواء قال رسول الله (ص): الآن حمي الوطيس، فلما سمع أهل المدينة بجيش مؤتة قادمين تلقوهم بالجرف، فجعل الناس يحثون في وجوههم التراب ويقولون: يا فرّار أفرّرتم في سبيل الله، فيقول رسول الله: ليسوا بفرّار ولكنهم كرّار إن شاء الله.

قال ابن هشام^(١): وحدثني من أثق به من أهل العلم: إن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قُتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): فوجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً، وقالوا ووجدوا فيما قيل من بدن جعفر اثنتان وسبعون ضربةً بسيف وطعنة برمح.

ثم روى بإسناده عن عامر أنه قال: بعثني رسول الله الى الشام، فلما رجعت مررت على أصحابي وهم يقاتلون المشركين بمؤتة، قلت: والله لا أبرح اليوم حتى أنظر الى ما يصير إليه أمرهم، فأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب ولبس السلاح. وقال غيره: أخذ زيد اللواء وكان رأس القوم، ثم حمل جعفر حتى إذا هم أن يخالط العدو رجع فوحش بالسلاح - أي رمى به - ثم حمل على العدو وطاعن حتى قُتل، ثم أخذ اللواء زيد بن حارثة فطاعن حتى قُتل، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة فطاعن حتى قُتل، ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط حتى لم أر اثنين جميعاً، ثم أخذ اللواء رجل من الأنصار، ثم سعى به حتى إذا كان أمام الناس ركزه ثم قال: إلي أيها الناس، فاجمع الله الناس حتى إذا كثروا مشى باللواء الى خالد بن الوليد، فقال له خالد: لا أخذه منك أنت أحقّ به. فقال الأنصاري: والله ما أخذته إلا لك. فأخذ خالد اللواء ثم حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة رأيتها قط، حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤا. وقال: فأتيت رسول الله (ص) فأخبرته، فشق ذلك عليه. الى أن قال: قال رسول

(١) السيرة النبوية ٤ / ٢٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٢٩ و ١٣٠.

الله (ص): كان الذي رأيتم مني أنه أحزني قتل أصحابي حتى رأيتمهم في الجنة إخواناً على سُرُر متقابلين، ورأيت في بعضهم إعراضاً كأنه كره السيف، ورأيت جعفرأ ملكاً ذا جناحين مضرّجاً بالدماء مصبوغ القوادم... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): وقال رسول الله (ص): مرّ بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مُخضّب القوادم بالدم.

قالت أسماء: أتاني النبي (ص) وقد فرغت من اشتغالي وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم، فأخذهم وشمهم ودمعت عيناه، فقلت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء. قال: نعم أصيب هذا اليوم. ثم عاد الى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، فهو أول ما عمل في دين الإسلام. قالت أسماء بنت عميس: فقامت أصنع واجتمع إلي النساء، فلما رجع الجيش ودنا من المدينة لقيهم رسول الله (ص) والمسلمون، فأخذ عبدالله بن جعفر فحمله بين يديه، فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون: يا فرّار في سبيل الله... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): وخرج رسول الله (ص) الى أهله فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم. الى أن قال: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد ابن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير قال: لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله (ص) والمسلمون، قال: ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله (ص) مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر، فأتي بعبدالله فأخذه فحمله بين يديه... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٣): قال بعضهم: كون ما وقع يوم مؤتة فتحاً ونصراً واضح، لإحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم، لأنهم كانوا أكثر من مائتي ألف والصحابة رضي الله عنهم ثلاثة آلاف، وكان مقتضى العادة أنهم يقتلون بالكلية. وجاء في رواية أصاب خالد منهم مقتلة

(١) الكامل ٢ / ٢٣٨.

(٢) السيرة النبوية ٤ / ٢٢ و ٢٤.

(٣) السيرة النبوية ٤ / ٧٠ و ٧١.

عظيمة، وأصاب غنيمة، وهذا لا يخالف ما جاء أن طائفة من الصحابة فرّوا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم، فصار أهل المدينة يقولون لها: أنتم الفرّارون، ورسول الله يقول: بل هم الكرّارون. الى أن قال: والحاصل انّ المسلمين لما قُتل عبدالله بن رواحة انهزموا وتفرّقوا وذهب جماعة منهم الى المدينة، ثم اجتمع الناس لما انحاز خالد بن الوليد ورتّب الناس.

الى أن قال: فقال رسول الله (ص): انّ الله رفع الأرض حتى رأيت مُعتركهم، وحين رأى ذلك قال: حمي الوطيس - أي حمى الحرب واشتدّت.

ثم قال: وعن أسماء بنت عُميس زوج جعفر بن أبي طالب قالت: دخل عليّ رسول الله (ص) يوم أصيب جعفر وأصحابه، فقال: اتّني ببني جعفر، فأتيته بهم فشتمهم وذرفت عيناه. وفي رواية: وبكى حتى نطقت لحيته الشريفة، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك، أبليغك من جعفر وأصحابه شيء. قال: نعم أصيبوا هذا اليوم. قالت: فقامت أصيح، واجتمع عليّ النساء وجعل رسول الله (ص) يقول لي: يا أسماء لا تقولي هجراً ولا تضربي خدّاً، وقال: اللهم قدّمه - يعني جعفرأ - الى أحسن الثواب، واخلفه في ذريّته بأحسن ما خلّفت أحداً من عبادك في ذريّته. وخرج رسول الله (ص) الى أهله فقال: لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم.

وفي لفظ: أنّه دخل على فاطمة وهي تقول: واعمّاه. فقال (ص): على مثل جعفر فلتبك البواكي. ثم قال: اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم. وفي رواية قد شغلهم ما هم فيه.

وعن عبدالله بن جعفر: انّ سلمى مولاة النبي (ص) عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم عجنته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً. قال عبدالله: فأكلت من ذلك الطعام وحبسني رسول الله (ص) مع اخوتي ثلاثة أيام ندور معه كلّنا صار في بيت إحدى نساءه، ثم رجعنا الى بيتنا. وهذا الطعام الذي جعل لآل جعفر هو أصل طعام التعزية، وتسمّيه العرب الوضيمة كما تسمّي طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة.

ثم قال: وروى الإمام أحمد بسند صحيح: ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً ثم أتاهم فقال: لا تبكوا

على أخي بعد اليوم، ثم قال: ائتوني بابن أخي، فجيء بنا كأننا أفراخ، فدعا الحلاق فحلق رؤوسنا ثم قال: أمّا محمد فشبيهه عمنا أبي طالب، وأمّا عبدالله فشبيهه خلقي وخلقي، ثم دعا لهم. قال عبدالله بن جعفر: دعا لي وقال: اللهم بارك له في صفقة يمينه، فما بعث شيئاً ولا اشتريته إلا بورك لي فيه. الى أن قال: وقال (ص): ان الله أبدل جعفرأ بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

وعن عبدالله بن عمر قال: أتيتهُ وهو مستلق آخر النهار، فعرضت عليه الماء فقال: اني صائم فضعه في ترسي عند رأسي، فإن عشت حتى تغرب الشمس أفطرت. قال: فمات صائماً قبل الغروب، ووجدنا فيما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح.

وقال ابن كثير^(١): وأمّا جعفر بن أبي طالب فهو ابن عمّ رسول الله (ص)، وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين. ثم قال: أسلم جعفر قديماً وهاجر الى الحبشة، وكانت له هناك مواقف مشهورة ومقامات محمودة وأجوبة سديدة وأحوال رشيدة. الى أن قال: ولما قتل وجدوا فيه بضعا وتسعين ما بين ضربة سيف وطعنة برمح ورمية، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر، وجاء بالأحاديث تسميته بذي الجناحين، وتقدّم في حديث أنه قتل وعمره ثلاث وثلاثين سنة.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين. قال: وقيل غير ذلك. ثم قال ابن كثير: قلت وعلى ما قيل من أنه كان أسنّ من علي بعشر سنين، يقتضي أن يكون عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة، لأنّ علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر وعمره إحدى وعشرين سنة، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة. والله أعلم.

وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطيّار لما ذكرنا، وكان كريماً جواداً ممدحاً، وكان لكرمه يقال له أبا المساكين لإحسانه إليهم. قال الإمام أحمد: وحدثنا عفان بن وهيب، ثنا خالد، عن

(١) السيرة النبوية ٤ / ٤٨٣ و ٤٩٣.

عكرمة، عن أبي هريرة قال: ما احتذى النعال ولا انتعل ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله (ص) أفضل من جعفر بن أبي طالب. ثم قال: فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة، قال ابن إسحاق: وكان مما بكى به على أصحاب مؤتة قول حسان:

تأؤبني ليل بيثرب أعسر	وهم إذا ما نؤم الناس مُسهر
لذكرى حبيب هيّجت لي عبرة	سفوحاً وأسباب البكاء التذكر
بلى أن فقدان الحبيب بليّة	وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا	شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخّر
ولا يُبعدن الله قتلى تتابعوا	بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبدالله حين تتابعوا	جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم	الى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغرّ كضوء البدر من آل هاشم	أبي إذا سيم الظلامه مجسر
فطاعن حتى مال غير مؤسد	بعترك فيه القنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه	جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنّا نرى في جعفر من محمد	وفاء وأمرأ حازماً حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم	دعائم عزّ لا يزلن ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم	رضام الى طود يروق ويهر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه	عليّ ومنهم أحمد المتخير
وحمة والعباس منهم ومنهم	عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج الأواء في كل مازق	عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه	عليهم وفيهم ذا الكتاب المُطهر

قال كعب بن مالك:

نام العيون ودمع عينك يهمل . هذا مطلعته الى أن قال :

واعتادني حزن فبتّ كائني بينات نعش والسمك موكل

وكأنما بين الجوانح والحشا
 وجداً على النفر الذين تتابعوا
 صلى الإله عليهم من فتية
 صبروا بمؤتة للإله نفوسهم
 فضوا أمام المسلمين كأنهم
 إذ يهتدون بجعفر ولواؤه
 حتى تفرجت الصفوف وجعفر
 فتغير القمر المنير لفقده
 قوم على بنيانه من هاشم
 قوم بهم عصم الإله عباده
 فضلوا المعاشر عزّه وتكرماً
 لا يطلقون الى السفاه حباهم

مما تأوَّبني شهاب مدخل
 يوماً بمؤتة اسندوا لم ينقلوا
 وسقا عظامهم الغمام المسبل
 حذر الردى ومخافة أن ينكلوا
 فنق عليهنّ الحديد المرفل
 قدام أولهم فنعم الأول
 حيث التقى وعت الصفوف مجدّل
 والشمس قد كسفت وكادت تأفل
 فرعاً أشم وسؤدداً ما ينقل
 وعليهم نزل الكتاب المنزل
 وتغمدت أحلامهم من مجهل
 ويرى خطيبهم بحق يفصل

سرايا أخرى لسنة ثمان من الهجرة

قال محمد بن سعد^(١): ثم سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري الى خضرة، وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان من مهاجرة رسول الله (ص). قالوا: بعث رسول الله أبا قتادة ومعه خمسة عشر رجلاً الى غطفان، وأمره أن يشنّ عليهم الغارة، فسار الليل وكمن النهار، فهجم على حاضر منهم عظيم فأحاط به، فصرخ رجل منهم يا خضرة، وقاتل منهم رجال فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا النعم، فكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة، وسبوا سبياً كثيراً، وجمعوا الغنائم فأخرجوا الخمس فعزلوه، وقسموا ما بقي على أهل السرية، فأصاب كل رجل منهم اثنا عشر بعيراً، فعدّل البعير بعشر من الغنم، فصارت في سهم أبي قتادة جارية

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ١٣٢ و ١٣٣.

وضيئة فاستوهبها منه رسول الله (ص) فوهبها له، فوهبها رسول الله لمحمية بن جزء، وغابوا في هذه السرية خمس عشرة ليلة.

ثم قال محمد بن سعد: ثم سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري الى بطن أضم في أول شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: لما هم رسول الله بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر سريةً الى بطن أضم، وهي فيما بين ذي خشب وذي المروة، وبينها وبين المدينة ثلاثة برد ليظن ظان أن رسول الله (ص) توجه الى تلك الناحية ولأن تذهب بذلك الأخبار. وكان في السرية محم بن جثامة الليثي، فرّ عامر بن الأضبط الأشجعي فسلم بتحية الإسلام، فأمسك عنه القوم وحمل عليه محم بن جثامة فقتله وسلبه بعيره ومتاعه ووطب لبن (وطب سقاء للبن) كان معه، فلما لحقوا النبي نزل فيهم القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة﴾ الآية. فضوا ولم يلحقوا جمعاً، فانصرفوا حتى انتهوا الى ذي خشب، فبلغهم أن رسول الله (ص) قد توجه الى مكة، فأخذوا على بين حتى لقوا النبي (ص) بالسقيا.

قال ابن الأثير^(١): وأقام رسول الله (ص) بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجب، ثم إن بني بكر بن عبدمناة عدت على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير، وكانت خزاعة في عهد رسول الله (ص) وبكر في عهد قريش في صلح الحديبية، وكان سبب ذلك: أن رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك بن عباد وكان حليفاً للأسود بن رزن الديلي ثم البكري في الجاهلية خرج تاجراً، فلما كان بأرض خزاعة قتلوه وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة على بني الأسود بن رزن وهم سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفه عند انصباء الحرم وكانوا من أشراف بني بكر، فبينما خزاعة وبكر على ذلك إذ جاء الإسلام واشتغل الناس به، فلما كان صلح الحديبية ودخلت خزاعة في عهد

النبي (ص) ودخلت بكر في عهد قريش اغتنمت بكر تلك الهدنة وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثارهم بقتل بني الأسود، فخرج نوفل بن معاوية الديلي بمن تبعه من بكر حتى بيّت خزاعة على ماء الوتير.

وقيل كان سبب ذلك: انّ رجلاً من خزاعة سمع رجلاً من بكر ينشد هجاء النبي (ص)، فشجّه فهاج الشرّ بينهم وثار بكر بخزاعة حتى بيّتوهم بالوتير، وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بسلاح ودواب، وقاتل معهم جماعة من قريش مختلفين منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو مع غيرهم وعبيدهم، فانحازت خزاعة الى الحرم وقتل منهم نفر، فلما دخلت خزاعة الحرم قالت بكر: يا نوفل أنا قد دخلنا الحرم إلهك، إلهك. فقال: كلمة عظيمة، لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا تارككم فلعمري انكم لتسرفون في الحرم، أفلا تصيبون تارككم فيه. فلما نقضت بكر وقريش العهد الذي بينهم وبين النبي (ص) بما استحلّت من خزاعة خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم الكعبي حتى قدم على رسول الله المدينة، فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهرائي الناس، ثم قال:

يا ربّ ائني ناشدُ محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فوالداً كنّا وكنت ولدا	ثمّت أسلمنا فلم نزرع يدا
فانصر رسول الله نصراً اعتدا	وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجرّدا	أبيض مثل اليد تنمى صُعدا
إن سيم خسفاً وجهه ترّبدا	في فيلق كالبحر يجري مزبدا
انّ قريشاً أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكّدا
وجعلوا لي في كداء رصدا	وزعموا أن لست أدعو أحداً
وهم أذلّ وأقلّ عددا	هم بيّتونا بالوتير هُجدا
فقتلونا رگماً وسُجّداً	

وقال محمد بن سعد^(١): ثم غزوة رسول الله (ص) عام الفتح في شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله. قالوا: لما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية كلمت بنو نفاثة - وهم من بني بكر أشراف قريش - أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح، فوعدوهم ووافوهم بالوتير مُتَنَكِّرين متنقبين، فيهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبدالعزيز ومكرز بن حفص بن الأخيف، فبيتوا خزاعة ليلاً وهم غارون آمنون، فقتلوا منهم عشرين رجلاً. ثم ندمت قريش على ما صنعت وعلما أن هذا نقض للمدة والعهد الذي بينهم وبين النبي (ص)، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة، فقدموا على رسول الله ليخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه، فقام (ص) وهو يجزّ رداءه وهو يقول: لا نصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي، وقال (ص): إن هذا السحاب ليستهل بنصر بني كعب... الخ.

قصة فتح مكة المكرمة

قال الطبري^(٢): وخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو (ص) في المسجد جالس. إلى أن قال: يقول قد قتلونا وقد أسلمنا. فقال رسول الله (ص) حين سمع ذلك: قد نصرت يا عمرو بن سالم. ثم عرض لرسول الله (ص) عنان من السماء فقال: إن هذه السحابة لتسهل بنصر بني كعب. ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله (ص) المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم وبظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد كان رسول الله (ص) قال للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة، ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه، فلقوا أبا سفيان بعُسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله ليشدد العقد ويزيد في المدة، وقد رهبوا الذي صنعوا، فلما لقي أبو سفيان بديلاً قال: من أين

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٣٤.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٤٤.

أقبلت يا بُدَيْل؟ وظنَّ أنه قد أتى رسول الله (ص). قال: سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي. قال: أو ما أتيت محمداً. قال: لا، فلما راح بُدَيْل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء من المدينة لقد علف بها النوى، فعمد إلى مبرك ناقته فأخذها من بعرها ففتته فرأى فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بُدَيْل محمداً.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوته عنه، فقال: يا بُنَيَّةُ والله ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني. قالت: بل هو فراش رسول الله (ص) وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله. قال: والله لقد أصابك يا بُنَيَّةُ بعدي شرٌّ. ثم خرج حتى أتى رسول الله (ص)، فكلّمه فلم يرد عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلم له رسول الله فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله؟ فوالله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة ابنة رسول الله وعندها الحسن ابن علي غلام يدب بين يديهما، فقال: يا علي إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً، اشفع لنا إلى رسول الله. قال: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر. قالت: والله ما بلغ بني ذلك أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله أحد. قال: يا أبا الحسن أتني أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحنى. فقال له: والله ما أعلم شيئاً يُغني عنك شيئاً، ولكنك سيّد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك. قال: أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً. قال: لا والله وما أظنّ ولكن لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس أتني آجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلّمته فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم، ثم جئت علي بن أبي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار عليّ بشيء صنعته،

فوالله ما أدري هل يغني شيئاً أم لا. قالوا: وبماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت. قالوا: هل أجاز ذلك محمد. قال: لا. قالوا: ويلك والله إن زاد عليّ أن لعب بك فما يغني عنا ما قلت. قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

وأمر رسول الله (ص) الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يُجهّزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تُحرّك بعض جهاز رسول الله (ص)، فقال: أي بُنيّة أمركم رسول الله بأن تُجهّزوه. قالت: نعم فتجهّز. قال: فأين ترينه يريد. قالت: والله ما أدري.

ثم إن رسول الله (ص) أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجدّ والتهيؤ وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها، فتجهّز الناس... الخ.

أقول: وهذا النقل موافق لما ذكره ابن هشام^(١): وابن كثير^(٢): وزاد ابن كثير نقلاً آخر سوى ما ذكره هؤلاء حيث قال: وقال موسى بن عقبة في فتح مكة ثم إن بني نفاثة من بني الدئل أغاروا على بني كعب، وهم في المدّة التي بين رسول الله (ص) وبين قريش، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله (ص) وكانت بنو نفاثة في صلح قريش، فأعانت بنو بكر بني نفاثة وأعانتهم قريش بالسلاح والرفيق، واعتزلتهم بنو مدلج ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله، وفي بني الدئل رجلان هما سيّداهم سلمى بن الأسود وكلثوم بن الأسود، ويذكرون أنّ ممّن أعانهم صفوان ابن أميّة وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو، فأغارت بنو الدئل على بني عمرو وعامّتهم زعموا نساء وصبيان وضعفاء الرجال، فألجؤهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بُديل بن ورقاء بمكة، فخرج ركب من بني كعب حتى أتوا رسول الله (ص) فذكروا له الذي أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك، فقال لهم رسول الله: ارجعوا فتفرّقوا في البلدان.

وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله (ص) وتخوّف الذي كان، فقال: يا محمد اشدّد العقد وزدنا في المدّة. فقال: أبو بكر جوارِي في جوار رسول الله (ص) والله لو وجَدْتُ الذرّ

(١) السيرة النبوية ٤ / ٣٦.

(٢) السيرة النبوية ٣ / ٥٣٢.

تقاتلكم لأعنتها عليكم، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال عمر بن الخطاب: ما كان من حلفنا جديد فأخلقه الله، وما كان منه مُثبتاً فقطّعه الله، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله. فقال له أبو سفيان: جزيت من ذي رحمٍ شراً. ثم دخل على عثمان فكلّمه، فقال عثمان: جواري في جوار رسول الله، ثم اتبع أشراف قريش يكلمهم فكلّمهم يقول: عقدنا في عقد رسول الله. فلما يش ممّا عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله (ص) فكلّمها، فقالت: أمّا أنا امرأة وأنا ذلك الى رسول الله. فقال لها: فأمرني أحد ابنيك. فقالت: أنّها صبيان ليس مثلها يُجبر. قال: فكلّمني عليّاً فقالت: أنت فكلّمه، فكلّم عليّاً فقال له: يا أبا سفيان أنه ليس أحد من أصحاب رسول الله يفتات على رسول الله بجوار، وأنت سيّد قريش وأكبرها وأمنعها فأجر بين عشيرتك. قال: صدقت وأنا كذلك، فخرج فصاح: ألا اتّي قد أجرت بين الناس، ولا والله ما أظنّ أن يخفّرني أحد. ثم دخل على النبي (ص) فقال: يا محمد اتّي قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظنّ أن يخفّرني أحد ولا يرد جواري. فقال: أنت تقول يا أبا حنظلة. فخرج أبو سفيان على ذلك.

فزعوا - والله أعلم - ان رسول الله (ص) قال حين أدبر أبو سفيان: اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعوا بنا إلا فجأة. وقدم أبو سفيان مكة فقالت له قريش: ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال: لا والله، لقد أتى عليّ، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له، غير ان علي بن أبي طالب قد قال لي: التمس جوار الناس عليك ولا تجبر أنت عليه وعلى قومك وأنت سيّد قريش وأكبرها وأحقّها أن لا تخفّر جواره، فقامت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له اتّي قد أجرت بين الناس وقلت: ما أظنّ أن تخفّرني. فقال: أنت تقول يا أبا حنظلة. فقالوا: رضيت بغير رضئ وجئتنا بما لا يغني عنا، وأمّا لعب بك علي، لعمر الله، ما جوارك بجائز وان اخفارك عليهم لهين ثم دخل على امرأته فحدّثها الحديث فقالت: قبحك من وافد قوم، فما جئت بخير. قال: ورأى رسول الله (ص) سحاباً فقال: ان هذه السحاب لتبض بنصر بني كعب. فكث رسول الله (ص) ما شاء الله أن يمكث بعدما خرج أبو سفيان، ثم أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تُجهّزه وتخفي

ذلك ثم خرج رسول الله (ص) الى المسجد أو الى بعض حاجاته، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنقي، فقال لها: يا بُنَيَّةَ لِمَ تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت، فقال: أريد رسول الله أن يغزو. فصمتت، قال: فلعلَّه يريد أهل نجد. فصمتت، قال: فلعلَّه يريد قريشاً. فصمتت، قال: فدخل رسول الله فقال له: يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً. قال: نعم. قال: فلعلَّك تريد بني الأصفر. قال: لا. قال: أتريد أهل نجد. قال: لا. قال: فلعلَّك تريد قريشاً. قال: نعم. قال أبو بكر: يا رسول الله أليس بينك وبينهم مُدَّةٌ. قال: ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب. قال: وأذن الله في الناس بالغزو... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله (ص) المدينة يسأله أن يُجَدِّدَ العهد ويزيد في المدَّة، فأبى عليه، فقام أبو سفيان فقال: أتبي قد أجرت بين الناس. فقال رسول الله (ص): أنت تقول ذاك يا أبا سفيان. ثم انصرف الى مكة، فتجهَّز رسول الله (ص) وأخفى أمره وأخذ بالأنقاب وقال: اللهم خذ على أبصارهم فلا يَروني إلا بغتةً، فلما أجمع المسير كتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش يخبرهم بذلك، فبعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب والمقداد بن عمرو، فأخذا رسوله وكتابه فجاءا به الى رسول الله (ص)... الخ.

وقال الزبيني دحلان: وأمر (ص) جماعة أن تقيم الأنقاب وكان عمر يطوف على الأنقاب فيقول: لا تدعوا أحداً يُمرَّ بكم تنكرونه إلا رددتموه. وفي رواية: ثم أمر بالطرق فحبست فُعَمي على أهل مكة لا يأتهم خبر... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً الى قريش يعلمهم الخبر، وسيَّره مع امرأة من مزينة اسمها كنود، وقيل مع سارة مولاة لبني المطلب تعلمهم الخبر وسيَّره معها، فأرسل رسول الله (ص) علياً والزبير، فأدركاها بالخليفة وأخذا منها الكتاب وجاءا به الى رسول الله... الخ.

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٣٤.

(٢) الكامل ٢ / ٢٤٢.

وقال الطبري^(١): قالوا لما أجمع رسول الله (ص) المسير الى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً الى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله (ص) من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبدالمطلب وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها وفتلت عليه قرونها ثم خرجت به، وأتى رسول الله (ص) الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، فقال (ص): أدركا امرأة قد كتب حاطب بكتاب الى قريش يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم، فخرجا حتى أدركاها بالخليفة - خليفة بني أحمد - فاستنزلاها، فالتمسا في رحالها فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: أتى أحلف ما كذب رسول الله ولا كذبنا، ولتخرجن إليّ هذا الكتاب أو لنكشفنك. فلما رأت الجدم منه قالت: أعرض عني. فأعرض عنها فحلّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه فدفعته إليه، فجاء به الى رسول الله (ص)، فدعا رسول الله حاطباً فقال: يا حاطب ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله أما والله أتى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدّلت، ولكني كنت إمراً ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم أهل وولد، فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله: وما يدريك يا عمر، لعلّ الله قد أطلع الى أصحاب بدر يوم بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله في حاطب ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ الآية ... الخ.

أقول: وهذا النقل موافق لما ذكره ابن هشام في السيرة^(٢): وابن كثير في التاريخ^(٣).

وقال الحلبي^(٤): ولما أجمع (ص) المسير الى قريش وعلم بذلك الناس كتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش - أي الى ثلاثة منهم من كبارهم وهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية

(١) تاريخ الطبري ٤٨/٣.

(٢) السيرة النبوية ٤٠/٤ و٤١.

(٣) السيرة النبوية ٥٣٦/٣ و٥٣٧.

(٤) السيرة الحلبية ٧٤/٣.

وعكرمة بن أبي جهل - كتاباً يخبرهم. الى أن قال: وتلك المرأة هي سارة مولاة لبعض بني عبدالمطلب، وكانت مُغْنِيَّة بمكة، وكانت قدمت على رسول الله المدينة وأسلمت وطلبت منه الميرة وشكت الحاجة، فقال لها رسول الله (ص): ما كان في غنائك ما يُغْنِيكَ. فقالت: ان قريشاً منذ قُتل منهم من قُتل بيدركوا الغناء. فوصلها رسول الله (ص) وأوفر لها بعيراً طعاماً، فرجعت الى قريش وارتدت عن الإسلام، وكان أبي خَطل يُلقب عليها هجاء رسول الله فتغني به.

ثم قال: فجعلت الكتاب في قرون رأسها - أي صفائر رأسها - خوفاً أن يطلع عليها أحد، ثم خرجت به، وأتى رسول الله (ص) الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علياً والزبير وطلحة والمقداد، وقيل علياً وعمّار أو الزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد، ولا مانع أن يكون أرسل الكل، وبعض الرواة اقتصر على بعضهم، فقال (ص): أدركا امرأةً بمحلّ كذا قد كتب معها حاطب بكتاب الى قريش يُحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم فخذوه منها واخلّوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها. فخرجنا حتى أدركاها في ذلك المحلّ الذي ذكره (ص)، فقالا لها: أين الكتاب. فحلفت بالله ما معها من كتاب، فاستنزلاها وفتشاهما والتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي: أتى أحلف بالله ما كذب رسول الله قط ولا كذبتنا، ولتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك أو نضرب عنقك. فلما رأت الجدّ منه قالت: أعرض، فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه.

وفي البخاري: أخرجته من عقاصها ثم قال: وسيأتي أنّها ممّن أباح دمه يوم الفتح ثم أسلمت وعفا عنها، فأتى رسول الله (ص) بذلك الكتاب. وصورة الكتاب «ان رسول الله قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لينصرنه الله تعالى عليكم، فإنه منجز له ما وعده فيكم، فإن الله تعالى ناصره ووليّه»... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): فلما أجمع المسير كتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش يخبرهم

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٣٤.

بذلك، فبعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب والمقداد بن عمرو، فأخذا رسوله وكتابه فجاءا به الى رسول الله، انتهى.

وروى ابن كثير^(١): عن البخاري باسناده عن عبيدالله بن أبي رافع أنه قال: سمعت علياً يقول: بعثني رسول الله (ص) أنا والزبير والمقداد، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها. فانطلقنا تُعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فاذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله (ص) فاذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس بمكة من المشركين ليخبرهم ببعض أمر رسول الله، فقال (ص): يا حاطب ما هذا. فقال: يا رسول الله لا تعجل عليّ، اني كنت امرأ مُلصقاً في قريش، يقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن آتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله (ص): أما أنه قد صدقكم. فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: أنه شهد بديناً. الى أن قال: وقال الإمام ثم ذكر السند وأسنده الى جابر بن عبد الله أنه قال: ان حاطب بن أبي بلتعة كتب الى أهل مكة يذكر ان رسول الله (ص) أراد غزوهم، فدل رسول الله على المرأة التي معها الكتاب، فأرسل إليها فأخذ كتابها من رأسها وقال: يا حاطب أفعلت؟ قال: نعم. قال: أما اني لم أفعله غشاً لرسول الله ولا نفاقاً، قد علمت ان الله مُظهر رسوله ومُتم له أمره، غير اني كنت غريباً بين ظهرانهم وكانت والدي معهم، فأردت أن آتخذ يداً عندهم. فقال له عمر: ألا أضرب رأس هذا. فقال: أتقتل رجلاً من أهل بدر، وما يُدريك لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم... الخ.

قال الواقدي^(٢): فأمر رسول الله (ص) مناديه فنادى في الناس بالخروج، فخرج الناس

(١) السيرة النبوية ٢/٥٣٧ و ٥٣٩.

(٢) المغازي ٢/٧٩٧.

من المدينة فمسكروا وأخذوا في جهازهم، ومع رسول الله (ص) رجل من المهاجرين حليفاً لآل العوام من خويلد يقال له حاطب بن محمد بن أبي بلتعة، فكتب: إنَّ محمداً قد خرج فمسكر ولا أراه إلا يريدكم فعليكم بالحدّ. فأرسل بها مع مولاة لبني هاشم يقال لها سارة، وجاءت سائلة فوضع لها وحملها الكتاب، فنزل جبريل على نبي الله فأخبره الخبر، فبعث رسول الله (ص) رجلين من أصحابه وهما علي بن أبي طالب وابن الزبير، فقال (ص): أدركا عدوة الله، فإن رجلاً من أصحابي قد كتب معها بكتاب إلى أهل مكة يحذّروهم. فركبا في أثرها، فلحقاها فسألاها عن الصحيفة فحلفت بالله ما معي صحيفة ولا كنت آخذة معي كتاباً. ثم قال: فنبشأها فلم يجدا معها شيئاً، فهما بتركها ثم قالوا: نشهد أنه ما كذب رسول الله. فرجعا وهدّداها القتل وسلاً سيفها عليها، فلما عرفت أنه القتل قالت: أعطوني الميثاق لئن أعطيتكما لا تقتلاني ولا ترجعاني إلى المدينة ولتخلّيا سبيلي، فأعطياها الميثاق، فأخرجتها من شعرها، فإذا هي من حاطب بن أبي بلتعة عليها خاتمه، فخلّيا سبيلها وأقبلا بالصحيفة فوضعاها بين يدي رسول الله (ص)، فأرسل رسول الله (ص) إلى حاطب فقال: يا حاطب ما حملك على أن تنذر بنا عدونا؟ قال: اعف عني عفى الله عنك يا رسول الله، فوالذي أنزل عليك الكتاب ما أبغضتك منذ أجبته ولا كذبتك منذ صدقتك ولا كفرت بالله منذ آمنت به ولا وارتد المشركين منذ فارقتهم، ولكني مُخبرك يا رسول الله حديثاً فأعذرني جعلني الله فداك، لم يكن من أصحابك رجل له مال بمكة إلا له في مكة من يمنع ماله من عشيرته غيري، وكنت حليفاً ليس من أنفس القوم، وكان حلفائي قد هاجروا معي، وكنت كثير المال والسعة بمكة، فخفت المشركين على مالي، فكتبت إليهم بالذي كتبت لأتخذها عندهم مودة، وقد عرفت أن الله تعالى مُنزل بهم خزيه ونقمته، وإن كتابي إليهم ليس بمغني عنهم شيئاً. فعرف رسول الله (ص) أنه صادق وأرسل الله على نبيه يعظ المؤمنين أن يعودوا للمثل صنيع حاطب ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جئكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنت خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغوا مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء

السبيل ﴿... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): ثم مضى رسول الله (ص) واستخلف على المدينة أبا زهم كلثوم بن حصين الغفاري، وخرج لعشر مضي من رمضان، وفتح مكة لعشر بقين منه، فصام حتى بلغ ما بين عسفان وأج، فأفطروا واستوعب معه المهاجرون والأنصار، فسبعت سليم وألفت مزينة (يعني كانت بنو سليم سبعمئة ومزينة ألف رجل)، وفي كل القبائل عدد وإسلام... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): وبعث رسول الله (ص) الى من حوله من العرب فجعلهم أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم، فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق، فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف، واستخلف رسول الله (ص) على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم، وخرج يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان بعد العصر. فلما انتهى الى الصلصل قدم أمامه الزبير بن العوام في مائتي من المسلمين، ونادى منادي رسول الله: من أحب أن يفطر فليفطر ومن أحب أن يصوم فليصم. ثم سار، فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات ودفعها الى القبائل... الخ.

وروى الطبري^(٣) وابن هشام^(٤) عن ابن عباس أنه قال: ثم مضى رسول الله (ص) لسفره واستخلف على المدينة أبا زهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري، وخرج لعشر مضي من شهر رمضان، فصام رسول الله وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد ما بين عسفان وأج، أفطر رسول الله (ص) ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين... الخ.

وقال الحلبي^(٥): ثم مضى رسول الله (ص) لسفره واستخلف على المدينة أبا زهم، وقيل ابن أم مكتوم، وبه جزم المحافظ الدمياطي في سيرته، وخرج لعشر، وقيل لليلتين، وقيل

(١) الكامل ٢/ ٢٤٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ١٣٤ و ١٣٥.

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٤٩ و ٥٠.

(٤) السيرة النبوية ٤/ ٤٢.

(٥) السيرة الحلبية ٣/ ٧٦.

لثنتي عشرة، وقيل ثلاث عشرة، وقيل سبع عشرة، وقيل ثمان عشرة، وهو في مسند الإمام أحمد بسند صحيح. قال ابن القيم: أنه أصح من قول من قال أنه خرج لعشر خلون من رمضان، وقيل خرج لتسع عشرة مضي من شهر رمضان في سنة ثمان. قال النووي قال: لا أعلم خلافاً في الشهر والسنة، وما في البخاري أن خروجه (ص) من المدينة كان على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فيكون في السنة التاسعة، فيه نظر وكان (ص) في عشرة آلاف، أي باعتبار من لحقه في الطريق من القبائل كبنو أسد وسُلَيم... الخ.

وقال الزيني دحلان^(١): غزوة فتح الأعظم وهو فتح مكة شرفها الله تعالى، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزّه على مناكب الخوراء، ودخل الناس بسببه في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجا، خرج (ص) بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية إلى أن قال: ولما أراد (ص) الخروج من المدينة وعزم على غزو أهل مكة بعث إلى من حوله من العرب وطلب حضورهم أسلم وغفار وأشجع وسُلَيم وغيرهم، فأرسل إليهم يقول لهم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلاً في كل ناحية، فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق، فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف، وقيل اثني عشر ألفاً من المهاجرين والأنصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسُلَيم، وقيل إن العشرة آلاف خرج بهم من نفس المدينة ثم تلاحق به ألفان... الخ.

وقال الحلبي: وكان المهاجرون سبعمائة، ومعهم ثلاثمائة فرس، وكانت الأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس، وكانت مُزينة ألفاً ومعها مائة فرس، وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرساً، وكانت جُهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرساً... الخ.

وقال الزيني دحلان: وكان معه من زوجاته أم سلمة وميمونة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين الغفاري، وجمع بينهما بانّ أبارهم جعله (ص)

(١) السيرة النبوية ٢ / ٧٥ و ٨١.

للقضايا والأحكام وابن أم مكتوم للصلاة ... الخ.

وقال الطبري^(١): فلما نزل رسول الله مرّ الظهران وقد عُمت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ولا يدرون ما هو فاعل، فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار هل يجدون خبراً أو يسمعون به ... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): ثم نزل (ص) مرّ الظهران عشاءً، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، ولم يبلغ قريش مسيره، وهم مُغتَمون لما يخافون من غزوه (ص) إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب يتحسّس الأخبار، وقالوا: إن لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً. فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء، فلما رأوا العسكر أفرعهم ... الخ.

وقال ابن كثير^(٣): قال ابن إسحاق: وقد كان العباس بن عبدالمطلب لقي رسول الله (ص) ببعض الطريق. ثم قال: قال ابن هشام: لقيه بالمحفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مُقيماً بمكة على سقايته ورسول الله (ص) عنه راض فيما ذكره ابن شهاب الزهري ... الخ.

وقال ابن الأثير^(٤): ولقيه العباس بن عبدالمطلب بالمحفة - وقيل بذي الحليفة - مهاجراً، فأمره رسول الله (ص) أن يرسل رحله الى المدينة ويعود معه، وقال له: أنت آخر المهاجرين وأنا آخر الأنبياء ... الخ.

وقال الطبري^(٥): وقد كان العباس بن عبدالمطلب تلقى رسول الله ببعض الطريق، وقد كان أبو سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله (ص) ببنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمس الدخول على رسول الله، فكلّمته أم سلمة فيها فقالت:

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٣٥.

(٣) السيرة النبوية ٣ / ٥٤٣.

(٤) الكامل ٢ / ٢٤٢.

(٥) تاريخ الطبري ٣ / ٥٠.

يا رسول الله ابن عمك وابن عمّتك وصهرك . قال (ص) : لا حاجة لي بهما ، أمّا ابن عمّي فهتك عرضي ، وأمّا ابن عمّتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال . فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بُني له فقال : والله ليأذننّ لي أو لأخذنّ بيد بُني هذا ثم لنذهبنّ في الأرض حتّى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) رقّ لهما ثم أذن لهما ، فدخلا عليه فأسلما ... الخ . وقال ابن الأثير^(١) : ولقيه أيضاً مخرمة بن نوفل وأبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب وعبدالله بن أبي أمية بنيق العقاب . الى أن قال : فلما سمعا ذلك وكان مع أبي سفيان ابن له اسمه جعفر قال : والله ليأذننّ لي أو لأخذنّ بيد ابني هذا ثم لنذهبنّ في الأرض حتّى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) رقّ لهما ، فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما . وقيل : انّ عليّاً قال لأبي سفيان بن الحرث : ائت رسول الله من قبل وجهه فقل له ما قال أخوة يوسف ليوسف ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وإن كُنّا لحاطئين ﴾ فأنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه فعلاً ولا قولاً . ففعل ذلك ، فقال له رسول الله (ص) ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ وقربهما فأسلما ، وأنشده أبو سفيان :

لعمرك اتي يوم أحمل راية	لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله	فهذا أواني حين أهدى وأهتدى
وهاد هداني غير نفسي ونالني	مع الله من طردت كل مطرد

فضرب رسول الله (ص) صدره وقال أنت طردتني كل مطرد . وقيل : انّ أبا سفيان لم يرفع رأسه الى النبي (ص) حياءً منه . الى أن قال : فلما نزل مرّ الظهران قال العباس بن عبدالمطلب : يا هلاك قريش ، والله لئن بغتها رسول الله في بلادها فدخل عنوة أنه هلاك قريش الى آخر الدهر . فجلس على بَعْلَة النبي وقال : أخرج الى الأراك لعليّ خطاباً أو رجلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله (ص) فيأتونه ويستأمنونه . قال : فخرجت أطوف في الأراك إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء الخزاعي قد خرجوا يتجسسون

الأخبار، فقال أبو سفيان: ما رأيت نيراناً قط أكثر من هذه. فقال بُدَيْل: هذه نيران خزاعة. فقال أبو سفيان: خزاعة أذلّ من ذلك. فقلت: يا أبا حنظلة - يعني أبا سفيان كان يُكْتَنَى بذلك - فقال: أبو الفضل. قلت: نعم. قال: لبيك فداك أبي وأمي ما وراءك. فقلت: هذا رسول الله في المسلمين أتاكم في عشرة آلاف. قال: ما تأمرني؟ قلت: تركب معي فاستأمن لك رسول الله، فوالله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك. فردفني فخرجت أركض به نحو رسول الله، فكلّمًا مررت بنار من نيران المسلمين ونظروا إليّ يقولون: عمّ رسول الله على بغلة رسول الله، حتّى مررنا بنار عمر بن الخطاب، فقال لأبي سفيان: الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد. ثم اشتدّ نحو النبي (ص) وركضت البغلة فسبقت عمر ودخل عمر على رسول الله (ص) فأخبره وقال: دعني أضرب عنقه. فقلت: يا رسول الله انّي قد أجرته. ثم أخذت برأس رسول الله وقلت: لا يناجيه اليوم أحد دوني، فلما أكثر فيه عمر قلت: مهلاً يا عمر فوالله ما تصنع هذا إلاّ أنّه رجل من بني عبدمناف، ولو كان من بني عديّ ما قلت هذه المقالة. فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله (ص): اذهب فقد أمّناه حتّى تغدو عليّ به الغداة، فرجعت به الى منزلي، فلما أصبح غدوت به على رسول الله (ص)، فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلاّ الله. قال: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً. فقال (ص): ويحك ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله (ص). فقال: بأبي أنت وأمي أمّا هذه ففي النفس منها شيء. قال العباس: فقلت له ويحك اشهد شهادة الحقّ قبل أن تضرب عنقك. قال: فتشهد وأسلم معه حكيم بن حزام وبُدَيْل بن ورقاء، فقال رسول الله (ص) للعباس: اذهب فاحبس أبا سفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتّى تمرّ عليه جنود الله. فقلت: يا رسول الله أنّه يحبّ الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه. فقال (ص): نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابَه فهو آمن. قال: فخرجت به فحبسته عند خطم الجبل، فرّت عليه القبائل فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسلم. فيقول: مالي ولأسلم، ويقول: من هؤلاء؟ فأقول: جُهينة. فيقول: مالي ولجُهينة،

حتى مرّ رسول الله (ص) في كتيبة الخضراء مع المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، فقال: من هؤلاء. فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار. فقال: ما لأحدٍ بهؤلاء قبيل ولا طاقه، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقلت ويحك أنّها النبوة. فقال: نعم إذاً. فقلت: الحق بقومك سريعاً فحذّرهم، فخرج حتى أتى مكة ومعه حكيم بن حزام، فصرخ في المسجد: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبيل لكم به. فقالوا: فما. قال: قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: ويحك وما تغني عنا دارك. فقال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ثم قال: يا معشر قريش أسلموا تسلموا. فأقبلت امرأته هند فأخذت بلحيته فقالت: يا آل غالب، اقتلوا هذا الشيخ الأحمق. فقال: أرسلني لحيتي، أقسم لئن لم تسلمي أنت لتضربنّ عنقك، أدخلني بيتك، فتركته... الخ.

وروى ابن كثير^(١): باسناده عن عروة: أنّ رسول الله (ص) بعث بين يديه عيوناً خيلاً يقتصون العيون، وخزاعة لا تدع أحداً يعض وراءها، فلما جاء أبو سفيان وأصحابه أخذتهم خيل المسلمين، وقام إليه عمر يجاء في عنقه حتى أجاره العباس. ثم قال: قال ابن إسحاق: وقال العباس: حين نزل رسول الله (ص) مرّ الظهران قلت: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه أنّه هلاك قريش الى آخر الدهر.

قال: فجلست على بغلة رسول الله (ص) البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت: لعلّي أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة. قال فوالله أنّي لأسير عليها وأتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً. قال: يقول بديل هذه والله خزاعة حمشتها الحرب. قال: يقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: أبو الفضل. قال: قلت نعم. قال: ما لك فدى

(١) السيرة النبوية ٣/٥٤٦ و٥٥٢.

لَكَ أَبِي وَأُمِّي. قال: قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله. فقال: واصباح قريش، والله فما الحيلة فذاك أبي وأمِّي. قال: قلت والله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك قال: فركب خلفي ورجع أصحاباه.

الى أن قال: روى البيهقي من طريق أبي بلال الأشعري، عن زياد البكائي، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيدالله، عن ابن عباس قال: جاء العباس بأبي سفيان الى رسول الله (ص). قال: فذكر القصة إلا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله، وأنه قال له رسول الله: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قال أبو سفيان: وما تسع داري. فقال: ومن دخل الكعبة فهو آمن. قال: وما تسع الكعبة. فقال: ومن دخل المسجد فهو آمن. قال: وما يسع المسجد. فقال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن. فقال أبو سفيان: هذه واسعة... الخ.

وقال الواقدي: وكان أبو سفيان قد دخل ليأخذ خبر الجيش الى أين سائر، فما قدر على ذلك، فرجع الى مكة، فقالوا لأبي سفيان: ويلك على ما أقبلت؟ قال: والله ما أدري أحرَبٌ هو أم سَلِمٌ؟ فقالت له امرأته: قَبَّحَكَ اللهُ من وافد قوم يُرْجى منه الخير، ارجع فإن لن يجيبك إن لقيته ولعلك أن تقتله عن قومك. فخرج أبو سفيان وقد بعث رسول الله (ص) بين يديه رجالاً رماةً من مُزينة، وقال لهم رسول الله: لعلكم تلقون أحداً من المشركين خارجاً من مكة، فوقفوا لأبي سفيان في بعض تلك الأودية بغير سلاح ولا عدة، فلمزوه وضربوه فأدركه العباس بن عبدالمطلب فقال لهم: ارفعوا أيديكم فإني وليت له عهداً. فرفعوا أيديهم عنه، وقال العباس لأبي سفيان: انّ القوم قاتلوك فقل «لا إله إلا الله»، فقالت أبو سفيان يتلجلج بها لسانه ولا يقيمها من الودّ الذي في نفسه لآهته. فلما قالها أبو سفيان انتزع العباس من القوم، فبلغنا - والله أعلم - انّ نبي الله (ص) قال حين نظر الى أبي سفيان مع العباس: هذا مُستسلم غير مسلم. فلما انتهى به العباس الى رسول الله قال العباس: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أتاك مسلماً فأجره واعرف له حقّه. فردّ رسول الله (ص) على العباس: أن ارجع به الى رحلك، فانطلق به العباس وحمله على بغلة رسول الله البيضاء فطاف به في عسكر رسول الله وهو يومئذ تسعة آلاف وخمسمائة رجل، فرأى أبو سفيان ما يكره، فانطلق به العباس الى

رحله فبات عنده، فلما أصبح نادى منادي رسول الله (ص) بالصلاة، فتحرك الناس للوضوء للصلاة، فلما سمع أبو سفيان تحرك الناس فزع وخاف أن يكون تحريكهم ذلك من أجله لما قذف الله في قلبه من الرعب، قال: يا عباس لم تحرك الناس وما هذا الصوت الذي سمعت؟ قال العباس: هذا منادي رسول الله للصلاة فتحرك الناس للوضوء. قال أبو سفيان: إنما تحرك من أرى لمنادي رسول الله؟ قال له العباس: هو كذلك يا أبا سفيان. قال له: انطلق بي الى رسول الله (ص) لعلي أن أسلم إسلاماً حسناً. فانطلق به العباس قبيل الصلاة فأدخله على رسول الله، وأشرف أصحاب النبي حول القبة ينتظرون خروج رسول الله، فقال العباس لرسول الله: يا رسول الله اسمع من أبي سفيان. فقال له رسول الله: ما تشاء. قال: يا محمد اخترت هذه الوجوه التي أرى من أخلاط الناس على قومك تريد أن تبيحهم نساءك غداً. فقال له رسول الله (ص): نعم رضيت بهذه الوجوه التي صدقتني وآوتني ونصرتني بدلاً بوجوه قومي الذين كذبوني وطرودوني وأخرجوني من بلدي وظاهروا على إخراجي، فأما النساء التي ذكرت فأما أباحهن أنت وقومك بكفركم وتكذيبكم الله ورسوله. قال له العباس: يا أبا سفيان أسلم. قال: فكيف بالعزى. قال له عمر وهو من وراء القبة: نحن أعلاها، والذي يحلف به عمر لولا مكانك من نبي الله لضربت عنقك. قال أبو سفيان لعمر: وأبيك يا ابن الخطاب أنك علينا لجريء، واني والله ما إليك جئت ولا إليك أرغب، ولكني جئت الى ابن عمي رسول الله، أشهد يا محمد أن لا إله غيره وأنت عبده ورسوله واني قد كفرت باللات والعزى. فكبر العباس وكان منه ذا قرابة وصهر وندامة في الجاهلية، وأقيمت الصلاة، فقال رسول الله للعباس: أقم أبا سفيان الى جنبك إذا صلينا فعلمه الحمد والتكبير والتسبيح، ففعل فلما رأى أبو سفيان ان الناس يركعون بركوع النبي ويسجدون بسجوده وينصرفون حين ينصرف قال: يا عباس ما يصنع محمد شيئاً إلا صنع هؤلاء مثله. قال: والله لو نهاهم عن الطعام والشراب لتركه بعضهم حتى يموت... الخ.

وقال الحلبي^(١): ولما قال رسول الله اذهب به يا عباس الى رحلك، فذهبت به، فلما أصبح غدوت على رسول الله (ص) أي بعد أن نُودي بالصلاة وثار الناس، ففزع أبو سفيان وقال للعباس: يا أبا الفضل ما يريدون؟ قال: الصلاة. وفي رواية ما للناس أمروا بشيء؟ قال: لا ولكنهم قاموا الى الصلاة، ورأى المسلمون يتلقون وضوء رسول الله (ص)، ثم رأهم يركعون إذا ركع ويسجدون إذا سجد، فقال للعباس: يا عباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه. فقال العباس: لو نهاهم عن الشراب والطعام لأطاعوه. فقال: ما رأيت ملكاً مثل هذا لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الأصفر. ثم قال للعباس: كلمه في قومك هل عنده من عفو عنهم. فانطلق العباس بأبي سفيان حتى أدخله على رسول الله ... الخ.

وقال الطبري^(٢): فقال يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك انها النبوة. فقال: نعم اذاً. فقلت: الحق الآن بقومك فحذّروهم، فخرج سريعاً حتى أتى مكة فصرخ في المسجد: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ... الخ.

وقال الحلبي^(٣): حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، ثم قال: فقامت إليه زوجته هند بنت عتبة أم معاوية فأخذت بشاربه وقالت كلاماً معناه: اقتلوا الخبيث الدنس الذي لا خير فيه. ثم قال: وفي رواية انها أخذت بلحيته ونادت: يا آل غالب اقتلوا الشيخ الأحمق، هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم. فقال لها: ويحك اسكتي وادخلي بيتك. وقال: ويحكم لا تفرّنكم هذه من أنفسكم، فانه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٤): ثم دخل رسول الله (ص) مكة في كتيبة الخضراء على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير، وقد حُبس أبو سفيان فرأى ما لا قبل، فقال:

(١) السيرة الحلبية ٣ / ٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٥٤.

(٣) السيرة الحلبية ٣ / ٨١.

(٤) الطبقات الكبرى ٢ / ١٣٥.

يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال العباس: ويحك أنه ليس بملك ولكنها نبوة. قال: فنعمة، وكانت راية رسول الله (ص) يومئذ مع سعد بن عبادة، فبلغه عنه في قريش كلام وتواعد لهم، فأخذها منه فدفعها إلى ابنه قيس بن سعد... الخ.

وقال الحلبي^(١): وفي رواية: إن سعد بن عبادة كان معه راية رسول الله (ص)، ولما مرّ على أبي سفيان وهو واقف بمضيق الوادي قال أبو سفيان: من هذه؟ قال يعني العباس: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة ومعه الراية، فلما حاذاه سعد قال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة - أي الحرب والقتال - اليوم تستحلّ الحرمه - وفي لفظ الكعبة - اليوم أذلّ الله قريشاً. فلما أقبل رسول الله (ص) - قال بعضهم ورايته مع الزبير - فلما مرّ بأبي سفيان وحاذاه أبو سفيان ناداه: يا رسول الله أمرت بقتل قومك، فإنه زعم سعد ومن معه حين مرّ بنا أنه قاتلنا، فإنه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحلّ الحرمه اليوم أذلّ الله قريشاً، أنشدك الله في قومك فأنت أبرّ الناس وأرحمهم وأوصلهم. فقال عثمان وعبدالرحمن بن عوف: يا رسول الله فأننا لا نأمن من سعد أن يكون له في قريش صولة. فقال رسول الله: يا أبا سفيان كذب سعد، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعزّ الله فيه قريشاً. ثم قال: وأرسل رسول الله (ص) إلى سعد بن عبادة - أي أرسل عليّاً أن ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس، وقيل أعطاه للزبير، وقيل لعليّ، خشية من أن يقع من ابنه قيس ما لا يرضاه... الخ.

وروى الطبري^(٢): بإسناده عن عبدالله بن مجيع: إن النبي (ص) حين فرّق جيشه من ذي طوى أمر الزبير أن يدخل في بعض الناس من كُدى، وكان الزبير على المجنبة اليسرى، فأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء، فزعم بعض أهل العلم إن سعداً قال حين وجّه داخلًا: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمه. فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نأمن أن تكون له في قريش صولة، فقال رسول الله لعلي بن أبي طالب: أدركه فخذ الراية، فكن أنت الذي تدخل بها... الخ.

(١) السيرة الحلبية ٢/٨٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٦.

وقال ابن الأثير^(١): فقال سعد حين وجّهه (ص): اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الكعبة. فسمعها رجل من المهاجرين فأعلم رسول الله، فقال لعلي بن أبي طالب: أدركه فخذ الراية منه وكن أنت الذي تدخل بها... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): وأمر رسول الله (ص) سعد بن عبادَةَ أن يدخل في بعض الناس من كُدَيْ، فزعم بعض أهل العلم أنّ سعداً حين وجّهه داخلاً قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرم، فسمعها رجل، قال ابن هشام: يقال أنّه عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله أسمع ما يقول سعد بن عبادَةَ، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة. فقال رسول الله (ص) لعلي: أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٣): وأمر (ص) كل قبيلة أن تكون عند راية صاحبها وتظهر ما معها من القوة والعدّة، فأصبح الناس على ظهرٍ وقدمٍ بين يديه الكتائب، ومرّت القبائل تمر كتيبة كتيبة، والكتيبة بالثناء المثناة القطعة من الجيش، وأبو سفيان ينظر إليهم ويسأل عنهم، وأول من قدّم خالد بن الوليد في بني سليم وهم ألف وقيل تسعمائة معهم لواء أن يحملها العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة، فحين مرّوا بأبي سفيان كبروا ثلاثاً، فقال أبو سفيان للعباس: من هؤلاء؟ قال: خالد بن الوليد. فقال: خالد الغلام. قال: نعم. قال: ومن معه؟ قال: بنو سليم. قال: مالي ولبني سليم.

ثم مرّ على أثره الزبير بن العوّام في خمسمائة من المهاجرين وافتاء العرب، فكبروا ثلاثاً، فقال أبو سفيان للعباس: من هؤلاء؟ قال: الزبير بن العوّام. قال: ابن أختك؟ قال: نعم.

ثم مرّت كتيبة بني غفار في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً، فقال: يا عباس من هؤلاء؟ قال: غفار. قال: مالي ولغفار.

ثم مرّت أسلم في أربعمائة فيها لواء أن يحملها بُريدة بن الحصيب وناجية بن الأعجم، فلما

(١) الكامل ٢/٢٤٦.

(٢) السيرة النبوية ٣/٥٥٨ و ٥٥٩.

(٣) السيرة النبوية ٢/٨٦.

حاذوه كبروا ثلاثاً، فقال: من هؤلاء؟ قال: أسلم. قال: مالي ولأسلم.

ثم مرّت بنو كعب بن عمرو وهم خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً، فقال: من هؤلاء؟ قال: بنو كعب أخوة أسلم. قال: هؤلاء حلفاء محمد. قال: نعم.

ثم مرّت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة ألوية يحملها النعمان وعبد بن عمرو بن عوف وبلال ابن الحرث، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً، قال: من هؤلاء؟ قال: مزينة. قال: مالي ولمزينة، قد جاءني تفقّع من شواهدها.

ثم مرّت جُهينة في ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد وسويد بن ضحر ورافع ابن مكيث وعبدالله بن بدر، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً، قال: من هؤلاء؟ قال: جُهينة. قال: مالي ولجُهينة، والله ما كان بيني وبينهم حرب قط.

ثم مرّت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً، قال: من هؤلاء؟ قال: بنو بكر. قال: نعم أهل شوّم، والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم.

ثم مرّت أشجع وهم ثلاثمائة معهم لواء أن يحملها معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الأشجعي، فكبروا ثلاثاً، قال: من هؤلاء؟ قال: أشجع. قال: هؤلاء كانوا أشدّ العرب على محمد. فقال له العباس: أدخل الله الإسلام في قلوبهم، فهذا فضل الله.

ومرّت بنو تميم وبنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاة، فصنعوا مثل ذلك.

وقيل: إن مرور هؤلاء كان قبل أشجع، وإن أشجع كان آخرهم. ثم قال أبو سفيان: أبعد ما مضى محمد؟ فقال له العباس: لو أتت الكتيبة التي محمد فيها لرأيت الخيل والحديد والرجال وما ليس لأحد به طاقة. قال: ومن له بهؤلاء طاقة.

وجعل الناس يمزّون وهو يقول عند مرور كل قبيلة ما مرّ محمد؟ فيقول العباس: لا، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها إذ في كل بطن منهم لواء، وهم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، فيهم ألفا دارع وفيهم رسول الله (ص)، فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأنصار، عليهم

سعد بن عبادة معه راية الأنصار، وتقدّم ان راية المهاجرين كان مع الزبير، وكان جملة من كبار المهاجرين والأنصار مع النبي (ص) وعمر بن الخطاب يقول: رُويدا يلحق أولكم آخركم. وفي رواية: ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع، وفيهم رسول الله (ص) وأصحابه المهاجرون والأنصار، وفيها الرايات والألوية، مع كل بطل من بطول الأنصار لواء وراية، وهم في الحديد لا يُرى منهم إلا الحدق.

وفي رواية: قال أبو سفيان: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قال: هذا رسول الله في الأنصار.

الى أن قال: فلما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، أي يوم الحرب الذي لا يوجد منه مخلص، اليوم تستحل الكعبة، أي يُقتل من أهدر دمه ولو تعلق بأستار الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس حبّذا يوم الدمار، أي حبّذا يوم الهلاك... الخ. وقال الحلبي^(١): حتّى مرّ به رسول الله (ص) في كتيبة الخضراء للبسهم الحديد، والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق السواد على الخضرة، وفيها المهاجرون والأنصار، لا يُرى منهم إلا الحدق من الحديد... الخ.

وروى الطبري^(٢) باسناده عن عبدالله بن نجيح في حديثه: ان رسول الله (ص) أمر خالد ابن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس، وكان خالد على المجنبة اليمنى، وفيها أسلم وغفار ومزينة وجُهينة وقبائل من العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين يُنصبُ لمكة بين يدي رسول الله (ص)، ودخل رسول الله من أذاخر حتّى نزل بأعلى مكة، ضربت هنالك قبته... الخ.

وقال العلامة محمد حسين هيكل: فقد أمر (ص) أن يُفرق الجيش أربع فرق، وأمرها جميعاً أن لا تقاتل وألا تسفك دماً إلا إذا أكرهت على ذلك إكراهاً واضطرت إليه الجيش اضطراراً، وجعل الزبير بن العوام على الجناح الأيسر من الجيش، وأمره أن يدخل مكة من

(١) السيرة الحلبية ٣ / ٨١.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٥٧.

شمالها، وجعل خالد بن الوليد على الجناح الأيمن، وأمره أن يدخل من أسفل مكة، وجعل سعد بن عباد على أهل المدينة ليدخلوا مكة من جانبها الغربي، أما أبو عبيدة بن الجراح فجعله محمد (ص) على المهاجرين، وساروا وإياهم ليدخلوا مكة من أعلاها في حذاء جبل هند... الخ.

وقال ابن كثير^(١): ودخل رسول الله (ص) من أذاخر، حتى نزل بأعلى مكة، فضربت هنالك قبّة.

ثم قال: وروى البخاري من حديث الزهري عن علي بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله (ص) أتى تنزل غداً. فقال: هل ترك لنا عقيل من رباغ. ثم قال: لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر.

ثم قال: قال البخاري: ثنا أبو اليمان، ثنا شعيب، ثنا أبو الزبير، عن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي (ص) قال: منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): ولما وصل رسول الله إلى ذي طوى وقف على راحلته وهو معتجر بشقة برد حبرة أحمر، وقد وضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن أسفل لحيته لتمس واسطة الرحل، ثم تقدم ودخل من أذاخر بأعلاها، وضربت قبته هناك... الخ.

وقال ابن كثير^(٣): ثبت في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري عن أنس: إن رسول الله (ص) دخل مكة وعلى رأسه المغفر. إلى أن قال: وقال أحمد، ثنا عفان، ثنا حماد، انبأ أبو الزبير، عن جابر إن رسول الله (ص) دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء. ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة، وقال الترمذي حسن صحيح، ورواه مسلم عن

(١) السيرة النبوية ٣ / ٥٦٠ و ٥٦١.

(٢) الكامل ٢ / ٢٤٦ و ٢٤٧.

(٣) السيرة النبوية ٣ / ٥٤٤.

قتيبة ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمّار الدهني عن أبي الزبير عن جابر أنّ رسول الله (ص) دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام.

وروى مسلم من حديث أبي أسامة، عن مساور الوراق، عن جعفر بن عمرو بن حُرَيْث، عن أبيه قال: كاتني أنظر الى رسول الله (ص) يوم فتح مكة وعليه عمامة حرقانية سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه.

وروى مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي من حديث عمّار الدهني عن أبي الزبير عن جابر: أنّ رسول الله (ص) دخل مكة وعليه عمامة سوداء.

وروى أهل السنن الأربعة من حديث يحيى بن آدم عن شريك القاضي عن عمّار الدهني عن أبي الزبير عن جابر قال: كان لواء رسول الله (ص) يوم دخل مكة أبيض.

وقال ابن إسحاق: عن عبدالله بن أبي بكر عن عائشة: كان لواء رسول الله (ص) يوم الفتح أبيض، ورايته سوداء تُسمّى العقاب... الخ.

ثم روى عن البخاري بإسناده عن عبدالله بن مغفل يقول: رأيت رسول الله (ص) يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح... الخ.

ثم روى عن البيهقي بإسناده عن أنس أنّه قال: دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته مُتخشعاً. انتهى ما رواه ابن كثير.

وقال ابن الأثير^(١): ولما دخل رسول الله (ص) مكة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: لا إله إلا الله وحده وصدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل دم ومأثرة أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج. ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أنّي فاعل بكم؟ قالوا: خير، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فعفا عنهم، وكان الله قد أمكنه منهم، وكانوا له فيئاً فلذلك سُمي أهل مكة الطلقاء... الخ.

وروى الطبري^(١) باسناده عن قتادة السدوسي: ان رسول الله قام قائماً حين وقف على باب الكعبة، ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ مثل العمدة، السوط والعصا وفيها الديّة مغلظة مائة من الإبل، منها أربعون في بطونها أولادها، يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خلق من تراب، ثم تلا رسول الله (ص) ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ يا معشر قريش ويا أهل مكة، ما ترون آني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فأعتقهم رسول الله (ص) وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئاً، فبذلك، يسمّى أهل مكة الطلقاء... الخ.

أقول: وهذا النقل موافق لما ذكره ابن هشام في السيرة^(٢): وابن كثير في التاريخ^(٣).

وروى محمد بن سعد باسناده عن الزهري عن بعض آل عمر بن الخطاب قال لما كان يوم الفتح ورسول الله (ص) بمكة أرسل الى صفوان بن أمية بن خلف والى أبي سفيان بن حرب والى الحارث بن هشام قال عمر قلت قد أمكن الله منهم أعرفهم بما صنعوا حتى قال النبي (ص) مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ قال عمر فانفضحت حياءً من رسول الله (ص) كراهية لما كان مني وقال لهم رسول الله (ص) ما قال... الخ.

وقال ابن كثير^(٤): قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر: ان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخدم ليقاتلوا،

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٦٠ و ٦١.

(٢) السيرة النبوية ٤/ ٥٤.

(٣) السيرة النبوية ٣/ ٥٧٠.

(٤) السيرة النبوية ٣/ ٥٦١ و ٥٦٣.

وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعدّ سلاحاً قبل قدوم رسول الله (ص) ويصلح منه، فقالت له امرأته: لماذا تعدّ ما أرى. قال: لمحمد وأصحابه. فقالت: والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء. قال: والله أتى لأرجو أن أخدمك بعضهم. ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فما لي علّة هذا سلاح كامل وآلّة

وذو غرارين سريع السّلة

قال: ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسُهيل، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوشوهم شيئاً من قتال، فقتل كُرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحُنيش بن خالد ابن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ، وكانا في جيش خالد، فشذا عنه فسلكا غير طريقه فقتلا جميعاً، وكان قتل كُرز قبل حُنيش. قالوا: وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجُهني، وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر، ثم انهزموا، فخرج حماس منهزماً حتّى دخل بيته ثم قال لامرأته: إغلقي عليّ بابي. قال: فأين ما كنت تقول. فقال:

أنتك لو شهدت يوم الخندمة	إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة
وأبويزید قائم كالمؤتمّة	واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة	ضرباً فلا يسمع إلا غمغمة
لهم نهيت خلفنا وهممة	لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

ثم قال: وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحُنين والطائف «يا بني عبدالرحمن» وشعار الخزرج «يا بني عبدالله» وشعار الأوس «يا بني عبيدالله».

ثم قال: قال الطبراني: ثنا علي بن سعيد الرازي، ثنا أبو حسان الزياتي، ثنا شعيب بن صفوان، عن عطاء بن السائب، عن طاووس، عن ابن عباس، عن رسول الله (ص) قال: إنّ الله حرّم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض، وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر وما حيأله من السماء، وإنّه لا يحلّ لأحد قبلي، وأنما حلّ لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان. فقيل له: هذا خالد بن الوليد يقتل. فقال: قم يا فلان فانت خالد بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل، فأتاه الرجل فقال: إنّ النبي يقول: أقتل من قدرت عليه. فقتل سبعين انساناً، فأتى النبي فذكر

ذلك له، فأرسل الى خالد فقال: ألم أنهك عن القتل؟ فقال: جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه. فأرسل إليه: ألم أمرك؟ قال: أردت أمراً وأراد الله أمراً فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت إلا الذي كان. فسكت عنه النبي (ص) فما ردّ عليه شيئاً.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله (ص) عهد الى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دم نفر ستماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وكان رسول الله (ص) قد عهد الى أمرائه أن لا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم، فلما انهزم المشركون وأراد المسلمون دخول مكة قام في وجوههم نساء مشركات يلطنن وجوه الخيل بالخمير وقد نشرن شعورهن... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): ودخل النبي (ص) مكة عنوة، فأسلم الناس طائعين وكارهين، وطاف رسول الله (ص) بالبيت على راحلته وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل كلما مرّ بصنم منهم يشير إليه بقضيب في يده ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾، فيقع الصنم لوجهه، وكان أعظمها هُبل، وهو وجاه الكعبة. ثم جاء الى المقام وهو لاصق بالكعبة، فصلّى ركعتين، ثم جلس ناحية من المسجد وأرسل بلالاً الى عثمان بن طلحة أن يأتي بفتح الكعبة، فجاء به عثمان فقبضه رسول الله (ص) وفتح الباب ودخل الكعبة فصلّى فيها ركعتين، فأخذ بعضادتي الباب والمفتاح معه وقد لثط (أي سقط من قيام وصرع) بالناس حول الكعبة، فخطب الناس يومئذ ودعا عثمان بن طلحة فدفع إليه المفتاح وقال: خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. ودفع السقاية الى العباس بن عبدالمطلب وقال (ص) أعطيتكم ما ترزؤكم ولا ترزؤنها... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبيدالله بن عبدالله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبه ان رسول الله (ص) لما نزل مكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ١٣٦ و ١٣٧.

(٢) السيرة النبوية ٤/ ٥٤، ٥٥.

طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة واستكف له الناس في المسجد. الى أن قال: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دخل البيت يوم الفتح، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم مُصَوَّراً وفي يده الأزلام يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام، ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين. ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست. وقال ابن الأثير^(١): وطاف بالكعبة سبعاً، ودخلها وصلى فيها، ورأى فيها صور الأنبياء فأمر بها فحيت، وكان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، وكان بيده قضيب، فكان يشير به الى الأصنام وهو يقرأ ﴿قل جاء الحق﴾ الآية، فلا يشر الى صنم منها إلا سقط لوجهه. وقيل: بل أمر بها فخدمت (أي قُطعت) وكُسرت.

وقال ابن كثير^(٢): ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد، وقال موسى بن عقبة: ثم سجد سجدتين، ثم انصرف الى زمزم فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ، والناس يبتدرون وضوءه والمشركون يتعجبون من ذلك ويقولون: ما رأينا ملكاً قط ولا سمعنا به - يعني مثل هذا - وأخر المقام الى مقامه اليوم وكان مُلصقاً بالبيت.

ثم قال: قال محمد بن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله قام على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده. الى أن قال (ص): ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الديّة مُغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها.

الى أن قال ابن كثير: ثم جلس رسول الله (ص) في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة والسقاية صلى الله عليك. فقال رسول الله: أين عثمان بن طلحة، فدعي له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برّ ووفاء. الى أن قال: وقال البخاري: ثنا إسحاق ابن منصور، ثنا عبدالصمد، ثنا أبي، ثنا أيوب،

(١) الكامل ٢/٢٥٢.

(٢) السيرة النبوية ٣/٥٦٩.

عن عكرمة، عن ابن عباس: ان رسول الله (ص) لما قدم مكة أبا أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل وفي أيديهما الأزلام، فقال: قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط. ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل. ثم قال: وقال الإمام أحمد: ثنا عبدالصمد، ثنا همام، ثنا عطاء، عن ابن عباس: ان رسول الله (ص) دخل الكعبة وفيها ستّ سوارى، فقام الى كل سارية ودعا ولم يصل فيه.

وروى عن أحمد أيضاً باسناده عن ابن عباس: ان رسول الله (ص) حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم، فقال: أما هم فقد سمعوا ان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة؟ هذا إبراهيم مُصَوِّراً فما باله يستقسم.

ثم روى أيضاً عن أحمد باسناده عن ابن عباس قال: دخل رسول الله (ص) البيت فدعا في نواحيه ثم خرج فصلّى ركعتين، انتهى ما رواه ابن كثير.

وقال الكازروني اليماني: ودخل (ص) مكة عنوة، وكان في الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل كلما مرّ بصنم منها يشير إليه بقضيب في يده يقول: ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾، فيقع الصنم لوجهه، وكان أعظمها هُبَل، وهو وجه الكعبة، فجاء الى المقام وهو لاصق بالكعبة، فصلّى فيه ركعتين ثم جلس ناحية، فأرسل عليّاً الى عثمان بن أبي طلحة في طلب مفتاح الكعبة، فأبى دفعه إليه وقال: لو علمت أنه رسول الله (ص) لم أمنعه فلوى علي يده وأخذه منه قهراً حتى دخل رسول الله (ص) البيت وصلّى فيه، فلما خرج قال له العباس: بأبي أنت وأمي يا رسول الله اجمع لي السدانة مع السقاية، وسأله أن يعطيه المفتاح، فأنزل الله تعالى ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات الى أهلها ﴾ فأمر (ص) عليّاً برده إليه وقال له: قل له: خذوه يا بني طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم إلا ظالم، فردّه إليه علي وقال له ذلك، فقال: أخذته مني قهراً وردّته علي باللطف. فقال ﷺ: لأن الله تعالى أمرنا برده عليك، وقرأ هذه الآية، فأتى النبي (ص) وأسلم ثم أنه هاجر ودفع المفتاح الى أخيه شيبه وهو في ولده الى اليوم، ودفع السقاية الى العباس ... الخ.

وقال الملا معين في معارج النبوة في الركن الرابع ص ٢٥٣: فأمر عليّاً أن يصعد على منكبه

فيزيل الأصنام من حول الكعبة، فصعد فأزالها، وأنه لما أزالها ألقى نفسه الى الأرض فضحك، وإن النبي (ص) سأله عن سبب ضحكك فقال: أتيت نفسي الى الأرض ما وجدت المأ مع علو الارتفاع. فقال (ص) كيف يصيبك الألم لأني رفعتك وإن جبريل أنزلك... الخ.

وقال الحلبي^(١): وعن ابن عباس قال: دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً لكل حيٍّ من أحياء العرب صنم قد شدَّ إبليس أقدامها بالرصاص، فجاء (ص) ومعه قضيب، فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيختر لوجهه. وفي لفظ: لقفاه، وفي لفظ: فما أشار لصنم من ناحية وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه إلا وقع على وجهه من غير أن يمسه بما في يده ويقول ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾ الآية، حتى مرَّ عليها كلها.

وفي رواية: فأقبل (ص) الى الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس أخذ بسيته، والسيت ما انعطف من القوس، فأتى (ص) في طوافه على صنم الى جنب البيت - أي من جهة بابه - يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الأصنام، فجعل يطعن في عينيه ويقول ﴿ جاء الحق ﴾ الخ، فأمر به (ص) فكسر، فقال الزبير لأبي سفيان: قد كسر هبل، أما أنك قد كنت في يوم أحد في غرور حين تزعم أنه قد أنعم. فقال أبو سفيان: دع هذا عنك يا ابن العوام، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان.

ثم قال الحلبي: وعن علي قال: انطلق بي رسول الله (ص) ليلاً حتى أتى الكعبة، فقال: اجلس، فجلست الى جنب الكعبة، فصعد رسول الله (ص) على منكبي ثم قال: انهض، فنهضت فلما رأيت ضعفي تحته قال: اجلس، فجلست ثم قال (ص): يا علي اصعد على منكبي، ففعلت. وفي رواية أنه (ص) قال لعلي: اصعد على منكبي واهدِم الصنم. فقال: يا رسول الله بل اصعد أنت فأتى أكرمك أن أعلوك. فقال: أنك لا تستطيع حمل ثقل النبوة، فاصعد أنت. فجلس النبي (ص) فصعد علي على كاهله ثم نهض به. قال علي: فلما نهض بي فصعدت فوق ظهر الكعبة، وتنحى رسول الله (ص) وخيل لي حين نهض بي أنني لو شئت لنبئت أفق السماء.

(١) السيرة الحلبية ٣ / ٨٥ و ٨٨.

وفي رواية: قيل لعلي: كيف كان حالك وكيف وجدت نفسك حين كنت على منكب رسول الله؟ فقال: كان من حالي أنني لو شئت أن أتناول الثرياً لفعلت، وعند صعوده قال له (ص): الق صنمهم الأكبر، وكان من نحاس، وقيل من قوارير أي زجاج. وفي رواية: لما ألقى الأصنام لم يبق إلا صنم خزاعة مؤتداً بأوتادٍ من حديد، فقال رسول الله (ص): عالجته، فعالجته وهو يقول: ايه ايه ﴿ جاء الحق ﴾ الآية، فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر.

ثم قال الحلبي: أقول وهذا السياق يدل على أن هذا الصنم غير هبل وإن هبل ليس أكبر أصنامهم بل هذا أكبر منه، ولم أقف على اسمه، ثم قال: وفي الكشف: ألقاها جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر، فقال (ص): يا علي ارم به، فحمله رسول الله حتى صعد فرمى به فكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون: ما رأينا أسحر من محمد.

وفي خصائص العشرة لصاحب الكشف زيادة، وهي: ونزلت من فوق الكعبة أنا والنبي (ص)، وانطلقت نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش. ثم قال هذا كلامه.

وهكذا رواه سبط بن الجوزي^(١) عن الإمام أحمد ورواه الطبري^(٢) عن الإمام أحمد وعن صاحب الصفوة ورواه النسائي^(٣) بإسناده عن أبي مریم... الخ.

وهذا يدل على أن ذلك لم يكن يوم فتح مكة. فليتأمل.

ثم قال: وفي الكشف أيضاً: كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً لكل قوم صنم بجياهم. وعن ابن عباس: كانت لقبائل العرب أصنام يحجون إليها وينحرون لها. إلى أن قال: ثم أنه (ص) جاء إلى مقام إبراهيم وكان لاصقاً بالكعبة، فصلّى ركعتين، ثم أخره على ما تقدم، ودعا (ص) بماء فشرب منه وتوضأ. إلى أن قال: وانتزع العباس دلواً فشرب منه وتوضأ، وابتدر المسلمون يصبون على وجوههم. وفي لفظ: لا تسقط قطرة إلا في يد إنسان إن كان قدر

(١) تذكرة الخواص ص ٣٤.

(٢) ذخائر العقبى ص ٨٥.

(٣) خصائص أمير المؤمنين ١٣٤ و ١٣٥.

ما يشربها شربها وإلا صحّ بها جلده، والمشركون يقولون: ما رأينا ولا سمعنا ملكاً قط بلغ هذا. ولما جلس رسول الله (ص) في المسجد والناس حوله، خرج أبو بكر وجاء بأبيه يقوده وقد كان كفّ بصره، فلما رآه (ص) قال: هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية وفي لفظ: لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناها. فقال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه. فأجلسه بين يدي رسول الله فمسح رسول الله (ص) صدره وقال: أسلم تسلم. فأسلم. ثم قال: وكان رأس أبي قحافة ولحيته بيضاء كالثغامة، فقال (ص) غيروهما وجنبوهما السواد. وفي رواية: اجتنبوا السواد. وجاء: غيروا الشيب ولا تتشبهوا باليهود والنصارى. وفي رواية: اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم. وجاء: إن أحسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم... الخ.

وقال ابن كثير^(١): ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله (ص): غيروا هذا من شعره.

ثم روى عن البيهقي باسناده عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبي (ص)، فلما وقف به على رسول الله قال: غيروه ولا تقربوه سواداً... الخ. وقال ابن هشام^(٢): فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثغامة، فقال رسول الله (ص): غيروا هذا من شعره... الخ.

قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله (ص) قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر ستمهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبدالله بن سعد أخو بني عامر بن لؤي، وإنما أمر رسول الله (ص) بقتله لأنه قد كان أسلم وكان يكتب لرسول الله الوحي ثم ارتدّ مشركاً راجعاً إلى قريش، ففرّ إلى عثمان بن عفان وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله بعد أن اطمان الناس وأهل مكة، فاستأمن له، فزعموا أن رسول الله (ص) صمت طويلاً ثم قال: نعم. فلما

(١) السيرة النبوية ٣/ ٥٥٨.

(٢) السيرة النبوية ٤/ ٤٨ - ٥٤.

انصرف عنه عثمان قال رسول الله لمن حوله من أصحابه: لقد صمّت لي قوم إليه بعضكم فيضرب عنقه. فقال رجل من الأنصار: فهلاً أومأت إلي يا رسول الله قال: انّ النبي (ص) لا يقتل بالإشارة ثم قال ابن هشام: ثم أسلم وولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، ثم ولّاه عثمان بعد عمر.

ثم قال ابن هشام: وعبدالله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب، وأما أمر (ص) بقتله لآنه كان مسلماً فبعثه رسول الله مصدقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى يخدمه وكان مسلماً، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً، فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله ثم ارتدّ مشركاً، وكانت له قينتان فرتنى وصاحبتهما وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله (ص)، فأمر رسول الله بقتلهما معه.

ثم قال ابن هشام: والحويرث بن نُقيذ، وكان ممّن يؤذيه (ص) بمكة.

ثم قال ابن هشام: وكان العباس بن عبدالمطلب حمل فاطمة وأم كلثوم بنتي رسول الله (ص) من مكة يريد بهما المدينة، فنحس بهما الحويرث بن نُقيذ فرمى بهما الى الأرض. ثم قال: قال ابن إسحاق: ومقيس بن صُبابه، وأما أمر رسول الله (ص) بقتله لقتل أخاه الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مشركاً.

ثم قال: وسارة مولاة لبعض بني المطلب وعكرمة بن أبي جهل، وكانت ممّن يؤذيه بمكة فأما عكرمة فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله (ص) فأمنه، فخرجت في طلبه الى اليمن حتّى أتت به رسول الله فأسلم. وأما عبدالله ابن خطل فقتله سعيد بن حُرَيْث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه. وأما مقيس بن صُبابه فقتله نُميلة بن عبدالله رجل من قومه.

الى أن قال: وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتّى استؤمن لها رسول الله بعد فأمنها، وأما سارة فاستؤمن لها رسول الله فأمنها... الخ. وأما الحويرث فقتله علي بن أبي طالب.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي هند عن أبي مرّة مولى عقيل بن أبي طالب:

انَّ أم هاني ابنة أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله بأعلى مكة فرأى رجلان من أحماني من بني مخزوم، وكانت عند هُبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل عليَّ علي بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلها، فأغلقت عليها باب بيتي ثم جئت رسول الله (ص) وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة ان فيها لأثر العجين وفاطمة ابنته تستره ثوبه، فلما اغتسل أخذ بثوبه فتوشَّح به. الى أن قال: قال (ص): مرحباً وأهلاً بأم هانيء ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: قد أجرنا من أجرت وأمننا من أمنت فلا يقتلها، وهما الحرث ابن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة. انتهى ما نقله ابن هشام.

وقال محمد بن سعد^(١): وأمر (ص) بقتل ستة نفر وأربعة نسوة: عكرمة بن أبي جهل، وهبَّار بن الأسود، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صُبابة الليثي، والحُويرث بن نُقيذ، وعبدالله بن هلال بن خَطَل الأدرمي، وهند بنت عتبة، وسارة مولاة عمرو بن هاشم، وفرتنا وفريبة. فقتل منهم ابن خَطَل والحُويرث بن نُقيذ ومقيس بن صُبابة ... الخ.

أقول: وهبَّار بن الأسود هو الذي كان رُوِّع زينب بنت رسول الله (ص) حين هاجرت الى المدينة، فكانت حاملاً فألقت جنينها. وقد تقدّم ذكرها في الجزء الأول من الكتاب.

وقال ابن الأثير^(٢): وكان رسول الله (ص) قد أمر بقتل ثمانية رجال وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وأربع نسوة، فأما الرجال فمنهم: عكرمة بن أبي جهل كان يشبه أباه في إيذاء رسول الله (ص) وعداوته والإنفاق على محاربه، فلما فتح رسول الله (ص) مكة خاف على نفسه فهرب الى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام، فاستأمنت له وخرجت في طلبه ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها، فأطعمته ولم تمكَّنه حتى أتت حياً من أحياء العرب، فاستعانتهم عليه فأوثقوه، وأدركت عكرمة وهو يريد ركوب البحر، فقالت: جئتك من أوصل الناس وأحلمهم وأكرمهم وقد أمنتك. فرجع، وأخبرته خبر الرومي فقتله قبل أن يسلم، فلما قدم على رسول الله (ص) سرَّ به وأسلم، وسأل رسول الله (ص) أن

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ١٣٦.

(٢) الكامل ٢/ ٢٤٨ - ٢٥٤.

يستغفر له فاستغفر .

ومنهم صفوان بن أمية بن خلف، كان أيضاً من أشدّ الناس عداوةً على النبي (ص) فهرب خوفاً منه الى جدّة، فقال عمير بن وهب الجهني: يا رسول الله إنّ صفوان سيّد قومي وخرج هارباً منك فأمنه. قال (ص): هو آمن، وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها أمانه، فخرج بها عمير فأدركه بجدة فأعلمه بأمانه وقال: أنّه أحلم الناس وأوصلهم وأنّه ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك. قال: أنّي أخافه على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك، فرجع صفوان وقال لرسول الله: إنّ هذا يزعم أنّك أمنتني. قال: صدق. قال: اجعلني بالخيار شهرين. قال: أنت فيه أربعة أشهر، فأقام معه كافراً وشهد معه حُنيناً والطائف، ثمّ أسلم وحسن إسلامه، وتوفّي بمكة حين خروج الناس الى البصرة ليوم الجمل.

ومنهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي، وكان قد أسلم وكتب الوحي لرسول الله (ص)، فكان إذا أملى عليه عزيز حكيم يكتب عليه حكيم وأشباه ذلك، ثم ارتدّ وقال لقريش: أنّي أكتب أحرف محمد في قرآنه حيث شئت ودينكم خير من دينه، فلما كان يوم الفتح فرّ الى عثمان بن عفّان. الى أن قال: فلما انصرف قال رسول الله (ص) لأصحابه: لقد صمّت ليقتله أحدكم. فقالوا: هلاًّ أومات إلينا. فقال (ص): ما كان للنبي أن يقتل بالإشارة، إنّ الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين.

ثم قال: ومنهم عبدالله بن خطّ، وكان قد أسلم فأرسله رسول الله (ص) مصداقاً ومعه رجل من الأنصار وغلّام له رومي قد أسلم، فكان الرومي يخدمه ويصنع له الطعام، فنسى يوماً أن يصنع له طعاماً فقتله وارتدّ، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله، فقتله ابن حُرَيْث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه.

ثم قال: ومنهم الحويرث بن نُقيذ، وكان يُؤذي رسول الله (ص) بمكة وينشد الهجاء فيه، فلما كان يوم الفتح هرب من بيته، فلقيه علي بن أبي طالب فقتله.

ثم قال: ومنهم مقيس بن صُبابة، وأما أمر بقتله لانه قتل الأنصاري الذي قتل أخاه خطأً وارتدّ، فلما انهزم أهل مكة يوم الفتح. اختفى بمكان هو وجماعة وشربوا الخمر، فعلم به مُيلة

ابن عبدالله الكلبي فاتاه فضربه بالسيف حتى قتله .

ثم قال : ومنهم عبدالله بن الزبيري السهمي ، وكان يهجو رسول الله بمكة ويعظم القول فيه ، فهرب يوم الفتح هو وهبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانيء بنت أبي طالب الى نجران ، فأما هُبيرة فأقام بها مُشركاً حتى هلك ، وأما ابن الزبيري فرجع الى رسول الله (ص) واعتذر فقبل عذره ، فقال حين أسلم :

يا رسول الملّيك انّ لساني راتق ما فتقت إذا أنا بور

الى أن قال :

آمن اللحم والعظام برّبّي ثم نفسي الشهيد أنت النذير

ثم قال : ومنهم وحشي بن حرب قاتل حمزة ، فهرب يوم الفتح الى الطائف ، ثم قدم في وفد أهله على رسول الله (ص) وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فقال النبي (ص) أَوْحشيّ ؟ قال : نعم . قال : أخبرني كيف قتلت عمّي . فأخبره ، فبكى وقال : غيّب وجهك عني ... الخ .

ثم قال : وهرب حُوَيْطِب بن عبدالعزّي ، فرآه أبو ذر في حائط ، فأخبر النبي (ص) بمكانه ، فقال : أوليس قد أماننا الناس إلا من قد أمرنا بقتله ، فأخبره بذلك فجاء الى النبي (ص) فأسلم . الى أن قال : وأما النساء فمنهنّ هند بنت عتبة ، وكان رسول الله (ص) أمر بقتلها لما فعلت بحمزة ، ولما كانت تؤذي رسول الله (ص) بمكة ... الخ .

ثم قال : ومنهنّ سارة ، وهي مولاة عمرو بن عبدالمطلب ، وهي التي حملت كتاب حاطب ابن أبي بلتعة في قول بعضهم . الى أن قال : فأمر بقتلها ، فقتلها علي بن أبي طالب .

ومنهنّ قينتا عبدالله بن خطل ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله (ص) ، فأمر بقتلها فقتلت إحداهما واسمها قريية وفرّت الأخرى وتنكرت وجاءت الى رسول الله (ص) فأسلمت وبقيت الى خلافة عمر بن الخطاب فأوطأها رجل فرسّه خطأ فماتت . وقيل : بقيت الى خلافة عثمان بن عفان فكسر رجل ضلعاً من أضلاعها خطأ فماتت فأغرمه عثمان .

الى أن قال : ثم جلس رسول الله (ص) للبيعة على الصفا وعمر بن الخطاب تحته (يعني

وعمر بن الخطاب كان مجلسه أسفل من مجلسه (ص) واجتمع الناس لبيعة رسول الله (ص) على الإسلام، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال، وأما بيعة النساء فإنه لما فرغ من الرجال بايع النساء، فأتاه منهن نساء من نساء قريش.

ثم ذكر أسماء هن الى أن قال: وكانت هند متنكرة لصنيعها بحمزة، فهي تخاف أن تؤخذ به، وقال (ص) لهن: تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً. قالت هند: أنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسئوتيكه. قال (ص): ولا تسرقي. قالت: والله إن كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهنة والهنة. فقال أبو سفيان وكان حاضراً أمّا ما مضى فأنت منه في حلّ. فقال رسول الله (ص) أهند؟ قالت: أنا هند فاعف عمّا سلف عفا الله عنك. قال (ص): ولا تزنين. قالت: وهل تزني الحرّة. قال: ولا تقتلن أولادك. قالت: قد ربّينهاهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً، فأنت وهم أعلم، فضحك عمر وقال الطبري: فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتّى استغرب. قال (ص): ولا تأتين بهتان تفترينه بين أيديك وأرجلك. قالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. قال (ص): ولا تعصيني في معروف. قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نُعصيك في معروف.

الى أن قال: وكان رسول الله (ص) لا يصافح النساء ولا يمّس امرأة ولا تمسه امرأة إلا امرأة أحلّها الله له أو ذات محرم منه، انتهى... الخ.

وقال الطبري^(١): حدّثنا ابن حميد، قال حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبان بن صالح: إن بيعة النساء قد كانت على نحوين فيما أخبره بعض أهل العلم، وكان يوضع بين يدي رسول الله (ص) إناء فيه ماء، فإذا أخذ عليهن وأعطينه غمس يده (ص) في الإناء ثم أخرجها فغمس النساء أيديهن فيه، ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهن، فإذا أعطينه ما شرط عليهن

قال (ص): اذهبن فقد بايعتكن، لا يزيد على ذلك.

وقال ابن كثير^(١): وثبت في الصحيحين عن عائشة أنها قالت: ولا والله ما مسّت يدُ رسول الله (ص) يد امرأة قط. وفي رواية: ما كان يبائعهن إلاّ كلاماً، ويقول (ص) أنّما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة.

ثم قال: وفي الصحيحين عن عائشة: إنّ هنداً بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله (ص) فقالت: يا رسول الله إنّ أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفي ويكفي بنيّ، فهل عليّ من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه. قال: خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): ولما جاء وقت الظهر أمر رسول الله بلالاً أن يؤذّن على ظهر الكعبة وقريش فوق الجبال، فمنهم من يطلب الأمان ومنهم من قد آمن، فلما أذّن وقال «أشهد أنّ محمداً رسول الله» قالت جويرية بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة. وقيل: إنّها قالت: لقد رفع الله ذكر محمد، وأما نحن فسنصلّي ولكننا لا نحبّ من قتل الأحبّة. وقال خالد بن أسد أخو عثمان بن أسد: لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم. وقال الحرث بن هشام: ليتني متّ قبل هذا اليوم. وقال جماعة نحو هذا القول، ثم أسلموا وحسن إسلامهم، انتهى. وقال محمد بن سعد^(٣): ثم بعث رسول الله (ص) تيم بن أسد الخزاعي، فحدّد أنصاب الحرم، وحانت الظهر فأذّن بلال فوق ظهر الكعبة، وقال رسول الله (ص) لا تغزى قريش بعد هذا اليوم الى يوم القيامة يعني على الكفر. ووقف رسول الله بالحزورة وقال: أنّك لخير أرض الله، وأحبّ أرض الله إليّ، ولولا أنّي أخرجت منك ما خرجت.

ثم قال: وبثّ رسول الله السرايا الى الأصنام التي حول الكعبة فكسرها، منها العزى ومناة وسوّاع وبوانة وذو الكفين، فنادى مناديه بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في

(١) السيرة النبوية ٣ / ٦٠٤.

(٢) الكامل ٢ / ٢٥٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٢ / ١٣٧ - ١٤٤.

بيته صنماً إلا كسره . فلما كان من الغد من يوم الفتح خطب رسول الله (ص) بعد الظهر فقال : إن الله قد حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام الى يوم القيامة ولم تحلّ لي إلا ساعة من نهار ثم رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ شاهدكم غائبكم ، ولا يحلّ لنا من غنائمها شيء . ثم قال : وفتحها يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ، وأقام بها رسول الله (ص) خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين .

ثم روى بإسناده عن عمران بن حصين قال : شهدت مع النبي (ص) الفتح ، فأقام بمكة ثمانى عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين .

وروى أيضاً عن أنس بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله (ص) يقصر حتى أتى مكة ، وأقنا بها عشرأ يقصر حتى رجع .

وروى أيضاً عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال : أقام رسول الله خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة حتى سار الى حنين .

وروى أيضاً عن الحكم : إن رسول الله (ص) خرج في رمضان من المدينة لست مضين منه ، فسار سبعاً يصلي ركعتين ، حتى قدم مكة فأقام بها نصف شهر يقصر الصلاة ، ثم خرج لليلتين بقيتا من شهر رمضان الى حنين .

وروى أيضاً عن ابن عباس قال : أقام النبي (ص) بمكة بعد الفتح سبعة عشر يوماً يصلي ركعتين :

وروى أيضاً عن عراك بن مالك : إن النبي (ص) صلى بمكة عام الفتح خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين ركعتين .

أحداث أخرى في السنة الثامنة من الهجرة

قال الطبري^(١) : قال الواقدي : في هذه السنة - يعني السنة الثامنة من الهجرة - تزوج

رسول الله (ص) مليكة بنت داود الليثية ... الخ.

ثم قال الطبري^(١): وفيها هدم خالد بن الوليد العزّي ببطن نخلة لخمس ليال بقين من رمضان، وهو صنم لبني شيبان بطن من سليم حلفاء بني هاشم وبنو أسد بن عبد العزّي يقولون هذا صنمنا، فخرج إليه خالد بن الوليد فقال: قد هدمته. قال (ص): رأيت شيئاً. قال: لا. قال: فارجع فاهدمه، فرجع خالد الى الصنم فهدم بيته وكسر الصنم، فجعل السادن يقول: أعزّي أغضبي بعض غضباتك، فخرجت عليه امرأة حبشية عريانة مَوْلوة، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية ثم أتى رسول الله (ص) فأخبره بذلك، فقال: تلك العزّي، ولا تُعبد العزّي أبداً.

ثم روى الطبري باسناده عن ابن إسحاق قال: بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد الى العزّي، وكانت بنخلة وكانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومُضر كلّها، وكانت سدنتها من بني شيبان ... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): ثم سرية خالد بن الوليد الى العزّي لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: بعث رسول الله حين فتح مكة خالد بن الوليد الى العزّي ليهدمها، فخرج في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهوا إليها، فهدمها ثم رجع الى رسول الله (ص) فأخبره، فقال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قال: فانك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها. فرجع خالد وهو متغيظ، فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس، فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجزلها اثنين، ورجع الى رسول الله (ص) فأخبره فقال: نعم تلك العزّي، وقد يئست أن تعبد ببلادكم، وكانت بنخلة وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنو شيبان من بني سليم، انتهى.

(١) تاريخ الطبري ٦٥/٣.

(٢) الطبقات الكبرى ١٤٥/٢ و١٤٦.

قال ابن كثير^(١): لما فتح رسول الله (ص) مكة بعث خالد بن الوليد الى نخلة وكانت بها العُزَيّ، فأتاها وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى رسول الله (ص) فأخبره، فقال: ارجع فانك لم تصنع شيئاً. فرجع خالد، فلما نظرت إليه السدنة وهم حُجّابها أمعنوا هرباً في الجبل وهم يقولون: يا عُزَيّ خبليه، يا عُزَيّ عوريه، وإلا فوتي برغم. قال: فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحت التراب على رأسها ووجهها، فعتمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع الى النبي (ص) فأخبره، فقال: تلك العُزَيّ... الخ.

قال محمد بن سعد^(٢): ثم سرية عمرو بن العاص الى سِوَاع في شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: بعث رسول الله حين فتح مكة عمرو بن العاص الى سِوَاع صنم هذيل ليهدمه، قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله (ص) أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك. قلت: لم؟ قال: تُمنع. قلت: حتى الآن أنت على الباطل، ويحك وهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرتة، وأمّرت أصحابي فهدموا بيت خزائنه، فلم نجد فيه شيئاً، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله. وقال الطبري^(٣): وفيها - أي في السنة الثامنة - هدم سِوَاع، وكان برهاط هذيل، وكان حجراً، وكان الذي هدمه عمرو بن العاص... الخ.

قال محمد بن سعد^(٤): ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي الى مناة في شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: بعث رسول الله حين فتح مكة سعد بن زيد الأشهلي الى مناة، وكانت بالمشلل للأوس والخزرج وغسان، فلما كان يوم الفتح بعث رسول الله (ص) سعد بن زيد الأشهلي يهدمها، فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال السادن:

(١) السيرة النبوية ٣/٥٩٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٤٦.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٦٦.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/١٤٦ و١٤٧.

ما تريد؟ قال: هدم مناة. قال: أنت وذاك. فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس تدعو بالويل وتضرب، فقال السادن: مناة دونك بعض غضباتك، ويضربها سعد بن زيد الأشهلي فقتلها، ويقبل الى الصنم معه أصحابه فهدموه، ولم يجدوا في خزانتها شيئاً، وانصرف راجعاً الى رسول الله (ص). وكان ذلك لستّ بقين من شهر رمضان، انتهى.

وقال الزيني دحلان وفي سيرة ابن هشام أنه كان علي بن أبي طالب (ع) ... الخ.
ثم قال محمد بن سعد^(١): ثم سرية خالد بن الوليد الى بني جذيمة من كنانة، وكانوا بأسفل مكة على ليلة بناحية يلملم في شوال سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص)، وهو يوم الغميصاء. قالوا: لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ورسول الله مقيم بمكة بعثه الى بني جذيمة داعياً الى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم، فانتهى إليهم خالد فقال: ما أنتم. قالوا: مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذننا فيها. قال: فما بال السلاح عليكم. قالوا: ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونواهم فأخذنا السلاح. قال: فضعوا السلاح. قال: فوضعوه. فقال لهم: استأسروا فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفرّ قهم في أصحابه، فلما كان في السحر نادى خالد: من كان معه أسير فليداقه، والمدافة الإجهاز عليه بالسيف، فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسارهم، فبلغ النبي ما صنع خالد فقال (ص): اللهم اني أبرأ إليك مما صنع خالد، وبعث علي بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم، ثم انصرف الى رسول الله (ص) فأخبره.

وقال ابن الأثير^(٢): وكان ممن بعث خالد بن الوليد بعثه داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، فنزل على الغميصاء ماء من مياه جذيمة بن عامر بن عبدمناة بن كنانة، وكانت جذيمة أصابت في الجاهلية عوف بن عبدعوف أبا عبدالرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد، كانا أقبلا

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ١٤٧ و ١٤٨.

(٢) الكامل ٢/ ٢٥٥ و ٢٥٦.

تاجرين من اليمن فأخذت ما معها وقتلتها، فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح، فقال له خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا، فوضعوا السلاح، فأمر خالد بهم فكثفوا ثم عرضهم على السيف، فقتل منهم من قتل، فلما انتهى الخبر إلى النبي (ص) رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم اني أبرأ إليك مما صنع خالد. ثم أرسل علياً ومعه مال وأمره أن ينظر في أمرهم، فودى لهم الدماء والأموال، حتى أنه ليدي ميلغة الكلب، وبقي معه من المال فضلة، فقال لهم علي: هل بقي لكم مال أو دم لم يود؟ قالوا: لا. قال: فاني أعطيك هذه البقية احتياطاً لرسول الله، ففعل ثم رجع إلى رسول الله (ص) فأخبره، فقال: أصبت وأحسن... الخ.

وقال الطبري^(١): حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال حدثني بعض أهل العلم، عن رجل من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد بوضع السلاح قال رجل منا يقال له حَجدم: ويلكم يا بني جذيمة أنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار ثم ما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا حَجدم أتريد أن تسفك دماءنا، إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وأمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد، فلما وضعه أمر بهم خالد فكثفوا. إلى أن قال: ثم دعا (ص) علي بن أبي طالب (ع) فقال: يا علي أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعته رسول الله (ص) به فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال.

إلى أن قال: فقال لهم علي حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يود إليكم؟ قالوا: لا. قال: فاني أعطيك هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله (ص) مما لا يعلم ولا تعلمون. ففعل، ثم رجع إلى رسول الله (ص) فأخبره الخبر، فقال (ص): أصبت وأحسن. ثم قام رسول الله فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى أنه ليرى بياض ما تحت منكبیه، وهو يقول:

اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد - ثلاث مرّات .

ثم روى بإسناده عن عبدالله بن أبي سلمة قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن ابن عوف فيما بلغني كلام في ذلك ، فقال له : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام فقال : إنما تأرت بأبيك . فقال عبدالرحمن بن عوف : كذبت ، قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك إنما تأرت بعمك الفاكه ابن المغيرة حتى كان بينهما شيء ... الخ .

وقال ابن كثير^(١) : قال ابن هشام : حدّثني بعض أهل العلم أنّه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله (ص) فأخبره ، فقال رسول الله : هل أنكرك عليه أحد ؟ فقال : نعم قد أنكرك عليه رجل أبيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدّت مراجعتها . فقال عمر بن الخطاب : أمّا الأول يا رسول الله فابني عبدالله ، وأمّا الآخر فسالم مولى أبي حذيفة .

ثم قال : قال ابن إسحاق : فحدّثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال : ثم دعا رسول الله (ص) علي بن أبي طالب ... الخ .

وروى محمد بن سعد^(٢) بإسناده عن عبدالله عصام المزني عن أبيه قال : بعثنا رسول الله (ص) يوم بطن نخلة فقال : اقتلوا ما لم تسمعوا مؤذناً أو تروا مسجداً ، إذ لحقنا رجلٌ فقلنا له : كافر أو مسلم ؟ فقال : إن كنت كافراً فه . قلنا له : إن كنت كافراً قتلناك ... الخ . ورواه ابن كثير^(٣) : عن البيهقي عن ابن عصام عن أبيه الى أن قال : قال فبعثنا رسول الله (ص) في سرية وأمرنا بذلك - يعني إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً قال : فخرجنا الى تهامة ، فأدرکنا رجلاً يسوق بضعائن ، فقلنا له : أسلم . فقال : وما الإسلام . فاخبرناه به فاذا هو لا يعرفه . قال : أفرايتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون به . قال : قلنا نقتلك ... الخ .

(١) السيرة النبوية ٣ / ٥٩١ و ٥٩٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٤٩ .

(٣) السيرة النبوية ٣ / ٥٩٦ .

غزوة حنين

قال محمد بن سعد^(١): ثم غزوة رسول الله (ص) الى حنين، وهي غزوة هوازن في شوال سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص) وحنين وادٍ بينه وبين مكة ثلاث ليال. وقال الزيني دحلان^(٢): وهو اسم موضع في طريق الطائف الى جنب ذي المجاز، وهو سوق كان في الجاهلية، وقيل حنين اسم لما بين مكة والطائف، وتسمّى غزوة أوطاس، وهو اسم لموضع كانت به الواقعة، وتسمّى أيضاً غزوة هوازن، وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدّة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة ... الخ.

وقال ابن كثير^(٣): غزوة هوازن يوم حنين، قال الله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتِكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ وَضَاقَتِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ثم قال: وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه انّ خروج رسول الله (ص) الى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان. وزعم انّ الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة. وهكذا روى عن ابن مسعود، وبه قال عروة بن الزبير، واختاره أحمد وابن جرير في تاريخه يعني الطبري.

ثم قال: وقال الواقدي: خرج رسول الله الى هوازن لستّ خلون من شوال، فانتهى الى حنين في عاشره ... الخ.

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٤٩.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ١٠٧.

(٣) السيرة النبوية ٣ / ٦١٠.

وقال محمد بن سعد^(١): قالوا لما فتح رسول الله (ص) مكة مشيت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وحشدوا وبغوا، وجمع أمرهم مالك بن عوف والنضر بن عوف النصرى، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة، وأمرهم فأجمعوا المسير الى رسول الله (ص)، فخرج إليهم رسول الله من مكة يوم السبت لست خلون من شوال في اثني عشر ألف من المسلمين، عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان من أهل مكة.

وقال الزيني دحلان^(٢): وكان سببها - يعني سبب هذه الغزوة - أنه (ص) لما فتح مكة مشيت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض، وتشاوروا على قتاله لأنهم خافوا أن يسير إليهم ويغزوهم، وقالوا: قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأي أن نغزوه قبل أن يغزونا. بل جاء في بعض الروايات أنهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتاله (ص).

وروى عن أبي الزناد أن هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤسائهم في العرب تجمعهم، فلما فتح رسول الله (ص) مكة قالوا: لانا هية له دوننا، وعزموا على أنهم يغزونه قبل أن يغزوهم، وقال بعض منهم: والله ما لاقى محمد أقواماً يحسنون القتال، فأجمعوا أمرهم وسيروا إليه قبل أن يسير إليكم. فأجمعوا أمرهم على ذلك، وكان جماع أمر الناس الى مالك ابن عوف النصرى وأسلم بعد ذلك، فاجتمع إليه من القبائل جموع كثيرة، منهم بنو سعد بن بكر، وهم الذين كان رسول الله (ص) مسترضعاً فيهم، ومعهم دريد بن الصمة، وكان شجاعاً مجرباً لكنّه كبير، لأنه كان ابن مائة وعشرين سنة، وقيل مائة وخمسين سنة، وقيل مائة وسبعين، وقيل قارب المائتين، وقد عمى وصار لا ينفع إلا برأيه ومعرفته بالحرب، لأنه كان صاحب رأي وتدبير ومعرفة بالحروب، وكان قائد ثقيف كنانة عبد ياليل وأسلم بعد ذلك، وكان جملة من اجتمع من بني سعد وثقيف أربعة آلاف، وانضم إليهم من أعداد سائر العرب جموع كثيرة، وكان مجموعهم كلهم ثلاثين ألفاً، وجعلوا أمر الجميع الى مالك بن عوف النصرى، وكان عمره ثلاثين سنة، واشترطوا عليه أن يأخذ برأي دريد بن الصمة.

(١) الطبقات الكبرى ١٤٩/٢ و ١٥٠.

(٢) السيرة النبوية ١٠٧/٢.

فأمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كي يثبتوا عند الحرب ولا يفرّوا، فلما نزلوا بأوطاس قال ابن الصمّة: ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال: أين هو؟ فحضر بين يديه، فقال: أنك تقاتل رجلاً كريماً قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود - أي غالبهم - إمّا قتلاً أو إخراجاً عن ذلّ وصفار. فقال: مالك: لا نخالفك في أمر تراه. فقال: يا مالك أصبحت رئيس قومك، وإنّ هذا اليوم كان له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر؟ قال: سقطت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم. قال له: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم. فزحر كما تزحر الدابة وهو أن يلصق اللسان بالحنك الأعلى ويصوت به، وهو معنى قول بعضهم «صوت بلسانه في فيه» ثم قال له: رويعي ضأن، والله ما له وللحرب، أي من كانت هذه صفته ما له وللحرب. ثم أشار إليه بردّ الذرية والأموال وقال: هل يردّ المنهزم شيء، هي إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجل بسيفه ورمحه لا هؤلاء النساء والصبيان والمواشي، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. فلم يقبل ذلك منه مالك، ثم قال دريد: ما فعلت كعب وکلب؟ قالوا: لم يشهدا منهم أحد. قال: غاب الجدّ والحدّ، لو كان يوم علاء ورفعة ما غابا. ثم قال دريد لمالك: إنّ يومك هذا الذي تلقى فيه محمداً ما بعده يوم. فقال له مالك: أني لأطمع أن ترى ما يسرّك. ثم أشار إليه دريد بأمر لم يقبلها مالك وقال: والله لا أطيعك، أنك قد كبرت وضعف رأيك. فقال لهوازن: قد شرط مالك أن لا يخالفني، فأنا أرجع الى أهلي، فمنعوه، وقال مالك: والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكننّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها رأي أو ذكر، فقالوا: أطعناك. فقال دريد: يا معشر هوازن إنّ هذا فاضحك في عورتكم - يعني النساء والذرية - وممكن منكم عدوكم ولاحق بخصم ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه، فأبوا، فلما رأى دريد أنّهم خالفوه قال:

يا ليتني فيها جذع أخبّ فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنّها شاة صدع

ثم أمر مالك بالخييل فجعلت صفوفاً، وجعل المشاة خلفهم، ثم جعل النساء فوق الإبل وراء المقاتلة صفوفاً، ثم جعل الإبل والبقر والغنم وراء ذلك لكي لا يفرّوا ويقاتلوا عن ما لهم ونسائهم وذراريهم، ثم قال للناس: إذا رأيتموني شددت عليهم شدّوا عليهم شدّة رجل واحد.

ولما بلغ النبي (ص) اجتماعهم وتحزّبهم أجمع على الخروج إليهم، وكان خروجه من مكة يوم السبت لستّ خلون من شوال، وكان معه (ص) اثنا عشر ألفاً، منهم عشرة آلاف الذين جاءوا من المدينة لفتح مكة، وألفان من الذين أسلموا في فتح مكة الذين منّ عليهم وأطلقهم يوم الفتح... الخ.

أقول: وهذا النقل قريب ممّا ذكره الحلبي في السيرة^(١)، فراجع.

وروى ابن كثير^(٢) عن أبي داود باسناده عن سهل بن حنظلة: أنّهم ساروا مع رسول الله (ص) يوم حنين فأطنبوا السير حتّى كان العشيّة فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله، فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله اني انطلقت بين أيديكم حتّى طلعت جبل كذا كذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم وبنعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين. فتبسم رسول الله وقال. تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله... الخ.

وقال الطبري^(٣): حدّثنا ابن حميد، قال حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أميّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان: أنّه حدّث أنّ مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله لينظروا له ويأتوه بخبر الناس، فرجعوا إليه وقد تفرّقت أوصالهم، فقال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، فوالله ما تمسكنا أن أصابنا ما ترى. فلم ينه ذلك عن وجه أن مضى على ما يريد.

ثم قال: قال ابن اسحاق: ولما سمع بهم رسول الله (ص) بعث إليهم عبد الله بن أبي حدر

(١) السيرة الحلبية ٣/١٠٥.

(٢) السيرة النبوية ٣/٦١٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٧٢ و٧٣.

الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يأتيه بجزء منهم ويعلم من علمهم، فانطلق ابن أبي حردد فدخل فيهم فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله (ص) وعلم أمر مالك وأمر هوازن وما هم عليه، ثم أتى رسول الله (ص) فأخبر الخبر، فدعا رسول الله عمر بن الخطاب فأخبر خبر ابن أبي حردد، فقال عمر: كذب. فقال ابن أبي حردد: إن تكذبتني فطال ما كذبت بالحق يا عمر. فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله إلى ما يقول ابن أبي حردد. فقال رسول الله (ص): قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر.

وقال ابن هشام^(١): فدعا رسول الله (ص) عمر بن الخطاب فأخبره الخبر، فقال عمر: كذب ابن أبي حردد. فقال ابن أبي حردد: إن كان كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر، فقد كذبت من هو خير مني. فقال عمر: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): وخرج مع رسول الله (ص) ناس من المشركين كثير، منهم صفوان ابن أمية، وكان رسول الله (ص) استعار منه مائة درع بأداتها، فانتهى إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال، فبعث مالك بن عوف ثلاث نفر يأتونه بجزء أصحاب رسول الله (ص)، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب، ووجه رسول الله عبدالله بن أبي حردد الأسلمي، فدخل عسكرهم فطاف به وجاء بجزءهم.

وقال ابن هشام^(٣): فلما أجمع رسول الله (ص) السير إلى هوازن ليلقاهم، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك، فقال: يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً. فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك. قال: ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح.

إلى أن قال: ثم خرج رسول الله (ص) معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفاً، واستعمل رسول الله (ص)

(١) السيرة النبوية ٤ / ٨٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٥٠.

(٣) السيرة النبوية ٤ / ٨٣.

عتاب بن أسيد بن أبي العيص على مكة أميراً على من تخلف عنه من الناس، ثم مضى رسول الله (ص) على وجهه يريد لقاء هوازن ... الخ.

وهذا النقل قريب مما ذكره الطبري^(١)، وابن الأثير^(٢)، فراجع.

وقال ابن هشام^(٣): قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي، أن الحرث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله (ص) إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية. قال: فسرنا معه إلى حنين. قال: وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً. قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله (ص) سدرة خضراء عظيمة، فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال رسول الله (ص): الله أكبر، قلت والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال أنكم قوم تجهلون﴾ أنها السنن لتركين سنن من كان قبلكم.

ثم قال: قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة، عن عبدالرحمن، عن أبيه جابر بن عبدالله قال: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف ذي خطوط أنما ننحدر فيه انحداراً، وكان في عمائة الصبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ... الخ.

وهذا النقل قريب مما ذكره ابن كثير^(٤) في التاريخ، فراجع.

وأما الطبري وابن الأثير فقد ذكراه من غير قصة الشجرة.

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٧٣.

(٢) الكامل ٢ / ٢٦٢.

(٣) السيرة النبوية ٤ / ٨٤ و ٨٥.

(٤) السيرة النبوية ٣ / ٦١٦.

وقال محمد بن سعد^(١): فلما كان من الليل عمد مالك بن عوف الى أصحابه فعبأهم في وادي حنين وأوعز إليهم أن يحملوا على محمد وأصحابه حملة واحدة، وعبأ رسول الله (ص) أصحابه في السحر وصفهم صفوفاً ووضع الألوية والرايات في أهلها، فع المهاجرين لواء يحمله علي بن أبي طالب.

(وقال الحلبي^(٢): ووضع الألوية والرايات مع المهاجرين والأنصار، فلواء المهاجرين أعطاه علياً. وهكذا نقله الزيني دحلان^(٣)... الخ).

وراية يحملها سعد بن أبي وقاص، وراية يحملها عمر بن الخطاب، ولواء الخزرج يحملها حباب بن المنذر، ويقال لواء الخزرج الآخر مع سعد بن عبادة، ولواء الأوس مع أسيد بن حضير، وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء أو راية يحملها رجل منهم مُسمًى، وكذلك قبائل العرب فيهم الألوية والرايات يحملها قوم منهم مُسمًون.

وكان رسول الله (ص) قد قدّم سلياً من يوم خرج من مكة، واستعمل عليهم خالد ابن الوليد، فلم يزل على مقدمته حتى ورد الجعرانة، وانحدر رسول الله (ص) في وادي حنين على تعبئة، وركب بغلته البيضاء دُلْدُل، ولبس درعين والمغفر والبيضة، فاستقبلهم من هوازن شيء لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك في غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وشعبه، فحملوا حملة واحدة وانكشفت الخيل خيل بني سليم مؤوية، وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس منهزمين، فجعل رسول الله (ص) يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله. ورجع رسول الله (ص) الى العسكر وثاب إليه من انهزم، وثبت معه يومئذ العباس بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب... الخ.

وقال الطبري^(٤): وانهزم الناس أجمعون، فانشمروا ليلوي أحد على أحد، وانحاز رسول

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٥٠ و ١٥١.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ١٠٧.

(٣) السيرة النبوية ٢ / ١٠٩.

(٤) تاريخ الطبري ٣ / ٧٤.

الله (ص) ذات اليمين، ثم قال: أين أيُّها الناس، هلُمَّ إليّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله. إلى أن قال: فانطلق الناس إلا أنه قد بقي مع رسول الله (ص) نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته... الخ.

أقول: وهذا النقل قريب مما ذكره ابن الأثير^(١)، وابن هشام^(٢).

وقال ابن كثير^(٣): وانكفأ الناس مُنهزمين لا يقبل أحد على أحد، وانحاز رسول الله (ص) ذات اليمين يقول: أيُّها الناس هلُمُّوا إليّ، أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله. قال: فلا شيء، وركبت الإبل بعضها بعضاً، فلما رأى رسول الله (ص) أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته علي بن أبي طالب وأبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب... الخ.

وقال الواقدي: فلما توقع الناس انكشاف المشركون وأجلوا عن الذراري، فأصاب ناس من أصحاب رسول الله (ص) نساؤهم، ثم ينادي المشركون: يا حُمة السوء اذكروا الفضائح. فتراجعوا فانكشف أصحاب رسول الله (ص)، فمنهم من لم يتناه دون مكة، وأجلى عن رسول الله حتى ترك في عصابة يسيرة. إلى أن قال: وأبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب أخذ بالثفر وناس من الناس غير كثير يقاتلون عن يمين وشمال... الخ.

وقال الحلبي^(٤): وعن البراء: كانت هوازن ناساً رُماً، وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبنا على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، فأخذ المسلمون راجعين منهزمين لا يلوي أحد على أحد ويقال: إنَّ الطلقاء وهم أهل مكة، فهم أول من انهزم وتبعهم الناس، وعند ذلك قال أبو قتادة لعمر: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله.

ثم قال الحلبي: وهذا السياق يدلّ على أنهم انهزموا مرتين، الأولى في الأمر والثانية عند انكباب المسلمين على أخذ الغنائم، والذي في الأصل الاقتصار على الأول.

(١) الكامل ٢ / ٢٦٣.

(٢) السيرة النبوية ٤ / ٨٥.

(٣) السيرة النبوية ٣ / ٦١٨.

(٤) السيرة الحلبية ٣ / ١٠٨.

ثم قال: وانحاز رسول الله (ص) ذات اليمين ومعه نفر قليل ... الخ.
وهذا النقل قريب مما ذكره الزيني دحلان^(١) أيضاً، فراجع.
وقال الطبري^(٢): ولما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله (ص) من جُفأة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر والأزلام معه في كنانة، وصرخ كلاة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية أخاه لأمه و صفوان يومئذ مشرك في المدة التي جعل له رسول الله (ص)، فقال: ألا بطل السحر اليوم. فقال له صفوان: اسكت فضّ الله فاك، فوالله لأن يرُبني رجل من قريش أحب إليّ من أن يرُبني رجل من هوازن. قال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبدالدار: قلت اليوم أدرك ثاري، وكان أبوه قتل يوم أحد، اليوم أقتل محمداً. قال: فأردت رسول الله (ص) لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك، وعلمت أنه قد منع مني ... الخ.
وقال ابن الأثير^(٣): وكان العباس مع النبي (ص) أخذ بلجام بغلته دُلْدُل وهو عليها، وكان العباس جسيماً شديد الصوت، فقال له رسول الله: يا عباس اصرخ: يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرّة، ففعل فأجابوه لبّيك لبّيك ... الخ.
وقال محمد بن سعد^(٤): وجعل يقول للعباس: ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرّة، يا أصحاب سورة البقرة. فنادى وكان صيئاً، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنّت إلى أولادها، يقولون: يا لبّيك، يا لبّيك، فحملوا على المشركين، فأشرف رسول الله (ص) فنظر إلى قتالهم فقال: الآن حمي الوطيس، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب.
وقال الحلبي^(٥): وهو (ص) يقول حين رأى ما رأى من الناس: إلى أين أيّها الناس، فلم أر

(١) السيرة النبوية ٢ / ١٠٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٧٤ و ٧٥.

(٣) الكامل ٢ / ٢٦٣ و ٢٦٤.

(٤) الطبقات الكبرى ٢ / ١٥١.

(٥) السيرة الحلبية ٣ / ١٠٨ و ١٠٩.

الناس يلوون على شيء، فقال (ص): يا عباس اصرخ: يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرّة - يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان - وفي لفظ: يا عباس اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالأنصار الذين آووا ونصروا. وأما خصّ عباس بذلك لأنه كان عظيم الصوت، وكان صوته يسمع من ثمانية أميال، كان يقف على سلع وينادي غلمانة آخر الليل وهم بالغابة فيسمعهم، وبين سلع والغابة ثمانية أميال، وغارت الخيول يوماً على المدينة فنادى: واصبحاه، فلم تسمعه حامل إلا وضعت من عظم صوته. في لفظ آخر: يا أصحاب السمرّة يوم الحديبية، يا أصحاب سورة البقرة، وخصّ سورة البقرة بالذكر لأنها أول سورة نزلت في المدينة، لأن فيها ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ وفيها ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ وفيها ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

الى أن قال: وفي رواية: لما فرّ الناس يوم حنين عن النبي (ص) لم يبق معه إلا أربعة، ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي بن أبي طالب، والعباس وهما بين يديه، وأبو سفيان بن الحرث أخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر، ولا يقبل أحد من المشركين جهته (ص) إلا قُتل.

وقال ابن قتيبة في المعارف ص ٥٤: وكان الذين ثبتوا مع رسول الله (ص) يوم حنين بعد الهزيمة علي بن أبي طالب (ع)، والعباس بن عبدالمطلب أخذ بحكمة بغلته وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، والفضل بن عباس بن عبد المطلب وأيمن بن عبيد وابن أم أيمن مولاة رسول الله (ص)، انتهى.

وفي المعارف للملاّ معين في الركن الرابع ص ٢٧٠ قال: وانهم أصحاب رسول الله (ص) في غزوة حنين إلا أربعة نفر وهم علي بن أبي طالب والعباس وأبو سفيان بن الحرث وعبدالله ابن مسعود.

وفي المناقب المرتضوية ص ٤١٠. قال وفي كشف الغمّة قال لم يبق منه في تلك الغزوة بعد هزيمة الأصحاب إلا عشرة نفر تسعة من بني هاشم وواحد من غيرهم، ثم قال وفي رواية لم يبق منهم يومئذ إلا علي بن أبي طالب وعباس بن عبدالمطلب وعبدالله بن مسعود... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): وكان العباس مع النبي (ص) آخذاً بلجام بغلته دُلْدُل وهو عليها، وكان العباس جسيماً شديداً الصوت، فقال له رسول الله: يا عباس اصرخ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرّة. ففعل، فأجابوه: لبيك لبيك. فكان الرجل يريد أن يثني بعيره فلا يقدر، فيأخذ سلاحه ثم ينزل عنه ويؤمّ الصوت، فاجتمع على رسول الله (ص) مائة رجل، فاستقبل بهم القوم وقاتلهم. فلما رأى النبي (ص) شدة القتال قال: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب، الآن حمي الوطيس، وهو أول من قالها، واقتتل الناس قتالاً شديداً، وقال النبي (ص) لبغلته دُلْدُل: البدي دُلْدُل. فوضعت بطنها على الأرض، فأخذ حفنةً من تراب فرمى به في وجوههم، فكانت الهزيمة، فما رجع الناس إلّا والأسارى في الحبال عند رسول الله (ص). وقيل: بل أقبل شيء أسود من السماء مثل البجاد حتّى سقط بين القوم، فإذا نمل أسود مبعوث، فكانت الهزيمة... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): قال ابن إسحاق: فحدثني الزهري عن كثير بن العباس عن أبيه العباس بن عبدالمطلب قال: أتى لمع رسول الله آخذٌ بحكمة بغلته البيضاء. إلى أن قال: فأجابوه لبيك لبيك، قال: فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويحلي سبيله، فيؤمّ الصوت حتّى ينتهي إلى رسول الله (ص)، حتّى إذا اجتمع منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا، وكانت الدعوى أول ما كانت «يا للأنصار» ثم خلصت أخيراً «يا للخزرج» وكانوا صُبراً عند الحرب، فأشرف رسول الله (ص) في ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال: الآن حمي الوطيس.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة يصنع ما يصنع، إذ هوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يُريدانه، قال: فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه فضرب عُرقوبي الجممل فوقه على حجزه، ووثب الأنصاري على الرجل

(١) الكامل ٢/ ٢٦٣ و ٢٦٤.

(٢) السيرة النبوية ٤/ ٨٧ و ٨٨.

فضربه ضربةً أطنَّ قدمه بنصف ساقه، فأنجف عن رحله. قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتَّى وجدوا الأسارى مُكتفين عند رسول الله (ص). قال: فالتفت رسول الله الي أبي سفيان بن عبدالمطلب وكان ممَّن صبر يومئذ مع رسول الله وكان حسن الإسلام حين أسلم وهو أخذ بثفر بغلته، فقال: من هذا؟ قال: أنا ابن عمك يا رسول الله.

أقول: وهذا النقل قريب ممَّا ذكره الطبري^(١)، فراجع.

وقال ابن الأثير^(٢): وكان رجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء أمام الناس، فإذا أدرك رجلاً طعنه، وإذا فاتته الناس رفع رايته لمن وراءه فاتبعوه، فحمل عليه علي فقتله... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٣): وفي رواية أنه (ص) نادى بنفسه نداء العباس، فالتفت عن يمينه فقال: يا معشر الأنصار. فقالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك. ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأنصار. فقالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك. وفي رواية: فأجابوه: لبيك لبيك نحن معك يا رسول الله. وصار الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع - أي لم ينقد معه بسهولة - انحدر عنه وتركه ورجع وسيفه وتُرسه معه يؤمّ الصوت حتَّى ينتهي الى رسول الله. الى أن قال: فأمرهم النبي (ص) أن يُصدّقوا الحملة، فاقتتلوا مع الكفار قتالاً شديداً، فنظر (ص) الى قتالهم فقال: الآن حمي الوطيس، وهو التُّور يخبز فيه، يضرب مثلاً لشدة الحرب التي يشبه حرّها حرّ التُّور. وهذا من فصيح الكلام لم يُسمع من أحدٍ قبل النبي (ص). فولّى المشركون الأدبار والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم، وكان في ركوبه (ص) البغلة في هذا الموطن الذي هو موطن الحرب والظعن والضرب تحقيقاً لنبوّته، لما خصّه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوّة، وإلا فالبغال عادةً من مراكب الطمأنينة والأمن، ولا يصلح لمواطن

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٧٥ و ٧٦.

(٢) الكامل ٢ / ٢٦٣.

(٣) السيرة النبوية ٢ / ١١٠ و ١١١.

الحرب في العادة إلا الخيل، لأن الخيل مخلوقة للكرّ والفرّ بخلاف البغال والإبل، فبين أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلاً عليه. وقد أجمعت الصحابة على أنه (ص) ما انهزم مع من انهزم، بل صار يقدم في وجه العدو، بل ما انهزم (ص) في موطن قط، وقد انعقد الإجماع على ذلك.

الى أن قال: ولما انهزم المشركون تبع أثرهم المسلمون قتلاً وأسراً، حتى حدث بعض من هوازن بعد إسلامه قال: ما خيّل لنا إلا أن كل حجر وشجر فارس يطلبنا، وأنزل الله من الملائكة خمسة آلاف، وقيل ثمانية آلاف، وقيل ستة عشر ألفاً، فقيل انهم قاتلوا، وقيل لم يقاتلوا وإنما نزلوا لإلقاء السكينة في قلوب المؤمنين... الخ.

وقال ابن كثير^(١): قالوا وكان رسول الله (ص) لما غشيه القتال قام في الركابين وهو على البغلة، فرفع يديه الى الله يدعو ويقول: اللهم اني أنشدك ما وعدتني، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا، ونادى أصحابه وزمرهم: يا أصحاب البيعة يوم الحديبية، الله الله الكثرة على نبيكم. ويقال حرّضهم فقال: يا أنصار الله وأنصار رسوله، يا بني الخزرج أصحاب سورة البقرة. وأمر من أصحابه من ينادي بذلك.

ثم قال: قالوا وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلّها، وقال (ص): شأهت الوجوه، وأقبل أصحابه إليه سراعاً يتدرون... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): ثم قال (ص) للعباس بن عبدالمطلب: ناولني حصبات، فناوله حصبات من الأرض ثم قال (ص): شأهت الوجوه، ورمى بها وجوه المشركين وقال: إنهمزوا وربّ الكعبة، وقذف الله في قلوبهم الرعب وانهمزوا لا يلوي أحد منهم على أحد... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٣): وجاء أن النبي (ص) رفع يديه ودعا وقال: اللهم أنشدك

(١) السيرة النبوية ٢/٦٢٦ و٦٢٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٥١.

(٣) السيرة النبوية ٢/١١١.

ما وعدتني، اللهم لا ينبغي أن يظهروا علينا، اللهم كنت وتكون وأنت حي لا تموت، تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم، يا حي يا قيوم، اللهم إن تشاء أن لا تعبد بعد اليوم، اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان. فقال له جبرئيل: لقد لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق له البحر... الخ.

وهذا النقل موافق لما ذكره الحلبي في السيرة^(١)، فراجع.

وروى الطبري^(٢) باسناده عن أنس قال كان النبي (ص) يوم حنين على بغلة بيضاء يقال لها دُلْدُل، فلما انهزم المسلمون قال النبي (ص) لبغلته: البدي دُلْدُل فوضعت بطنها على الأرض فأخذ النبي (ص) حفنة من تراب فرمى بها وجوههم وقال (ص): «حم» لا ينصرون، فولى المشركين مدبرين... الخ.

وقال الحلبي^(٣): وذكر أنه عند القتال أنزل الله تعالى قوله ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثير تكم فلم تغن عنكم شيئاً﴾ الآية. فقد جاء أن بعض أصحابه - أي وهو أبو بكر كما في سيرة الدمياطي - قال: يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة، وشق ذلك على رسول الله (ص) وسأته تلك الكلمة... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٤): قال أبو إسحاق: قال أبو بكر: لا نُغلب اليوم من قلة... الخ.

وقال الكازروني اليماني: فلما التقى الجمعان قال أبو بكر وقيل سلمة بن سلامة بن وقش: لن نغلب اليوم من قلة، فساء رسول الله (ص) كلامه، فوكلوا إلى كلمة الرجل. وفي رواية لم يرض الله قوله ووكلهم إلى أنفسهم... الخ.

وقال الواقدي^(٥): فقال رجل من أصحاب رسول الله: لا نغلب اليوم لكثرتنا، فغضب

(١) السيرة الحلبية ٣/ ١١٠ و ١١١.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٧٨.

(٣) السيرة الحلبية ٣/ ١١٠.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/ ١٥٠.

(٥) المغازي ٣/ ٨٨٩ و ٨٩٠.

رسول الله غضباً شديداً، وفيها نزلت هذه الآية ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ ... الخ.
وقال الزيني دحلان^(١): فقال رجل من المسلمين: لن نُغَلَبَ اليوم من قَلَّة، فشَقَّ ذلك على رسول الله (ص) ... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): وقال أبو بكر: لن نُغَلَبَ اليوم من قَلَّة، فانهمزوا فكان أول من انهزم بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقيَّة الناس ... الخ.

وقال علاء الدين الخازن في التفسير في الجزء الثاني في ص ٢١٢ وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب انَّ القائل لذلك أبو بكر الصديق ... الخ.

وقال ابن الأثير^(٣): ولما انهزمت هوازن قُتل من ثقيف وبني مالك سبعون رجلاً، فأما الأحلاف من ثقيف فلم يقتل منهم غير رجلين، لأنهم انهزموا سريعاً، وقصد بعض المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف، واتبعت خيلُ رسول الله (ص) المشركين فقتلهم ... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٤): فأمر رسول الله (ص) أن يقتل من قُدر عليه منهم، فحنق المسلمون عليهم يقتلونهم حتى قتلوا الذرية، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فنهى عن قتل الذرية. ثم قال: وكان سياء الملائكة يوم حنين عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم، وقال رسول الله (ص): من قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سلبه، وأمر رسول الله بطلب العدو، فانتهى بعضهم الى الطائف وبعضهم نحو نخلة، وتوجّه قوم منهم الى أوطاس. فعقد رسول الله (ص) لأبي عامر الأشعري لواء ووجهه في طلبهم، وكان معه سلمة بن الأكوع، فانتهى الى عسكرهم فإذا هم ممتنعون، فقتل منهم أبو عامر تسعةً مبارزةً ثم برز له العاشر معلماً بعمامة صفراء فقتله، واستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه، وقتل قاتل أبي عامر، فقال رسول الله (ص): اللهم اغفر لأبي عامر ... الخ.

(١) السيرة النبوية ١٠٩/٢.

(٢) السيرة النبوية ٦١٠/٣.

(٣) الكامل ٢٦٤/٢.

(٤) الطبقات الكبرى ١٥١/٢.

وقال ابن الأثير^(١): واتبعت خيل رسول الله (ص) المشركين فقتلهم، فأدرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد بن الصمة ولم يعرفه لأنه كان في شجار (يعني المحمل) لكبره، وأناخ بعيره فإذا هو شيخ كبير، فقال دريد، ماذا تريد؟ قال: أقتلك. قال: ومن أنت، فانتسب له ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً، فقال دُرَيْدُ: بشس ما سلحتك أمك، فخذ سيفي فاضرب به ثم ارفع عن العظام واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أقتل الرجال، وإذا أتيت أمك فاخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصمة، فربّ يوم قد منعت فيه نساؤك فقتله. فلما أخبر أمه قالت: والله أعتق أمهات لك ثلاثاً. واستلب أبو طلحة الأنصاري يوم حنين عشرين رجلاً وحده وقتلهم، فقال رسول الله (ص): من قتل قتيلاً فله سلبه. وقتل أبو قتادة الأنصاري قتيلاً وأجهضه القتال عن أخذ سلبه فأخذه غيره، فلما قال رسول الله (ص) ذلك قام أبو قتادة فقال: قتلت قتيلاً وأخذ غيري سلبه. فقال الذي أخذ السلب: هو عندي فأرضه مني يا رسول الله. فقال أبو بكر: لا والله لا تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله تقاسمه، فردّ عليه السلب.

وكان لبعض الثقيف غلام نصراني فقتل، فبينما رجل من الأنصار يستلب القتلى ثقيف إذ كشف العبد فرآه أعزل، فصرخ بأعلى صوته: يا معشر العرب إن ثقيفاً لا تختن. فقال له المغيرة ابن شعبة: لا تقل هذا، إنما هو غلام نصراني، وأراه قتلى ثقيف مُحْتَنِينَ.

ومرّ رسول الله (ص) في الطريق بامرأة مقتولة، فقال: من قتلها؟ قالوا: خالد بن الوليد. فقال لبعض من معه: أدرك خالد بن الوليد فقل: إن رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة أو وليداً أو عسيفاً أي الأجير. فأرسل إليهم رسول الله (ص) أبا عامر الأشعري عمّ أبي موسى، فرمى أبو عامر بسهم قتل رماه سلمة بن دُرَيْدَ بن الصمة وقتل أبو موسى سلمة هذا بعمه أبي عامر. وأنهمز المشركون بأوطاس وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا، فساقوا في السبي شياء ابنة الحرث بن عبد العزّي، فقالت لهم: إني أخت صاحبكم من الرضاة، فلم يُصدّقوها حتى أتوا بها النبي (ص) فقالت له: إني أختك. قال: وما علامة ذلك. فقالت: عضّة عضضتها في

ظهري وأنا مُتوركتك، فعرفها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيرها فقال: إن أحببت فعندي مُكرّمة مُحبّة وإن أحببت أن أمتعك وترجعني الى قومك. قالت: بل تمتعني وتردني الى قومي، ففعل... الخ.

وقال ابن هشام^(١): فتّعها رسول الله (ص) وردّها الى قومها، فزعمت بنو سعد أنّه (ص) أعطاهها غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوّجت إحداهما الأخرى فلم يزل فيهم من نسلها بقيّة.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين من قريش ثم من بني هاشم: أيمن بن عبيد، ومن بني أسد بن عبدالعزّي يزيد بن زمعة جمّح به فرس له يقال له الجناح فقتل، ومن الأنصار سُراقه بن الحرث بن عدي، ومن الأشعرين أبو عامر الأشعري.

ثم جمعت الى رسول الله (ص) سبايا حنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفاري، وأمر رسول الله بالسبايا والأموال الى الجعرانة فحبست بها.

وقال محمد بن سعد^(٢): وقتل من المسلمين أيضاً: أيمن بن عبيد بن زيد الخزرجي وهو ابن أم أيمن أخو اسامة بن زيد لأمّه، وسُراقه بن الحارث، ورقيم بن ثعلبة بن زيد بن لوزان واستحرّ القتال في بني نصر بن معاوية ثم في بني رباب، فقال عبدالله بن قيس وكان مسلماً: هلكت بنو رباب، وقال رسول الله (ص): اللهم اجبر مصيبتهم. ووقف مالك بن عوف على ثنية من الثنايا حتّى مضى ضعفاء أصحابه وتتامّ آخرهم، ثم هرب فتحصّن في قصر بليّة، ويقال دخل حصن ثقيف، وأمر رسول الله بالسبي والغنائم فجمع ذلك كلّه وحدره الى الجعرانة، فوقف بها الى أن انصرف رسول الله (ص) من الطائف وهم في حظائرهم يستظلون بها من الشمس، وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألف بغير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقيّة فضّة، فاستأنى رسول الله (ص) بالسبي أن يقدم عليه

(١) السيرة النبوية ٤ / ١٠١.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ١٥٢ و ١٥٤.

وفدهم، وبدأ بالأموال فقسمها، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس، فأعطى أباسفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل، قال: ابني يزيد. قال (ص): أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل. قال: ابني معاوية. قال: أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل. وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها. وأعطى النصر بن الحارث بن كلاة مائة من الإبل، وأعطى (ص) أسيد بن جارية الثقفي خمسين بعيراً، وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين بعيراً، وأعطى مخزومة بن نوفل خمسين بعيراً، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، وأعطى قيس بن عدي مائة من الإبل، وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل، وأعطى حويطب بن عبدالعزى مائة من الإبل، وأعطى هشام ابن عمرو العامري خمسين من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس أربعين من الإبل، فقال في ذلك شعراً فأعطاه مائة من الإبل ويقال خمسين، وأعطى ذلك كله من الخمس، وهو أثبت الأقاويل عندنا.

ثم أمر (ص) زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم فضها على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الأبل وأربعون شاة، فإن كان فارساً أخذ اثني عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يسهم له.

ثم قال: وقدم وفد هوازن على النبي (ص) وهم أربعة عشر رجلاً، ورأسهم زهير بن صرد، وفيهم أبو برقان عم رسول الله (ص) من الرضاعة، فسألوه أن يُمنّ عليهم بالسبي، فقال (ص): أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم؟ قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً. فقال (ص): أما مالي ولبني عبدالمطلب فهو لكم وسأسال لكم الناس. فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال العباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله، وقال العباس بن مرداس: وهنتموني، وقال رسول الله (ص): إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين وقد كنت استأنيت بسبيهم وقد خيرتهم فلم

يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً، فمن كان عنده منهم شيء فطابت نفسه أن يرده فسيبيل ذلك، ومن أبي فليرد عليهم وليكن ذلك قرضاً علينا ست فرائض من أول ما يفى الله علينا. قالوا: رضينا وسلّمنا، فردّوا عليهم نساءهم وأبنائهم، ولم يتخلف منه أحد غير عيينة بن حصن، فأنه أبي أن يرده عجزاً صارت في يديه منهم ثم ردها بعد ذلك، وكان رسول الله (ص) قد كسا السبي قبطة قبطة.

ثم قال: قالوا فلما رأت الأنصار ما أعطى رسول الله (ص) في قريش والعرب تكلموا في ذلك، فقال رسول الله: يا معشر الأنصار أما ترضون أن يرجع الناس بالشاء والبغير وترجعون برسول الله إلى رحالكم. قالوا: رضينا بك يا رسول الله حظاً وقسماً. فقال رسول الله (ص): اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

وقال ابن كثير^(١): قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب - وفي رواية يونس بن بكير - عنه قال عمر بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه: كنّا مع رسول الله (ص) بمُحَنِين، فلما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وقد هوازن بالجرعانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله أنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامن علينا من الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صُرد أبو صُرد فقال: يا رسول الله أمّا في الحظائر من السبائا خالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلنك، ولو أنا ملحننا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتها وعطفها، وأنت رسول الله خير المكفولين. ثم أنشأ يقول:

أمن علينا رسول الله في كرم	فأنك المرء نرجوه وننتظر
أمن على بيضة قد عاقها قدر	مُمزق شملها في دهرها غير
يا خير طفل ومولود ومنتخب	في العالمين إذا ما حصل البشر
أمن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك تملؤه من محضها الدرر

(١) السيرة النبوية ٢/٦٦٧-٦٨٨.

إنّا لنشكر آلاء وإن كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

ثم قال: فقال رسول الله (ص) نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا، بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا، فقال رسول الله (ص): أمّا ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا: أنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فإني سأعطيكم عند ذلك واسأل لكم. فلما صلى رسول الله (ص) بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله، فقال: أمّا ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم. فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله، وقال الأقرع بن حابس: أمّا أنا وبنو تميم فلا. إلى أن قال: فقال رسول الله (ص): من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول نصيبه، فردّوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم. ثم ركب رسول الله (ص) وأتبعه الناس يقولون: يا رسول الله أقسم علينا فيئنا، حتى اضطروه إلى شجرة فانترعت رداءه، فقال: أيها الناس ردّوا عليّ رداي، فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً. ثم قام رسول الله (ص) إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها فقال: أيها الناس والله ما لي من فيئكم ولا هذه البرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم، فأدّوا الخياط والمخيط، فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة. فجاء رجل من الأنصار بكية من خيوط شعر فقال: يا رسول الله أخذت هذه لأخيظ بها برذعة بعير لي وبر. فقال رسول الله: أمّا حقّي منها فلك. فقال الرجل: أمّا إذا بلغ الأمر فيها فلا حاجة لي بها، فرمى بها من يده.

ثم قال ابن كثير: وهذا السياق يقتضي أنه (ص) ردّ إليهم سببهم قبل القسمة، كما ذهب إليه محمد بن إسحاق بن يسار، خلافاً لموسى بن عقبة وغيره.

ثم قال: وفي صحيح البخاري من طريق الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: إن رسول الله (ص) قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوا أن تردّ إليهم أموالهم ونساءهم، فقال لهم رسول الله (ص): معي من ترون، وأحبّ

المحدث إلى أصدقاه، فاختروا إحدى الطائفتين إِمَّا السبي وإِمَّا الأموال، وقد كنت استأنيت بكم. وكان رسول الله (ص) ينتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف. فلما تبين لهم أن رسول الله (ص) غير راد إليهم أموالهم إحدى الطائفتين قالوا: أنا نختار سبينا. فقام رسول الله (ص) في المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أمَّا بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤا تائبين، وإنِّي قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب أن يُطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفيء الله علينا فليفعل. فقال الناس قد طيبنا ذلك يا رسول الله. فقال لهم: أنا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم. فرجع الناس فكلّمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله (ص) فأخبروه بأنهم قد طيبوا وأذنوا.

ثم قال: فهذا ما بلغنا عن سبي هوازن، ولم يتعرّض البخاري لمنع الأقرع وعيينة وقومهما. بل سكت عن ذلك، والمثبت مقدّم على النافي فكيف الساكت.

إلى أن قال: وقال سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر: إن رجلاً ممن شهد حنين قال: والله إنِّي لأسير إلى جنب رسول الله (ص) على ناقة لي وفي رجلي نعل غليظة إذا زحمت ناقتي ناقة رسول الله (ص) ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله فأوجعه، ففرع قدمي بالسوط وقال: أوجعتني فتأخر عني، فانصرف. فلما كان الغد إذا رسول الله (ص) يلتمسني. قال: قلت هذا والله لما كنت أصبت من رحل رسول الله بالأمس، قال: فجئته وأنا أتوقّع، فقال: أنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني ففرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها، فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني. والمقصود من هذا أن الرسول (ص) ردّ إلى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دلّ عليه السياق وغيره.

إلى أن قال: وقال البخاري: ثنا عبد الله بن محمد، ثنا هشام، ثنا معمر، عن الزهري حدّثني أنس بن مالك، قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النبي (ص) يعطي رجالاً المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. قال أنس بن مالك: فحدّث رسول الله (ص) بمقاتلتهم، فأرسل إلى

الأنصار فجمعهم في قبّة آدم ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي (ص) فقال: ما حديث بلغني عنكم. قال فقهاء الأنصار: أمّا رؤسنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأمّا ناس منّا حديثه أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال رسول الله: فإني لأعطي رجالاً حديث عهد بالكفر أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي الى رحالكم، فوالله لما تنقلبون به خير ممّا ينقلبون به. قالوا: يا رسول الله قد رضينا. فقال لهم النبي (ص): فستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتّى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض. قال أنس: فلم يصبروا. ثم قال: تفرّد به البخاري من هذا الوجه. ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عوف عن هشام بن زيد عن جدّه أنس بن مالك.

الى أن قال: فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يُعط الأنصار شيئاً، فقالوا: فدعاهم فأدخلهم في قبّته فقال: أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله. قالوا: بلى. فقال رسول الله (ص): لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار. الى أن قال: قال جمع رسول الله (ص) الأنصار فقال: إن قريشاً حديثو عهد بالجاهلية ومصيبة وائي أردت أن أجبرهم وأتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله الى بيوتكم. قالوا: بلى.

ثم روى عن الإمام أحمد باسناده عن أنس بن مالك: إن رسول الله (ص) أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو وآخرين يوم حنين، فقالت الأنصار: يا رسول الله إن سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم. فبلغ النبي (ص) فجمعهم في قبّة له حتّى فاضت، فقال: فيكم أحد من غيركم. قالوا: لا إلا ابن أختنا. قال: ابن أخت القوم منهم. ثم قال (ص): أقلتم كذا وكذا؟ قالوا: نعم. قال: أنتم الشعار والناس الدثار، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله الى دياركم؟ قالوا: بلى. قال: الأنصار كرشى وعييتي، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم، ولولا الهجرة لكنت إمراً من الأنصار.

ثم روى عن الإمام أحمد أيضاً بأسناده عن أنس: أن رسول الله (ص) قال: يا معشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي، ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي ألم آتكم أعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أفلا تقولون جئتنا خائفاً فأمنناك وطريداً فأوينناك ومخذولاً فنصرناك. قالوا: بل لله المنّ علينا ولرسوله.

ثم قال وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين، فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالك، وقد روى عن غيره من الصحابة. ثم روى عن البخاري قريباً مما ذكر، الى أن قال: الأنصار شعار والناس دثار آتكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض.

الى أن قال: قال ابن إسحاق: وقال رسول الله (ص) لو فد هوازن وسأهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف. فقال (ص): أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل، فلما بلغ ذلك مالكا أنسل من ثقيف حتى أتى رسول الله وهو بالجرعانة أو بمكة فأسلم وحسن إسلامه، فردّ عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل. فقال مالك بن عوف:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله	في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي	ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عردت أنيابها	بالسمهري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله	وسط الهباءة خادر في مرصد

ثم قال: قال واستعمله رسول الله (ص) على من أسلم من قومه، وتلك القبائل ثمانية وسلمة وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً، لا يخرج لهم سرج إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم.

ثم روى عن البخاري بأسناده عن عمرو بن تغلب قال: أعطى رسول الله قوماً ومنع آخرين، فكأنهم عتّبوا عليه فقال (ص): أني أعطي قوماً أخاف هلهم وجزعهم، وأكل قوماً الى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى، منهم عمرو بن تغلب. الى أن قال: قال البخاري: ثم ذكر السند وأسنده الى عبد الله أنه قال: لما قسم النبي (ص) قسمة حنين قال رجل من الأنصار: ما أراد بها وجه الله. قال: فأتيت رسول الله (ص) فأخبرته، فتغير وجهه ثم قال:

رحمة الله على موسى، قد أوزي بأكثر من هذا فصبر.

ثم قال: وفي البخاري فقال رجل: الله ان هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله. فقلت: والله لأخبرن رسول الله (ص)، فأتيته فأخبرته فقال: من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى، قد أوزي بأكثر من هذا فصبر.

ثم روى ابن كثير عن محمد بن إسحاق باسناده عن مقسم أبي القاسم مولى عبدالله بن الحارث بن نوفل قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبدالله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت معلقاً نعله بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله (ص) حين كلمه التيمي يوم حنين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة. فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال له: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم. فقال رسول الله: أجل فكيف رأيت؟ فقال: لم أرك عدلت. قال: فغضب النبي فقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون. فقال عمر بن الخطاب: ألا نقتله. فقال (ص): دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء، سبق الفرث والدم.

ثم روى باسناده عن جابر بن عبدالله قال: أتى رجل بالجرعانة النبي (ص) منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله (ص) يقبض منها ويعطي الناس، فقال: يا محمد إعدل. قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعذل، لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعذل. فقال عمر ابن الخطاب: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق. فقال (ص): معاذ الله أن يتحدث الناس أني قتلت أصحابي، ان هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يرقون منه كما يبرق السهم من الرمية.

ثم روى عن الصحيحين من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري قريباً مما ذكر. الى أن قال: أتاهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس. قال أبو سعيد: فأشهد اني سمعت من رسول الله (ص) وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت

إليه على نعت رسول الله الذي نعت. ورواه مسلم أيضاً من حديث القاسم بن الفضل، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد به نحوه. انتهى ما نقله ابن كثير ملخصاً.

بعض الأحداث بعد غزوة حنين

قال محمد بن سعد^(١): ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي الى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي في شوال سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: لما أراد رسول الله السير الى الطائف بعث الطفيل بن عمرو الى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي يهدمه، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف. فخرج سريعاً الى قومه، فهدم ذا الكفين وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

اني حششت النار في فوادكا

قال: وانحدر من قومه أربعائة سراعاً فوافوا النبي (ص) بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام، وقدم بدبابية ومنجنيق وقال: يا معشر الأزدي من يحمل رايتكم؟ فقال الطفيل: من كان يحملها في الجاهلية النعمان بن بازية اللهي. قال: أصبتم.

ثم قال محمد بن سعد: ثم غزوة رسول الله (ص) الطائف في شوال سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: خرج رسول الله من حنين يريد الطائف، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته، وقد كانت ثقيف رموا حصنهم وأغلقوه عليهم وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة، فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيأوا للقتال... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله (ص) على نخلة اليمانية، ثم على قرن، ثم على المليح، ثم على بحرة الرغاء من لية، فابتنى بها مسجداً، فصلى فيه.

ثم قال: قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب أنه أقاد يومئذ ببُحرة الرغاء حين نزلها

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٥٧ و ١٥٨.

(٢) السيرة النبوية ٤/١٢٤.

بدم، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام. ثم قال: هو رجل من بني ليث قتل رجلاً من هذيل فقتله به، وأمر رسول الله (ص) وهو بليّة بمحصن مالك بن عوف فهُدم. ثم سلك في طريق يقال لها الضيعة، فلما توجه فيها رسول الله (ص) سأل عن اسمها فقال: ما اسم هذه الطريق؟ فقيل له: الضيعة. فقال: بل هي اليسرى.

ثم خرج منها على نخب حتى نزل سدره يقال لها الصادرة قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله (ص) إماماً أن تخرج وإماماً أن نخرب عليك حائطك، فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله بإخراجه.

ثم مضى رسول الله (ص) حتى نزل قريباً من الطائف فضرب عسكره، فقتل ناس من أصحابه (ص) بالنبل، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النبل تنالهم ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم أغلقوه دونهم، فلما أصيب أولئك نفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم، فحاصروهم بضعاً وعشرين ليلة، ويقال سبع عشرة ليلة.

ثم قال: قال محمد بن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة ابنة أبي أمية فضرب لهما قبتين ثم صلى بين القبتين ثم أقام، فلما أسلمت ثقيف بنى على مُصلّى رسول الله (ص) عمرو بن أمية مسجداً، وكان في ذلك المسجد سارية فيما يزعمون لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سمع لها نقيض، فحاصروهم رسول الله وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل.

وقال محمد بن سعد^(١): وسار رسول الله (ص) فنزل قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك، فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً كأنه رجل جراد، حتى أصيب ناس بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلاً... الخ.

وقال ابن هشام^(٢): ورماهم رسول الله (ص) بالمنجنيق.

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٥٨.

(٢) السيرة النبوية ٤ / ١٢٦.

ثم قال: حدّثني من أثق به أنّ رسول الله (ص) أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق، رمى أهل الطائف. قال ابن إسحاق: حتّى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله (ص) تحت دبابة ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها، فرمّتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالاً، فأمر رسول الله (ص) بقطع أعناب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): فارتفع رسول الله (ص) الى موضع مسجد الطائف اليوم، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب، فضرب لهما قبتين، وكان يصلي بين القبتين حصار الطائف كلّه فحاصرهم ثمانية عشر يوماً ونصب عليهم المنجنيق ونثر الحسك (يعني الشوك) سقبين من عيدان حول الحصن، فرمّتهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجال، فأمر رسول الله (ص) بقطع أعنابهم وتحريقها، فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال رسول الله (ص): فاني أدعها لله وللرحم،... الخ.

وقال الواقدي^(٢): فأمر رسول الله (ص) بكروم الطائف أن تقطع وجعل لكل رجل من أصحابه قطع خمس حبلات، ومع رسول الله رجل من ثقيف يقال له أبو مرادم، فرّ على عيينة ابن حصين بفاسه، فقال: أين يا أبا مرادم؟ قال: أمر رسول الله كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس حبلات. قال: فاقطع معك حبلاتي يا أبا مرادم. قال: نعم ولك أجره، فبلغ عيينة فأقبل ليرضي رسول الله فإذا خلف رسول الله أم سلمة بنت أبي أمية. قال: يا رسول الله من هذه خلفك؟ قال: هذه أم سلمة. قال: وذلك قبل أن يؤمر نساء النبي بالحجاب، قال عيينة: اني أراها قد دخلت في السير، فهل لك أن أنزل لك عن أشبّ نساء مضر وأحسنه وأكرمه حسباً فتحوّل عنها مكان هذه. فضحك رسول الله (ص) من قوله، ثم قام فخرج، فقالت أم سلمة: يا رسول الله من هذا؟ قال رسول الله: هذا الأحمق المطاع.

ثم قال الواقدي: فحاصر رسول الله (ص) بالطائف شهراً فلما استهلّ ذو القعدة رجع

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٥٨.

(٢) المغازي ٣ / ٩٢٨.

معتراً إلى مكة، فأقام بمكة ليالياً... الخ.

وفي مجمع الزوائد لابن حجر الجزء التاسع ص ١٣٤ وعن عبدالرحمن بن عوف قال: لما افتتح رسول الله (ص) مكة انصرف إلى الطائف فحاصرها سبع عشرة أو ثمان عشرة فلم يفتحها ثم أوغل روحة أو غدوة ثم نزل ثم هجر فقال: يا أيها الناس اتّي فرط لكم وأوصيكم بعترتي خيراً وإنّ موعدكم الحوض، والذي نفسي بيده ليقيموا الصلاة وليؤتوا الزكاة أو لا بعثنّ رجلاً مني أو كنفي فليضربن أعناق مقاتليهم وليسبين ذراريهم، قال: فرأى الناس أنّه أبو بكر أو عمر وأخذ بيد علي (ع) فقال: هذا هو.

وقال ابن كثير^(١): فنزل رسول الله (ص) بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم، ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبي بكر بن مسروح أخي زياد لأُمّه، فأعتقه رسول الله (ص)، وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنابهم لينغيظوهم بها، فقالت لهم ثقيف: لا تفسدوا الأموال فأنّها لنا أو لكم. وقال عروة: أمر رسول الله كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حبلات، وبعث منادياً ينادي: من خرج إلينا فهو حرّ. فاقترح إليه نفر منهم فيهم أبو بكر بن مسروح أخو زياد ابن أبي سفيان لأُمّه، فأعتقهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يؤوله ويحمّله.

ثم روى عن الإمام أحمد باسناده عن ابن عباس أنّه قال: إنّ رسول الله (ص) كان يعتق من جاء من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا، وقد أعتق يوم الطائف رجلين.

ثم روى عن الإمام أحمد باسناده عن ابن عباس أيضاً أنّه قال: قال رسول الله (ص) يوم الطائف: من خرج إلينا من العبيد فهو حرّ، فخرج عبيد من العبيد منهم أبو بكر، فأعتقهم رسول الله (ص)... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): ونادى منادي رسول الله (ص): أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حرّ، فخرج منهم بضعة عشر رجلاً، منهم أبو بكر نزل في بكره، فقيل أبو بكر،

(١) السيرة النبوية ٢/٦٥٦ و٦٥٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٥٨ و١٥٩.

فأعتقهم رسول الله (ص) ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه . فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة، ولم يؤذن لرسول الله في فتح الطائف ... الخ .
وقال ابن كثير^(١): قال لما حاصر رسول الله (ص) أهل الطائف خرج إليه رقيق من رقيقهم أبو بكره عبداً للحارث بن كلاة، والمنبعت وكان اسمه المضطجع، فسماه رسول الله المنبعت ويحنس دوردان في رهط من رقيقهم فأسلموا، فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا: يا رسول الله رُدّ علينا رقيقنا الذين أتوك . قال (ص): لا أولئك عُتقَاءُ الله، وردّ على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله له .

ثم روى عن البخاري بإسناده عن سعد قال: وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأبا بكره وكان تسوّر حصن الطائف في أناس، فجاء الى رسول الله (ص). قال: سمعنا رسول الله (ص) يقول: من ادّعى الى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام. الى أن قال: وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فناديا ثقيفاً بالأمان حتى يكلموهم، فأمنوهم فدعوا نساءً من قريش وبني كنانة ليخرجنّ إليهم وهما يخافان عليهنّ السباء إذا فُتح الحصن، فأبين فقال لهما أبو الأسود بن مسعود: ألا أدلكما على خير مما جئتما له، إن مال أبي حيث قد علمتما، وكان رسول الله (ص) نازلاً بوادٍ يقال له العقيق، وهو بين مال أبي الأسود وبين الطائف، وليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشدّ مؤنة ولا أبعد عمارة منه، وإنّ محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً، فكلّمها فليأخذ لنفسه أو ليدعه لله وللرحم . فزعموا أنّ رسول الله (ص) تركه لهم .

ثم قال: وقد روى الواقدي عن شيوخه هذا، وعنده أنّ سلمان هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده . وقيل قدم به وبِدَبَابَتَيْنِ ... الخ .

وقال الحلبي^(٢): وهو أول منجنيق رُمي به في الإسلام، أرشده إليه سلمان الفارسي . قال: كنّا بأرض فارس تنصب المنجنيقات على الحصون فنصيب من عدوّنا . الى أن قال: ودخل نفر من الصحابة تحت دبابه وزحفوا بها الى جدار الحصن ليُخرقوه . وفي الامتاع: دخلوا تحت

(١) السيرة النبوية ٣/٦٥٧ .

(٢) السيرة الحلبية ٣/١١٧ .

دبابتين وكان من جلود البقر، فأرسلت إليهم ثقيف سلك الحديد مُحَمَّاةً بالنار، فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتل منهم رجال. ثم قال: والدبابة بفتح الدال المهملة ثم موحدَة مُشَدَّدة وبعد الألف موحدَة ثم تاء التانيث، وهي آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبُون بها إلى الأسوار لينقَبُوها... الخ.

وقال ابن كثير^(١): وقال الواقدي: حدّثني كثير بن زيد بن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال: لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله (ص) نوفل بن معاوية الدثلي فقال: يا نوفل ما ترى في المقام عليهم؟ قال: يا رسول الله تَعَلَّبَ في حُجْرٍ إن أقت عليه أخذته وإن تركته لم يضرّك. إلى أن قال: وأمر رسول الله (ص) الناس أن لا يسرحوا ظهرهم، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله وأصحابه، ودعا حين ركب قافلاً فقال: اللهم اهدهم واكفنا مؤنتهم.

ثم روى عن الترمذي بإسناده عن جابر أنه قال: قالوا يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم. فقال: اللهم اهد ثقيفاً.

ثم روى عن يونس عن ابن إسحاق قال: حدّثني عبدالله بن أبي بكر وعبدالله بن مُكْرَمَ عَمَّنْ أدركوا من أهل العلم قالوا: حاصر رسول الله (ص) أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم، فقدم المدينة، فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): واستشار رسول الله (ص) نوفل بن معاوية فقال: ما ترى؟ فقال: تَعَلَّبَ في حُجْرٍ إن أقت عليه أخذته وإن تركته لم يضرّك. فأمر رسول الله (ص) عمر بن الخطاب فأذن بالرحيل، فضجّ الناس من ذلك وقالوا: نرحل ولم يفتح علينا الطائف. فقال رسول الله. فاغدوا على القتال. فغدوا فأصابت المسلمين جراحات، فقال رسول الله (ص): أنا قافلون إن شاء الله، فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله يضحك، وقال لهم

(١) السيرة النبوية ٢/٦٦١ و ٦٦٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٥٩.

رسول الله (ص) قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. فلما ارتحلوا واستقلوا قال (ص) قولوا: آثبون تائبون عابدون لربنا حامدون. وقيل لرسول الله (ص): ادع الله على ثقيف، فقال: اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم.

ثم روى عن الحسن قال: حاصر رسول الله (ص) أهل الطائف، قال: فرمى رجل من فوق سورها فقتل. فأتى عمر فقال: يا نبي الله ادع الله على ثقيف. قال: إن الله لم يأذن في ثقيف. قال: فكيف نقتل في قوم لم يأذن الله فيهم. قال (ص): فارتحلوا.

ثم روى عن مكحول أنه قال: إن النبي (ص) نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوماً، انتهى.

أقول: ومما ذكره في غزوة الطائف ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي ومسلم من قصة المخنث، رويها عن أم سلمة قالت: دخل علي رسول الله (ص) وعندي مخنث، فسمعه يقول لعبدالله بن أبي أمية: رأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان، فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان. فقال رسول الله: لا يدخلن هؤلاء عليكن.

ثم قال^(١) وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به، وفي لفظ: وكانوا يرونه من غير أولي الأربة من الرجال. وفي لفظ: قال رسول الله (ص): لا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكن هؤلاء.

إلى أن قال: ومعنى قوله «تقبل بأربع وتدبر بثمان» يعني بذلك عكن بطنها، فانها تكون أربعاً إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أدبرت. وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيف، وهذا المخنث قد ذكره البخاري عن ابن جريح أن اسمه هيت. وهذا هو المشهور لكن قال يونس عن ابن إسحاق قال: وكان مع رسول الله (ص) مولى لخالته بنت عمرو بن عايد مخنث يقال له ماتع، يدخل على نساء رسول الله في بيته ولا ترى أنه يفتن لشيء من أمور النساء مما يفتن إليه رجال، ولا يرى أنه له في ذلك أرباباً، فسمعه يقول لخالد بن

(١) السيرة النبوية ٣ / ٦٦٠ و ٦٦١.

الوليد: يا خالد إن افتتح رسول الله الطائف فلا تنفلتنّ منكم بادية بنت غيلان، فانّها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال رسول الله (ص) حين سمع هذا منه: ألا أرى هذا يفتن لهذا. ثم قال (ص) لنسائه: لا يدخلنّ عليكم، فَحُجِبَ عن بيت رسول الله (ص). انتهى ما نقله ابن كثير في ذلك. وقال ابن هشام^(١): ثم خرج رسول الله (ص) حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوأزن سبي كثير.

ثم ذكر من أمر السبي وقسمته قريباً مما ذكرناه الى أن قال: قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله (ص) من الجعرانة مُعْتَمِراً وأمر ببقايا الفيء فحُبِسَ بمجنته بناحية مرّ الظهران، فلما فرغ رسول الله (ص) من عمرته انصرف الى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل يُفَقِّه الناس في الدين ويُعَلِّمهم القرآن، واتّبع رسول الله ببقايا السبي. ثم قال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم أنّه قال: لما استعمل النبي (ص) عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهماً، فقام فخطب الناس فقال: أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله (ص) درهماً كل يوم، فليست بي حاجة الى أحد... الخ.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وكانت عمرة رسول الله (ص) في ذي القعدة، فقدم رسول الله (ص) المدينة في بقيّة ذي القعدة أو في أول ذي الحجة... الخ.

وقال الواقدي^(٢): فلما استهلّ ذو القعدة رجع (ص) مُعْتَمِراً الى مكة، فأقام بمكة ليالياً واستخلف على أهل مكة معاذ بن جبل الأنصاري أخا بني سلمة، وأمره أن يعلم الناس القرآن ويحدّثهم بما حرم الله على من كان مسلماً ويفقه الناس في الدين ويُخبرهم بالذي لهم في الإسلام والذي عليهم في الإسلام. ثم انصرف رسول الله (ص) الى المدينة، وذكر أنّه متجهّز الى الطائف إذا انسلخ الأشهر الحرم.

الى أن قال: فلما بلغ أهل الطائف أنّ محمداً يريد العودة إليهم خافوا وبعثوا وفداهم الى

(١) السيرة النبوية ٤ / ١٣٠ و ١٤٣.

(٢) المغازي ٣ / ٩٥٩.

رسول الله (ص) يريدون الصلح، فقدموا الى نبي الله المدينة، فذكروا الصلح فقبله النبي وقال: على ما تصالحوه؟ قالوا: أن لا نحشر ولا نعشر ولا نحخي. قالوا: وتمتّعنا باللات سنة. قال رسول الله (ص): أنه لا يصلح دين ليس فيه ركوع ولا سجود، فعاودوه في ذلك فأبى عليهم إلا الصلاة، قالوا: فإنا سنعطيكما وإن كان فيه دناءة. قال رسول الله (ص): ولكم ما سألتم خصلتان أن لا تحشروا ولا تعشروا ولا تجنوا. قالوا: وتمتّعنا باللات سنة، فإنا لا نسلم إلا عليها، فإنا خير من تخدع لك إسلاماً وأشدّهم عليك فأعرض عنهم رسول الله (ص) ثم عاودوه فقالوا: ما ترى في اللات، فأعرض عنهم. الى أن قال: فقام رجل من الأنصار يزعمون أنه حارثة بن النعمان فقال: أسعرتم بذكر اللات أسعرت الله أكبادكم، إن رسول الله لا يقرّ عبادة الأوثان في أرض أهل الإسلام، وليس بمسلم من رضي بإقرار اللات بين أظهرهم، فاتّقوا الله واجعلوا إسلامكم لله خالصاً. قالوا: فلا نكسرّها إذا بأيدينا وليكسرّها من شاء، فولّي كسرّها كما يزعمون المغيرة بن شعبه ... الخ.

وروى ابن كثير^(١) عن الإمام أحمد باسناده عن قتادة أنه قال: سألت أنس بن مالك قلت: كم حج رسول الله (ص)؟ قال: حجة واحدة واعتمر أربع مرّات، عمرته زمن الحديبية، وعمرته في ذي القعدة من المدينة، وعمرته من الجعرانة في ذي القعدة حيث قسّم غنيمة حنين، وعمرته مع حجته.

ثم روى أيضاً عن الإمام أحمد باسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: اعتمر رسول الله (ص) ثلاث عمّر كل ذلك في ذي القعدة يُلبّي حقّ يستلم الحجر. ثم قال: وهذه الثلاث عمّر اللاتي وقعن في ذا القعدة ما عدا عمرته مع حجته، فإنها وقعت في ذي الحجة مع الحجّة وإن أراد ابتداء الاحرام بهنّ في ذا القعدة فلعلّه لم يرد عمرة الحديبية، لأنّه صدّ عنها ولم يفعلها ... الخ.

وقال ابن الأثير^(٢): ثم اعتمر رسول الله (ص) من الجعرانة، وعاد الى المدينة، واستخلف

(١) السيرة النبوية ٣/٦٩٢.

(٢) الكامل ٢/٢٧٢.

على مكة عتاب بن أسيد، وترك معاذ بن جبل يُفقه الناس في الدين ويُعلمهم القرآن، وحج عتاب بن أسيد بالناس، وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج، وعاد رسول الله (ص) الى المدينة في ذي القعدة أو في ذي الحجة.

الى أن قال: وفيها تزوج رسول الله (ص) الكلايئة، واسمها فاطمة بنت الضحاك ابن سُفيان، فاختارت الدنيا حين خيّرت. وقيل: إنها استعادت منه ففارقها.

ثم قال: وفيها ولدت مارية إبراهيم ابن النبي (ص) في ذي الحجة، فدفعه الى أم بُردة بنت المنذر الأنصارية، فكانت تُرضعه، وزوجها البراء بن أوس الأنصاري، وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله (ص)، فأرسلت أبارافع الى النبي (ص) يُبشّره بإبراهيم، فوهب له مملوكاً. وغار نساء النبي وعظم عليهنّ حين رزقت مارية منه (ص) ولداً.

أقول: وقد ذكرنا في الجزء الأول ما يتعلّق بإبراهيم من حيث الولادة والوفاة ومدّة عُمره وبكاء النبي وجزعه عليه حين مات، فراجع.

إسلام كعب بن زهير الشاعر المعروف

ثم ذكر ابن الأثير إسلام كعب بن زهير قال: قيل خرج كعب بن زهير بن أبي سلمى أو أبو سلمى ربيعة المزني ومعه أخوه مجير حتّى أتيا أبرق الغراف، فقال له مجير: أثبت في غنمنا حتّى أتى هذا الرجل - يعني رسول الله - فاسمع منه، فأقام كعب وسار مجير الى رسول الله (ص) فأسلم، وبلغ ذلك كعباً فقال - ثم ذكر أبياتاً قد ذمّ أخاه لأجل إسلامه. ثم قال: فلما بلغ النبي (ص) قوله غضب وأهدر دمه، فكتب بذلك مجير الى أخيه بعد عود رسول الله من الطائف وقال: النجاء النجاء، وما أدري أن تنفلت. ثم كتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا فأسلم وأقبل إليه، فإنّه لا يأخذ مع الإسلام بما كان قبله. فأسلم كعب وجاء حتّى أناخ راحلته بيباب المسجد ورسول الله (ص) مع أصحابه، قال كعب: فعرفته بالصفة، فتخطّيت الناس فأسلمت وقلت: الأمان الأمان يا رسول الله، هذا مقام العائذ بك.

قال (ص): ومن أنت؟ فقلت: كعب بن زهير. قال: الذي يقول... الخ.

وقال ابن كثير^(١): قال ابن إسحاق: فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوه وقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله (ص)، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كان بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لي، فغدا به الى رسول الله (ص) في صلاة الصبح، فصلّى مع رسول الله ثم أشار له الى رسول الله فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه. فذكر لي أنه قام الى رسول الله (ص) فجلس إليه ووضع يده في يده، وكان رسول الله لا يعرفه، فقال: يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن جئتك به؟ فقال رسول الله: نعم. فقال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

ثم قال: قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه. فقال رسول الله: دعه عنك، فإنه جاء تائباً نازعاً. قال: فغضب كعب بن زهير على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال في قصيدته التي حين قدم على رسول الله:

بانت سعاد قلبي اليوم متبول مُتيمّ عندها لم يفد مكبول

القصيدة الى أن قال: وذكر ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب ان كعباً لما انتهى الى قوله:

انّ الرسول لنور يستضاء به مُهند من سيوف الله مسلول

نبتت انّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فقال: وأشار رسول الله (ص) الى من معه أن اسمعوا. وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في مغازيه، والله الحمد والمنّة.

ثم قال ابن كثير: قلت ورد في بعض الروايات ان رسول الله (ص) أعطاه برده حين أنشد

القصيد، وقد نظم ذلك الصراصري في بعض مدائحه، وهكذا ذكر ذلك المحافظ أبو الحسن بن الأثير في أسد الغابة، قال: وهي البردة التي عند الخلفاء.

الى أن قال: وفي الاستيعاب في معرفة الأصحاب بعدما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير: وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه بحير، وكعب أشعرهما، وأبوهما زهير فوقهما. ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمر ليس يدركها فالنفس واحدة والهّم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

ثم قال: وقال السهيلي: ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله (ص):

تجري به الناقة الأدماء معتجراً بالبرد كالبرد الجملي ليلة الظلم

ففي عطافيه أو ائذاء برده ما يعلم الله من دين ومن كرم

انتهى ما نقله ابن كثير.

وقال ابن الأثير^(١): فكساه النبي (ص) بردة كانت عليه، فلما كان زمن معاوية أرسل الى كعب أن يعنا بردة رسول الله (ص). فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحداً. فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم، وهي البردة التي كانت عند الخلفاء. أقول: وذكر ابن كثير أيضاً أن أباه - وهو زهير - هو صاحب إحدى المعلقات السبع.

تخريب الكعبة اليمانية

قال ابن كثير^(٢): فصل فيما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان - الى أن قال - قلت: وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذي كانت تعبد به ويسمونه الكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التي بمكة ويسمونها التي بمكة الكعبة الشامية وتلك الكعبة اليمانية،

(١) الكامل ٢/ ٢٧٦.

(٢) السيرة النبوية ٣/ ٧١٠.

فقال البخاري: ثنا يوسف بن موسى، ثنا أبو اسامة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن جرير قال: قال لي رسول الله (ص): ألا تريجني من ذي الخلصة. فقلت: بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي (ص) فضرب يده في صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً. قال: فما وقعت عن فرس بعد، وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخشع وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية. قال: فأتاها فحرقها في النار وكسرها.

قال: فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسول الله (ص) هيننا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير، فقال: لتكسرتها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك، فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يُكنى أرطاة إلى النبي (ص) يُبشّره بذلك. قال: فلما أتى رسول الله (ص) قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب. قال: فبارك رسول الله على خيل أحمس ورجالها خمس مرات. ورواه مسلم من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله البجلي بنحوه. انتهى ما نقله ابن كثير.

بعض سرايا سنة تسع من الهجرة

قال محمد بن سعد^(١): ثم سرية عُيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم، وكانوا فيما بين السُّقيا وأرض بني تميم، وذلك في محرم سنة تسع من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: بعث رسول الله عُيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم في خمسين فارساً من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري، فكان يسير الليل ويكن النهار، فهجم عليهم في صحراء، فدخلوا وسرحوا مواشيهم، فلما رأوا الجمع ولّوا وأخذ منهم أحد عشر رجلاً، ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيّاً، فجلبهم إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله (ص) فحُبسوا في دار رملة بنت

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٦٠ - ١٦٤.

الحارث، فقدم فيهم عدّة من رؤسائهم عطاردين حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم والأقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد وعمرو بن الأهتم ورباح بن الحارث بن مجاشع، فلما رأوهم بكى إليهم النساء والذراري، فعجلوا فجاؤا الى باب النبي (ص) فنادوا: يا محمد أخرج إلينا. فخرج رسول الله (ص) وأقام بلال الصلاة وتعلّقوا برسول الله يكلمونه، فوقف معهم، ثم مضى فصلّى الظهر ثم جلس في صحن المسجد، فقدموا عطاردين حاجب فتكلّم وخطب، فأمر رسول الله ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم ونزل فيهم ﴿إنّ الذين يُنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ فردّ إليهم رسول الله (ص) الأسرى والسبي. ثم بعث رسول الله (ص) الوليد بن عقبة بن أبي معيط الى بني المصطلق من خزاعة يُصدّقهم، وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد، فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلاً يتلقونه بالجزر والغنم فرحاً به، فلما رأهم ولّى راجعاً الى المدينة فأخبر النبي أنّهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة، فهمّ رسول الله أن يبعث إليهم من يغزوهم، وبلغ ذلك القوم فقدم عليهم الركب الذين لقوا الوليد، فأخبروا النبي (ص) الخبر على وجهه، فنزلت ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن جاتكم فاسق نبياً فتبَيّنوا﴾ الآية، فقرأ عليهم رسول الله (ص) القرآن وبعث معهم عبّاد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الإسلام ويقرّتهم القرآن، فلم يعد ما أمره رسول الله (ص) ولم يُضَيّع حقاً، وأقام عندهم عشراً ثم انصرف الى رسول الله راضياً، انتهى.

ثم قال محمد بن سعد: ثم سرّية قطبة بن عامر بن حديدة الى خثعم بناحية بيشة قريباً من تربة في صفر سنة تسع من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: بعث رسول الله (ص) قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلاً الى حيّ من خثعم بناحية تبالّة، وأمره أن يشنّ الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها، فأخذوا رجلاً فسألوه فاستعجم عليهم، فجعل يصيح بالحاضر ويحذّرهم، فضربوا عنقه. ثم أمهلوا حتّى نام الحاضر فشنّوا عليهم الغارة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً، وقتل قطبة بن عامر من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة، وجاء سيل أتّى فحال بينهم وبينه فما يجدون إليه

سبيلاً. وكانت سبهانهم أربعة أبعرة، والبعير يُعدل بعشر من الغنم بعد أن أخرج الخمس، انتهى.

ثم قال: سرية الضحاك بن سفيان الكلابي الى بني كلاب في شهر ربيع الأول سنة تسع من مهاجر رسول الله (ص) قالوا: بعث رسول الله جيشاً الى القرطاء عليهم الضحاك بن سفيان بن عوف بن أبي بكر الكلابي ومعه أصيد بن سلمة بن قرط، فلقوهم بالزج - زج لاوة - فدعوهم الى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم، فلحق الأصيد أباه سلمة وسلمة على فرس له في غدير بالزج، فدعا أباه الى الإسلام وأعطاه الأمان، فسبه وسب دينه، فضرب الأصيد عرقوبي فرس أبيه، فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على رمحه في الماء ثم استمسك به حتى جاءه أحدهم فقتله ولم يقتله ابنه، انتهى.

ثم قال: سرية علقمة بن مجرز المدلجي الى الحبشة في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: بلغ رسول الله ان ناساً من الحبشة تراياهم أهل جدّة، فبعث إليهم علقمة بن مجرز في ثلاثمائة، فانتهى الى جزيرة في البحر وقد خاض إليهم البحر فهربوا منه، فلما رجع تعجل بعض القوم الى أهلهم فأذن لهم، فتعجل عبدالله بن حذافة السهمي فيهم، فأمره على من تعجل وكانت فيه دعاية، فنزلوا به بعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلحون ويصطنعون. فقال: عزمت عليكم ألا توائبتم في هذه النار، فقام بعض القوم فاحتجزوا حتى ظنّ أنّهم واثبون فيها، فقال: اجلسوا إنّما كنت أضحك معكم، فذكروا ذلك لرسول الله (ص) فقال: من أمركم بمعصية فلا تطيعوه، انتهى.

ثم قال: سرية علي بن أبي طالب الى الفليس صنم طيء ليهدمه في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله (ص). قالوا: بعث رسول الله علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض الى الفليس ليهدمه، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفليس وخرّبوه وملّوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي الى الشام، ووجد في خزانة الفليس ثلاثة أسياف رؤوب والمخزم وسيف يقال له اليماني وثلاثة أدرع.

الى أن قال: فلما نزلوا رَكَكَ اقتصموا الغنائم وعُزل الخمس للنبي صفيّاً رؤوباً والمخدم ثم صار له السيف الآخر وعُزل آل حاتم فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة .

وقال الزيني دحلان^(١): سرية علي بن أبي طالب لهدم صنم طيء بموضع يُسمّى الفليس - بضمّ الفاء وسكون اللام - بعثه (ص) في ربيع الأول سنة تسع، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار. وفي رواية: كانوا مائتي رجل، فأغار على أحياء من العرب، وشنّ الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، وحرّق الصنم بعد هدمه، ووجد في خزائنه ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع، وغنم سبباً ونعماً وشاءً وفضّة، وقدم بذلك المدينة، وكان في السبي سَفّانة بنت حاتم الطائي، وهي بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاء تأنيث، فأسلمت وحسن إسلامها ومنّ عليها رسول الله (ص)، فدعت له: شكرتك يد افتقرت بعد غني، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه. الى أن قال: وكان المنّ سبباً لإسلام أخيها عدي بن حاتم، وكان (رضي الله عنه) من فضلاء الصحابة، ولم يرتد مع من ارتد من العرب بعد وفاة النبي (ص)، بل ثبت على الإسلام.

ثم قال: مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين، وقيل مائة وثمانين سنة، وروى له أصحاب السنن الستة .

ثم قال: قال ابن إسحاق في قصة سبي أخت عدي بن حاتم: أصابت خيله (ص) ابنة حاتم في سبايا، فجعلت في حظيرة في المسجد، فرّ بها رسول الله (ص)، فقامت إليه وكانت جذلة، فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد. فقال: من وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: الفارّ من الله ورسوله. فضئ حتى كان الغد، قالت: مرّ بي فقلت له وقال فيّ مثل ذلك، حتى كان بعد الغد مرّ ويئست، فأشار إليّ علي بن أبي طالب وهو خلفه أن قومي إليه فكلميه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد، فامن عليّ منّ الله عليك. قال: قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك... الخ.

وقال الحلبي^(١): قال ومّر النبي (ص) بأخت عدي بن حاتم، فقامت إليه وكانت امرأة جذلة - أي ذات وقار وعقل - وكلمته أن يمنّ عليها، فمنّ عليها، فأسلمت وخرجت الى أخيها عدي فأشارت بالقدوم على رسول الله، فقدم عليه كما سيأتي في الوفود.

ويذكر أنها قالت له (ص): يا محمد أرأيت أن تخليّ عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب، فإني ابنة سيّد قومي، وإنّ أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرّد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيء. فقال لها النبي (ص): يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلّوا عنها فإنّ أباهما كان يحبّ مكارم الأخلاق.

ثم نقل قولاً آخر، وفي آخره قال: وكان يحبّ مكارم الأخلاق وإنّ الله يحبّ مكارم الأخلاق.

ثم نقل ما رواه الزيني دحلان^(٢): الى أن قال: ففي اليوم الثالث أشار إليّ رجل خلفه بأن كلميه، فكلمته فقال رسول الله: قد فعلت فلا تعجلي حتّى يجيء من قومك من يكون لك ثقة يبلغك الى بلادك فأذنيني - أي اعلميني - وسألت عن الرجل الذي أشار عليّ بكلامه، فقيل: أنّه علي بن أبي طالب. قالت: فصبرت حتّى قدم عليّ من أثق به، فجئت رسول الله (ص) فقلت: قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة قالت: فكساني رسول الله (ص) وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت حتّى قدمت الشام على أخي، انتهى.

ثم قال: ثم سرية عكاشة بن محصن الأسدي الى الجباب أرض عذرة وبليّ في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله (ص). انتهى ما نقله محمد بن سعد.

(١) السيرة الحلبية ٢٠٥/٣.

(٢) السيرة الحلبية ٢٠٥/٣.

غزوة تبوك

قال محمد بن سعد^(١): ثم غزوة رسول الله تبوك في رجب سنة تسع من مهاجر رسول الله ... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة ما بين ذي الحجة الى رجب، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فذكر الزهري ويزيد بن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا، كلُّ يُحدِّث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدِّث ما لم يحدِّث بعض: ان رسول الله (ص) أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان عُسرة من الناس وشدة من الحرِّ وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار فالناس يحبُّون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص في الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله (ص) قلَّ ما يخرج في غزوة إلا كُنِّي عنها، إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه (ص) بيَّنها للناس لبعث المشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد إليه، ليتأهب الناس لذلك أهبةً، فأمرهم بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم. فقال رسول الله ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجدِّ بن قيس أحد بني سلمة: يا جد هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشدَّ عجباً بالنساء منِّي، واني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر. فأعرض عنه رسول الله (ص) وقال: قد أذنت لك، ففي الجدِّ أنزل الله هذه الآية ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾.

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض لا تنفروا في الحرِّ، زهادة في الجهاد وشكاً في الحق وإرجافاً بالرسول، فأنزل فيهم ﴿وقالوا لا تنفروا في الحرِّ قل نار جهنم أشدَّ حرّاً لو كانوا يفقهون﴾ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كان يكسبون ﴿... الخ.

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٦٤ و ١٦٥.

(٢) السيرة النبوية ٤ / ٤ و ٥.

أقول: وهذا النقل قريب مما ذكره الطبري^(١) وابن هشام^(٢) إلا أنها ذكرا بعد الآية الأولى - أي إن كان خشى الفتنة من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول تعالى: **وإن جهنم لمن ورائه... الخ.**

وقال الزيني دحلان^(٣): غزوة تبوك على وزن تقول للعلمية ووزن الفعل، وقيل للعلمية والتأنيث، وجوز بعضهم صرفه على إرادة المكان، وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة، بينه وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة، وقيل اثنتا عشرة مرحلة، وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق، وغزوة العُسرة مأخوذ من قوله تعالى: ﴿الذين أتبعوه في ساعة العسرة﴾، وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها قالوا ﴿لا تنفروا في الحر﴾ وقد فضحهم الله في آيات كثيرة في سورة التوبة.

ثم قال: وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة. قال الحافظ ابن حجر: وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع من خطأ النسخ، قال بعضهم: ولعل البخاري تعمد تأخيرها للإشارة إلى أنها آخر مغازيه، وكان الوقت حين خروجه (ص) حرّاً شديداً وقحطاً كثيراً، ولذلك لم يُوزّعها كعادته (ص) في سائر الغزوات.

ثم قال: وقد روى البخاري ومسلم عن كعب بن مالك قال: لم يكن (ص) يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً وغزاه عدواً كثيراً. ثم قال: والتورية ذكر لفظ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر، فيتوهم السامع إرادة القريب والمتكلم يريد البعيد.

ثم قال: وروى عبدالرزاق أنهم خرجوا في قلة من الظهر مع كثرتهم في حرّ شديد، حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فسُميت غزوة العُسرة، أي الشدة والضيقة... الخ.

(١) تاريخ الطبري ٣/ ١٠٠.

(٢) السيرة النبوية ٤/ ١٥٩ - ١٦٠.

(٣) السيرة النبوية ٢/ ١٢٥.

وقال ابن الأثير^(١): وكان سببها أنّ النبي (ص) بلغه أنّ هرقل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصده، فتجهّز هو والمسلمون وساروا إلى الروم، وكان الحرّ شديداً والبلاد مجدبة والناس في عُسرة، وكانت الثمار قد طابت، فأحبّ الناس المقام في ثمارهم، فتجهّزوا على كره، فكان ذلك الجيش يُسمّى جيش العُسرة... الخ.

وقال الزيني دحلان^(٢): واختلف في سببها، فقال بعضهم أنّه (ص) بلغه من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أنّ الروم تجمّعت بالشام مع هرقل - وهو قيصر ملك الروم - اجتمعت معهم لحم وجذام وعاملة وغسّان وغيرهم من متنصرة العرب وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء. فلما بلغه (ص) ذلك ندب الناس إلى الخروج وأعلمهم بالمكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك بما يحتاجونه في السفر والحرب.

وروى الطبراني من حديث عمران بن حصين الخزاعي قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إنّ هذا الرجل الذي يدّعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم، فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن. فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له قباذاً، وجّهز معه أربعين ألفاً، فبلغ ذلك النبي (ص) ولم يكن للناس قوّة للذهاب لتلك الأرض لفقد الظهر والنفقة... الخ.

وقال الواقدي^(٣): فاستأذن نبي الله (ص) ناس من الناس من بين غنيّ منافق ومؤمن لا يجد شيئاً، فأمر رسول الله عند جهازهم أن يجمعوا صدقة أموالهم ليجهّز بها من لا يجد ثباتاً، فأعظم الناس النفقة فجهّزوا بها الفقراء، وجعل الرجل من ذوي الميسرة يحمل الرهط من فقراء قومه... الخ.

وقال ابن هشام^(٤): وحدثني الثقة عن حدّثه، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جدّه قال: بلغ رسول الله (ص) أنّ

(١) الكامل ٢ / ٢٧٧.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ١٢٥.

(٣) المغازي ٣ / ٩٩١.

(٤) السيرة النبوية ٤ / ١٦١.

ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، وكان بيته عند جاسوم يشبطون الناس عن رسول الله (ص) في غزوة تبوك، فبعث إليهم النبي (ص) طلحة بن عبيدالله في نفر من أصحابه وأمره أن يُحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة، فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فأفلتوا.

الى أن قال: قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله (ص) جدّ في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى واحسبوا... الخ.

وقال محمد بن سعد^(١): فندب رسول الله الناس الى الخروج، وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك، وبعث الى مكة والى قبائل العرب يستنفرهم، وذلك في حرٍّ شديد، وأمرهم بالصدقة، فحملوا صدقات كثيرة وقوا في سبيل الله وجاء البكّاءون وهم سبعة يستحملونه، فقال (ص): «لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون»، وهم: سالم بن عمير، وهرمي بن عمرو، وعُلبة بن زيد، وأبو ليلى المازني، وعمر بن عنمة، وسلمة بن صخر، والعرباض بن سارية وفي بعض الروايات من يقول إن فيهم عبدالله ابن المغفل ومَعقل بن يسار، وبعضهم يقولون البكّاءون بنو مقرن السبعة، وهم من مزينة. وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله (ص) في التخلّف من غير علة، فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلاً، وجاء المعذّرون من الأعراب ليؤذن لهم فاعتذروا إليه فلم يُعذرهم، اثنان وثمانون رجلاً.

ثم قال: وكان عبدالله بن أبيّ بن سلول قد عسكر على ثنية الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين، فكان يقال ليس عسكره بأقلّ العسكرين... الخ.

وقال ابن كثير^(٢): قال ابن إسحاق: وقد كان نفر من المسلمين أبطأت له الغيبة حتى تخلّفوا عن رسول الله (ص) من غير شكٍّ ولا ارتياب، منهم: كعب بن مالك بن أبي كعب أخو

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٦٥.

(٢) السيرة النبوية ٤ / ١١.

بني سلمة، ومرارة بن ربيع أخو بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية أخو بني واقف، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف، وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم.

ثم قال: قلت أمّا الثلاثة الأول فستأتي قصّتهم مبسوطة قريباً إن شاء الله تعالى، وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوْا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ وأمّا أبو خيثمة فإنه عاد وَعَزَمَ عَلَى اللّٰهُوُق برسول الله (ص) كما سيأتي.

الى أن قال: فلما خرج (ص) يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع، ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس، وضرب عبدالله بن أبي عدوّ الله عسكره أسفل منه، وما كان فيما يزعمون بأقلّ العسكرين. فلما سار رسول الله (ص) تخلف عنه عبدالله بن أبي في طائفة من المنافقين وأهل الريب.

حديث المنزلة في شأن علي عليه السلام

ثم قال ابن هشام: واستخلف رسول الله (ص) على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري. قال: وذكر الدراوردي أنه استخلف عليها عام تبوك سباع بن عرفطة.

ثم قال: قال ابن إسحاق: وخلف رسول الله (ص) علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً وتحفظاً منه. فلما قالوا ذلك أخذ علي سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله (ص) وهو نازل بالجرف، فأخبره بما قالوا، فقال: كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. فرجع علي ومضى رسول الله (ص) في سفره.

ثم قال: قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن إبراهيم بن سعد ابن أبي وقاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسول الله (ص) يقول لعلي هذه المقالة.

وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن

إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه. وقد قال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: خلف رسول الله (ص) علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي. وأخرجاه من طرق عن شعبة نحوه وعلقه والبخاري أيضاً من طريق أبي داود عن شعبة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول له وخلفه في بعض مغازيه، فقال علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان. فقال: يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. ورواه مسلم والترمذي عن قتيبة، زاد مسلم ومحمد بن عباد كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به. وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه... الخ.

وقال ابن الأثير^(١): واستخلف رسول الله (ص) على المدينة سباع بن عرفطة، وعلى أهله علي بن أبي طالب، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً له، فلما سمع علي ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله (ص)، فأخبره ما قال المنافقون، فقال: كذبوا وإنما خلفتك لما ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. فرجع علي إلى المدينة... الخ.

وهذا النقل قريب مما ذكره ابن هشام^(٢) والطبري^(٣) والحلي^(٤) والزيني دحلان^(٥) إلا أن هؤلاء ذكروا أن علياً لما جاءه قال له: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني

(١) الكامل ٢ / ٢٧٨.

(٢) السيرة النبوية ٤ / ١٦٢ و ١٦٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ١٠٣ و ١٠٤.

(٤) السيرة الحلبية ٣ / ١٣٢.

(٥) السيرة النبوية ٢ / ١٢٦.

وتخففت مني. فقال (ص): كذبوا... الخ.

وقال سبط ابن الجوزي^(١) بعد ذكر طرق لهذا الحديث: وفي رواية ان رسول الله (ص) لما توجه الى تبوك خلف علياً في أهله وأزواجه، لأن المدينة خلت من الرجال، فخاف عليها، وتحدث المنافقون وقالوا: كره مسيره معه، فبلغ ذلك علياً فلدق رسول الله (ص) بالثنية وهو يبكي... الخ.

ثم قال: قال محمد بن شهاب الزهري: أما خلفه رسول الله (ص) في أهله كما فعل موسى بأخيه هرون (عليها السلام) لما ذهب موسى الى الميقات، وأما قال «لا نبي بعدي» لأنه نسخ بشرعه جميع الشرايع، واتفق علماء السير ان علياً (ع) لم يفته مع رسول الله (ص) مشهد سوى تبوك، واتفقوا على أنه لم يجر فيها القتال... الخ.

ثم روى عن الإمام أحمد باسناده عن مجدوح بن زيد الباهلي قال: آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار، فبكى عليه فقال رسول الله: ما يبكيك؟ فقال: لم تؤاخ بيني وبين أحد. فقال: أما ادخرتك لنفسي: ثم قال لعلي: أنت مني بمنزلة هرون من موسى. الحديث.

وروى أيضاً عن الإمام أحمد باسناده عن أبي بردة قال: خرج علي مع النبي (ص) الى ثنية الوداع وهو يبكي ويقول: خلفتني مع الخوالم، ما أحب أن تخرج في وجه إلا أنا معك. فقال رسول الله: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة وأنت خليفتي... الخ.

وروى النسائي^(٢) باسناده عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: لما غزا رسول الله (ص) غزوة تبوك خلف علياً في المدينة، قالوا فيه: مله وكره صحبته، فتبع علي النبي (ص) حتى لقيه في الطريق، قال: يا رسول الله خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء حتى قالوا مله وكره صحبته فقال النبي (ص): يا علي إنما خلفتك على أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

ثم روى النسائي حديث المنزلة بطرق متعددة سوى ما ذكر. بالجملة فمجموع ما ذكره في

(١) تذكرة الخواص ص ٢٨.

(٢) خصائص أمير المؤمنين ص ٦٧.

خصائصه يبلغ تسعة عشر طريقاً، وكلها تنتهي الى سعد بن أبي وقاص وسعد بن مالك وأسماء بنت عميس، وكل هؤلاء رووا حديث المنزلة عن النبي (ص) في غزوة تبوك وغيرها، انتهى. وروى محمد بن يوسف الكنجي الشافعي^(١) بإسناده عن ابن أبي وقاص أنه قال: قال رسول الله (ص) لعلي: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي. ثم روى الحديث بسندين آخرين عن سعد بن أبي وقاص عن النبي (ص) في غزوة تبوك، ثم قال: قلت هذا حديث متفق على صحته، رواه الأئمة الحفاظ كأبي عبد الله البخاري في صحيحه ومسلم بن الحجاج في صحيحه وأبي داود في سننه وأبي عيسى الترمذي في جامعه وأبي عبد الرحمن النسائي في سننه وابن ماجه القزويني في سننه، واتفق الجميع على صحته حتى صار ذلك اجماعاً منهم.

قال الحاكم النيسابوري: هذا حديث دخل في حدّ التواتر. ثم قال: وقد نقل عن شعبة بن الحجاج أنه قال في قوله لعلي «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وكان هرون أفضل أمة موسى، فوجب أن يكون علي أفضل من كل أمة محمد (ص) صيانة لهذا النص الصريح كما قال موسى لأخيه هرون «اخلفني في قومي وأصلح»... الخ.

ثم رواه بإسناده عن جابر أنه قال: جاء رسول الله (ص) ونحن مضطجعون في المسجد، فضربنا بعسيب كان في يده، فقال: أترقدون في المسجد، أنه لا يرقد فيه، فأجفنا فأجفل علي، فقال رسول الله (ص): تعال يا علي، أنه يحلّ لك في المسجد ما يحلّ لي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا النبوة، والذي نفسي بيده أنك لذواد عن حوضي يوم القيامة، تذود كما يذاد البعير الضال عن الماء بعضاً لك من عوسج، كائني أنظر الى مقامك من حوضي.

ثم قال الكنجي الشافعي: هكذا ذكره ابن عساكر في كتابه، وطرقه بطرق شتى. ثم روى بإسناده عن أبي رافع أنه قال: إن النبي (ص) خطب الناس فقال: يا أيها الناس إن الله أمر

(١) كفاية الطالب ص ٢٨٢-٢٨٧.

موسى وهرون أن يتبوءا لقومهما بيوتاً، وأمرهما أن لا يبیت في مسجدهما جنب ولا يقربوا فيه النساء إلا هرون وذريته، ولا يحل لأحد أن يعزل النساء في مسجدي هذا ولا يبیت فيه جنب إلا علي وذريته.

ثم قال: قلت هكذا ذكره الحافظ الدمشقي في مناقب علي من كتابه، وروى الحافظ الدمشقي في كتابه قول النبي (ص) لعلي «أنت مني بمنزلة هرون من موسى» عن عدد كثير من أصحاب رسول الله (ص) منهم عمر وعلي وسعد وأبو هريرة وابن عباس وابن جعفر ومعاوية وجابر بن عبدالله وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وجابر بن سمرة وأنس بن مالك وزيد بن أبي أوفى ونبيط بن شريط ومالك بن الحويرث وأم سلمة وأسماء بنت عميس وفاطمة بنت حمزة وغيرهم، وذكر لكل واحد طرقات، وألفاظهم مختلفة واتحد معنى الجميع.

ثم روى أيضاً عن سعد بن أبي وقاص أنه ذكر لعلي خمسة مناقب، منها قال: الخامسة من مناقبه ان رسول الله (ص) ركب ناقته الحمراء وخلف علياً، فنفست ذلك عليه قريش، قالوا: إنما خلفه أنه استنقله وكره صحبته. فبلغ ذلك علياً قال: فجاء حتى أخذ بغرز الناقة فقال علي: زعمت قريش أنك إنما خلفتني أنك استنقلتني وكرهت صحبتي. قال: فبكى علي قال: فنادى رسول الله (ص) في الناس، فاجتمعوا ثم قال: أيها الناس أمنكم أحد إلا وله حاسد، ألا ترضى يا بن أبي طالب أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. فقال علي: رضيت عن الله ورسوله.

ثم قال: هذا حديث حسن الى أن قال: والخامسة من مناقبه رواه الأئمة عن آخرهم من قوله «أنت مني» الى آخره.

وروى سليمان بن إبراهيم الحنفي باسناده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله (ص) لعلي: أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. قال سعيد: فأحببت أن أشافه بها سعداً، فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني به عامر، فقال: أنا سمعته. قلت: أنت سمعته؟ فوضع اصبعيه على أذنيه فقال: نعم وإلا فاسكتا. الى أن قال: عن ابن عباس

قال: قال رسول الله (ص): هذا علي لحمه لحمي ودمه دمي، وهو مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

ثم روى عن أحمد بن حنبل وموفق بن أحمد بسنديهما عن زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله (ص) في مسجده وقد آخى بين أصحابه، فقال علي: يا رسول الله فعلت بأصحابك وما فعلت بي. فقال: والذي بعثني بالحق نبياً أخرجتك لنفسك، فأنك مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فأنت أخي ووارثي، وأنت معي في قصري في الجنة... الخ.

ثم روى عن موفق بن أحمد الخوارزمي المكي بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله: يا علي أنه يحل لك في المسجد ما يحل لي، وأنك مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، والذي نفسي بيده أنك تذود عن حوضي يوم القيامة رجالاً كما يذاد البعير الأجرع عن الماء، بعضاً لك من عوسج، كاتي أنظر الى مقامك من حوضي.

وما رواه أيضاً عن ابن حجر في الصواعق المحرقة قال: الحديث الأول أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص وأحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري والطبراني عن أسماء بنت عميس وعن أم سلمة وحُبش بن جُنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة وعلي وبراء بن عازب وزيد بن أرقم قالوا جميعاً: إن رسول الله (ص) خلف علياً في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان. فقال (ص): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبي بعدي.

أقول: وقد ظهر بما قدمناه من كلمات القوم ورواياتهم أن الراوي لهذا الحديث الشريف يكون أربعة وعشرين رجلاً وامرأة من الصحابة والصحابيات، وقد روي عن أكثرهم بطرق متعددة، وقد رواه النسائي في خصائصه بتسعة عشر طريقاً، وقد أسند خمسة عشر منها إلى سعد بن أبي وقاص بواسطة عامر بن سعد وإبراهيم بن سعد ومصعب بن سعد وعبد الله بن سعد وعائشة ابنة سعد، وهؤلاء بنو سعد بن أبي وقاص قد رووه عن أبيهم، وأيضاً رواه سعيد ابن المسيب وعبد الله الكناني وحرب بن سلك عن سعد بن أبي وقاص، وقد روى عن هؤلاء

بخمسة عشر طريقاً، ورواه أيضاً عن سعد بن مالك وأسماء بنت عميس عن النبي (ص) بأربعة طرق هذا ما رواه النسائي، وهكذا رواه مسلم وابن كثير وسبط ابن الجوزي ومحمد بن يوسف الشافعي وأحمد بن عبدالله الطبري وسليمان بن إبراهيم الحنفي عن سعد بن أبي وقاص وغيره بطرق متعددة كما قال محمد بن يوسف الشافعي، وروى الحافظ الدمشقي في كتابه قول النبي (ص) «أنت متي بمنزلة هرون من موسى» عن عدد كثير من أصحاب رسول الله (ص)، ثم عدّ أسماءهم كما ذكرناه عنه قبل ذلك، ثم قال: وذكر لكل واحد منهم طرقات وألفاظهم مختلفة واتّحد معنى الجميع.

وقد قال قيل ذلك: هذا حديث متفق على صحته، رواه الأئمة الحفاظ، ثم عدّ أسماءهم وقال: واتّفق الجميع حتّى صار ذلك إجماعاً منهم.

ثم قال: قال الحاكم النيسابوري: هذا حديث دخل في حدّ التواتر.

وبما ذكرناه عنهم ظهر عدم صحة ما نقله الحلبي عن الآمدي من أنّ هذا الحديث غير صحيح، كما أنّ قول الحلبي بأنّه على تسليم صحته ثم قال: بل صحته هي الثابتة، لأنّه في الصحيحين، فهو من قبيل الآحاد، وعلى تسليم أنّه من المتواتر فلا عموم له، بل المراد ما دلّ عليه ظاهر الحديث أنّ عليّاً خليفة النبي (ص) في أهله خاصّة مدّة غيبته بتبوك. ثم قال: فعلى تسليم أنّه عام لكنّه مخصوص، والعام المخصوص غير حجة في الباقي أو حجة ضعيفة... الخ. مدفوع:

أولاً - بأنّ الحديث من المتواترات قطعاً، وسند ذلك ما ذكرناه قبلاً.

وثانياً - لا يختصّ صدور الحديث عن النبي (ص) بغزوة تبوك حتّى يقال أنّه ليس بعام،

بل قد ذكرنا قبل ذلك أنّ الحديث قد صدر عن النبي (ص) في مواضع متعددة.

وقد روى سليمان بن إبراهيم الحنفي عن جعفر الصادق عن آبائه (عليهم السلام) أنّه قال:

لقد قال رسول الله في عشرة مواضع «أنت متي بمنزلة هرون من موسى»، انتهى.

وأنّه في تلك المواضع ما خصّه بأهله وزمان حياته مضافاً إلى ما رواه القوم عنه (ص) في

مواضع عديدة أنّه قال لعلي: أنت خليفتي ووصيي ووارثي، وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول،

حيث أمره الله بإنذار عشيرته وأهل قرابته، فراجع.

وثالثاً - إن الحديث قطعيّ الصدور، وأنه الصريح في أفضليته ﷺ كما صرح به محمد بن يوسف الشافعي حيث قال: وكان هرون أفضل من أمة موسى فوجب أن يكون علي أفضل من كل أمة محمد، صيانة لهذا النص الصحيح الصريح كما قال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي واصلح... الخ.

فاللازم على مدعي التخصيص إقامة دليل قطعي الصدور الصريح في تخصيصه، وإلا فلا وجه لتخصيص القطعي بالآحاد أو بما ادّعوه من الإجماع، لأن ما رووه من الحديث في أفضلية أبي بكر آحاد قطعاً، كما إن الإجماع - بمعنى اتفاق الكل - مقطوع العدم، لمخالفة جماعة من فضلاء الصحابة كسلمان وأبي ذر ومقداد وغيرهم رضي الله عنهم. ولو لم يكن مخالفة هؤلاء لكفى في نقض الإجماع مخالفة علي بن أبي طالب، وأنه ما بايع أبا بكر إلا بعد ستة أشهر كما ذكره البخاري ومسلم في الصحيحين على ما ذكره القوم. وأما على ما ذكره الإمامية من أن علياً ﷺ ما بايع أبا بكر ولا غيره أبداً. فهو الصحيح المتفق عليه عندهم. فتأمل فيما ذكره القوم دليلاً كي يتضح لك حقيقة الأمر.

تتمة غزوة تبوك

قال محمد بن سعد^(١): وتخلّف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم كعب بن مالك وهلال بن ربيع ومرارة بن الربيع وأبو خيثمة السلمي وأبو ذر الغفاري، وأمر رسول الله (ص) كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواءً أو راية، ومضى لوجهه يسير بأصحابه حتى قدم تبوك في ثلاثين ألفاً من الناس والخيل عشرة آلاف فرس، قام بها عشرين ليلة يصلي ركعتين، ولحقه بها أبو خيثمة وأبو ذر الغفاري... الخ.

وقال الطبري: ومضى رسول الله (ص) على سفره، ثم إن أبا خيثمة أخطأ بني سالم رجع بعد

(١) الطبقات الكبرى ١٦٦/٢.

أن سار رسول الله (ص) أياماً إلى أهله في يوم حارّ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطٍ قد رشّت كل واحدة منها عريشها وبرّدت له فيه ماءً وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل فقام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له قال: رسول الله في الضحى والريح وأبو خيثمة في ظلال باردة وماء بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالنصف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله (ص)، فهيتا لي زاداً. ففعلتا، ثم قدم ناضحه فارتحلته، ثم خرج في طلب رسول الله (ص) حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمهبي في الطريق يطلب رسول الله (ص) فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: ان لي ذنباً فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله (ص)، ففعل ثم سار حتى إذا دنا من رسول الله وهو نازل بتبوك قال الناس: يا رسول الله هذا راكب في الطريق مُقبل. فقال رسول الله (ص): كن أبا خيثمة. فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله (ص)، فقال له رسول الله: أولى لك يا أبا خيثمة. ثم أخبر رسول الله الخبر فقال له رسول الله خيراً، ودعا له بخير.

وقد كان رسول الله (ص) حين مرّ بالحجر نزل لها واستسقى الناس من بئرها، فلما راحوا منها قال رسول الله (ص): لا تشربوا من مائها ولا تتوضأوا منها للصلاة، وما كان من عجيب عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجنَّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له. ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله (ص) إلا رجلين من بني ساعدة، خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعير له، أمّا الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه، وأمّا الذي في طلب بعيره فاحتلمته الريح حتى طرحته في جبلي طيء، فأخبر بذلك رسول الله فقال: ألم أنحكم أن يخرج أحد إلا ومعه صاحب له. ثم دعا الذي أصيب على مذهبه فشفي، وأمّا الآخر الذي وقع بجبلي طيء فإن طياً أهدته لرسول الله (ص) حين قدم المدينة ... الخ.

وقال ابن كثير^(١): وقال مالك عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر ان رسول الله (ص) قال لأصحابه: لا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

ثم روى عن الإمام أحمد باسناده عن نافع عن ابن عمر قال: نزل رسول الله (ص) بالناس عام تبوك الحجر عند بيوت ثمود، فاستسقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم، فأمرهم رسول الله (ص) فأهرقوا القدور وعلّفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على قوم عذّبوا، فقال: انّي أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم.

ثم روى عن الإمام أحمد أيضاً باسناده عن جابر قال: لما مرّ رسول الله (ص) بالحجر قال: لا تسألوا الآيات فقد سأها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفجّ وتصدر من هذا الفجّ، فعتوا عن أمر ربّهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها فأخذتهم صيحة أهدم الله من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله. قيل: من هو يارسول الله؟ قال: هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه.

وروى أيضاً عن الإمام أحمد باسناده عن محمد بن أبي كبشة عن أبيه قال: لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس الى أهل الحجر يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فنودي الصلاة جامعة. قال: فأتيت رسول الله وهو ممسك بعيّره وهو يقول: ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم. فناده رجل: نعجب منهم. قال: أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك، رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسدّدوا، فإنّ الله لا يعبا بعذابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً... الخ.

وقال الطبري^(٢): وأصبح الناس بالحجر ولا ماء لهم، فشكوا ذلك الى النبي (ص) فدعا الله فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجاتهم من الماء.

(١) السيرة النبوية ١٨/٤.

(٢) تاريخ الطبري ١٠٥/٣.

قال ابن الأثير^(١): وكان بعض المنافقين يسير مع رسول الله (ص)، فلما جاء المطر قال له بعض المسلمين: هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارة.

وقال ابن هشام^(٢): قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله (ص) سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله (ص) رجل من المنافقين يقال له عمارة بن حزم وكان عقبياً بدرياً وكان في رحله رجل وهو زيد بن اللصيت القينقاعي وكان منافقاً. إلى أن قال: فقال زيد بن اللصيت: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته. فقال رسول الله وعمارة عنده: إن رجلاً قال هذا محمد يخبركم أنه نبي ويخبركم عن أمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وائي والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلّني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا، وقد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى أتوني بها. فذهبوا فجاؤا بها. فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال: والله لعجب من شيء حدّثناه رسول الله (ص) أنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا... الخ.

وقال ابن الأثير^(٣): وكان زيد بن لُصيت القينقاعي منافقاً، وهو في رحل عمارة قد قال هذه المقالة، فأخبر عمارة بأنّ زيداً قد قالها، فقام عمارة يطأ عنقه وهو يقول: في رحلي داهية ولا أدري أخرج عني يا عدو الله من رحلي ولا تصاحبني. فزعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك وحسن إسلامه، وقيل لم يزل متهاً حتى هلك... الخ.

وقال الطبري^(٤): ثم مضى رسول الله (ص) سائراً، فجعل يتخلف عند الرجل فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان. فيقول: دعوه فإن يك فيه خيراً فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه. قال: وتلوّم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله (ص) ماشياً، ونزل رسول الله في بعض منازلها، فنظر ناظر

(١) الكامل ٢/ ٢٧٩.

(٢) السيرة النبوية ٤/ ١٦٦ و ١٦٧.

(٣) الكامل ٢/ ٢٧٩ و ٢٨٠.

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ١٠٧.

من المسلمين فقال: يا رسول الله انّ هذا الرجل يمشي على الطريق وحده. فقال رسول الله (ص) كن أباذر، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو أبوذر، فقال رسول الله: يرحم الله أباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده.

ثم روى بإسناده عن محمد بن كعب القرظي قال: قال لما نفى عثمان أباذر نزل أبوذر الربذة، فأصابه بها قدره ولم يكن معه أحد إلا امرأته وغلّامه، فأوصاهما أن غسّلاني وكفّناني ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرّ بكم فقولوا: هذا أبوذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق، فأقبل عبدالله بن مسعود ورهط من أهل العراق وعُماراً فلم يرعهم إلاّ بجنّازة على الطريق وقد كادت الإبل تطأها، وقام إليهم الغلام فقال: هذا أبوذر صاحب رسول الله (ص) فأعينونا على دفنه. قال: فاستهلّ عبدالله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله، تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فواروه، ثم حدّتهم ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله (ص) في مسيره الى تبوك.

وروى ابن كثير^(١) بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: انّ رسول الله (ص) عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره الى نخلة، فقال: ألا أخبركم بخير الناس وشرّ الناس، انّ خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتّى يأتيه الموت، وانّ شرّ الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوي الى شيء منه.

وروى البيهقي بإسناده عن عقبة بن عامر الجهني قال: خرجنا مع رسول الله في غزوة تبوك. الى أن قال: فأصبح بتبوك، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيّها الناس أمّا بعد، فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشرّ الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى

(١) السيرة النبوية ٤ / ٢٣ و ٢٥.

العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وأهمل، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً، ومن الناس من لا يذكر الله إلا هجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، وخير ما وقر في القلب اليقين والارتباب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من حناء جهنم، والشعر من إبليس، والخمر جماع الأثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وأتما يصير أحدكم الى موضع أربعة أذرع، والأمر الى الآخرة، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتألى على الله يكذبه، ومن يستغفره يغفر له، من يعف الله عنه، ومن يكظم يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوّضه الله، ومن يبتغي السمعة يسمع الله به، ومن يصبر يضعف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله، اللهم اغفر لي ولأمتي - قالها ثلاثاً. ثم قال: استغفر الله لي ولكم.

ثم قال ابن كثير: وهذا حديث غريب، وفيه نكارة وفي اسناده ضعف ... الخ. وقال ابن الأثير^(١): وانتهى رسول الله (ص) الى تبوك، فأقن يوحنا بن روبة صاحب أيلة فصالحه على الجزية وكتب له كتاباً، فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، ثم زاد فيه الخلفاء من بني أمية، فلما كان عمر بن عبدالعزيز لم يأخذ منهم غير ثلاثمائة. وصالح أهل اذرح على مائة دينار كل رجب، وصالح أهل جرباء على الجزية، وصالح أهل مقنا على ربع ثمارهم. ثم قال: وأرسل رسول الله (ص) خالد بن الوليد الى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وكان نصرانياً من كندة، فقال (ص) لخالد: أنك تجده يصيد البقر، فخرج خالد بن

الوليد حتى إذا كان من حصنه على منظر العين وأكيدر على سطح داره، فباتت البقر تحكّ بقرونها باب الحصن، فقالت امرأته: هل رأيت مثل هذا قط. قال: لا والله. قالت: ومن يترك هذا. قال: لا أحد، ثم نزل فركب فرسه ومعه نفر من أهل بيته، ثم خرج يطلب البقر فتلقّتهم خيل رسول الله (ص) وأخذته وقتلوا أخاه حسّاناً، وأخذ خالد بن الوليد من أكيدر قباء ديباج مخصوص بالذهب، فأرسله إلى رسول الله (ص) قبل قدومه، فجعل المسلمون يلمسونه يتعجبون منه، فقال رسول الله: أتعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا. وقدم خالد بأكيدر على رسول الله، فحقن دمه وصالحه على الجزية وخلق سبيله فرجع إلى قريته... الخ.

وقال الطبري^(١): وقتلوا أخاه حسّان، وقد كان عليه قباء له من ديباج مخصوص بالذهب، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله (ص) قبل قدومه... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٢): وكان أكيدر من كندة ملكهم، وكان نصرانياً، فأنتهى إليه خالد وخرج من حصنه ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسّان، فشددت عليه خيل خالد بن الوليد، فاستأسر أكيدر وامتنع أخوه حسّان وقاتل حتى قتل وهرب من كان معها، فدخل الحصن وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله (ص)، على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة ربح، فعزل للنبي (ص) صفيّاً خالصاً ثم قسم الغنيمة، فأخرج الخمس وكان للنبي (ص)، ثم قسم ما بقي بين أصحابه، فصار لكل واحد خمس فرائض. ثم خرج خالد بأكيدر وبأخيه مصاد وكان في الحصن وبما صالحه عليه قافلاً إلى المدينة، فقدم بأكيدر على رسول الله (ص) فأهدى له هدية، فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلق سبيلهما، وكتب له رسول الله كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه وختمه يومئذ بظفره.

وكان رسول الله (ص) استعمل على حرسه بتبوك عباد بن بشر، فكان يطوف في أصحابه

(١) تاريخ الطبري ١٠٩/٣.

(٢) الطبقات الكبرى ١٦٦/٢ و١٦٧.

على العسكر.

ثم انصرف رسول الله من تبوك ولم يلق كيداً و قدم المدينة في شهر رمضان سنة تسع، فقال: الحمد لله على ما رزقنا في سفرنا هذا من أجر وحسبة. وجاء من كان تخلف عنه، فحلفوا له فعذرهم واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه حتى نزلت توبتهم بعد، وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون: قد انقطع الجهاد.

فبلغ ذلك رسول الله (ص) فنهاهم وقال: لا تزال عصابة من أممي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال، انتهى.

وقال ابن الأثير^(١): وأقام رسول الله (ص) بتبوك بضع عشرة ليلة، ولم يجاوزها ولم يقدم عليه الروم والعرب المنتصرة، فعاد الى المدينة.

وكان في الطريق ماء يخرج من وشل لا يروي إلا الراكب والراكبين بوادٍ يقال له وادي المشقى، فقال رسول الله (ص): من سبقنا فلا تسقين منه شيئاً حتى نأتيه. فسبقه نفر من المنافقين فاستسقوا ما فيه، فلما جاء رسول الله (ص) أخبروه بفعلهم فلعنهم ودعا عليهم، ثم نزل رسول الله (ص) إليه فوضع يده تحته وجعل يصب إليها يسيراً من الماء، فدعا فيه ونضحه في الوشل فانخرق الماء جرياً شديداً، فشرب الناس واستقوا.

خبر مسجد الضرار

وسار رسول الله (ص) حتى قارب المدينة، فأتاه خبر مسجد الضرار، فأرسل مالك بن أبي الدخشم فحرقه وهدمه، وأنزل فيه ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين﴾... الخ.

ثم قال: وكان الذين بنوه اثنا عشر رجلاً... الخ.

وهذا النقل قريب مما ذكره ابن هشام^(٢) وابن الأثير^(٣) والطبري^(٤) إلا أن هؤلاء ذكروا أنّ

(١) الكامل ٢ / ٢٨١.

(٢) السيرة النبوية ٤ / ١٧٣.

(٣) الكامل ٢ / ٢٨١.

(٤) تاريخ الطبري ٣ / ١١٠.

رسول الله أقبل حتى نزل بذي أوان، وهو بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد ضرار قد كان أتوه وهو (ص) يتجهز الى تبوك، فقالوا: يا رسول الله أنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتوية، وأنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه. فقال (ص): أتني على جناح سفر وحال شغل - أو كما قال رسول الله - ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه. فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلان، فقال: انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقا. فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم ابن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: انظرنني حتى أخرج إليك بنا من أهلي فدخل الى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرّقا وهدماه وتفرّقا عنه، ونزل فيهم القرآن ما نزل... الخ.

حديث أصحاب العقبة

روى ابن كثير^(١) بإسناده عن عروة بن الزبير قال: لما قفل رسول الله (ص) من تبوك الى المدينة همّ جماعة من المنافقين بالفتك به وأن يطرحوه من رأس العقبة في الطريق، فأخبر (ص) بخبرهم، فأمر الناس بالمسير من الوادي وصعد هو العقبة وسلكها معه أولئك نفر وقد تلتّموا، وأمر رسول الله (ص) عمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه، وعمّار أخذ بزمام الناقة وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسرون إذ سمعوا بالقوم قد غشواهم، فغضب رسول الله (ص) فأبصر حذيفة غضبه، فرجع إليهم ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه، فلما رأوا حذيفة ظنّوا أن قد أظهر على ما أضروه من الأمر العظيم، فأسرعوا حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله، فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة

ووقفوا ينظرون الناس. ثم قال رسول الله (ص) لحذيفة: هل عرفت هؤلاء القوم؟ قال: ما عرفت إلا رواحلهم في ظلمة الليل حين غشيتهم. ثم قال: علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب؟ قالوا: لا. فأخبرهما بما كانوا تمالثوا عليه. وسمّاهم لها واستكتمها ذلك، فقالا: يا رسول الله أفلا تأمر بقتلهم. فقال (ص): أكره أن يتحدث الناس إن محمداً يقتل أصحابه. ثم قال: وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة، إلا أنه ذكر أن النبي (ص) إنما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده. وهذا هو الأشبه.

ثم قال: قلت وقد كانوا أربعة عشر رجلاً، وقيل كانوا اثنا عشر رجلاً. وذكر ابن إسحاق: إن رسول الله (ص) بعث إليهم حذيفة بن اليمان، فجمعهم له، فأخبرهم رسول الله بما كان من أمرهم وبما تمالثوا عليه.

ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم، قال: فيهم أنزل الله عز وجل ﴿وَهُمْوَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ ... الخ. وقال ابن الأثير^(١): وقدم رسول الله وكان قد تخلف عنه رهط من المنافقين، فأتوه يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله (ص) ولم يُعذّرهم الله ورسوله، وتخلف أولئك النفر الثلاثة، وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، تخلفوا من غير شك ولا نفاق، فنهى رسول الله (ص) عن كلامهم، فاعتزلم الناس فبقوا كذلك خمسين ليلة، ثم أنزل الله توبتهم ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ... الخ.

وروى ابن كثير^(٢) عن علي بن طلحة الوالبي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَأخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ قال: كانوا عشرة رهط، تخلفوا عن رسول الله (ص) في غزوة تبوك، فلما حضروا رجوعه أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد، فلما مرّ بهم رسول الله (ص) قال: من هؤلاء؟ قالوا: أبا لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك حتى تطلقهم وتعذرهم. قال: وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله عز وجل هو الذي يطلقهم، رغبوا عني وتخلفوا عن

(١) الكامل ٢ / ٢٨٢.

(٢) السيرة النبوية ٤ / ٤٨.

الغزو مع المسلمين. فلما بلغهم ذلك قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا. فأنزل الله عز وجل ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ ... الخ. وعسى من الله واجب، فلما أنزلت أرسل رسول الله (ص) إليهم فأطلقهم وعذرهم، فجاؤوا بأموالهم وقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا. فقال (ص): ما أمرت أن آخذ أموالكم، فأنزل الله ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إن صلواتك سكن لهم إن الله سميع عليم﴾ إلى قوله ﴿وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعضّ بهم وإمّا يتوب عليهم﴾ قال وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسواري فأرجئوا حتى نزل قوله تعالى ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ ... الخ.

ثم روى عن سعيد بن المسيّب ومجاهد ومحمد بن إسحاق قصة أبي لبابة وما كان من أمره يوم بني قريظة وربط نفسه حتى يتب عليه، ثم أنه تخلف عن غزوة تبوك فربط نفسه أيضاً حتى تاب الله عليه، وأراد أن ينخلع من ماله كلّ صدقة، فقال له رسول الله (ص): يكفيك من ذلك الثلث ... الخ.

ثم قال ابن كثير قلت: كان المتخلفون عن غزوة تبوك أقسام: مأمورون مأجورون كعلي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة وابن أم مكتوم، ومعدّرون وهم الضعفاء والمرضى، والمقلّون وهم البكّاءون، وعصابة مذنبون وهم الثلاثة أبو لبابة وأصحابه المذكورون، وآخرون ملومون مذمومون وهم المنافقون ... الخ.

بقية أحداث السنة التاسعة من الهجرة

قال ابن الأثير^(١): وفيها - أي وفي السنة التاسعة من الهجرة - قدم عروة بن مسعود الثقفي على النبي (ص) مسلماً، وقيل بل أدركه في الطريق مرجعه من الطائف، وسأله أن يرجع إلى

قومه بالإسلام، فقال رسول الله (ص): انهم قاتلوك. فقال: أنا أحب إليهم من أبكارهم، ورجا أن يوافقهم لمنزلته فيهم، فلما رجع إلى الطائف صعد إلى عليّة له وأشرف منها عليهم وأظهر الإسلام ودعاهم إليه، فرموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله، فقيل له: ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها إليّ، ليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله، فادفونوني معهم، فلما مات دفنوه معهم. وقال رسول الله (ص) فيه: إن مثله كمثل صاحب يس في قومه، انتهى.

قال محمد بن سعد^(١): ثم سرية خالد بن الوليد إلى بني عبدالممدان بنجران في شهر ربيع الأول سنة عشر من مهاجر رسول الله، انتهى.

ثم قال محمد بن سعد: ثم سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن، يقال مرتين إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من مهاجر رسول الله، قالوا: بعث رسول الله (ص) عليّاً إلى اليمن وعقد له لواءً وعممه بيده وقال: امض ولا تلتفت، فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك. فخرج ﷺ في ثلاثمائة فارس، فكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد، وهي بلاد مذجج، ففرّق أصحابه، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك، وجعل علي على الغنائم بريدة بن الحصيب الأسلمي، فجمع إليه ما أصابوا، ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة، فصفّ أصحابه ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السلمي، ثم حمل عليهم علي بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرّقوا وانهمزوا فكفّ عن طلبهم. ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقال: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله. وجمع علي الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء، فكتب في سهم منها لله، وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس، وقسم علي على أصحابه بقيّة المغنم، فوافى النبي (ص) بمكة وقد قدمها للحج سنة عشر، انتهى.

(١) الطبقات الكبرى ١٦٩/٢ و ١٧٠.

وقال الطبري^(١): قال الواقدي: وفيها - أي السنة التاسعة من الهجرة - مات عبدالله بن أبي ابن سلول مرض في ليالي بقين من شوال ومات في ذي القعدة، وكان مرضه عشرين ليلة. وفيها قدم على رسول الله (ص) كتاب ملوك حمير في شهر رمضان مُقرّين بالإسلام مع رسولهم الحارث بن عبدكلال ونعيم بن عبدكلال والنعمان، وقيل ذي رعين... الخ. الى أن قال: وفي هذه السنة فرضت الصدقات وفرّق فيها رسول الله (ص) عمّاله على الصدقات.

وفيها نزل قوله تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة ﴾... الخ، وكان سبب الذي نزل ذلك به قصة أمر ثعلبة بن حاطب ذكر ذلك أبو امامة الباهلي. ثم قال: قال الواقدي: وفي هذه السنة ماتت أم كلثوم ابنة رسول الله (ص) في شعبان، وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبدالمطلب... الخ. وقال الطبري: وقال الواقدي: وفيها السنة التاسعة من الهجرة نعى رسول الله (ص) للمسلمين النجاشي، وأنه مات في رجب سنة تسع.

نزول آيات من سورة براءة وقراءة علي ﷺ لها في الموسم

ثم قال: وقال وفيها حج أبو بكر بالناس، ثم خرج أبو بكر من المدينة في ثلاثمائة وبعث معه رسول الله (ص) بعشرين بدنة وساق أبو بكر خمس بدنات، وحج فيها عبدالرحمن بن عوف وأهدى، وبعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب على أثر أبي بكر فأدركه بالعُزج، فقرأ علي براءة يوم النحر.

ثم روى بإسناده عن السُدّي قال: لما نزلت هذه الآيات الى رأس الأربعين - يعني من سورة براءة - فبعث بهن رسول الله (ص) مع أبي بكر وأمره على الحج، فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعلي بن أبي طالب، فأخذها منه، فرجع أبو بكر الى النبي (ص) فقال:

يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء؟ قال: لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني... الخ. وهكذا نقله ابن الأثير^(١) في الكامل.

وقال ابن كثير^(٢): ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقم للمسلمين حجهم، وأهل الشرك على منازلهم من حجهم لم يصدروا بعد عن البيت، ومنهم من له عهد مؤقت إلى أمد، فلما خرج أبو بكر بمن معه من المسلمين وفصل عن البيت، أنزل الله عز وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة ﴿براءة من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر إن الله بريء من المشركين ورسوله﴾... الخ.

ثم قال: والمقصود أن رسول الله (ص) بعث علياً بعد أبي بكر ليكون معه ويتولى علي بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله لكونه ابن عمه من عصبته.

ثم قال: قال ابن إسحاق: حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد ابن علي أنه قال: لما نزلت براءة علي رسول الله (ص) وقد كان بعث أبا بكر ليقم للناس الحج قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر. فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي. ثم دعا علي بن أبي طالب فقال (ص): أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، ألا أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى مدته. فخرج علي بن أبي طالب على ناقه رسول الله (ص) العضباء حتى أدرك أبا بكر.

ثم روى عن الإمام أحمد بإسناده عن أنس بن مالك: أن رسول الله (ص) بعث براءة مع أبي بكر، فلما بلغ ذا الحليفة قال: لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي. فبعث بها مع علي بن أبي طالب. وقد رواه الترمذي من حديث حماد بن سلمة وقال: حسن غريب.

ثم روى ابن كثير بإسناده عن سماك عن علي أن رسول الله (ص) لما أردف أبا بكر بعلي فأخذ منه الكتاب بالجحفة، رجع أبو بكر فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا ولكن

(١) الكامل ٢/ ٢٩١ و ٢٩٢.

(٢) السيرة النبوية ٤/ ٦٨ - ٧٢.

جبريل جاءني فقال: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك.

ثم روى عن الإمام أحمد باسناده عن رجل من همدان قال: سألتنا علياً: بأي شيء بُعثت يوم بعثه رسول الله مع أبي بكر في الجحفة؟ قال: بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهدته إلى مدته، ولا يحج المشركون بعد عامهم هذا... الخ.

ورواه في المسند في الجزء الأول ص ٣٣١ باسناده عن ابن عباس قال ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً (ع) خلفه فأخذها منه قال (ص) لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه. ورواه أيضاً في ص ١٥١ باسناده عن علي (ع) قال قال (ص) في جواب أبي بكر: لكني جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك.

ورواه في ج ٣ ص ٢١٢ باسناده عن أنس بن مالك عن النبي (ص) أنه قال لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي فبعث بها مع علي... الخ. و ص ٢٨٣ أيضاً باسناده عن أنس عن النبي (ص) أنه قال لا يبلغها إلا رجل من أهلي.

وروى ابن هشام^(١) باسناده عن أبي جعفر محمد بن علي، ثم ذكر نحو ما ذكره ابن كثير^(٢) إلى أن قال: ثم مضيا، فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله... الخ.

وقال محمد بن سعد^(٣): فلما كان بالعرج - يعني أبا بكر - لحقه علي بن أبي طالب على ناقته رسول الله (ص) القصواء، فقال له أبو بكر: استعملك رسول الله على الحج. قال: لا ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده. فضى أبو بكر فحج بالناس، وقرأ علي بن أبي طالب براءة على الناس يوم النحر عند الجمرة، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقال:

(١) السيرة النبوية ٤ / ١٩٠.

(٢) السيرة النبوية ٤ / ٦٩.

(٣) الطبقات الكبرى ٢ / ١٦٨ و ١٦٩.

لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ثم رجعا قافلين الى المدينة.
وهذا النقل قريب مما ذكره الكازروني اليماني، إلا أنه قال: وعن أبي سعيد الخدري قال:
بعث رسول الله (ص) أبا بكر على الموسم وبعث معه بسورة براءة وأربع كلمات الى الناس،
فلحقه علي بن أبي طالب في الطريق فأخذ علي السورة والكلمات، وكان يبلغ وأبو بكر على
الموسم. الى أن قال: فلما رجعا قال أبو بكر: مالي هل نزل في شيء؟ قال: لا وما ذاك. قال: إن
علياً لحق بي وأخذ مني السورة والكلمات. فقال: أجل لم يكن يبلغها إلا أنا أو رجل
مني... الخ.

وقال الحلبي: وفي كلام السهيلي: لما أردف أبو بكر بعلي رجع أبو بكر الى النبي (ص)
وقال: يا رسول الله هل أنزل في قرآن؟ قال: لا ولكن أردت أن يبلغ عني من هو من أهل
بيتي... الخ.

وقال الزيني دحلان^(١): وجاء في رواية أنه بعد توجه أبي بكر من المدينة نزلت سورة
براءة، فقبل له (ص): لو بعثت بها أبا بكر. فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي. ثم دعا
علياً فقال: أخرج بصدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمني. فقرأ علي بن أبي
طالب براءة يوم النحر... الخ.

وفي تفسير روح المعاني للأوسي ج ١٠ ص ٤٠ باسناده عن أنس بن مالك قال: بعث
النبي (ص) ببراءة مع أبي بكر، ثم دعاه فقال: لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي.
فدعا علياً فأعطاه إياه... الخ.

وفي الرياض النضرة لمحّب الطبري ج ٢ ص ١٧٤ روى عن علي (ع) قال: ورجع أبو بكر
الى النبي (ص) فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال (ص): لا، جبرئيل جاءني فقال:
لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك... الخ.

والبحر المحيط لأبي حيان ج ٥ ص ٦ أنه قال: قال النبي (ص): لا يؤدي عني إلا رجل

منّي ... الخ.

والفخر الرازي في التفسير ج ١٤ ص ٢١٨ عن النبي (ص) انه قال: لا يؤدّي عني إلا

رجل منّي ... الخ.

وفي الكشاف ج ٢ ص ١٣٨ قال: روى ان أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل

فقال: يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك ... الخ.

وفي كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام المتولد سنة ١٥٤ والمتوفى سنة ٢٢٤

باسناده عن زيد بن يثيع قال: فرجع أبو بكر كئيباً فقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟ قال:

لا ولكن أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي ... الخ، والمدارع لعبد الحق الدهلوي

ص ٤٩٢ قال: ان جبريل نزل على النبي (ص) وقال: لا يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل

منك ... الخ.

وهكذا رواه الملامع في معارج النبوة ج ٤ ص ٣١٤، وقال أيضاً ص ٣١٥: لما ورد أمير

المؤمنين كرم الله وجهه مكة سل سيفه وقال (ع): والله لأن طاف بالبيت أحد عريانا لأضربه

بسيفي فلما سمع النداء كل من كان عارياً لبس ثيابه وطاف بالبيت ... الخ.

وروى النسائي^(١) باسناده عن أنس قال: بعث النبي (ص) براءة مع أبي بكر، ثم دعاه

فقال: لا ينبغي أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي. فدعا علياً فأعطاه إياها.

ثم رواه باسناده عن زيد بن سبيع عن علي ان رسول الله (ص) بعث براءة الى أهل مكة مع

أبي بكر، ثم أتبعه بعلي، فقال له: خذ الكتاب فامض به الى مكة. قال: فلحقه فأخذ الكتاب،

فانصرف أبو بكر وهو كئيب، فقال لرسول الله (ص): أنزل في شيء؟ قال: لا، إلا اني أمرت

أن أبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي.

ثم روى باسناده عن عبدالله بن أرقم قال: بعث رسول الله (ص) أبا بكر براءة حتى إذا

كان ببعض الطريق أرسل علياً فأخذها منه، ثم سار بها، فوجد أبو بكر في نفسه، فقال

(١) خصائص أمير المؤمنين ص ٩١-٩٤.

رسول الله (ص): لا يؤدّي عني إلا أنا أو رجل مني.

ثم روى باسناده عن جابر ان النبي (ص) حين رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج، فأقبلنا معه حتى إذا كان بالعرج ثوب بالصبح، فلما استوى لتكبير سمع الزعوة خلف ظهره، فوقف عن التكبير فقال: هذه زعوة ناقة رسول الله (ص) الجدعاء، لقد بدا لرسول الله في الحج، فلعله أن يكون رسول الله فنصلي معه. فإذا علي، فقال أبو بكر: أمير أم رسول؟ قال: لا بل رسول، أرسلني رسول الله (ص) ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج. فقدمنا مكة، فلما كان قبل التروية قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثم خرجنا معه حتى إذا كان يوم عرفة، قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، فلما كان نفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون أو كيف يرمون، فعلمهم مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها.

وروى أيضاً قبل ذلك باسناده عن حُبَيْش بن جنادة السلولي قال: قال رسول الله (ص): علي مني وأنا منه، فلا يؤدّي عني إلا أنا أو علي، انتهى ما نقله النسائي في خصائصه. ورواه محمد بن يوسف الكنجي الشافعي^(١) باسناده عن أبي بُردة عن أبيه عن النبي (ص) قال: علي مني وأنا من علي. ثم قال: هذا حديث حسن رواه ابن السماك في الجزء الرابع من مسنده، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير في ترجمة حُبَيْش بن جنادة السلولي بطرق شتى بزيادة لفظ، فمنها ما عن أبي إسحاق عن حُبَيْش قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: علي مني وأنا منه، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو علي. ثم قال: وناهيك به راوياً، انتهى.

وقال ابن صَبَّاح المالكي^(٢): وروى الترمذي أنه (ص) بعث ببراءة أو قال سورة براءة مع أبي بكر، ثم دعاه فقال: لا ينبغي لأحد أن يبلغ عني إلا رجل هو من أهل بيتي - أو قال: لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه. فدعا (ص) علياً فأعطاه إياها، انتهى.

(١) كفاية الطالب ص ٢٧٥ و ٢٧٦.

(٢) الفصول المهمة ص ٤٠.

وروى أحمد بن عبدالله الطبري^(١): عن أبي سعيد أو أبي هريرة قال: بعث رسول الله (ص): أبا بكر على الحج، فلما بلغ ضجنان سمع بغمام ناقة علي فعرفه، فأتاه فقال: ما شأنك؟ قال: خيراً، إن رسول الله (ص) بعثني ببراءة. فلما رجعنا انطلق أبو بكر الى النبي (ص) فقال: يا رسول الله مالي؟ قال: خيراً أنت صاحبني في الغار غير أنه لا يبلغ عني أو رجل مني - يعني علياً.

ثم قال: أخرجه أبو حاتم، وفي رواية عنده من حديث جابر إن أبا بكر قال له: أمير أم رسول؟ فقال: بل رسول، أرسلني رسول الله ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج. وفي رواية من حديث أحمد عن علي: إن النبي (ص) لما راجعه أبو بكر قال: جبريل جاءني فقال لي: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك.

وقال سبط ابن الجوزي^(٢): ذكر أهل السير إن النبي (ص) بعث أبا بكر يحج بالناس سنة تسع من الهجرة، وقال: إن المشركين يحضرون الموسم ويطوفون بالبیت عراً، ولا أحب أحب حتى لا يكون ذلك، وأعطاه أربعين آية من صدر سورة براءة ليقراها على أهل الموسم. فلما سار دعا رسول الله (ص) علياً فقال له: أخرج بهذه الآيات من صدر براءة، فإذا اجتمع الناس الى الموسم فأذن بها، ودفع إليه ناقته العضباء، فأدرك أبا بكر بذي الحليفة، فأخذ منه الآيات، فرجع أبو بكر الى رسول الله (ص) فقال: بأبي أنت وأمي هل نزل في شأني شيء؟ فقال: لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني. الى أن قال: وذكر أحمد في الفضائل إن رسول الله (ص)، قال له: إن جبريل جاءني فقال: ابعث علياً. فلما كان يوم النحر قام علي في الناس فأذن بصدر براءة كما أمره رسول الله.

ثم قال: وذكر أحمد في الفضائل باسناده عن أبي سعيد الخدري: إن علياً قرأ صدر براءة الآيات التي أخذها من أبي بكر في الطريق... الخ.

وروى سليمان بن إبراهيم الحنفي باسناده عن أنس بن مالك وعن جابر نحو ما مرّ سابقاً.

(١) ذخائر العقبين ص ٦٩.

(٢) تذكرة الخواص ص ٤٢ و ٤٣.

وروى أيضاً باسناده عن ابن عباس قال: بعث النبي (ص) أبا بكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات، ثم أتبعه علياً، فبينما أبو بكر في بعض الطريق إذا سمع رغاء ناقه رسول الله (ص) القصوى، فخرج أبو بكر فرعاً، فظن أنه رسول الله فإذا علي فدفع إليه كتاب رسول الله (ص) وأمر علياً أن ينادي بهؤلاء الكلمات، فانطلقا فحجاً، فقام علي أيام التشريق فنادى: ذمّة الله ورسوله بريئة من كل مشرك... الخ.

وقال أيضاً: وفي المشكاة عن حُبَيْش بن جنادة قال: قال رسول الله (ص): علي منّي وأنا من علي، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو علي. ثم قال: رواه الترمذي، ورواه أحمد أيضاً عن حُبَيْش. ثم قال: وأيضاً رواه ابن ماجه عن ابن جنادة، وفي المشكاة عن عمران بن حصين أنه قال: إن النبي (ص): قال: إن علياً منّي وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي. رواه الترمذي. وفي المشكاة عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله (ص) لعلي: أنت منّي وأنا منك. رواه الترمذي.

ثم روى عن الحموي في فرائد السمطين بسنده عن علي قال: أهدى لرسول الله (ص) قنوة موزة يقشر الموز بيده ويجعلها في فمي، فقال قائل: يا رسول الله أنك تحبّ علياً. قال: أو ما علمت أن علياً منّي وأنا من علي.

وفي المناقب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص) علي مني وأنا منه، وقال جبريل: أنا منكما.

وفي زوائد المسند عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، عن يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن عباية الأسدي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) لأم سلمة: علي منّي وأنا من علي، لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو منّي بمنزلة هرون من موسى، يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي سيّد المسلمين.

وفي المناقب عن عطية بن سعد العوفي عن مخدوج بن زيد الذهلي قال: نزلت آية ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ فقلنا: يا رسول الله من أصحاب الجنة؟ قال: من أطاعني ووالى علياً من بعدي، وأخذ رسول الله (ص) بكفّ علي فقال: إن علياً منّي وأنا من علي، فمن

حادّه فقد حادّني ومن حادّني أسخطه الله عزّ وجلّ. ثم قال: يا علي حريك حربي وسلمك سلمي، وأنت العلم بيني وبين أمتي.

ثم قال: قال عطية: سألت زيد بن أرقم عن حديث مخدوج قال: أشهد الله لقد حدّثنا به رسول الله (ص).

وفي كنوز الحقائق للمناوي قال (ص): علي منّي وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي. لأبي داود الطيالسي: علي مني وأنا من علي، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو علي.

وفي المناقب لأحمد عن جابر بن عبد الله قال: لقد سمعت رسول الله (ص) يقول في علي خصلاً لو كانت واحدة منها في رجل اكتفى بها فضلاً وشرفاً، قوله (ص) لعلي: من كنت مولاه فعليّ مولاه، وقوله علي منّي كهرون من موسى، وقوله: عليّ منّي وأنا منه، وقوله: عليّ منّي كنفي، طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي، وقوله: حرب علي حرب الله وسلم علي سلم الله، وقوله: ولي علي ولي الله، وعدو علي عدو الله، وقوله: علي حجة الله على عباده، وقوله: حبّ علي إيمان وبغضه كفر، وقوله: حزب علي حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان، وقوله: علي مع الحق والحق معه لا يفترقان، وقوله: علي قسيم الجنة والنار، وقوله: من فارق علياً فقد فارقتني ومن فارقتني فقد فارقت الله، وقوله: شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة.

وروى أيضاً عن ابن المغازلي الشافعي وموفق بن أحمد عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): علي منّي مثل رأسي من بدني. ثم قال: وفي السنن للترمذي عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله (ص) جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب فضي في البرية فأصاب جارية، فأنكروا عليه وتعاقد أربعة من الصحابة فقالوا: إذا لقينا رسول الله أخبرناه بما صنع علي. وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدأوا برسول الله (ص) فسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السريّة على النبي (ص) فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله ألم تر أنّ علياً صنع كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام الثاني وقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا. فأقبل إليهم والغضب يعرف في وجهه: ما تريدون من علي - قالها أربعاً، وقال (ص): إنّ علياً منّي وأنا منه،

وهو ولي كل مؤمن بعدي. ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب.

وروى أيضاً عن ابن حجر في الصواعق عن الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين: إن رسول الله (ص) قال: ما تريدون من علي - قال ذلك ثلاثاً - إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي. انتهى ما نقله سليمان بن إبراهيم الحنفي في ينابيع المودة.

وروى الإمام أحمد في المسند^(١) بإسناده عن علي بن أبي طالب عن النبي (ص) أنه قال لعلي (ع): أنت مني وأنا منك. ورواه أيضاً عن أبي بكر في الجزء الأول في ص ٢ قال: قال رسول الله (ص): أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني.

وروى أبو نعيم الاصفهاني^(٢) بإسناده عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله (ص): يا أنس اسكب لي وضوءاً. ثم قام فصلّى ركعتين، ثم قال: يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين. قال أنس: قلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمته إذا جاء علي فقال: من هذا يا أنس، فقلت: علي. فقام مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، قال علي: يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل. قال (ص): ما يمنعني وأنت تؤدّي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي. ثم قال: رواه الجابر الجعفي عن أبي الطفيل عن أنس نحوه، انتهى.

وروى محمد بن يوسف الشافعي^(٣) بإسناده عن أبي رافع عن أبيه رافع قال: لما كان يوم أحد نظر النبي (ص) الى نفر من قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم فقتل هاشم ابن أمية المخزومي وفرّق جماعتهم، ثم نظر النبي الى جماعة من قريش فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم وفرّق جماعتهم وقتل فلان الجهمي، ثم نظر الى نفر من قريش فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم وفرّق جماعتهم وقتل أحد بني عامر بن لؤي. فقال له

(١) المسند لأحمد ١/٩٨ و ١٠٨ و ١١٥.

(٢) حلية الأولياء ١/٦٣ و ٦٤.

(٣) كفاية الطالب ص ٢٧٤ و ٢٧٥.

جبريل : هذه المواساة . فقال النبي (ص) : أنه مني وأنا منه . فقال جبريل وأنا منكم يا رسول الله .

ثم قال : قلت هذا سياق ابن عساكر في كتابه وطرقه ، رواه أيضاً عن جابر بن عبد الله عن النبي (ص) ، غير أنّ في حديث جابر قال : جاء علي النبي (ص) الى أن قال : فقال جبريل : هذه والله المواساة يا محمد . فقال رسول الله : يا جبريل أنه مني وأنا منه . فقال جبريل : أنا منكما .

ثم قال : قلت ذكره المحافظ الخطيب البغدادي فيماخرجه من الفوائد للشريف النسيب ، انتهى .

أقول : والمقصود من ذكر هذه الاسناد إثبات تواتر الحديث ، وإنّ قوله (ص) : علي مني وأنا من علي ، ليس له اختصاص بصدوره عن النبي (ص) في حق علي بن أبي طالب في موضع واحد ، بل صدر عنه في حقّه في مواضع عديدة ، وإنّه (ص) جعله كنفسه بقوله : علي مني وأنا من علي ، وقد رواه أصحاب السنن والمسائيد كالترمذي والنسائي وابن ماجّة والإمام أحمد والطيالسي وغيرهم ، وقد رووه بطرق متعددة عن رواة شتى من فضلاء الصحابة كجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم ورافع وعمران بن حصين وأنس بن مالك وابن عباس وحُبَيْش بن جنادة وأبي سعيد الخدري والبراء بن عازب وأبي بُردة وأم سلمة وعلي بن أبي طالب .

قد وقع الفراغ من الجزء الثاني من كتاب حياة النبي (ص) في اليوم العاشر من شوال المكرّم ١٣٧٢ هـ . ق . وقد ألفه أقل خدمة أهل العلم محمد قوام الدين بن حبيب الله القمي الوشروي في البلدة الطيبة قم حرم الأئمة (عليهم السلام) . ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث .

الفهرس

٧	بدء تشريع القتال وشيء من غزوات النبي ﷺ وسراياه على الإجمال
١٨	تسمية النبي (ص) علياً (ع) بأبي تراب
٢١	تتمة الغزوات والسرايا على الإجمال
٢٧	غزوة بدر الكبرى
٥٨	قصة إسارة العباس بن عبدالمطلب
٦٠	أخذ الفداء من أسارى بدر
٦٢	إسارة أبي العاص بن ربيع وفدائه
٦٣	إسارة سهيل بن عمرو
٦٥	قصة إسارة أبو عزيز بن عمير
٦٧	التنبيهات
٦٩	تتمة
٧١	بقية سرايا النبي ﷺ
٧١	سرية عمير بن عدي الى عصاء
٧٢	سرية سالم بن عمير الى أبي عفاك اليهودي
٧٢	غزوة بني قينقاع
٧٤	غزوة بني سليم

- ٧٥ غزوة قرقرة (قرارة) الكدر
- ٧٥ غزوة السوق
- ٧٦ غزوة غطفان بنجد
- ٧٧ غزوة بني سليم ببحران
- ٧٧ سرية قتل كعب بن الأشرف اليهودي
- ٨٠ سرية زيد بن حارثة الى القردة
- ٨١ سرية قتل سلام بن أبي الحقيق اليهودي
- ٨٥ وقعة أحد
- ١٠١ قصة شهادة حمزة بن عبدالمطلب
- ١٠٤ تنمة وقعة أحد
- ١٢٣ تنبيهات هامة في وقعة أحد
- ١٢٦ تنمة
- ١٢٨ الآيات الواردة في غزوة أحد
- ١٣٠ عدد القتلى من المسلمين والمشركين في غزوة أحد
- ١٣١ غزوة حمراء الأسد
- ١٣٧ بعض حوادث السنة الثالثة من الهجرة
- ١٣٨ غزوة الرجيع
- ١٤٠ سرية الرجيع
- ١٤٣ بعض أحداث السنة الرابعة من الهجرة
- ١٤٤ حادثة بئر معونة
- ١٤٨ غزوة بني النضير
- ١٥٤ تنمة أحداث السنة الرابعة الهجرية
- ١٥٥ غزوة ذات الرقاع وتشريع صلاة الخوف وكيفيةها
- ١٦٧ بعض ما قيل عن غزوة ذات الرقاع

١٦٩	غزوة بدر الموعد - السويق
١٧٣	غزوة دومة الجندل
١٧٤	غزوة بني المصطلق
١٧٧	قصة جهجاه وسانان الجهني
١٨٠	حديث الافك
١٨٢	كلام في المحجاب الشرعي
١٨٨	غزوة الخندق - الأحزاب
١٩٧	تتمة غزوة الأحزاب
٢١٥	غزوة بني قريظة
٢٢٤	شهادة سعد بن معاذ بالمدينة
٢٢٨	سرية القرطاء
٢٣٠	غزوة بني لحيان والغابة
٢٣٥	سرايا الغمر وذو القصة والجموم وغيرها
٢٤١	غزوة الحديبية
٢٦٣	بعض وقائع سنة الست من الهجرة
٢٦٥	سفراء النبي الى الملوك والقادة
٢٨٢	كتب رسول الله (ص) لناس من العرب وغيرهم
٣٠٢	غزوة خيبر
٣٢٢	نكات هامة
٣٢٥	تتمة غزوة خيبر
٣٢٩	مصالحة أهل فدك مع النبي (ص)
٣٣٠	قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة
٣٣١	محاولة سمّ النبي (ص)
٣٣٣	أحداث بعد غزوة خيبر

- ٣٣٧ مطالبة فاطمة عليها السلام بفدك
- ٣٣٩ بعض حوادث السنة السابعة من الهجرة
- ٣٤٠ اعتار النبي (ص) عمرة القضاء
- ٣٤٥ بعض السرايا في السنة السابعة والثامنة من الهجرة
- ٣٤٧ اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد
- ٣٤٩ غزوة ذات السلاسل
- ٣٥٣ غزوة مؤتة
- ٣٦٢ سرايا أخرى لسنة ثمان من الهجرة
- ٣٦٥ قصة فتح مكة المكرمة
- ٤٠٣ أحداث أخرى في السنة الثامنة من الهجرة
- ٤٠٩ غزوة حنين
- ٤٣٣ بعض الأحداث بعد غزوة حنين
- ٤٤٢ إسلام كعب بن زهير الشاعر المعروف
- ٤٤٤ تخريب الكعبة اليمانية
- ٤٤٥ بعض سرايا سنة تسع من الهجرة
- ٤٥٠ غزوة تبوك
- ٤٥٤ حديث المنزلة في شأن علي عليه السلام
- ٤٦١ تنمة غزوة تبوك
- ٤٦٨ خبر مسجد الضرار
- ٤٦٩ حديث أصحاب العقبة
- ٤٧١ بقية أحداث السنة التاسعة من الهجرة
- ٤٧٣ نزول آيات من سورة براءة وقراءة علي عليه السلام لها في الموسم